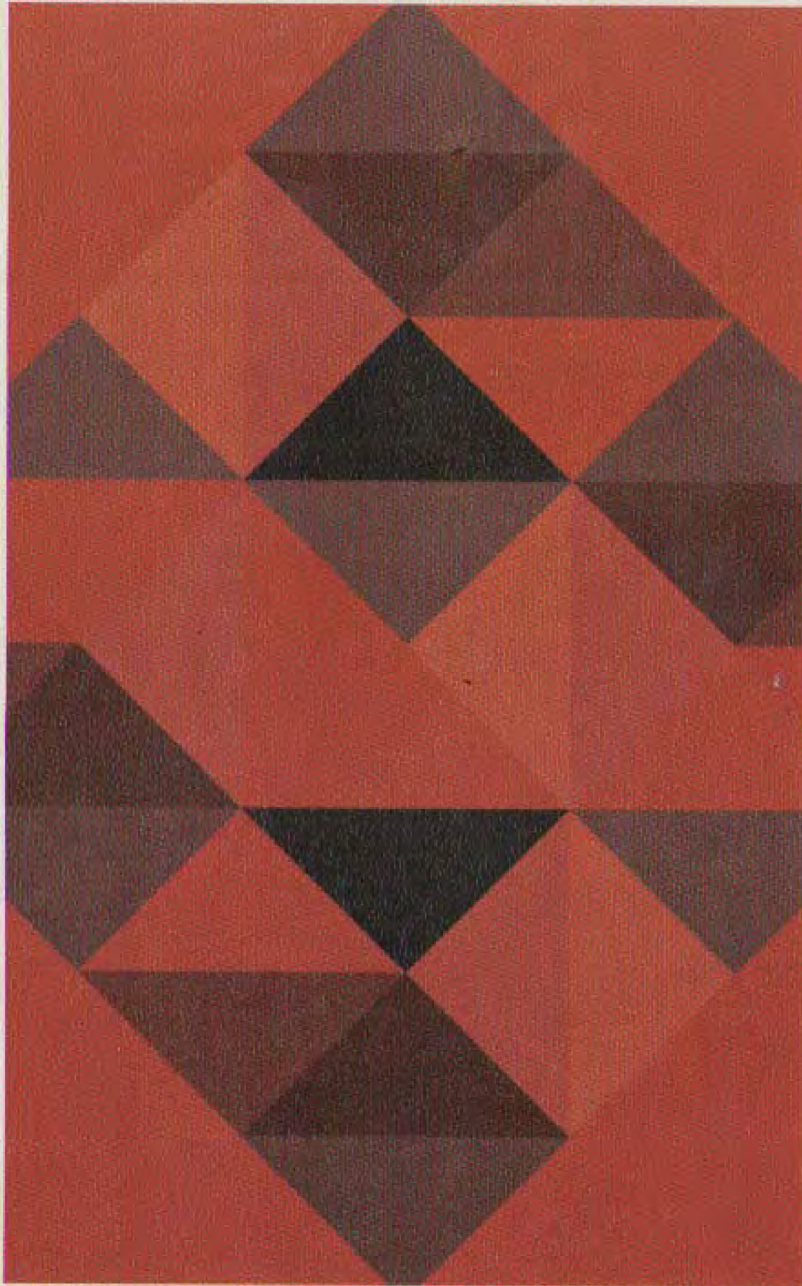
عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



لماذا تتحارب الأمم؟

دوافع الحرب في الماضي والمستقبل

تأليف: ريتشارد نيد ليبو
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم علي

المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

لماذا تتحارب الأمم؟

دوافع الحرب في الماضي والمستقبل

تأليف: ريتشارد نيد ليبو
ترجمة: د. إيهاب عبدالرحيم علي



أغسطس 2013
403

عالم المعرفة
سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	15 د. ك
للمؤسسات	25 د. ك

دول الخليج

للأفراد	17 د. ك
للمؤسسات	30 د. ك

الدول العربية

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:
السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
تليفون: 22431704 (965)
فاكس: 22431229 (965)
www.kuwaitculture.org.kw

ISBN 978 - 99906 - 0 - 392 - 7

رقم الإيداع (2013/320)

العنوان الأصلي للكتاب

Why Nations Fight

Past and Future Motives for War

By

Richard Ned Lebow

Cambridge University Press, UK 2010

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

رمضان 1434 هـ - أغسطس 2013

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتوى

الجزء الأول

مقدمة

1

مقدمة

الحرب هي إزميل سيئ لنحت الغد.

مارتن لوثر كينغ[1]

يمثل العنــف المنظم نقمة ابتليــت بها البشرية منـذ العصر الحجري الحديــث Neolithic era على الأقـل[2]. وقـد عـانى القـرن العشرون مـن حربين عالميتــين مدمرتــين بشــكل هائـل، أدت كل واحدة منهــما إلى مشــاريع كـبرى تاليــة للحــرب، والتــي هدفــت إلى الحيلولة دون وقوعهــا مرة أخرى. نجح المنتــصرون في الحرب العالميــة الثانية إلى حد كبير في جعل أوروبا منطقة ســلام، لكنهــم لم ينجحوا في درء أكثر من خمســين حربا بين الدول، والتي نشــبت في بقية أجزاء العالم خلال العقود الســتة الماضية. أدت هــذه الحروب «الصغيرة» إلى إهدار كثير من الأرواح والمــوارد التــي كان في الإمكان توجيههــا بصورة أكثر ربحيــة إلى التعليــم، والرعاية الاجتماعيــة والتنمية.

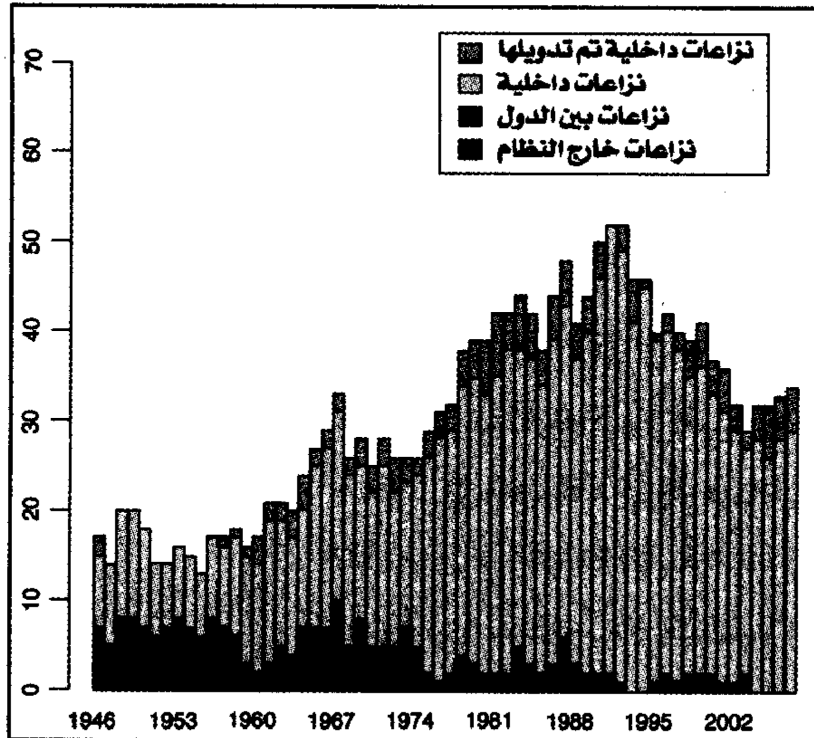
«يمكــن اختصــار معظــم، إن لم يكن جميع، الســلوكيات المتعلقة بالسياســات الخارجيــة في ثلاثــة دوافــع أساســية، هــي: الخــوف والمنفعة والشرف»

المؤلف

تسبب التدخل الأنجلو - أمريكي في العراق في إزهاق أرواح ما بين 600 ألف إلى مليون نسمة، كما كلف الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة تريليونات دولار إذا تضمنت التكلفة المزايا والرعاية الصحية التي سيحصل عليها قدامى المحاربين(3).

هناك إجماع بين العلماء على أن الحرب بين الدول في انخفاض - على عكس العنف داخل الدول. يبين (الشكل 1 - 1) عدد الحروب التي نشبت بين الدول، والحروب الاستعمارية والأهلية خلال العقود التي تلت العام 1945. انتهت حروب الاستقلال من الاستعمار في ثمانينيات القرن العشرين، كما أظهرت الحروب الأهلية انخفاضا حادا بعد انتهاء الحرب الباردة. وعلى أي حال، فقد اشتعل العديد من الصراعات الأهلية المريرة، بما في ذلك جولات العنف المتعلقة بتفكك يوغوسلافيا، بحلول نهاية الحرب الباردة، وتفكك الاتحاد السوفييتي وانهيار الأنظمة الشيوعية الأخرى. أما الحروب بين الدول، وعددها قليل نسبيا، فتُظهر انخفاضا طفيفا.

النزاعات المسلحة (+ 25 حالة وفاة سنويا)



(الشكل 1 - 1): الحروب مرتبة وفق السنوات، خلال الفترة من 1946 - 2007. تشير البيانات إلى الحروب التي نتج عنها أكثر من ألف قتيل، سواء من العسكريين أو المدنيين، في كل من السنوات التي تم فيها إحصاؤها.

أتوجه بالشكر إلى كريستيان سكريدي غليدتش Gleditsch لتزويدي بالجدول.

وإذا انتهجنا منظورا تاريخيا أطول، فسنجد أن تواتر الحرب ظل في انخفاض طوال العصر الحديث[4]. وكانت العقود التي تلت العام 1945 الأكثر سلمية في التاريخ المسجل من حيث عدد الحروب بين الدول، وحجم الخسائر في الأرواح التي نجمت عنها[5]. بيد أنه يجب تقييم هذه النتيجة المشجعة مقابل الحقيقة المتشائمة التي تشير إلى أن الحروب الكبرى في القرن العشرين كانت في كثير من الأحيان أكثر تكلفة بكثير من سابقاتها. كانت الحربان العالميتان الأولى والثانية أكثر الحروب تكلفة في التاريخ، فقد نتج عنهما ما لا يقل عن 10.4 و50 مليون قتيل على الترتيب[6]. أدى الحصار الاقتصادي لألمانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى إلى إضعاف مقاومة السكان المدنيين بشدة لجائحة الإنفلونزا التي أعقبتها مباشرة، والتي يقدر أنها فتكت بنحو 1.1 مليون أوروبي[7]. ويقدر أن حرب الهند الصينية (1964 - 1978) ربما أودت بحياة 1.2 مليون فيتنامي، كما فقد فيها 58 ألف أمريكي أرواحهم[8]. نتج عن الحرب بين إيران والعراق (1980 - 1988) أكثر من 1.1 مليون قتيل[9]. نحن لا نحكم على معدل إماتة lethality الممرضات (مسببات المرض: pathogens) من حيث عدد مرات إصابتها للسكان بالعدوى، بل على النسبة المئوية للأشخاص التي تفتك بهم. ومن هذا المنظور تصبح الحرب في القرن العشرين أشد فتكا، حتى لو كان عدد مرات اندلاعها أقل. وإذا شملنا الحروب داخل الدول، وعمليات التطهير العرقي المحلية، وعمليات التطهير السياسي والعرقي، فإن معدلي وقوع وإماتة العنف السياسي سيرتفعان إلى حد كبير. ويقدر روبرت ماكنمارا McNamara أن 160 مليون شخص قد قتلوا في أعمال عنف جرت خلال القرن العشرين[10]، وبالتالي فإن نتائجنا التجريبية المطمْئنة ليست مطمئنة في نهاية المطاف.

وفي مقابل هذا التشاؤم، يمكننا حشد حقيقة مغايرة قوية: عدد الأشخاص الذين لقوا حتفهم خلال الحرب النووية بين القوى العظمى. في خمسينيات القرن العشرين، عندما كانت الحرب الباردة في أوجها، وجهت الولايات المتحدة أسلحتها النووية على المدن السوفييتية والصينية. كان من المتوقع أن تؤدي الخطة التشغيلية المتكاملة الأولى (SIOP)، التي أعدتها القيادة الاستراتيجية للقوات الجوية، إلى تكبيد الكتلة السوفييتية خسائر تتراوح بين 360 و525 مليون نسمة خلال الأسبوع الأول من الحرب[11]. ومع ازدياد دقة نظم الإطلاق، صار في وسع القوى العظمى استخدام رؤوس حربية أقل قوة لتدمير الأهداف، مما أدى إلى تحول تركيزها من السكان إلى الأصول العسكرية

والبنيـة التحتية الاقتصادية. بيد أن هذا لم يُحدث فرقا كبيرا في الممارسـة العملية. وفي أواخر سـبعينيات القرن العشرين شملت مجموعة أهداف الولايات المتحدة أكبر 200 مدينة سـوفييتية، و80 في المائة من المدن السـوفييتية التي يزيد عدد سكانها عن 25 ألف نسمة وفقا لتشـاركها في الموقع مع أهداف عسكرية وصناعية. وكان من المتوقع هجوم مضاد شـامل أن يقتل ما بين 50 و100 مليون سـوفييتي، وهذا الرقم لا يشمل الخسـائر الناجمة عن الهجمات على أوروبا الشرقية[12]. بلغ عدد الأسـلحة النووية في ترسـانات القوى العظمى نحو 70 ألفا في ذروته في منتصف ثمانينيات القرن العشرين؛ بيد أن حربا نووية متبادلة واسـعة النطاق كانت سـتُفضي إلى نتائج أشـد تدميرا [13]. ونجـد أن بعض العلماء لاسـيما كارل سـاغان Sagan، كانوا يشـعرون بالقلق من أن مثـل هذه الحـرب قد تهدد الحيـاة البشرية بأكملها عن طريق إحداث شـتاء نووي nuclear winter [14]. وعنـد النظر إليه تحت هـذا الضوء، فإن تجنب الحرب أواخر القرن العشرين يبدو إنجازا رائعا بالفعل.

قـد تكون وتيرة الحرب في انخفاض، لكـن الحروب المدمرة لاتزال تحدث. وعندما شرعـت في تأليف هذا الكتاب، كانت إسرائيل تقوم بعمليات عسـكرية في قطاع غزة، وكانت الهند وباكسـتان تعززان الحدود بينهما في أعقاب هجوم إرهابي مميت وقع في مومباي. كان ثلاثة من المتنافسـين الأربعة في هذين الصراعين يمتلكون أسـلحة نووية، مما يجعل أي حرب قد يخوضونها احتمالا مُرعبا بالفعل. وبالتالي، فإن دراسة الحروب بين الدول لاتزال مُهمة لأسباب إنسانية وفكرية. وكلمنا علمنا أكثر حول أسباب الحرب، نكون أقدر على تصميم الاستراتيجيات وبناء المؤسسات اللازمة لتقليل احتمال وقوعها.

طـرح علماء العلاقات الدولية عددا من الأسـباب المختلفـة، لكنها تآزرية عموما، لتراجـع وتيرة الحرب عـلى المديين القصير والطويل. وتشـمل هذه الأسـباب التنمية الاقتصاديـة، وتزايـد القوة التدميريـة للحرب، وانتشـار الديموقراطية، ونمـو التجارة والاعتماد المتبادل بين الاقتصادات المتقدمة، والمؤسسات والأعراف الدولية، والاشمئزاز الواسـع النطاق من الحرب كممارسـة[15]. وتميل هذه التفسيرات في نهاية المطاف إلى أي مـن تلك الأفكار أو الظروف الماديـة، وإلى المعوقات والفرص التي تخلقها للجهات الفاعلة. وفي الواقع جميع التفسيرات تعتمد على كليهما، رغم أنه نادرا ما يتم الاعتراف بذلك، وبالتالي فإن التفاعل بينهما لم يتم استكشافه بعد. ومما زاد الطين بلة أن معظم

تفسيرات تراجع وتيرة الحرب يبدو أنها تعضد بعضها بعضا، مما يجعل من الصعب الفصل بينها ويثير احتمالا أن يكون بعضها تعبيرات عن البعض الآخر، أو مجرد مظاهر لأسباب كامنة شائعة.

دعوني أوضح هذا التعقيد السببي من خلال التفسير الأكثر انتشارا لانخفاض وتيرة الحروب: النفور الجماهيري. جاءت أقوى حجة لصالح العلاقة بين المواقف الجماهيرية تجاه الحرب وممارستها من قبل جون مويللر Mueller[16]؛ فهو يقارن الحرب بالرق slavery والمبارزة، مشيرا إلى أن الممارستين اختفتا عندما تحول الرأي العام بصورة حاسمة ضدهما. وهو يؤكد أن الحرب الآن آيلة إلى الزوال. ورغم أن هذه الرسالة المطمئنة جذابة، فإنها غير مُقنعة. لقد عارض الناس الحرب على الدوام، كما أن الأدبيات المناهضة للحرب لديها تاريخ طويل. يأمر الكتاب المقدس أتباعه بأن «يَصْنعُوا مِنْ سُيُوفِهِمْ أَسِنةً مَحَارِيثَ»، وفي مسرحية ليسيستراتا Lysistrata لأرستوفان Aristophane، تتفق نساء أثينا وإسبرطة على عدم ممارسة الجنس ما لم يصنع رجالهن السلام. أما إيراسموس Erasmus فيفضح الحرب باعتبارها حماقة في كتابه المعنون «مَدْحُ الحماقة»، كما فعل فولتير Voltaire في رواية «البريء» Candide. أما طائفة الكويكرز Quakers- أو مجتمع الأصدقاء - التي تشكلت في إنجلترا في العام 1652، في أعقاب الحرب الأهلية الإنجليزية، فتبجل الحياة البشرية باعتبارها وسيلة لتوصيل صوت الله. وكانوا من بين أوائل المجموعات الدينية التي تعمل من أجل السلام. صارت المشاعر والكتابات المناهضة للحرب أكثر انتشارا وشعبية في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، كما حققت انتشارا أكثر بعد كل حرب عالمية. بلغ النفور من الحرب مستويات عالية في العام 1914، كما ظنت السلطات في العديد من البلدان أن أي حرب ستنشب بين القوى العظمى ستكون طويلة ومكلفة ومدمرة للمنتصر والمهزوم على حد سواء[17]. وكان الرأي العام الأوروبي أكثر مناهضة للحرب في العام 1939، حتى في ألمانيا، وهي مرتكب الجريمة الرئيسي في الحرب العالمية الثانية[18]. كانت المشاعر المناهضة للحرب مُعلنة بما فيه الكفاية لدرجة أنه صار لزاما على القادة الأشد عدوانية - بمن فيهم هتلر وموسوليني - تأكيد نواياهم السلمية. وقامت اليابان بدورها بتبرير غزوها للصين على أنه يهدف إلى إحلال السلام أو استعادة النظام[19]. وحين مثول هذا الكتاب للطبع، كانت الولايات المتحدة، وهي بلد آخر يتسم رأيه

العام بمناهضته للحرب من الناحية النظرية، متدخلة عسكريا في أفغانستان منذ عشر سنوات تقريبا، وفي العراق منذ سبع سنوات.

لم يكن مويللر مخطئا في إصراره على أن الرأي العام الغربي تخلص على نحو متزايد من الافتتان بالحرب، لكن قياسه على الرق والمبارزة مضلل. فبمجرد أن يتحول الرأي العام ضد هذه الممارسات، تصبح أيامها معدودة رغم الجهود الدفاعية الشرسة من قبل المدافعين عنها. وعند تحريمها اختفت إلى حد كبير ولم تعُد ثانية، رغم أنه يتم الإبلاغ عن وجود جيوب من الرق، ليس فقط في المناطق النائية من العالم، لكن في بعض المدن الأكثر ازدهارا[20]. بيد أن الحرب مختلفة. ظل الرأي العام الأمريكي على الدوام مناهضا للحرب بقوة، ومع ذلك فإن أغلبيته دعمت التدخل في كوريا، وفيتنام، وأفغانستان والعراق؛ كما أن العديد من مناصري هذه التدخلات وصفوا أنفسهم على أنهم من أشد المناهضين للحرب، لكنهم اعتبروا أن الحرب ضرورية لأسباب تتعلق بالأمن القومي. في بدايته، فإن تأثير «التجمع حول العَلَم» - وهي ظاهرة وصفها لأول مرة جون مويللر- يقوم باستمرار بالمزايدة على المشاعر المناهضة للحرب لدى أغلبية الشعب الأمريكي[21]. والاستنتاج الذي لا مفر منه هو أن نفور الجمهور من الحرب لم يمنع نشوبها في الماضي أو الحاضر. وفي البلدان الديموقراطية، ظل القادة بصورة روتينية قادرين على حشد الدعم للميزانيات العسكرية وللحرب عن طريق إثارة المشاعر القوية للخوف والمجد.

لنأخذ حرب العراق كمثال: أظهر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة غالوب في فبراير 2001 أن 52 في المائة من الشعب الأمريكي يؤيدون غزو العراق، بينما عارضه 42 في المائة . وبحلول يناير 2003، كشف استطلاع للرأي أجري برعاية جريدة نيويورك تايمز وشبكة CBS أن هذا الدعم قد انخفض إلى 31 في المائة ، وذلك إلى حد كبير بسبب المعارضة التي أعربت عنها فرنسا وألمانيا. وبعد خطاب وزير الخارجية كولن باول Powell في الأمم المتحدة في الخامس من فبراير، الذي ادعى فيه امتلاكه أدلة لا تقبل الشك على أن صدام حسين سيمتلك قريبا أسلحة للدمار الشامل، أظهرت استطلاعات الرأي التي أجرتها شبكتا CNN وNBC حدوث زيادة بنسبة 6 في المائة في الدعم؛ صار 37 في المائة من الأمريكيين يحبذون الغزو. والأهم من ذلك أن نسبة المعارضين للحرب قد انخفضت من 66 في المائة قبل شهر إلى 27 في المائة . وفي مارس 2003، وقبل أيام

معدودة من الغزو، أظهر استطلاع للرأي أجرته صحيفة USA Today، وشبكة CNN ومعهد غالوب أن 60 في المائة كانوا على استعداد الآن لدعم الحرب إذا تمكنت الإدارة الأمريكية من الحصول على تفويض من مجلس الأمن الدولي. وانخفض هذا العدد إلى 54 في المائـة إذا رفض مجلس الأمن التصويـت على دعم الحرب، وإلى 47 في المائة إذا رفضت الإدارة الأمريكية أن تطلب دعم الأمم المتحدة. وفي أبريل 2003، أي بعد شهر مـن الغزو، كان 72 في المائة يؤيدون الحرب. ووفقا لمعهـد غالوب، فقد ارتفع التأييد الشُـعبي للحرب إلى نسـبة مؤثرة بلغت 79 في المائة . تعكس زيادة الدعم في الأشـهر التـي سـبقت الغزو تأثير حملة العلاقات العامة الشـاملة من قبـل الإدارة الأمريكية لربط صدام حسـين بهجمات الحادي عشر من سـبتمبر، وإقناع الناس بأنه يمتلك، أو يوشـك على امتلاك، أسـلحة للدمار الشـامل[22]. لم يكن هناك نقاش حقيقي إذ كان الكونغرس ووسائل الإعلام كارهين للتعبير عن آراء معارضة بسبب قوة التأييد الشعبي للرئيس، واسـتعداد نائب الرئيس لشـجب الصحافيين - والصحف - الذين يتشككون في سياساته[23].

وعندما لم يتم اكتشـاف أي أسلحة للدمار الشـامل وبدأت قوات الاحتلال تواجه تمردا، كشفت استطلاعات الرأي العام انخفاضا مطردا لدعم التدخل في العراق[24].

وبحلول شـهر أغسـطس 2004، وجد استطلاع لجريدة واشـنطن تايمز أن 67 في المائة من الجمهور شـعروا بأنهم تعرضوا للخيانة، معتبرين أن الحرب قد استندت إلى افتراضات زائفة[25]. وبحلول شـهر سـبتمبر 2006، أظهر مسح أجرته صحيفة نيويورك تايمز أن 51 في المائة من الأمريكيين يعتقدون أن الولايات المتحدة لم يكن ينبغي لها أن تدخل العراق مطلقا، في حين رأى 44 في المائة أن الإدارة قد أتت بالفعل الصحيح[26].

وفي السـادس والعشرين من مايو 2007، ووفقا لاسـتطلاع أجرته شبكة CNN، لم يكن هناك سـوى 34 في المائة من الشـعب الأمريكي ممن لايزالون يدعمون الحرب في العراق، بينما عارضها 65 في المائة[27].

وقد اسـتفادت رئيسـة وزراء بريطانيا السـابقة مارغريت تاتشر Thatcher من تأثير «التجمع حول العَلَم» نفسـه في حرب الفوكلاند، كما استفاد منه توني بلير Blair بدرجة أقل إلى حد ما في الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق[28]. وكان المؤرخ ثوكوديدس Thucydides أول مـن وصف هذه الديناميكية في تقريره عن الحرب البيلوبونيسـية

Peloponnesian War. وقد دار خطاب بريكليس Pericles البارع حول رأي الأثينيين الذين رفضوا في السـابق نداء كوركيرا Corcyra لبناء تحالف دفاعي[29]. وفي المناقشة التي سـبقت الحملـة الصقليـة ذات النتائج الكارثيـة يصور ثوكوديـدس قوة دافع ثالـث - هـو المصلحة المادية - الذي جعل الخطابين المزدوجين لكل من ألسـيبياديس Alcibiades ونيكيـاسNicias ينجحان في إقنـاع مجلس النواب بالتصويت على دعم الحرب[30]. ألم يتغير شيء خلال خمسـة وعشرين قرنا؟ يقول الواقعيون: لا؛ ففي رأيهم أن الطبيعـة البشريـة وفوضوية النظام الـدولي يجعلان من الحـرب ظاهرة متكررة. تعمل فوضوية النظام الدولي على تشـجيع الأقوياء على «أن يفعلوا ما يشـاءون»، كما صاغهـا الأثينيون لأهل جزيـرة ميلوس Melians، في حـين أن الضعفاء «يعانون ما لا بد منه»[31]. أعتقد أن هذا التشـاؤم غير مبرر، كما أنـه لم يكن رأي ثوكوديدس، الذي يخطئ الواقعيون في قراءته باسـتمرار[32]. يزودنا التاريخ بأسباب للتفاؤل الحَذِر. فعلى العكس من أثينا وإسبرطة وروما وقرطاج، فقد تجنبت القوتان العظميان الحرب، ومن ثـم انتهت حربهما الباردة سـلميا. وقد تعارضت هذه النتيجـة مع توقعات كثير من الواقعيين، وكذلك الحال بالنسـبة إلى المنطقة المتزايدة من السلام بين الدول الصناعية المتقدمة. بيد أن الأسـباب التي أدت إلى انتهاء الحرب الباردة بطريقة سلمية، وسبب كون الحرب كمؤسسة في انخفاض، تتسم بكونها أقل وضوحا.

ما الحرب؟

يجـب أن تبدأ أي دراسـة عن الحرب بأن تُخبرنا بماهيتهـا[33]. ظاهريا، يبدو هذا بديهيـا: عندمـا تلتقي الجيـوش، ويموت النـاس. لكن هذا يحدث أيضـا في الحروب والنزاعات الأهلية، التي سأسـتبعدها من دراسـتي على أساس أنها تنشأ عموما تحت ظروف مختلفة وتتسـم بديناميات مختلفة. هناك، بطبيعة الحال، ارتباطات مهمة بين الحروب التي تدور بين الدول وتلك التي تنشـب داخلها، إذ إن الدوافع نفسـها توجه المشـاركين فيها في كثير من الأحيان ، كما تـؤدي النزاعات الأهلية في بعض الأحيان إلى إثارة الحروب بـين الدول، والعكس صحيح[34]. يميز القانون الدولي بين الحرب الأهلية التي تدور رحاها بين طرفين من دولة واحدة، والحرب بين الدول، التي يصفها القانون بأنها منازعة مفتوحة ومعلنة بين دولتين مسـتقلتين، والتي تشـنها حكومتاهما. يتسم

هـذا التعريف بأنه معقول، لكنه ليس مناسـبا تماما لأنه لا يشـمل الصراعات التي لا يوجد فيها إعلان رسـمي للحرب (مثل النزاع السـوفييتي - الياباني في منغوليا في العام 1939، والحرب الكورية، والتدخل الأمريكي في الهند الصينية، والتدخل السـوفييتي في كل من المجر، وتشيكوسلوفاكيا، وأفغانستان)، كما أنه يغفل أيضا المواجهات العسكرية بين الوحدات السياسية غير المعترف بها من جانب الدول الأخرى أو من جانب خصومها (مثـل حرب البويـر، والحرب الكورية). إنني أعتبر أن جميـع أنواع الصراعات هي في الواقع حروب فعلية.

يمثل العنف الذي تمارسه جماعة ما ضد أخرى ممارسة موجودة منذ قديم الأزل. يمكن تمييز الحرب عن العنف بأهدافها السياسـية ومفاهيم الأطراف المشـاركة فيها حول طبيعتها الخاصة[35]. تم شـن الحروب الواسـعة النطاق من قبل الإمبراطوريات القديمـة، وعلى مـر القرون بدأت تخضع لقواعد معينة عـلى نحو تدريجي. في العالم القديـم، كانت الحرب المبنية على القواعد أقوى ما يكـون في اليونان القديمة، حيث كانت تمثل وسـيلة مقبولة لتسـوية الخلافات حول المكانة، والشرف، والأرض. كانت الـدول المدينيـة city-states المتحاربة تتفق سـلفا على موقـع المعركة، وتتفق على فترات من الهدنة لاستعادة المقاتلين الجرحى وجثث القتلى، كما يحق للمنتصر - وهو الجانب الذي يتمكن من السـيطرة على سـاحة المعركة - أن يبنـي نصبا تذكاريا[36]. كانت حروب الأزتيك Aztec أيضا محددة النمط للغاية، كما كانت موجهة إلى خدمة أهداف سياسية ودينية. وقد أعاقت الاتفاقيات السياسية والعسكرية للأزتيك قدرتهم على صد الغزاة الإسـبان، وربما كانت مسـؤولة عن هزيمتهم أكثر من امتلاك الإسبان للخيول والأسلحة النارية[37].

تتطلب الحرب المبنية على قواعد من هذا النوع العديد من التفاهمات بين الذاتية intersubjective[38]. بحلـول القرن التاسـع عشر، أدى تعزيـز التغذية المرتجعة بين المفاهيم والقواعد إلى نشـوء نظام إقليمـي أوروبي على درجة كبيرة من التمايز، الذي تتنافـس فيه الدول على المكانة، في حـين أن البلدان الـمُعترف بها كقوى عظمى تتولى مسؤوليات معينة لصيانة النظام. وخلال المائة سنة التالية، توسع نطاق النظام ليشمل وحدات سياسـية غير غربية وغير مسـيحية، ومن ثم حول نفسـه إلى نظام عالمي. إن تعريف الحرب والقواعد المنظمة لها، الذي نشـأ أوروبيا في البداية، هو الآن دولي على

نحو فعال. أصبحت الحرب الحديثة ممارسة اجتماعية متزايدة التعقيد، التي كانت تقوم على مفهوم الدولة: وحدة سياسية ذات سيادة تمتلك شبه احتكار لاستخدام القوة على أراضيها. وقد استلزمت نظاما لا تعمل فيه هذه الوحدات السياسية فحسب، بل تُدرك أن لديها مصالح يجب الحفاظ عليها. أضفى النظام شرعية على الجهات الفاعلة فيه عن طريق الاعتراف الجماعي بها من قبل الجهات الفاعلة الأخرى- أي الاعتراف بسيادتها- وفرق بين الحرب والسلام من خلال وضع التعاريف القانونية والممارسات المتعلقة بها[39]. تم الربط بين الحرب والسيادة لأنه تم تعريفها كإجراءات من شأنها التعدي على السيادة (مثل الغزو، والحصار الاقتصادي). وبالإضافة إلى ذلك، كانت هذه الانتهاكات توفر المبررات اللازمة لإعلان الحرب ضد دولة أخرى. وعند فهمها على هذا النحو، صارت الحرب منافسة عسكرية تُحارَب من أجل أهداف سياسية، كما أدرك كلاوزفيتز Calusewitz في ملاحظته الشهيرة. وذكر أن العنف يُستخدم لإخضاع أو كسر إرادة الخصم، لكن أهدافه وأنماطه يتم تحديدها عموما عن طريق القواعد أو الأعراف[40]. يتسم مفهوم الحرب هذا بحداثته، لأننا لا نستطيع قبل القرن السابع عشر أن نتحدث حقا عن الدول أو أن نميز بشكل فعال بين العنف داخل الدول وفيما بينها. ولهذه الأسباب يجادل هيدلي بول Bull بأن الحرب هي «عنف منظم تقوم به وحدات سياسية ضد بعضها البعض»[41]. سأقوم هنا بإضافة شرط شائع الاستخدام بين العديد من الدراسات الكمية للحرب، وهو أن واحدة على الأقل من الوحدات السياسية المكتنفة يجب أن تفقد ما لا يقل عن ألف قتيل في المعركة. يمثل هذا تدبيرا اعتباطيا، بطبيعة الحال، بيد أنه تم الاتفاق عليه بين الباحثين في هذا الميدان[42].

قد تطورت أهداف الحرب على مر القرون. ورغم أننا لا نعرف إلا القليل عن «الحرب» في عصور ما قبل التاريخ، لكننا نستطيع أن نفترض على نحو معقول أنها نشأت عن صراعات على النساء، وآبار السقي، وأراضي الصيد، والأراضي التي اعتُبرت ذات قيمة لأسباب دينية أو اقتصادية. وفي وقت مبكر، أصبحت الحرب هي الوسيلة الرئيسية التي يسعى من خلالها الشبان ومجتمعاتهم إلى الحصول على الشرف، والهيبة، والمكانة. وتزودنا إلياذة هوميروس Homer بتحليل متعمق لمجتمع أرستقراطي في العصر البرونزي، الذي كانت فيه الحرب وسيلة للانتقام، وأداة لاكتساب الشرف. وبالنسبة إلى اليونانيين والطرواديين Trojans على حد سواء، لم يكن هناك أي تمييز بين

الملـك والدولة، أو بين المنازعات الخاصة والعامة. ومع تطور «المدينة» polis، والدول لاحقـا، ظهرت هــذه الفئات. وقد حدث تحـول مهم آخر نتيجــة للقومية، والتجنيد العســكري الإجباري. لاحظ كلاوزفيتز أن الثورة الفرنسية والحروب النابليونية صارت تمثل مصدر قلق للشعوب، وليس فقط لحكامها، كما أصبحت الحرب أكثر تكلفة عندما صارت أهدافها «وطنية» وأبعد أثرا[43].

دفعت هــذه التطورات ببعض العلــماء إلى تفريق الحــروب الحديثة عن كل ما سبقها. ويؤكد كل من ليفي Levy، و ووكر Wlaker، وإدواردز Edwards أن الحروب التي شُــنت «من أجل شرف شــخصي، أو بغرض الانتقام، أو إثراء الملوك والنبلاء، والتي تميزت بها العصور الوســطى اســتُبدلت عــلى نحو متزايد باســتخدام القوة كأداة من أدوات السياســة العامة لتحقيق أهداف سياســية»[44]. يعكس هذا الادعاء، من دون قصــد، نجاح المؤرخين القوميين الألمان في القرن التاســع عشر (هيرن Heeren، ورانكه Ranke، وترايتشــكه Treitschke، على سبيل المثال) في تطوير خطاب حول السيادة، والــذي هــدف إلى إضفاء الشرعية على ســلطة الحكومة المركزية وعــلى مشروع بناء الدولة. ومن المعــالم المحورية لهذا الخطاب- وللنماذج الواقعية والعقلانية المعاصرة - نجد تصوير السياسة الخارجية باعتبارها عقلانية من الناحية الإستراتيجية، وأن الهدف منها هو زيادة سلطة الدولة. وفي حين صار الملوك، والنبلاء، والإمبراطوريات الآن مجرد تاريخ، بيد أنهم كانوا مســؤولين عن السياســة الخارجية وعن شــن الحروب في أوروبا حتى العام 1918، كما قاموا في كثير من الأحيان بإشهار سيوفهم لأسباب لا تتعلق كثيرا بالواقعية السياســية Realpolitik. وطوال القــرن العشرين، ووصولا إلى القرن الحالي، فإن الشرف، والشــعور بالمهانة، والانتقام، والشر المحض كانــت- ولاتزال- تمثل دوافع قوية في الشــؤون الدولية. وفي كثير من الأحيان تخوض الدول حروبا لأســباب لا علاقة لها بالأمن إلا قليلا، إن وجد[45].

أسباب الحرب

منــذ عصر هيرودوت Herodotus، ظل المؤرخــون يكتبون عن الحرب. وكثير من تلك الدراســات متضمنة روايات سردية ضخمة حول صعود وســقوط الإمبراطوريات والــدول. وقد كتب ليفي Livy (تيتوس ليفيــوس Titus Livius، نحو 59 قبل الميلاد-

17 للميــلاد)، وإدوارد غيبون (1737 - 1794) Gibbon تقارير تاريخية سردية ضخمة ومؤثرة حول روما، التي ظهرت فيها الحروب بشــكل بــارز. وكان ثوكوديدس أول من تناول جذور الحرب كموضوع قائم بذاته، رغم أنه وضع تحليله ضمن سرد أكبر للحرب البيلوبونيســية. وعلى حد علمي، فإن أولى الدراســات التي خصصت بالكامل للأصول العامــة للحرب قد كُتبت في أعقاب الحرب العالمية الأولى. كانت أســباب ذلك الصراع مثــيرة للجدل عــلى نحو خاص وذات مغزى ســياسي، إذ أصر جميع أطرافها على أنهم كانوا يخوضون حربا دفاعية. بررت معاهدة فرســاي التعويضات الألمانية على أســاس مســؤولية هذا البلد عن إشــعال الحرب، مما أدى إلى اســتجابة ألمانية عاطفية، وإلى قيام جميع القوى الكبرى بنشر وثائق أرشيفية لدعم ادعاءاتها بالبراءة، إضافة إلى قدر متنــام من الأدبيات التي تناولت الأســباب الكامنة والمباشرة للحرب العالمية الأولى[46].

ومنــذ ثوكوديــدس، تمت صياغة جذور الحــرب من حيث أســبابها الكامنة والمباشرة. وهــي ترتبط عموما بشروط ضروريــة ومخوِلَة. وقد ركزت العلاقات الدولية بشــكل شــبه حصري على الأســباب الكامنة، وســعت إلى وضع تقارير عامــة عن الحرب. من جانبهم، يؤكد بعض الباحثين أن الأســباب التي ذكروها تُعد كافية في حد ذاتها لإشعال الحرب، في حين يكتفي آخرون بادعاء اكتشــافهم لظروف أو ديناميات تجعل نشــوب الحرب مرجحا لكنه ليس حتميا. وفي جميع الأحوال، تستند الدراسات من كلا النوعين إلى الحروب بين القوى العظمى، وإلى عدد قليل منها في أحســن الأحوال. وبالتالي فإن النظريات المتعلقة بتوازن القوى، وانتقال السلطة، والتحالفات، والإمبريالية الاقتصادية، والسياسة العســكرية militarism، والسيادة الهجومية، والجمود العسكري، والحرب غــير المقصودة، وســوء الإدراك تعتمد بشــكل هائل على الأدلة المســتقاة من الحرب العالميــة الأولى. يجب أن تبقى التعميــمات المبنية على حالات فردية مجرد افتراضات. تعتمد الدراسات الإحصائية عن الحرب على مجموعات كبيرة من البيانات، كما تواجه بدورهــا مشــكلات تعجيزية، من بينهــا صعوبة - إن لم يكن اســتحالة - تلبية شرطين حاســمين بخصوص مجموعات البيانات: قابلية المقارنة comparability واســتقلالية الحالات. وهي لا تســتطيع التعامل بشكل جيد، أو التعامل أصلا، مع التعقيد السببي الناجم عن الســبل المتعددة المؤدية إلى الحرب، والاحتشــاد غير الخطي non-linear confluence ، والدور المستقل المحتمل الذي تلعبه مسببات الحرب[47].

ليس لدي أي حل لهذه المشكلات، ولهذا السبب ولأسباب أخرى لن أطرح افتراضات حول متى يرجح أن تندلع الحروب. سأتناول مشكلة الحرب بشكل مختلف؛ فسأتفحص دوافع مثيري الحروب لتحديد أسباب لجوئهم إلى القوة. إنني أقل اهتماما بأهدافهم الآنية (مثل التخلص من التهديدات العسكرية، أو احتلال الأراضي، أو الامتيازات التجارية) من اهتمامي بأسباب سعيها إلى تحقيق هذه الأهداف. قام كل من كال هولستي Holsti، وجون فاسكويز Vasquez، وبول سينيس Senese جميعا بسرد الحجج المؤيدة لكون النزاعات الإقليمية أسبابا رئيسية للحرب، ولكون السيطرة على الأراضي هدفا رئيسيا للمشاركين فيها[48]. وهذه النتيجة، رغم كونها مثيرة للاهتمام في حد ذاتها، لا تُخبرنا بشيء عن سبب التنافس المحموم على الأراضي. من الممكن أن تسعى الدول إلى ضم الأراضي لأسباب تتعلق بالمصالح، والأمن الاقتصادي أو المكانة. ومن الممكن أن تتغير دوافعها المتعلقة بالتوسع الإقليمي على مر القرون، كما يشير إليه فاسكويز. بيد أن الأراضي، فوق كل ذلك، ليست إلا واحدة فقط من الطرق التي تجد من خلالها هذه الدوافع العامة مُتنفسا لها. إنني مهتم بالدوافع عند هذا المستوى العميق، وبعد حجتي التي عرضتها في كتابي المعنون «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية»، يمكنني التأكيد أنه يمكن اختصار معظم، إن لم يكن جميع، السلوكيات المتعلقة بالسياسات الخارجية في ثلاثة دوافع أساسية، هي: الخوف، والمنفعة والشرف. وفي اعتقادي أنه بإمكاننا أن نتعلم أمورا مهمة حول أسباب الحرب عن طريق فهم الأسباب الكامنة التي تدفع القادة إلى الذهاب إلى الحرب. بيد أن هذا يفترض، كما سأفعل هنا، أن معظم الحروب تنشب نتيجة لقرارات واعية من قبل القادة لاستخدام القوة، أو على الأقل سعيا إلى تنفيذ مبادرات يرون أنها محتملة التصعيد إلى حروب.

ولفهم أسباب الحرب، يجب علينا أن نبدأ بالدوافع وأهداف السياسة الخارجية التي تؤدي إليها. تزودنا الحرب بنافذة على أذهان القادة والنخب من صناع القرار، إذ إن القرارات المتعلقة بالحرب تميل إلى أن تُوثق على نحو أفضل من أنواع عديدة أخرى من السياسات الخارجية. ويمكن لتحليل الدوافع الكامنة وراء الحروب أن يزودنا بتبصرات مهمة حول الأهداف العامة للسياسة الخارجية، وكيف تغيرت على مر القرون؛ فبوسعها أن تخبرنا كيف كان، ولايزال، يُنظر إلى الحرب على أنها تقدم أو تؤخر تحقيق هذه الأهداف، وسبب ذلك. إن تتبع تطور الدوافع وارتباطاتها بالحرب

قد يتيح لنا أيضا طرح بعض التخمينات المستنيرة حول الاحتمالات المستقبلية للحرب. يحتال مثل هذا النهج على العديد من المشـكلات المتعلقة بالجهود النوعية أو الكمية لاكتشاف أسباب الحرب.

يعتمد تحليلي على مجموعة من البيانات التي قمت بتجميعها، لكنني لا أستخدمها في البحـث عن ارتباطات، كما هو مشروح في الفصل الرابع. يمكن فهم مجموعة بياناتي بأفضـل صورة باعتبارها اسـتطلاعا للتاريخ مبنيا على الملاحظـة المباشرة؛ فهي تصف الدوافع المتعلقة بالحروب، وليس توقيت نشوب الحروب.

وقد افترضت أن هذه الدوافع تكون فاعلة بالمثل عندما لا تقع حروب، لذلك فهي لا تُخبرنا بشيء عن الأسـباب المباشرة للحرب، بيد أنها تسـمح لنا ببعض الاستنتاجات حول تواتر الحروب، وهو السؤال المحوري لهذا الكتاب. تتخذ مقاربتي منظورا شموليا أكثر منه تفصيليا. إنني أسعى إلى فهم تواتر وطبيعة الحرب عبر القرون، وليس أسباب اندلاع الحروب المنفردة. وسـأفترض وجود علاقة بـين الدافع والمخاطرة، التي تتعارض مع نظريات الحرب الواقعية، والعقلانية والمتعلقة بانتقال السلطة. بيد أنني لا أحاول ترسـيخ هذه العلاقة من خلال الارتباطات، ولكن عن طريق دراسـات الحالات case studies. إن التحليل النوعي للحروب وسياقاتها يمثل بدوره أساسا ادعائيا بأن الحروب العامة التي تكتنف القوى العظمى تنشـأ في معظمها من تصعيد محسـوب على نحو خاطـئ miscalculated. وعلى النقيض من الحكمـة التقليدية، أجادل بأن مثل هذه الحروب نادرا ما تكون مقصودة.

يمثل الاتسـاق مع الأدلة أساسـا ضروريا، لكنه غير كاف، للثقة المبدئية في نظرية ما، أو - في حالتنا هذه - بمجموعة من المقترحات ذات الصلة. وكقاعدة عامة لا بد من مقارنة النظريات والفرضيات بغيرها مـن النظريات والفرضيات الأخرى لتحديد مدى نجاحها في تفسـير التباين الملاحظ، من الناحية النسـبية. وباعتبار أنني لا أفترض ادعاءات سببية من هـذا النوع، فلن أنخرط في هذا النوع من الاختبارات، فأنا لا أطبق نظريات منفردة بقدر ما أطبق نمـاذج فكرية متنافسـة competing paradigms. ولكونها تضرب بجذورها في دوافع مختلفة، سأحاول تحديد مدى تورط هذه الدوافع في حالات تاريخية لبدء الحروب. سأقوم بإخضاع فرضياتي للاختبار نفسه، كما سأبحث عن دعم قوي للروح spirit باعتبارها الدافع الرئيسي للحرب في النظام الأوروبي حتى يومنا هذا.

إن عدم رضاي عــن الكتابات الموجودة عن الحرب، وعن نظرية العلاقات الدولية بصورة أكثر عمومية، كان الحافز وراء تأليفي لكتاب «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية»، الذي يضع نظرية للعلاقات الدولية مبنية على نموذج اقتصادي ضيق parsimonious للدوافــع البشرية. وباتباع كل من أفلاطون Plato وأرســطو Aristotle، ســأفترض أن الروح، والشــهوة، والمنطق تمثل دوافع أساســية، لكل منها أهداف متميزة. ويُنتج كل منها أيضا منطقا مختلفا للتعاون، والصراع والمخاطرة. وبالإضافة إلى ذلك هذه الدوافع تُنتج أشــكالا متميزة من التسلســلات الهرمية المبنية على المبــادئ المختلفة للعدالة. يتم الحفاظ على النظام على مســتوى الأفراد، والدولة، والإقليم، وعلى المستوى الدولي بواســطة هذه التسلســلات الهرمية؛ فهو يضعف أو ينهار عندمــا يصبح التناقض بين الســلوكيات ومبادئ العدالة التي تســتند إليها واضحا وغير محتمل[49]. يفرض النظام والفوضى على أي مستوى مقتضيات على النظام وفوضى على المستويات المجاورة.

ثمة دافع رابع - هو الخوف - والذي يدخل في الصورة عندما يعجز العقل عن كبح جماح الشهوة أو الروح. يُعد الخوف عاطفة قوية، وليس دافعا فطريا. إن السعي غير المقيد وراء الشهوة أو الروح من قبل بعض الجهات الفاعلة يحرم الآخرين من قدرتهم عــلى تلبية هذه الدوافع، والأهم من ذلك أنه يصيبهم بالخوف على ســلامتهم المادية. تتسم العوالم الأربعة التي ســأصفها بكونها أنواعا مثالية. تختلط العوالم الحقيقية من حيــث إن كافة الدوافع الأربعة توجد عادة بدرجة ما. كما أن العوالم الحقيقية متكتلة أيضــا من حيث إن مزيج الدوافع يختلف من فاعــل إلى فاعل، وبين المجموعات التي يشــكلها. وبصفــة عامة، تختلط الدوافــع المتعددة بدلا من أن تمتــزج، مما ينتج عنه مجموعة من السلوكيات التي تبدو غير متناسقة، أو حتى متناقضة.

تعــود جــذور النظريات القائمــة حول العلاقــات الدوليــة إلى الشــهوة (أي الليبرالية والماركســية) أو الخــوف (أي الواقعية). وفي العصر الحديث، تعرضــت الروح (thumos) إلى التجاهــل بدرجة كبيرة من قبل الفلســفة والعلوم الاجتماعية. إننــي مقتنع بأنها موجودة في كل مكان، وأنه ينتج عنها الدافع العالمي لاحترام الذات، الذي يتم التعبير عنه في السعي نحو الشرف أو المكانة. ومن خلال التفوق في الأنشــطة التي تثمنهــا جماعة أقراننا أو مجتمعاتنا، فنحن نكسب استحسان أولئك الذين يهموننا، ويتحسن إحساسنا بأنفسنا. لا تمتلك المؤسسات والدول نفوســا ولا عواطــف، لكن الناس الذيــن يديرون هذه الجماعات أو ينتســبون إليها

يمتلكونهـا. وهـم يقومون في كثير من الأحيان بإسـقاط احتياجاتهم النفسـية على وحداتهم السياسية، ومن ثم يشعرون بالرضا عن أنفسهم عندما تحقق تلك الوحدات انتصارات أو تُبلي بلاء حسـنا. وفي اليونان القديمة، كانت المدينة مركز الحياة السياسـية، وعادة ما كانت مكانة المواطن تمثل انعكاسـا لمكانة مدينته. إن التحول transference والتقدير من خلال الارتباط غـير المباشر يظهران بالقدر نفسـه من الوضوح في عصر القوميـة، حيث أصبحت الدولة هي الوحدة ذات الصلة.

في كتابي «النظرية الثقافية»، اسـتخدمت إليـاذة هوميروس كنموذج مبدئي prototype لتطويـر نموذج للسياسـة والعلاقـات الدولية مبني عـلى الروح. وقمت بتوثيـق أهميته في السياسـة الداخلية والقرارات الحاسـمة في السياسـة الخارجية بعدد من دراسـات الحالات تراوحت بين اليونان القديمة والحربين العالميتين، والغزو الأنجلو - أمريكي للعراق. قمت لاحقا بعـرض الدوافع الأخرى لوضع مجموعة من المؤشرات الثقافية لتحديد توزيعها النسـبي بين الجهات الفاعلة المعنية. وبعد ذلك، تكهنت بأنواع السـلوكيات المتعلق بالسياسـة الخارجية التي سـتنتج عن هذا المزيج، وهي تنبؤات تؤيدها في المجمل دراسات الحالات التي عرضتها. وفي الكتـاب الـذي بين أيدينا، سأسـتفيض في شرح الآثـار المترتبة على نظريتـي عن الحرب، وسأسـتخدم مجموعة البيانات التي قمت بتجميعها في تقييم الفرضيات المسـتمدة من هذا الفهـم. تصنف مجموعة البيانـات الدول من حيث قوتها (القوى العظمـى الرائدة، والقوى العظمـى، والقوى العظمى الآفلـة، والقوى الصاعـدة، والدول الضعيفـة)، وتحدد الجهات البادئة للحروب، ودوافعها (أي الأمن، والرفاهية المادية، والمكانة، والانتقام وغيرها)، ونتائجها (الانتصار، أو الهزيمة، أو التعادل). تقدم البيانات دعما قويا لجميع الفرضيات الست، وتحدد مدى كون المكانة دافعا رئيسيا للحرب منذ أن خرج نظام الدولة الحديثة إلى حيز الوجود.

نظرة عامة على الفصول

ينقسم كتابي هذا إلى ثلاثة أجزاء: يستعرض الجزء الأول وينقد الأدبيات المتعلقة بالحرب وأسـبابها؛ ويتضمن الفصل الثاني تفسيرات الحرب المتعلقة بالنموذج الواقعي، ونموذج انتقال السلطة، والنماذج الماركسية والعقلانية. لقد أثرى كل نموذج منها فهمنا للحرب، لكن كلا منها يواجه مشـكلات خطيرة. يعـرض الجزء الثاني خلاصة موجزة لنظريتي عـن العلاقات الدولية ويسـتمد منها ست فرضيات حول أنواع الدول التي يحتمل أن تُشعل الحروب، وأنواع الدول

التي يرجح أن تبادر بالهجوم. يقدم الفصل الثالث نظرة عامة عن الفرضيات، ويصف الفصل الرابـع مجموعة البيانات، والتي سـنوردها مـرة أخرى في الملحق. يستكشـف الجزء الثالث احتمالات الحرب في المسـتقبل. يختص الفصل الخامس بدراسـة العلاقة المتغيرة بين الخوف، والمصلحة، والحرب. أما الفصل السـادس فيفعل الشيء نفسـه بالنسـبة إلى المكانة والانتقام. وسـأورد الحجج التي تؤكد التباعد المتزايد بين هذه الدوافع المتعددة والحرب، ونتيجة لذلك أتنبـأ بانخفاض عام في تواتر الحروب، بيد أن هذا لا يعني - وخاصة خلال العقد أو العقدين القادمين - أنه لن تكون هناك حروب.

• إن نظرية عن الحرب يجب أن تكون أيضا نظرية عن السلام، وينبغي أن تخبرنا بشيء ما عن الظروف التي يتم فيها حل النزاعات بالطرق السلمية، أو على الأقل تُمنع من التصعيد إلى حروب. وقد أشار بول شرويدر Schroeder، وهو مُحق في ذلك، أنه «كثيرا ما يصعب اكتشاف أصول السـلام ونمـوه، كما يكون الأمر أكثر صعوبة عند تفسـيرها»[50]. يعتبر السـلام عموما نقيض الحرب، رغم أنني أجادل في الفصل الرابع بأن الأدق هو ألا نقوم بتأطير السلام والحرب بوصفهما ثنائيا بسـيطا، ولكن كممارسـتين لطرفي نقيض من سلسـلة متصلـة. إن النظريات المتضمنـة في النمـوذج الليبرالي، وأبرزها برنامج السـلام الديموقراطـي للأبحاث، تقتصر على مسـألة السلام؛ وهي تفعل عكس ما تفعله نظريات الحرب عن طريق افتراض الظروف التي لن تحدث فيها حروب. لن أشارك في الجدل الدائر حول السلام الديموقراطي، لكنني سأقوم في الجزء الثالث من الكتاب بسرد الحجج حول سبب كون الحرب أقل احتمالا عبر أنواع الأنظمة.

ما الجديد في هذا الكتاب؟

إن نهجي واسـتنتاجاتي تتحدى عناصر قوية من الحكمة التقليدية حول الحرب وأسبابها. سـأقوم بتحليل بدء الحروب من حيث الدوافع والقوة النسبية للدول. وعلى حد علمي، هذه أول محاولة للقيام بذلك. وخلافا لتوقعات الواقعيين، وجدت أن الأمن مسؤول عن تسع عشرة حربا فقط من الحروب الأربع والتسعين التي درستها. حرض على كثير من هذه الحروب قوى عظمـى ضد قوى عظمى أخرى، لكن أيا منها لم يكن مرتبطا بانتقال السـلطة، وهذا لا يعني أن الأمن غير مهم في الشـؤون الدولية؛ فلا بد أن يكون الشـغل الشـاغل لجميع الدول التي تعرضـت للهجوم. وتمثل المصالح المادية بدورها دافعا ضعيفا للحرب، إذ كانت مسـؤولة عن ثمـاني فقط من الحروب، كما أن معظم تلك الحروب كان في القرن الثامن عشر. وبالإضافة إلى

ذلك، في بعض الأحيان، يعمل الأمن والمصالح المادية بالتنسيق مع بعضها البعض، وفي أحيان أكثر مع دوافع أخرى. وتكون في بعض الحروب ثانوية لهذه الدوافع الأخرى. أما المكانة، وعلى النقيض من ذلك، فكانت مسؤولة عن اثنتين وستين حربا كدافع أولي أو ثانوي. وكان الانتقام، وهو أيضا مظهر من مظاهر الروح، مُكتنفا في 11 حربا أخرى. ليس هناك كثير من الشك في أن الروح هي السبب الرئيسي للحرب عبر القرون، وفي أنها هي وعواقبها تم تجاهلها بصورة شبه كاملة في أدبيات العلاقات الدولية.

يمثل بروز الدوافع إحدى مهام الثقافة، وليس أي ملامح موضوعية مفترضة للبيئة الدولية أو طريقة حكم الدول. وبالإضافة إلى ذلك، فإن طبيعة وقوة المجتمعات المحلية والإقليمية والدولية تحدد أيضا مدى اكتناف الدوافع العديدة التي سأقوم بتحليلها في الحرب. تُظهر المصالح انخفاضا حادا في هذا الصدد بمجرد أن أفسحت المركنتيلية mercantilism المجال لمفاهيم أكثر تطورا للثروة. لم تُظهر الحروب ذات الدوافع الأمنية أي تراجع مماثل عند دراستها وفق القرون، لكنها تحدث في مجموعات مرتبطة بمحاولات السيطرة hegemony من قبل القوى العظمى أو المهيمنة. إنني على ثقة من أن الظروف المادية والاجتماعية التي توجه هذه الدوافع إلى حروب ترتبط بمراحل تاريخية معينة. كانت آخر مجموعات الحروب المتعلقة بالأمن مرتبطة بالاستعداد لخوض وإدارة الحربين العالميتين اللتين دارت رحاهما في القرن العشرين. وقد كانتا بدورهما نتاجا للاختلالات الناجمة عن التحديث modernization في بيئة كان فيها التنافس بين القوى العظمى ودوافع السيطرة، تُقاد بشكل أساسي عن طريق وسائل عنيفة. أما الآن وقد انقضت هذه الحقبة في أوروبا، وانحسارها في جزء كبير من البلدان المطلة على المحيط الهادي، وكون الهيمنة التي يتم تحقيقها بالقوة لم تعُد تمثل طموحا مشروعا، فلا بد للمتطلبات والمخاوف الأمنية للقوى العظمى من أن تنحسر بدورها.

حدث انخفاض حاد في الحروب الانتقامية wars of revenge منذ القرن الثامن عشر، وهو ما أعزوه إلى ارتباطها الوثيق باحتلال الأراضي. وكل الحروب الانتقامية في مجموعة بياناتي تمثل جهودا مبذولة لاستعادة أراض فُقدت في حروب سابقة. وباعتبار أن احتلال الأراضي فقد شرعيته ومن ثم أصبح أكثر صعوبة وأقل منفعة، لهذه الأسباب وغيرها من المرجح أن تصبح الحروب الانتقامية أقل تواترا. وفي مقابل هذه التوقعات المتفائلة، علينا أن نعترف بأن الحروب الانتقامية يمكن أن تنتج عن أسباب أخرى، كما هي الحال في الغزو الأمريكي لأفغانستان.

أما بالنسبة إلى الحروب المتعلقة بالمكانة، فمن المتوقع أن تنحسر هذه أيضا. وخلال فترة ما بعد الحرب، وربما أكثر حتى منذ نهاية هذا الصراع، أصبحت الحرب والمكانة منفصلتين على نحو متزايد، من حيث إن النجاح في بدء الحرب لم يعد يُعزز المكانة؛ بل إنه قد يؤدي في الواقع إلى فقدان المكانة في غياب موافقة الأمم المتحدة على المبادرة العسكرية المعنية. إن التدخل الأنجلو - أمريكي في العراق - وهو حرب ليست لغزو الأراضي فيها أهمية - يُعد مثالا على ذلك. ويعمل تغير القيم والأعراف على تشجيع القادة العقلانيين على إيجاد طرق سلمية أخرى لادعاء المكانة. وإلى الحد الذي يتم به هذا، فإن تواتر الحروب التي تكتنف أيا من القوى الصاعدة أو العظمى يتوقع أن ينخفض على نحو حاد.

عند النظر في دوافع الحرب من المنظور التاريخي، ينبغي لفت انتباهنا إلى ثلاثة تحولات مهمة في التفكير. يتعلق الأول، الذي أشرت إليه أعلاه، بطبيعة الثروة وانعكاساتها على العلاقات بين الدول. حتى مجيء آدم سميث Smith وعلم الاقتصاد الحديث، كان من المعتقد أن ثروات العالم متناهية finite، مما يجعل العلاقات بين الدول تشبه لعبة صفرية المحصلة، والتي كان يُعتقد فيها أن الزيادة في ثروة إحدى الدول لا بد أن تأتي على حساب الدول الأخرى. وبمجرد أن تعلمت النخب السياسية أنه يمكن زيادة الثروة الإجمالية عن طريق تقسيم العمل واستخدام مصادر الطاقة الميكانيكية واقتصاديات الإنتاج الواسع النطاق economies of scale، أصبح التعاون الاقتصادي الدولي عمليا، وأصبح يُنظر إليه في نهاية المطاف باعتباره وسيلة أخرى لتوليد الثروة. إن التجارة والاستثمار والاعتماد الاقتصادي المتبادل الناتج عنهما، لم يمنعا وقوع الحرب، كما كان يأمل العديد من الليبراليين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لكنهما وضعا - بصورة أو أخرى - حدا للحروب الهادفة إلى تحقيق مطامع مادية.

بدأ التحول الثاني في التفكير في القرن التاسع عشر، وتسارعت وتيرته خلال القرن العشرين. وهو يتعلق بالسعي الجَمْعي مقابل الذاتي autarkic إلى تحقيق الأمن. لطالما ظلت التحالفات، سواء الرسمية أو غير الرسمية، جزءا من ممارسات السياسة الخارجية، لكنها اتخذت معنى جديدا في مؤتمر فيينا Congress of Vienna. سعى المنتصرون في الحروب النابليونية إلى العمل بشكل جماعي للحفاظ على الوضع القائم بعد الحرب، وبالتالي الحيلولة دون اندلاع الثورات والحروب بين الدول من جديد.

كانت هذه تجربة قصيرة الأمد وغير ناجحة في نهاية المطاف، ويرجع ذلك في جزء كبير منه إلى الأهداف غير الواقعية لكل من النمسا وبروسيا وروسيا، ليس فقط فيما يتعلق بكبح جماح

فرنسا، بل بعرقلة التحولات الديموقراطية وعدم استعداد بريطانيا لدعم هذا المشروع[51]. وكانت المؤتمرات الدورية في وقت لاحق من القرن التاسع عشر فعالة بدرجة كبيرة في الحد من التوترات بين القوى العظمى والإقليمية عن طريق عقد الاتفاقات والإقناع. بعد الحرب العالمية الأولى، أنيطت بعصبة الأمم League of Nations مهمة أكثر طموحا لمنع الحروب عن طريق الأمن المشترك[52]. ولأسباب كثيرة، تكللت هذه المهمة بالفشل الذريع، لكن مبدأ الأمن المشترك collective security تمكن من الصمود، بل تعززت مكانته في البلدان الناطقة بالإنجليزية. أما الأمم المتحدة، التي أنشئت في العام 1945، فجعلت من هذا المبدأ المهمة الرئيسية لمجلس الأمن. اتسم سجل هذه المنظمة بكونه مختلطا، وكذلك كانت التحالفات الإقليمية العديدة التي خرجت إلى حيز الوجود خلال الحرب الباردة. إن منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) هي الأكثر نجاحا حتى الآن، رغم أنه لا يوجد دليل على أنها تمكنت في أي وقت من منع وقوع هجوم سوفييتي على أوروبا الغربية. وقد لعبت منظمة حلف شمال الأطلسي والتجمعات الدولية الأخرى دورا بارزا، وربما ناجحا، في حفظ السلام أو المساعدة على إنهاء الحروب في عصر ما بعد الحرب الباردة. لقد أصبح الأمن المشترك هو القاعدة، ومصدرا مهما للاستقرار الإقليمي والدولي.

أما ثالث التحولات في التفكير، وأحدثها، فيتعلق بطبيعة المكانة في الشؤون الدولية. منذ ظهور النظام الدولي الحديث، سعت القوى العظمى دائما إلى الحفاظ على السيطرة على المكانة، وعلى الوسائل التي يتم من خلالها تعريفها، وتحديد الجهات المسموح لها بالتنافس عليها. وطوال هذه الفترة، ظلت القوة العسكرية والنجاح في استخدامها الوسيلة الرئيسية للدول لكسب المكانة والاعتراف بها كقوى عظمى. هناك العديد من الطرق لتحقيق المكانة داخل الدول، وكلما أصبحت الأنظمة الإقليمية والدولية أكثر قوة، ظهر عدد أكبر من التراتبيات الهرمية على المستوى الدولي. تشعر الدول بمزيد من الثقة فيما يتعلق بالسعي نحو المكانة بكل الوسائل، وتخصيص الموارد لتحقيق هذه الغاية بدلا من الاحتفاظ بها لأغراض الأمن. من المرجح أن يؤتي هذا السلوك ثماره. أشار استطلاع أجرته الخدمة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية BBC أوائل العام 2007، إلى تحقق زيادة كبيرة في مكانة البلدان ذات الصلة بالرؤى البديلة للنظام الدولي. وعندما سُئل المشاركون عن الدول التي تمارس نفوذا إيجابيا في العالم، تصدرت القائمة كندا واليابان بنسبة 54 في المائة ، تليهما فرنسا (50 في المائة)، وبريطانيا (45 في المائة)، والصين (42 في المائة)، والهند (37 في المائة)[53].

إن ردود الفعل الإيجابية في الداخل والخارج تخلق دورة من التعزيز الإيجابي الذي يعمل فيه الثناء والاحترام من الأطراف الخارجية على بناء الفخار الوطني، وتعمل جيدا من الناحية السياسـية، وتعـزز الارتباط بين هذه السياسـات والهوية الوطنية. ظلت هـذه العملية جارية لبعـض الوقت في ألمانيا وكندا، والى حد أقـل في اليابان[54]. وإذا اسـتمر التوجه الدولي سـائدا في اليابان، ولعبت الصين دورا مسؤولا في آسيا، وتجنبت الهند وباكسـتان وقوع صدام عسكري آخر بينهما، وظل الشرق الأوسط مضطربا لكن مشـكلاته لا تلوث المناطق الأخرى، وازدهر الاتحاد الأوروبي، وعزز علاقاته الاقتصادية والسياسـية مع كل من روسيا والصين، فمن المرجح أن ينحسر الخوف كدافع للسياسة الخارجية، وبالتالي سـتنحسر الدوافع المتعلقة بالشـهوة والروح وفقا لذلك. سـتمتلك الدول حوافز أقوى للسعي إلى المكانة بناء على معايير تتعلق بهذه الدوافع، ولأن تُنفق أقل على الاحتفاظ بقوات العسـكرية قوية، وحينئذ سـتصبح ادعاءات المكانة المبنية عـلى القوة العسـكرية أقل إقناعا. وباعتبـار أن المكانة تمنح النفوذ، سـتمتلك الدول حوافز إضافية لتغيير سياسـاتها الخارجية بحيث تتماشى مع الهيكل السـائد للحوافز. وفي عالم كهذا سـتنظر الدول بصورة أكثر سلبية إلى استخدام القوة في غياب دعم دولي غـير مشروط، أو على أقـل تقدير عدم وجود تخويل من مجلـس الأمن الدولي. ومن المنظور الاسـتشرافي للعام 2030، على سـبيل المثال، يمكننا أن ننظر إلى الوراء إلى حرب العـراق باعتبارها واحدة من اللحظات الحاسـمة في تاريخ العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين بسبب الطريقة التي حظرت فيها الاستخدام المنفرد للقوة، وأبرزت وشجعت استخدام الوسائل السلمية البديلة لكسب المكانة.

يجمـع بين هذه التحولات الثلاثة اثنين من الملامح المشـتركة، فقـد تطور كل منها ببطء وتقـدم بوتيرة متقطعة وغير منتظمة. اسـتغرقت التغيرات في المعتقـدات وقتا طويلا لتصبح واسـعة النطاق بما فيه الكفاية للتأثير على الممارسـة، وكانت الممارسة في البداية متعثرة وغير ناجحـة. وبمرور الوقـت، في أي حال، تغيرت أنماط السـلوك وأصبحت الدوافـع ذات الصلة منفصلة على نحو متزايد عن الحرب، بيد أن تحولات التفكير هذه لم تحدث في الوقت نفسه، ومـن المؤكـد أنه لم تكن لها آثار عملية آنية. إن ثورة التفكـير في الثروة، التي بدأت في أواخر القرن الثامن عشر، لم تتحول بالكامل إلى حكمة تقليدية حتى أواخر القرن التاسـع عشر، ولم تعمل كإجراء وقائي ضد الحرب إلا بعد ذلك بنصف قرن على الأقل. وقد احتاج الأمن المشترك،

الذي ظهر أوائل القرن التاسع عشر، إلى ما يقرب من 150 عاما لإظهار نتائج سياسية ذات مغزى. تمثل تحولات التفكير حول المكانة إحدى ظواهر القرن العشرين، التي لم يبدأ تأثيرها في الممارسة السياسية إلا في أثناء الحرب الباردة. وباعتبار أن الأعراف والممارسات قد تحولت بسرعة أكبر خلال السنوات الخمسين الماضية، هناك ما يدعو إلى التفاؤل بأن نزع الشرعية عن المكانة المكتسبة عن طريق الغزو العسكري سيصبح أكثر قوة، مما يعزز أكثر صعود الوسائل البديلة لاكتساب المكانة.

تتسم التحولات الثلاثة في التفكير بارتباطها إلى حد ما. كان التحول الاقتصادي مستقلا إلى حد كبير عن أي دروس مفترضة للعلاقات الدولية، فقد نشأ استجابة لدراسات الاقتصاد السياسي المحلي لكن سرعان ما اكتُشف أن له انعكاسات مهمة على صعيد السياسة الخارجية. يعد الاستثمار والتجارة من أشكال التعاون الاقتصادي الدولي، الذي يعزز الآمال في أن يتم توسيع نطاق ذلك ليشمل المجال السياسي. مما لا شك فيه أن الحروب المكلفة تقدم حافزا آخر لتجربة الأمن المشترك، إن التحولات المتعلقة بالمكانة، مثلها في ذلك مثل الأمن المشترك، تمثل إلى حد كبير استجابة للحروب المكلفة، لكنها تصبح أكثر سهولة أيضا بفعل الاعتماد الاقتصادي المتبادل والأمن المشترك. وهي تخلق علاقات أوثق وأكثر تعاونية مع الدول الأخرى على المستويين الرسمي وغير الرسمي، مما يجعل استخدام القوة ضدها أمرا باهظ التكلفة على نحو متزايد، وغير ملائم. وإلى حد قيام هذا التجمع التعاوني بتشكيل المجموعة التي تمنح المكانة، أو اكتسابه أهمية في هذا الصدد، يجب على الدول المنتسبة إليه إيجاد وسائل غير عنيفة، بل غير تصادمية لاكتساب المكانة. وعلى القدر نفسه من الأهمية، فإن العلاقات التعاونية تحمل في طياتها توقع إمكانية توسيع دائرة الدول المكتنفة في هذه العلاقات. وبالتالي، فإن استخدام القوة في الظروف التي سيؤدي ذلك فيها إلى تأخير هذه العملية أو إلى أن يُعتبر أنه يضر بأمن المجتمع القائم أو يقوضه، سيثير الامتعاض ويلحق الضرر بسمعة الدول البادئة بالحرب. وتعمل هاتان الديناميتان حاليا بالفعل ضمن النظام الدولي.

وباعتبار أن التحول في المفاهيم المتعلقة بالمكانة لايزال في طور التكوين، ليس أمام المؤلف سوى أن يأمل في أن كتابا يوضح كيف كانت المفاهيم التقليدية حول المكانة مسؤولة عن الحرب، يمكن أن يساعد في تسريع وتيرة هذا التغيير، وكذلك البحث عن، وتقبل، وسائل بديلة للسعي إلى المكانة واكتسابها.

2

نظريات الحرب

هناك قدر متنام من أدبيات العلاقات الدولية حول الحرب وأسبابها، يتممها عدد من الأعمال المهمة في التاريخ وعلم النفس، وعلم الاجتماع والاقتصاد. بيد أن معظم الدراسات الرئيسية التي أجريت عن الحرب من قبل علماء العلاقات الدولية تتناولها من وجهة نظر واقعية realist، تفترض أن الأمن هو الشاغل الرئيسي للدول - وأن غيابه يمثل السبب الرئيسي للحرب. تستفيض النظريات في شرح الظروف (مثل معضلة الأمن، والقطبية polarity، وانتقال السلطة) التي يظن أنها مسؤولة عن الصراعات الحادة وآلياتها (مثل الاستعداد العسكري، والتحالفات، وتوازن القوى) التي يتوقع أن تحدد متى تؤدي إلى الحرب. نجد الباحثين العاملين ضمن النموذج الليبرالي أكثر اهتماما بالسلام منهم بالحرب، كما وضعوا نظريات حول الظروف المستبطنة له. وينص

«قد تكون هذه النظرية (الماركسية) معيبة، إلا أنها تمثل المحاولة الكاملة الوحيدة لتجسير المستويات المتعددة للتحليل وإظهار كيف أن طبيعة العلاقات الدولية في أي عصر ما هي إلا انعكاس لتطورات اقتصادية وسياسية أوسع»

المؤلف

«السلام الديموقراطي»، وهو البرنامج البحثي الليبرالي الرئيسي حول هذا الموضوع، على أن الديموقراطيات لا تحارب بعضها بعضا، على الرغم من أن أنصارها يختلفون فيما بينهم حول سبب ذلك. بيد أن هذا يمثل ادعاء هزيلا، إذ يعترف منظرو «السلام الديموقراطي» أن الديموقراطيات لا تقل عدوانية عن الأنظمة الأخرى. وقد قام فلاديمير لينين Lenin بتأليف نظرية ماركسية للحرب، والتي تفترض أن المصالح الاقتصادية هي المحرك الرئيسي للسياسة الخارجية، وتعزو الحرب العالمية الأولى إلى التنافس على الأسواق والمواد الخام. وخلال العقد المنصرم، اكتسبت النظريات العقلانية حول الحرب زخما، فمعظمها يجسد مبادئ النظرية الواقعية ويفترض أن القادة عقلانيون من الناحيتين الجوهرية والذرائعية.

يقوم علماء العلاقات الدولية بدراسة الحرب من وجهات نظر منهجية متنوعة. نجد أن بعض أعمالهم تكاد تكون نظرية بالكامل، ولا تقدم أي دليل عملي لدعم مقترحاتها. ويستخدم العلماء الذين يطبقون الأدلة التجريبية بيانات كمية ونوعية لوضع وتقييم مجموعة واسعة من النظريات والفرضيات. ويختلف العلماء في الحجج التي يوردونها لإثبات نظرياتهم، إذ يحاول بعضهم تفسير الحرب بشكل عام، في حين يقصر البعض الآخر نطاق أبحاثهم على الحروب بين القوى العظمى، أو مجموعتها الفرعية من الحروب المغيرة للأنظمة. ويؤكد البعض أن نظرياتهم تفسر على نحو كاف أنواع الحروب التي تتناولها، فيما يكتفي آخرون بادعاء اكتشاف ظروف مهمة تجعل الحرب ممكنة الحدوث لكن غير حتمية، ويسلمون بالحاجة إلى أخذ العوامل المساهمة الأخرى في الاعتبار.

وفي هذا الفصل، سأقوم بمراجعة الادعاءات والطرق الخاصة بأهم نظريات الحرب. وفيما يتعلق ببعض النظريات الأقل شهرة (مثل نظرية الهجوم المضلل diversionary للحرب، ونظريات فرويد Freud، وتفسير شومبيتر Schumpeter للحرب العالمية الأولى، والمبني على الطبقات) فسأغفلها أو أشير إليها بصورة عابرة فقط في الفصول المقبلة. أما مشروع «السلام الديمقراطي»- الذي يتناول دوافع السلام، وليس الحرب- فسأعود إليه لاحقا في الكتاب، عند تناول الاحتمالات المستقبلية لتحقيق السلام. ويتسم تقييمي بكونه مفاهيميا إلى حد كبير، على الرغم من أنني أتشكك في بعض التفسيرات التاريخية ذات الأهمية الأساسية لبعض النظريات. وفي الفصل الرابع، سأستخدم مجموعة بياناتي لتقييم ادعاءاتها الجوهرية الرئيسية.

الواقعية

كانت النظرية الواقعية Realism ذات مرة النموذج السائد في العلاقات الدولية، ولا تزال من أهم نماذجها [1] ومنذ نصف قرن تقريبا قام أرنولد وولفرز Wolfers بتقسيم الواقعيين إلى مجموعتين: من يعزون الحرب إلى «الشر» النابع من الطبيعة البشرية، وأولئك الذين يعتبرون الحرب «مأساة» ناجمة عن ضرورات منهجية لا مفر منها. وفي الفئة الأولى يضع وولفرز ثوكوديدس، وميكافيللي Machiavelli، وهانز مورغنثاو Morgenthau، وهنري كيسنغر Kissinger [2]. وبالنسبة إلى مورغنثاو، وهو المنظر الرئيسي لأوائل حقبة ما بعد الحرب، تتسم كل المناورات السياسية بتناقضها لأنها تمثل أحد مظاهر الرغبة في السيطرة animus dominandi، أو شهوة السلطة. أما المنظرون الذين يصفون الدوافع البشرية بكونها عالمية وغير قابلة للتغيير، فليس بمقدورهم تفسير التباينات المتعلقة بالحرب والسلام عبر العصور والثقافات دون الاستعانة بتفسيرات إضافية، كما لا يمكنهم تفسير سبب عزم بعض الدول على تحدي الوضع القائم، في حين تحرص دول أخرى على الدفاع عنه، أو سبب تغير تفضيلات الدول، كما فعلت ألمانيا بشكل دراماتيكي على مدار القرن العشرين.

يطرح مورغنثاو اثنين من المتغيرات المتداخلة لتفسير هذا التباين: متانة المجتمع ودوافع الفاعلين. ويرى أن الفرق بين السياستين الداخلية والدولية يتعلق «بالدرجة وليس بالنوع» [3]. ومن خلال الاستشهاد بغيبون، نجده يصف أوروبا القرن الثامن عشر على أنها «جمهورية واحدة عظيمة» تمتلك معايير مشتركة من «الكياسة والتهذيب»، ومنظومة مشتركة «من الفنون، والقوانين، والسلوكيات الحسنة». كما أن «الخوف والعار» و«بعض الحس السليم حول الشرف والعدالة» كانت تحث القادة على جعل طموحاتهم معتدلة [4]. بيد أن الإحساس بالانتماء إلى هذا المجتمع قد مزقته الثورة الفرنسية، ولم تتم استعادته في أعقابها إلا بشكل سطحي. وقد انهار تماما في القرن العشرين عندما انقسمت القوى الرئيسية بفعل الأيديولوجيات، فضلا عن المصالح. وفي ثلاثينيات القرن العشرين، في رأي مورغنثاو، نجد أن أربعا من القوى الكبرى - هي ألمانيا والاتحاد السوفييتي واليابان وإيطاليا - قد رفضت الافتراضات الأساسية لذلك النظام الدولي. استمر الاتحاد السوفييتي في القيام بذلك بعد العام 1945، مختزلا السياسة الدولية في فترة أوائل ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى ذلك «المشهد البدائي الذي يتطلع فيه عملاقان اثنان أحدهما إلى الآخر

بارتياب متيقظ»[5]. إن الغايات التي تسعى إليها القوى العظمى وكذلك الوسائل التي تعتمدها لتحقيقها، تتباين في المقام الأول بوصفها دالة على اندماجها في المجتمع الأكبر بناء على وجود قيم مشتركة.

يعتقد مورغنثاو أن أهداف الدولة تختلف بشكل مستقل عن مدى متانة المجتمع. وهو يصف ثلاثة توجهات للسياسة الخارجية: تسعى الدول إلى الإبقاء على الوضع الراهن، أو تقلبه، أو تظهر الهيبة. وهذه التوجهات ليست ضرورية للدول، لكنها تتغير بتبدل القادة والظروف [6]. وهي ليست دائما واضحة بحد ذاتها، لكن تقييماتها توجه ميزان القوى، وكذلك الآلية المركزية لنظرية مورغنثاو وكثير غيره من المنظرين الواقعيين. ووفقا لمورغنثاو، يكون احتمال الحرب أقل ما يمكن عندما تمتلك القوى المحافظة على الوضع الراهن أفضلية عسكرية واضحة، وإرادة مثبتة لاستخدامها عند الضرورة للدفاع عن الوضع الإقليمي الراهن ضد جميع المنافسين. وتكون الحرب أقرب احتمالا عندما تمتلك إحدى القوى الإمبريالية imperialist power – وهو المصطلح الذي يستخدمه لوصف نية دولة ما لتحدي الوضع القائم - أو تحالف من هذه الدول، أفضلية عسكرية، أو عندما تفتقر القوى المحافظة على الوضع الراهن إلى الرغبة في دمج هذا التهديد ومعارضته. يعترض النقاد الأوائل لمورغنثاو على عدم ترابط مفاهيمه، خصوصا فيما يتعلق بميزان القوى، مما يتيح له استخدامه بطرق متعددة ومتناقضة على ما يبدو [7]. أما النقاد المتأخرون فيطرحون اعتراضا موضوعيا أكثر جوهرية: يبدو أن مورغنثاو، وغيره من الواقعيين الذين يؤكدون على أهمية توازن القوى، يبنون نظرياتهم على مجموعة من الفرضيات السياسية والثقافية الأكثر ملاءمة لأوروبا في القرن الثامن عشر، وربما تقتصر عليها، فكثيرا ما توصف تلك الفترة باعتبارها العصر الذهبي لتوازن القوى [8].

بيد أن الواقعيين الذين يطرحون تفسيرات «مأساوية» للحرب يعزونها عادة إلى ما يطلقون عليه اسم فوضى النظام الدولي. وبالنسبة إلى «الجيل الأول» من الواقعيين، مثل نيكولاس ج. سبيكمان Spykman، ووالتر ليبمان Lippmann، وإدوارد ميد إيرل Earle، وفريدريك شومان Schumann، وإ.هـ. كار Carr، كان مصطلح «الفوضى» anarchy بمنزلة صيغة مختصرة لكل من «غياب الحكومة»، أو «قانون الغاب»، أو «نظام اجتماعي دون تسلسل هرمي» [9]. حتى مورغنثاو اعترف بأن «التجانس الثقافي والتوحد التكنولوجي، والضغوط الخارجية، وقبل كل شيء، وجود تنظيم هرمي سياسي»، يجعل الدول أكثر استقرارا وأقل عرضة للتغير العنيف من «نظام دولي يفتقر إلى هذه الشروط عموما» [10].

من جانبه، وضع جون هيرز Herz مفهوم «معضلة الأمن» لتفسـير ما يدفع الدول إلى تبني العنف بفعل الخوف مثلما تفعل بسبب أي شهوة مزعومة لاكتساب السلطة. وبرأيه، فإن السـعي إلى السـلطة كثيرا ما يمثل اسـتجابة لتهديد ما، وليس سببه الرئيسي. تكتسب الـدول القوة لتجنب الهجوم، أو الإخضاع، أو الإبادة من قبل الدول الأخرى. وهذه الجهود لضمان أمنها تجعل «الدول الأخرى أقل شعورا بالأمان وترغمها على الاستعداد للأسوأ. ولأن أحدا لا يمكنه أن يشـعر بالأمن المطلق في عالم الوحدات المتنافسـة هذا، يقع التنافس على السُلطة، مما يسـتهل الحلقة المفرغة من الأمن وتكديس القوة»[11]. وبرأي هيرز، تمتلك المعضلة الأمنية «حتمية قدريـة» fatalistic inevitability، إلا أنه يقر بوجود فارق مهم بين التوترات والحرب. بوسع القادة الذين يتحلون بالحكمة والشجاعة تجنب الاندفاع نحو الحرب حتى في أكثر المواجهات توترا[12]. ومثل مورغنثاو، وهو معاصره وزميله السابق، أكد هيرز على الدور الحاسـم للقادة. بيد أن أيا منهما لم يحدد الصفات المتعلقة بأولئك القادة أو الشروط التي يمكن بموجبها أن نتوقع منهم ممارسة ضبط النفس.

يطرح مورغنثاو وهيرتز حججهما على مستوى النظام، لكنهما يعززانها بحجج على مسـتوى الدولـة والقائد. وضع كينيث والتز Waltz نظريـة للعلاقات الدولية توضع بأكملهـا على مسـتوى النظام. وباتباع هيرتـز، جادل بأن فوضى النظـام الدولي تولد انعدام الأمن، مما يدفع الدول إلى تسـليح أنفسـها والاسـتعداد للحرب. إن التقدير الخاطئ miscalculation هو السـبب الأكثر أهمية للحرب، والذي ينشأ عموما عن نقص المعلومات. تتسـم البيئة الدولية بكونهـا معتمة جزئيا، مما يجعل من الصعب تقدير قـدرة وعزم الجهات الفاعلـة الأخرى. يحدث التقديـر الخاطئ بصورة أقرب احتـمالا في الأنظمة المتعـددة الأقطاب حيث يوجد عدد أكبر مـن الجهات الفاعلة، وحيث تكون التحالفات أكثر أهمية، وبالتالي يكون ميزان القوة والتصميم العسكريين عسير التقدير[13].

يصر والتز على أنه قام بوضع نظرية للعلاقات الدولية، وليس للسياسة الخارجية، بيد أنـه لا يعالج التباين داخل الأنظمة، بل عبرها فقط[14]. إن التسلسـل الهرمي هو النظام الأكثر اسـتقرارا والأقرب احتمالا لتحقيق السـلام، يليه تعدد الأقطـاب ثم ثنائية القطب bipolarity. تتسـم ادعاءات والتز من حيث المبدأ بقابلية تزويرها، ولكن ليس بالطريقة التي صاغها بها والتز، الذي يصر على أن تحديد القطبية مسـألة بسـيطة: «لسـنا بحاجة

إلا إلى ترتيب القوى بصورة تقريبية حسـب قدراتهـا»[15]، بيد أن الخلافات بين الواقعيين تشـير إلى مـدى غموض، بل واعتباطيـة، مثل هذه التصنيفات. يقـوم كثير من الواقعيين بصـورة روتينية بتأريخ ثنائيـة القطب اعتبارا من العام 1945، لكـن مورغنثاو يدعي أن الاتحاد السـوفييتي لم يصبح قوة عظمى إلا في وقت ما من خمسـينيات القرن العشرين، عندما اكتسـب القدرة الصناعية على شـن حرب نووية [16]. من جانبه، يصر والتز، الذي يشبه تعريفه للقوة تعريف مورغنثاو، على أن العالم أصبح ثنائي القطب أواخر أربعينيات القـرن العشرين[17]. وفي العام 1990، جـادل والتز وميرزهايمر Mearsheimer بأن ثنائية القطب تقترب من نهايتها، أو أنها اختفت بالفعل، مفسـحة الطريق لتعدد الأقطاب[18]. وبحلول العام 1993 ناقض والتز نفسـه وأصر على أن العالم ظل ثنائي القطب رغم انهيار الاتحاد السـوفييتي[19]. يصر بعض الواقعيين على أن العالم أصبح «أحادي القطب» عندما خرجت الولايات المتحدة من الحرب الباردة باعتبارها القوة العظمى الوحيدة الباقية[20]. ويختلف معهم واقعيون آخرون، ويوردون حججا مؤيدة لوجود عالم متعدد الأقطاب[21]. ومثل تأكيد والتز على أن مسألة القطبية «هي قضية تجريبية»، فإن «الحس السليم يمكن أن يمثل الإجابة»[22].

ولا يمكن التحقق من فرضية والتز حول احتمالية الحرب في ظل الأنظمة المختلفة إلا مـن خلال إجراء مقارنات بين عدد كبير من الأنظمة. حتى وفقا لأكثر قواعد العد سـخاء، لم ينتج التاريخ المسجل سوى عدد قليل من الأنظمة الهرمية والثنائية القطب. وليس من الواضح ماهي قيمة افتراض والتز هذا، حتى لو كان بوسـعنا اختباره وتأكيد صحته، إذ لا تخبرنـا المعدلات الإحصائية الأساسـية بأي شيء على الإطلاق عن الحـالات الفردية. وعن طريق قصر نظريته على مستوى النظام، فإن والتز يجعلها غير ذات صلة بالعالم الحقيقي. وقد تعرف بعض مساعدي والتز على هذا التقييد، ومن ثم حاولوا جعل الواقعية الجديدة neorealism وثيقة الصلة بالسياسـة الخارجية، كذلك فعل والتز نفسـه[23]. وقد أدخلوا عددا من سـبل التفريق على مسـتوى الدولـة وتحت الدولة، مما يقـوض المبرر النظري الأصلي والأساسي لمشروع والتز[24].

تتمثـل أبرز جهـود جعل الواقعيـة الجديدة وثيقـة الصلة بالسياسـة الخارجية في كتاب جون ميرزهايمر المعنون «مأسـاة سياسـات القوى العظمى»، الذي يضع فيه نظرية اسـتنتاجية deductive مبنية على مبادئ الواقعية الجديدة، ويسـتخدمها لطرح سلسلة

من التكهنات - انظر أدناه - حول المستقبل القريب. يؤكد ميرزهايمر أن القوى العظمى لديها هدفان استراتيجيان: امتلاك أقصى قدر ممكن من القوة والحيلولة دون هيمنة القوى الأخرى. ويجادل بأن القوى العظمى كانت دائما على استعداد لخوض الحروب لتحقيق أي من الهدفين. بيد أن جميع توقعات ميرزهايمر حول عالم ما بعد الحرب الباردة كانت خاطئة[25]، فلم تنسحب الولايات المتحدة من أوروبا، ولم ترفض إلزام قواتها بحفظ السلام الإقليمي، ولم تحاول تقليص النمو الاقتصادي الصيني أو تطبق استراتيجية الردع الإقليمي offshore balancer. لم تمتلك اليابان ولا ألمانيا أسلحة نووية، وليست هناك مؤشرات على أن العلاقات بين القوى العظمى قد أصبحت أكثر توترا، فضلا عن احتمال نشوب حرب بينها، وقد ظلت منظمة حلف شمال الأطلسي قائمة رغم انتهاء الحرب الباردة واختفاء الاتحاد السوفييتي، ولم يكن هناك توازن «صلب» أو «رخو» ضد الولايات المتحدة، باعتبارها القوة المهيمنة الوحيدة الباقية[26].

تعاني النظريات الموضوعة على مستوى النظام من المشكلة نفسها التي واجهها مورغنثاو: إذا كانت الفوضى ثابتة - باستثناء فترات نادرة من التسلسل الهرمي - فستظل المعضلة الأمنية باقية على الدوام، كما لا يمكنها تفسير الاختلاف في تواتر أو حدة الحروب. إن النظريات الفاعلة على مستوى الوحدات وعلى مستوى الأنظمة، على حد سواء، بحاجة إلى تفسيرات، أو نظريات، أو فرضيات مساعدة إضافية.

وبالنسبة إلى الواقعيين ذوي توجه «الشر» و«المأساة»، على حد سواء، يتمثل المفهوم الإضافي في توازن القوى، الذي يستخدم وصفيا لتحديد توزيع السلطة في النظام في أي وقت معين، أو طبيعة النظام، ومعياريا كدليل للسياسة الخارجية[27]. وكثيرا ما يستخدم بطرق ملتبسة، بل متناقضة، لأنه يشير إلى ديناميتين متميزتين نادرا ما يمكن الفصل بينهما تحليليا. يتسم ميزان القوى بأنه النتيجة غير المقصودة لكل من سعي القوى الكبرى للهيمنة وتكتل القوى الأخرى لمقاومتها، ومعقد الظروف الفكرية والمادية التي تسمح في بعض الأحيان للقوى العظمى بتنظيم أو التخفيف من الآثار الناجمة عن سعيها للهيمنة [28]. ويعتبر الأول سببا للحرب لدى الواقعيين، في حين يمكن اعتبار الأخير معززا للسلام.

هناك العديد من النظريات والفرضيات حول توازن القوى. وكما شكا منه أكثر من واحد من فقهاء العلاقات الدولية، فليس هناك اتفاق بين الباحثين في هذا الحقل على ماهية توازن القوى، أو ما يحققه، أو ما يتوقع منه تحقيقه[29]. بيد أن التوقع

الأكثر شيوعا هو أن توازن القوى سيمنع نشوء قوى مهيمنة [30]. من المفهوم عموما أن الهيمنـــة هي قدرة إحدى القوى العظمى عـــلى فرض خياراتها على النظام الدولي ككل [31]. حتى هنا يوجد اختلاف، إذ يؤكد بعض الواقعيين أن القوة الساحقة لإحدى الدول (مثل الســـلام الروماني pax Romana، والهيمنة الأمريكية) تؤدي إلى الســـلام [32]، في حين يصر آخرون على أن التركيز الشـــديد للســـلطة لدى واحدة أو عدد قليل من الدول يجعل الحرب أقرب احتمالا من خلال تقليل احتمالات إنشـــاء التحالفات الرادعـــة، وبالتالي إضعاف أو إلغاء القدرة على الردع. وهـــم يرون أن التوزيع المثالي للســـلطة هو الذي تعتـــزم فيه دولة قوية وغير ملتزمة أن تتمســـك بالوضع الراهن، بحيث تكون قادرة على لعب دور الموازن (الســـلام البريطاني pax Britannica) [33]. وهنـــاك أيضـــا خلاف طويل الأمد حول مـــا إن كانت الأنظمة المتعـــددة الأقطاب أو الثنائية القطب أكثر عرضة لنشـــوب الحروب [34]. تتنبأ نظريات توازن القوى بنتائج غير متناســـقة، إن لم تكن على طرفي نقيض، والتـــي تتراوح بين التوازن وعدم التوازن. وقد أشار ريتشارد ليتل Little إلى أن المناقشات المتعلقة بتوازن القوى تولي اهتماما ضئيلا على نحو مســـتغرب لمفهوم «السلطة» الأشد تعقيدا، والذي تستند إليه جميع الصياغات المتعلقة بتوازن القوى [35].

وعلى الرغم من هذه المشكلات، لا تزال نظريات توازن القوى محتفظة بجاذبيتها. من جانبه، يدعي روبرت جيرفيس Jervis أن توازن القوى لا يمثل أفضل تفسير معروف فحســـب، بل يمكن القول بأنه التفســـير الأكثر إقناعا لمعظم الســـلوكيات الدولية [36]. ومـــع ذلك، فإن البحـــوث التجريبية لا تجد إلا علاقة ضئيلـــة أو معدومة بين ترتيبات الســـلطة واحتـــمال وقوع الحرب [37]. يصـــف منظرو العمل المشـــترك تحقيق التوازن باعتباره منفعة مشتركة يصعب تحقيقها [38]. ويجد الواقعيون أدلة تأكيدية في ظاهرة اتبـــاع القطيـــع bandwagonning، حيث تقوم الدول المعرضـــة للتهديد باتباع القوة المهددة بدلا من التحالف مع القوى الأخرى ضدها. قام البعض باستكشـــاف الظروف التـــي قد تفضـــل فيها الدول المعرضـــة للتهديد ذلك الخيار على تحقيـــق التوازن [39]. وفي دراســـة حديثة وشاملة لميزان القوى، اعتمد كوفمان Kaufman، وليتل، وولفورث Wohlforth عـــلى أدلة عابرة للثقافات والحقـــب للقول بأن التوزيعات المتوازنة وغير المتوازنة للقوة شـــبه متساوية في تواترها، فالتوسع العسكري هو «سلوك شبه عالمي»،

وغالبا ما يتم التسامح مع مثل هذه المطامع من قبل الفاعلين «قصيري النظر والساعين للمنفعة» الذين يســعون لتحقيق مصالح محــدودة قصيرة الأجل، مفضلين إياها على المحافظة على النظام [40]. تخلص الكثير من الدراســات التاريخية التي تحظى بتقدير كبــير حول توازن القوى في أوروبا إلى أن فعاليته بلغــت أقصى مدى لها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لكنها تعزو نجاحه - كما فعل مورغنثاو - إلى متانة المجتمع الأوروبي العابر للقوميات transnational، وإلى حنكة القادة [41]. يجادل كل من وايت Wight، وشرويدر، وكيســنغر بــأن الضغوط الجماعية للالتزام بالأعراف والممارســات المقبولة كانت أكثر فعالية في كبح جماح الدول الفاعلة الرئيسية [42]. ويطرح مورغنثاو ادعاء مماثلا في كتابه المعنون «المناورات السياسية بين الأمم» [43]. بيد أن رواياته التي تنظر إلى الثقافة لتفســير ســبب وتوقيت نجاح توازن القوى لا تعمل إلا على تقويض ادعاءات كونها عالمية.

ينتمي الواقعيون المعاصرون، عــلى وجه العموم، إلى ثلاث مدارس فكرية: الهجومية، والدفاعية، والكلاســيكية. ترتبط الواقعيــة الهجوميــة offensive realism بكتاب جون ميرزهايمر «مأســاة القوى العظمى»، وتستند إلى منظور متشائم وحتمي deterministic إلى حد كبير، للعلاقات الدولية. ويرى كثير من العلماء الباحثين في هذا الحقل أنها مبسطة simplistic وخطــيرة مــن حيث آثارها العديدة المتعلقة بالسياســات. وقد ســبق لي أن انتقــدت ادعاءاتها النظرية وتنبؤاتها التجريبية، كــما أن مجموعة بياناتي لا توفر أي دعم لمفهومها حول أسباب الحرب.

أمــا الواقعيــة الدفاعيــة defensive realism فهــي مقاربة أكثر قبــولا، وتتعلق بكتابات ســتيفن فان إيفيرا Van Evera، وتشــارلز غليــسر Glaser، وحاييم كوفمان Kaufman، وستيفن والت Walt [44]. وهي تفترض وجود جهات فاعلة عقلانية تجعل من الأمن أولويتها القصوى بسبب فوضى النظام الدولي، والمعضلة الأمنية التي تخلقها. وهنا يصبح الأمن أشــبه بلعبة محصلتها صفر لأن تحســن أي دولة أو تحالف يجعل الــدول والتحالفات الأخرى أكثر أمنا. من جانبه، فإن ســتيفن فان إيفيرا، وهو المدافع الأصلي عن الواقعية الدفاعية، يطرح فرضيتين رئيســيتين: تكون الحرب أكثر شــيوعا في الفترات التي يعتقد أن يكون الغزو فيها ســهلا، والــدول التي يعتقد قادتها أن لديهم فرصــا هجومية كبيرة أو ثغرات دفاعية فإنهم سيشــعلون عددا من الحروب أكثر من

قادة الدول الأخرى. ويرى كذلك أن اضطرابات التوازن الفعلية التي تجعل الغزو سهلا تتسم بندرتها، لكن التصورات الخاطئة حول وجودها شائعة، مما يفسر العديد من الحروب. وهو يطرح الحرب العالمية الأولى باعتبارها حالة نموذجية [45].

ومهما كانت مصداقية الواقعية الدفاعية، فإن الحرب العالمية الأولى، التي بنى عليها نظريته، تبين أنها حالة يمكن دحضها. فالأدلة الجديدة المستمدة من دار المحفوظات الألمانية والتقارير المبنية عليها تستبعد الخوف الناجم عن فقدان الأفضلية الاستراتيجية كسبب للعدوان الألماني في أزمة يوليو. لم يكن لدى رئيس هيئة الأركان، مولتكه Moltke، إلا قليل من المخاوف حول القدرات الدفاعية الألمانية، مع ثقة ضعيفة للغاية في قدرة جيشه على تنفيذ ما عرف باسم خطة شليفين Schlieffen Plan. أراد مولتكه والجنرال إريك فون فالكنهاين von Falkenhayn إشعال الحرب لأسباب لا علاقة لها بالأمن إلا قليلا، لكنها تتعلق كثيرا بكراهية فرنسا وإيمانهما بأن النصر سيمثل ضربة ساحقة للديموقراطية الاجتماعية. وكان القيصر، وهو صانع القرار الرئيسي، أكثر اهتماما بتعزيز مكانته وشرف ألمانيا [46]. ولم يتمكن الواقعيون الدفاعيون من الإتيان بأدلة مقنعة على أن الحروب الأخرى التي خاضتها القوى العظمى كانت نتيجة لتصورات تتعلق باختلال التوازن الهجومي أو الدفاعي. والأهم من ذلك، كما ستظهر مجموعة بياناتي، فلا يمكن أن يعزى إلا عدد قليل نسبيا من الحروب للأمن كدافع لإشعالها.

تنظر الواقعية الكلاسيكية إلى ثوكوديدس باعتباره الأب المؤسس لها، وإلى ميكافيللي، وكلاوزفيتز، وهيرز، ومورغنثاو كممثلين لهذا التقليد. ويعنى بها أن تعمل كدليل معياري وأن تسلط الضوء على الروابط بين الأخلاق والسياسة الخارجية الناجحة، كما تشدد على الحساسية للمعضلات الأخلاقية والتضمينات العملية وعلى الحاجة إلى ترسيخ النفوذ، حيثما كان ذلك ممكنا، على أساس المصالح المشتركة وعلى الإقناع. أما الواقعية الكلاسيكية فهي واقعية من حيث إنها تقر بالدور المحوري للقوة في جميع أنواع المناورات السياسية، كما تعترف أيضا بأوجه قصورها والطرق التي يمكن من خلالها أن تدحض نفسها بنفسها. وهي تتجنب الفرضيات الرسمية من النوع الذي تطرحه الواقعية الهجومية والدفاعية، إذ يصر مؤيدوها على أن عملية صنع القرار تتسم بحساسية بالغة لكل من السياق والقوة agency. وبدلا من ذلك،

يصف الواقعيون الكلاسـيكيون نصوصا كثيرا ما يتم تنفيذها في العلاقات الدولية. أما الحــرب الأكثر أهمية هنا، فهي المتعلقة بغطرســة القوى العظمى، فنجاحها يشــجع قادتها على المغالاة في الاعتقاد الخاطئ بأنه بوســعهم النجاح في تنفيذ السيناريوهات المعقــدة التي تتطلب إخضــاع الآخرين لإرادتهم. واعتمادا عــلى التراجيديا اليونانية، يصور ثوكوديدس أثينا والحرب البيلوبونيســية في ضوء ذلك. أما فيليب الثاني Phillip II، ولويس الرابع عشر Louis XIV، ونابليون Napoleon، وألمانيا في عصر الإمبراطور فلهلم، وألمانيا النازية فقد اتبعوا ضروبا مختلفة من السيناريو نفسه، كما يمكن القول بأن الولايات المتحدة فعلت الشيء نفســه في عالم مــا بعد الحرب الباردة [47]. بيد أن هذه التبصرات المستمدة من الواقعية الكلاسيكية ليست قابلة للاختبار بصورة مباشرة لأنها لا تطرح أي توقعات. وعلى أي حال، فهي تشــير بالفعل إلى أن من بين الأســباب الرئيســية لحروب القوى العظمى، نجد محاولة القوى المهيمنة توسيع رقعة سلطاتها وتحقيق السيادة، والفرضية ذات الصلة القائلة بأن كثيرا من تلك الحروب ستنشأ من التصعيد المحســوب على نحو خاطئ، أو فشل الطرف البادئ للحرب في تدبر أي شيء إلا سيناريو أفضل الحالات.

انتقال السلطة

مثل نظيراتها من نظريات توازن القوى، تتســم نظريات انتقال الســلطة على نحو ملحــوظ بكونها متنوعــة، وذات توقعــات متناقضة في بعض الأحيــان. يتضمن مبدأ انتقال الســلطة النظريات الأصلية لانتقال السلطة، ونظريات حرب الهيمنة، ونظريات الدورة الطويلة التي تم دمجها فيها [48]. أما نظريات الدورة الطويلة فقد طرحها لأول مــرة المحارب الســابق في الحرب العالمية الأولى وعالم الاقتصــاد أليك ماكفي Macfie، وتســتند إلى الارتباطات التجريبية بين الظواهر الاقتصادية المتكررة والحرب. استشهد ماكفــي بدورات العلاقات التجارية كعامــل رئيسي، كانت حروب أقرب احتمالا عندما يكــون التعافي من الركود الاقتصادي على قدم وســاق، وهو النمط الذي ربطه بوقوع اثنتي عشرة حربا ما بين العامين 1850 و1914 [49]. وفي فترة لاحقة، ادعى موديلســكي Modelski وتومسون Thompson تعرفهما على دورات منتظمة من الهيمنة، وإدارة

النظم والحروب العالمية على مدى القرون الخمسة الأخيرة، كما يعزوان الحرب لأزمات الخلافة succession crises المنهجية التي حدثت عن طريق تغيير توزيعات السلطة، والتي تنتج بدورها عن تفاوت معدلات النمو [50].

إن أبرز نظريات انتقال السـلطة هي التي وضعها أورغانسـكي Organski وكوغلر Kugler، اللـذان يميـزان مقاربتهما عن الواقعية على أسـاس قيامهـما بتصوير النظام الدولي باعتباره منظما أكثر منه فوضويا [51]. ينبع النظام order من قدرة إحدى القوى المهيمنة على فرض خياراتها على الأطراف الفاعلة الأخرى. وبمرور الزمن، تترسخ العادات والأنمـاط، وتتعلم الدول ما يمكـن أن تتوقعه بعضها من بعـض. «يتم الاعتراف ببعض الـدول كأمم رائدة... وتجرى المعاملات التجارية عبر قنوات معترف بها... وتتم العلاقات الدبلوماسية بدورها وفقا لأنماط معترف بها... هناك قواعد للدبلوماسية، وهناك حتى قواعد للحرب» [52]. يعمل النظام على تعزيز الثروة، والأمن، والهيبة لدى القوة المهيمنة، لكن ذلك يتم عادة على حسـاب القوى الكبرى الأخرى. ونادرا ما تكون الهيمنة مطلقة، وبالتالي تبقى احتمالات نشوب الحرب قائمة. إن أخطر الحروب وأكثرها ضراوة هي تلك التي تدور رحاها بين قوى مهيمنة ومتنافسـين ساخطين، وتتمثل هذه الأخيرة في الدول التي «نمت إلى أقصى قوتها بعد أن ترسـخ النظام الدولي الحالي تماما، وتم بالفعل توزيع منافعـه» [53]. تكون الدولة المهيمنـة ومؤيدوها، عموما، غير راغبـين في منح القادمين الجدد أكثر من جزء صغير من المزايا التي تستمدها من الوضع الراهن. وبناء على ذلك، تكون القوى الصاعدة غير راضية، ومن ثم تشـن الحـرب لفرض أنظمة أكثر ملاءمة لها [54]. تكون الحرب أقرب احتمالا عندما تصل دولة متحدية إلى تعادل تقريبي مع الدولة المهيمنة من حيث الإمكانات المادية [55].

تتسـم نظرية أورغانسـكي وكوغلر عن الحرب بكونها ميكانيكيـة وحتمية. فبرأيهما أن «المشـكلة الأساسـية التي تجعل النظام برمته ينزلق إلى الحـرب بصورة لا رجعة فيها تقريبـا هي الاختلافات في معدلات النمو بين القـوى العظمى، وكذلك - وهو الأمر الذي يكتسـب أهمية خاصة - تباين المعدلات بين الدولة المهيمنة والمتحدية، مما يسـمح لتلك الأخـيرة بتجـاوز الأولى في القوة. وهذه القفزات هي ما يزعزع اسـتقرار النظام» [56] وفي هذا السياق، يحددان خمس حروب تتعلق بانتقال الهيمنة: الحروب النابليونية، والحرب الفرنسية - البروسية، والحرب الروسية - اليابانية، والحربين العالميتين.

بدوره، فإن كتاب روبرت غيلبين Gilpin المعنون «الحرب وتغيرات السياسة العالمية»، يشدد أيضا على التوازن النسبي للقوة العسكرية بين الدول الرائدة والدول المتحدية المحتملة. وعلى أي حال، فإن غيلبين يركز على القوى المتراجعة أكثر مما يركز على تلك الصاعدة. تقدم الدول المهيمنة التزامات متراكمة تنتهي إلى تجاوز قدراتها، فالتوسع الإمبريالي «يخلق تحديات للدول المهيمنة ويمنح فرصا للدول الصاعدة ضمن النظام» [57]. وتطمح هذه الأخيرة إلى إعادة صياغة «القواعد التي تحكم النظام الدولي، ومجالات النفوذ، والأهم من ذلك كله، التوزيع الدولي لمناطق النفوذ» [58]. تنظر الدول المهيمنة إلى الحرب الوقائية باعتبارها الوسيلة الأكثر جاذبية للقضاء على التهديد الذي تمثله الدول المتحدية. أما الردود المحتملة الأخرى، فتشمل تقليص الالتزامات، وخفض التكاليف عن طريق تنفيذ مزيد من التوسع، وإبرام التحالفات، وبناء العلاقات الودية واسترضاء البلدان المتحدية [59]. وبالنسبة لغيلبين، فإن حروب الهيمنة تؤلب القوى المهيمنة على تلك المتحدية. تعمل هذه الحروب على إعادة ترتيب النظام، فإما توسع سيطرة القوة المهيمنة، أو تسمح للدولة المتحدية المنتصرة بفرض نظامها الخاص [60]. يتم خوض حروب الهيمنة إلى أقصى مداها، ومن ثم تجتذب إليها معظم القوى العظمى، إن لم يكن جميعها. وكأمثلة على ذلك، يطرح غيلبين الحرب البيلوبونيسية، والحرب القرطاجية الثانية Second Punic War، وحرب الثلاثين عاما، وحروب لويس الرابع عشر، والحروب الثورية الفرنسية، والحروب النابليونية والحربين العالميتين الأولى والثانية [61].

تطرح نظريات انتقال السلطة ثلاثة ادعاءات حول الحرب: تخوض القوى الصاعدة الحرب ضد القوى المهيمنة أو تتعرض للهجوم من قبلها قبل أن تتمكن من استهلال تحد عسكري ناجح، وعندما تتحارب الدول المهيمنة والقوى الصاعدة، فإنها تفعل ذلك للدفاع عن النظام الدولي أو تعديله لمصلحتها، تقوم الحرب على نحو فعال بحل تضاربات المصالح الناجمة عن انتقال السلطة. بيد أن جميع الادعاءات الثلاثة، والفرضيات التي بنيت عليها، تطرح مع قدر ضئيل - إن وجد - من التبريرات التجريبية [62].

يحدد أورغانسكي وكوغلر خمس حروب يعتقدان أن نظريتهما تفسر أسبابها: الحروب النابليونية، والحرب الفرنسية - البروسية، والحرب الروسية - اليابانية، والحربين العالميتين الأولى والثانية. بيد أنهما يستبعدان الحرب النابليونية من دراستهما على أساس أنه لا توجد بيانات كافية عن القدرات العسكرية للأطراف المكتنفة فيها، كما يستبعدان الحرب الفرنسية - البروسية والحرب الروسية - اليابانية، لأنهما يعتبران أنهما وقعتا من دون حلفاء[63]. وهذا غير صحيح في الواقع، إذ أن بروسيا قد تلقت دعما من قبل اتحاد شمال ألمانيا، والولايات الألمانية الجنوبية بادن وفورتمبيرغ وبافاريا. وعلى الرغم من أنه لم يتبق لديهما سوى حالتين اثنتين، إلا أنهما لم يقدما أي أدلة تاريخية لدعم تأكيدهما على أنهما من حروب انتقال السلطة.

وتمثل الحرب البيلوبونيسية الصراع الوحيد الذي يطرح غيلبين حوله حجة لا لبس فيها. ومن خلال الاستشهاد بكتابات ثوكوديدس، يؤكد أنها كانت حربا وقائية بدأتها إسبرطة Sparta[64]. وهو يسميها حربا متعلقة بالهيمنة، ويعرفها على أنها صراع بين أو فيما بين القوى العظمى، والذي ينجم عن الاختلال المتزايد في موازين القوى، والتي يتم خوضها من دون كثير من القيود. وهو يؤكد أن حروب الهيمنة دائما ما تكون حروبا استباقية preemptive. هناك تصور عام أن «ثمة تغيرا تاريخيا جذريا قيد الحدوث، وأن هناك خوفا مزعجا لدى واحدة أو أكثر من القوى العظمى من أن الزمن بدأ يعمل ضدها بصورة ما، وأنه يتعين على الدول تسوية الأمور عن طريق شن حرب استباقية ما دامت الأفضلية في جانبها»[65]. من جانبه، يطرح غيلبين سبعة أمثلة أخرى: الحرب القرطاجية الثانية، وحرب الثلاثين عاما، وحروب لويس الرابع عشر، والحروب الفرنسية والنابليونية، والحربين العالميتين الأولى والثانية. وتمثل هذه قائمة غريبة، بل ومربكة، إذ تصف حرب الثلاثين عاما حروبا متعددة بين قوى أوروبية متعددة، كما خاض لويس الرابع عشر عددا من الحروب (وليس من الواضح إلى أيها يشير غيلبين)، كما أنه من المعقول تقسيم حروب الثورة الفرنسية إلى حروب الائتلافات (Coalitions) الأول إلى السابع.

لم تفعل مجموعتا المؤلفين أكثر من تأكيد وجود تناسب بين الحالات والنظريات التي عرضتها. فبالنسبة لأورغانسكي وكوغلر، تتأهل الحربان العالميتان الأولى والثانية

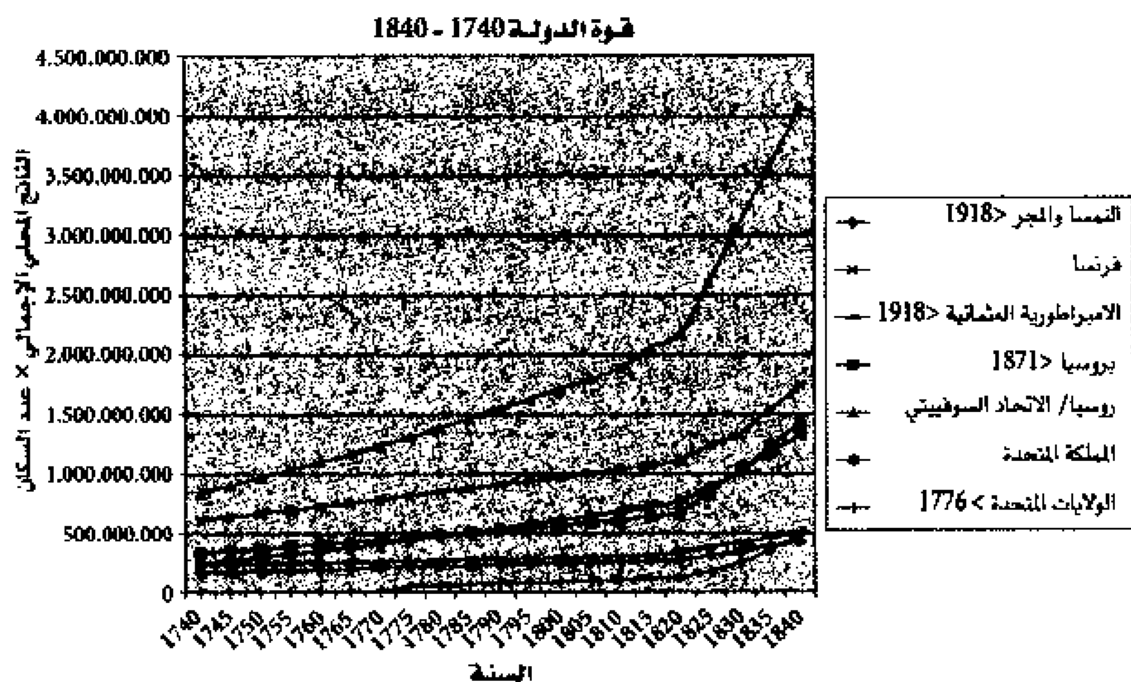
لأنهما حدثتا قبل أن تتمكن قوة ائتلاف الدول المتحدية من تجاوز قوة التحالف الذي تقوده الدولة المهيمنة [66]. بيد أنهما لا يقدمان أي دليل على أن الجهات البادئة لهذين الصراعين كانت تتفهم توازن القدرات والتغيرات المحتملة بنفس طريقة «المراقب الموضوعي» (أي المؤلفين)، أو أنها خاضت الحرب لأسباب تتعلق بأي صورة بتوازن القدرات. كما أن قراءة غيلبين للحرب البيلوبونيسية هي موضع شك كبير، وباستثناء هذه الحرب، فلم يناقش غيلبين أيا من الحروب التي عزاها إلى انتقال السلطة [67]، كما أنه لم يحدد الجهات المهاجمة أو البادئة، أو يعرض تقديرات لتوازن القدرات والتغيرات المتوقعة في اتجاهه. وبالإضافة إلى ذلك، فلم يبذل أي محاولة لإظهار أن الدول البادئة خاضت الحرب لأنها كانت تخشى هزيمة مستقبلية إذا ما ظلت في حالة السلم.

تتسم معظم أدبيات انتقال السلطة التي اتبع مؤلفوها محاولات أورغانسكي وكوغلر وغيلبين لوضع تدابير القدرات وغيرها من مؤشرات القوة بكونها لم تبذل أي جهد يذكر للتحقق من صحة مزاعمها عن طريق دراسة دوافع، وحسابات، وقرارات الجهات الفاعلة التاريخية. وهناك استثناء هو دايل كوبلاند Copeland، الذي حاول تفسير الحروب الكبرى، التي عرفها على أنها تلك التي تنطوي على جميع القوى العظمى، ويعزوها لانحدار القوى العظمى. يؤكد كوبلاند أن القوى الكبرى التي تعاني الضعف والتراجع تعتمد على الجهود الدبلوماسية للحفاظ على أنفسها ومصالحها، لكن الدول القوية تفضل الحرب. وفي الأنظمة متعددة الأقطاب، لن تشهر الدول سيوفها إلا إذا كانت قوية بما فيه الكفاية لمواجهة جميع القوى العظمى غير الحليفة، فمجرد هزيمة دولة متحدية صاعدة ستجعلها عرضة للدول المهاجمة الأخرى. في الأنظمة الثنائية القطب، لا تحتاج القوة المتراجعة إلا إلى هزيمة القطب الآخر، وبالتالي تمثل الحرب استجابة أقرب احتمالا لتراجع القوة. ولا تلجأ الدول المتراجعة إلى القوة إلا عندما ترى أن تراجعها حاد وحتمي [68]. بيد أن تعريف متغيرات كوبلاند يتسم بكونه فضفاضا، كما يتناقض ترميزه coding أحيانا مع تعريفه، ومع أفضل الأدلة المتاحة. أما التراجع، وهو المتغير التابع dependent variable الرئيسي، فيتم تفعيله على نحو سيئ. وفي كل حالة تاريخية، يختار كوبلاند ويثبت صحة أحد التقييمات المعاصرة (مثل حزب الحرب الإسبرطية، والجنرالات الألمان، والمتشددين في الولايات المتحدة) يتوافق مع نظريته، ومن ثم يتجاهل كل المفاهيم المتنافسة. وهو يصور الحربين العالميتين

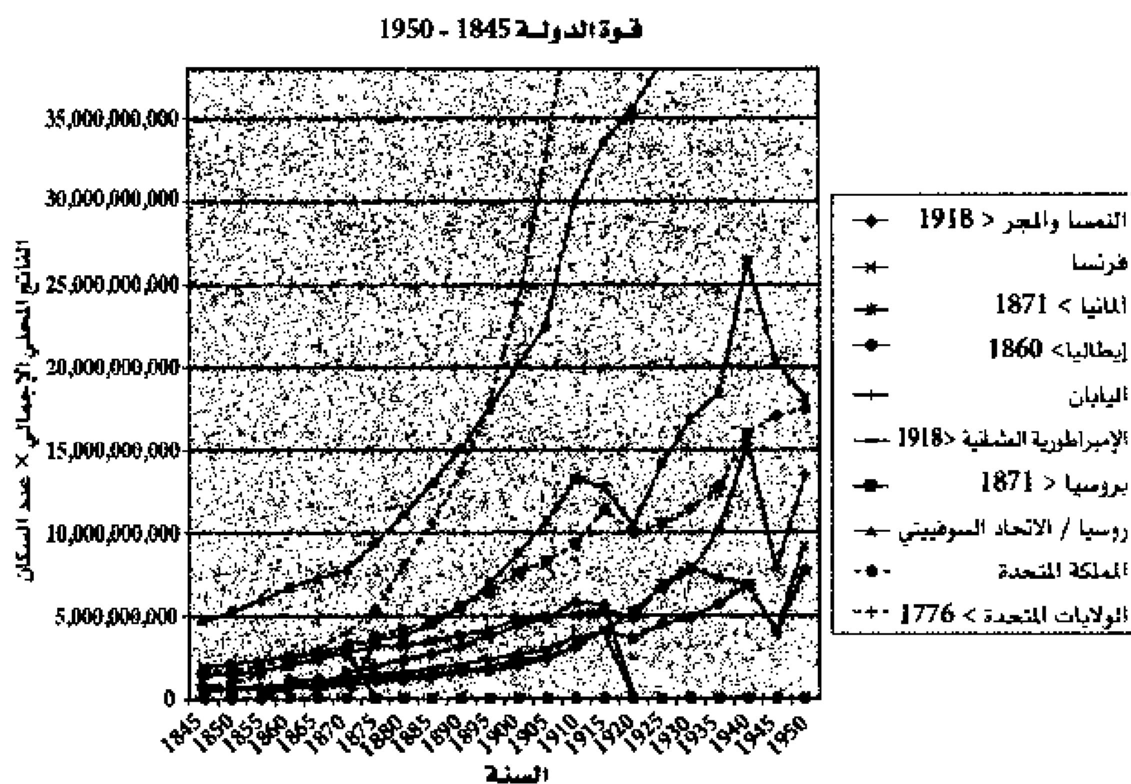
الأولى والثانية، على نحو غير مقنع، على أنهما حربين وقائيتين أشـعلتهما ألمانيا لاحتواء تراجعها في مواجهة روسـيا، كما صـور الحرب الباردة على أنهـا صراع بدأته الولايات المتحدة للسبب نفسه.

بإلقاء نظرة فاحصة على الحروب التالية لعام 1648، والتي وردت في الأدلة التي ساقها غيلبين، وأورغانسكي، وكوغلر وكوبلاند، لا نجد أن أيا من هذه الصراعات يمكن عزوه بصورة مقنعة إلى انتقال السـلطة. كانت دوافع الحربين الرئيسـيتين للملك الفرنسي لويس الرابع عشر تعود في المقام الأول إلى نهمه الذي لا يشـبع للمجد (gloire). لم يكن لويس يكترث كثـيرا لقـوة الدول المجاورة، كـما كان وعيه غير كاف باحتمال أن تتحـد تلك الدول ضده [69]. ولم تنشـب حروب الثورة الفرنسـية بفعل اهتمام طرفيها بتوازن القوى، فقد أرادت الجمعية الوطنية الفرنسية نشر الثورة في الخارج في حين رغبت النمسا وبروسيا في الحفاظ على النظام القديم. وفي حرب الائتلاف الأولى (1792 - 1797)، توقع كلا الجانبين على نحو خاطئ تحقيق نصر سريع [70]. أما حروب نابليون ضد دويلات نهر الراين وبروسيا (1806)، وغزوه لروسيا (1812)، فكانت حروبا توسعية محضة، وليست استباقية أو وقائية. لا يمكن لأي من مقاييسـنا للقوة، ولا التفسيرات التاريخية المقبولة لدوافع الجهات البادئة لحروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، أن يتوافق مع نظريات انتقال السلطة.

كثـيرا ما توصـف الحرب العالميـة الأولى على أنها حرب وقائية مـن قبل منظري العلاقـات الدولية وبعض المؤرخين. ويعتمد متفاوت انتقال السـلطة لهذا الادعاء على خوف ألمانيا المزعوم من روسيا والحاجة المقابلة لتنفيذ ما عرف بخطة شليفين قبل بناء السـكك الحديد الروسية وتنفيذ الإصلاحات المتعلقة بالتعبئة العامة (تم تمويل الأولى من قبل فرنسـا)، مما جعله غير قابل للتطبيق، وترك ألمانيا عرضة للغزو على جبهتين. لكن كما يشير الشكلان 2-1 و2-2، فمن حيث القدرات الكامنة، كانت روسيا أقوى من ألمانيا بكثير، وذلك قبل العام 1914 بكثير، كان ناتجها المحلي الإجمالي مسـاويا لفرنسا تقريبا، وأكثر من ضعف عدد السـكان. وعلى الرغم من أن مشروعات السكك الحديد وبرامج التعبئة العامة الروسـية جعلتها أفضل استعدادا للحرب في المستقبل القريب، فإنهـا لم تؤثر على التوازن الطويل المدى للقوة بين ألمانيا وروسـيا. وعند تناول انتقال السـلطة وفقا لشروطه الخاصة، فإن ما يسـمى بالتدابـير الموضوعية تدحض حجتها الخاصة في هذه القضية الحيوية.



الشكل (1 - 2): قوة الدول خلال الفترة 1740 - 1840



الشكل (2 - 2): قوة الدول خلال الفترة 1845 - 1950

وكذلـك فإن الأدلة التاريخية الجديدة تلقي بظلال إضافية من الشـك على الادعاء المختلف بشأنه منذ فترة طويلة، والقائل إن ألمانيا خاضت الحرب في العام 1914 بسبب خوفها من القوة الصاعدة لروسيا. ومن الواضح أن رئيس هيئة الأركان الألمانية، هيلموت فون مولتكه، أراد خوض الحرب لأسباب لا علاقة لها بالحسابات الاستراتيجية. كان الرجل يضمر الكراهية لفرنسا وأراد أن يعاقبها. وقد سعى أيضا إلى خوض الحرب كوسيلة لدعم وتعزيز حكم عائلة يونكر Junker الأرستقراطية البروسية في مواجهة الطبقات التجارية الصاعـدة والدعوات المتزايـدة للمذهب المـادي materialism. وأشـارت التدريبات العسـكرية الألمانية إلى أنه لم يكن من المرجح لاسـتراتيجية مولتكـه الهجومية أن تهزم فرنسا، غير أن الدفاع الجيد يمكنه بسهولة أن يصد، إن لم يسحق، هجوما فرنسيا - روسيا مشـتركا. بيد أن مولتكه حجب هذه المعلومات عن كل من المستشـار والقيصر، ولعب على حاجة ألمانيا إلى شـن هجـوم قبل العام 1917 على أمل حمـل البلدين على الفرار الجماعـي في الحرب [71]. وقد تأثر المستشـار الألماني بـرأي مولتكه، لكن القيصر - وهو صانع القرار الفعلي في برلين - مال إلى شـهر سـيفه بعد حادثة سراييفو لأسـباب تتعلق بالشرف وإثبات الذات [72].

تمثل الحرب العالمية الثانية حالة إشـكالية بدرجة مسـاوية من حيث انتقال السلطة. لم تكـن حروب هتلر في الغرب وغزوه للاتحاد السـوفييتي مدفوعة بالخـوف من تنامي القوة الروسـية أو الفرنسية. وفي الواقع، فقد رفض هتلر الاسـتفادة من الإجراءات التقليدية للقوة العسكرية والاقتصادية، مؤكدا بدلا من ذلك التأثير الحاسم للإرادة، والروح المعنوية، والقيادة، والنقاء العنصري. كان هتلر يخشى - على نحو غير منطقي تماما - أن يتم تطويق ألمانيا من قبل فرنسـا وبريطانيا وروسـيا، وهو الموقف الذي حدث في النهاية بسبب عدوانه العسكري. كان يـرى أن أفضلية ألمانيا على هذه البلدان في أواخـر ثلاثينيات القرن العشرين أمرا عابرا، ليس لأنها كانت تنمو بوتيرة أسرع من ألمانيا، لكن لأن أيا منها لم يقم بحشـد كامل القوة الكامنة التي تمتلكها، ولأنه رأى أمامه فرصة سانحة لتقسيم أعدائه وإلحاق الهزيمة بهم تدريجيا [73]. وباستثناء إدراك هتلر أنه لا يستطيع تحدي الولايات المتحدة قبل أن يصبح سيدا بلا منازع في أوروبا، ليست هناك سوى دلائل قليلة على أن التقديرات البعيدة المدى حول توازن القوى بين ألمانيا وخصومها قد دخلت في حسـاباته [74]. وينطبق هذا أيضا على موسوليني، وهو انتهازي طامع في المكانة. وقد تمثل هدفه في التوسـع الاسـتعماري في منطقة البحر الأبيض المتوسـط

وأفريقيا، وكان الدافع وراء هجومه على فرنسا هو اعتقاده بأن هتلر سينتصر في الحرب، وأنه كان عـلى إيطاليا أن تنضم إليـه إذا أرادت الحصول على حصة من الغنائم [75]. كانت اليابان تمتلك قوات عسـكرية قوية، لكنها لا تقارن مطلقا بالقدرات العسكرية للاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحدة. وكان احتلالها لمنشوريا Manchuria وغزوها للصين من قبيل الإمبريالية الكلاسـيكية، وهو قرار تأثر بالسياسـة الداخلية أكثر من تأثره بالحسـابات الاستراتيجية. وقد بدأت هجومها على الولايات المتحدة والقوى الاسـتعمارية الأخرى في المحيط الهادي مسـتندة إلى توقع غير معقول بأن واشـنطن ستسعى إلى السلام عن طريق التفاوض بعد تعرضها لانتكاسـات حادة، وبأن الصين سـتخضع لها أيضا في غياب الدعم الأمريكي. وعلى الرغم من أن التوقيت كان حاسـما، فإن الحسـابات التكتيكية كانت تشـير إلى أنه خلال سـنوات معدودة، سيجعل الحظر الغربي على النفط من المستحيل على اليابان أن تتمكن من شن حرب بحرية [76].

وبالنسـبة إلى نظريات انتقال السـلطة، تقوم الحرب بوظيفة إنهاء أو اسـتمرار هيمنة دولـة مـا على أخرى، مما يجعل الدولة المنتصرة في وضع أفضـل لفرض أو الحفاظ على نظام دولي مـوات لهـا. وعلى أي حال، فلم يؤد أي من الحروب التي استشـهد بهـا منظرو انتقال السـلطة إلى تقويض طويل الأجل في قوة الدولة المهزومة. يحدد أورغانسـكي وكوغلر خمس حروب تتعلق بانتقال السـلطة: الحروب النابليونية، والحرب الفرنسـية - البروسية، والحرب الروسـية - اليابانية، والحربان العالميتان الأولى والثانية. في العام 1815، هزمت فرنسا على يد ائتلاف للقوى. جرد المنتصرون فرنسـا من فتوحاتها، لكنهم لم يبذلوا أي جهد لتقطيع أوصالها أو إضعافها، كان هدفهم الأسـاسي هو استعادة النظام الملكي، وأن يفعلوا ذلك في ظل ظروف تسـاعدها على اكتسـاب الشرعية. ونتيجة لذلك، حافظت فرنسا على تفوقها من حيث القوة أكثر مما فعلت بريطانيا وبروسـيا حتى العام 1870. ازداد تفوق ألمانيا على فرنسـا في أعقاب الحرب الفرنسـية - البروسـية، لكن هذا يتعلق بتزايد معدل نمو القوة الألمانية أكثر منه بأي انخفاض في معدل النمو في فرنسـا أو خسارتها لإقليمي الألزاس واللورين. وفي الواقع، واصلت القوة العسكرية لفرنسا نموها بالمعدل نفسه تقريبا، أو بوتيرة أسرع، خلال السنوات الخمس والعشريـن التالية للحرب كما فعلت في السـنوات الخمس والعشرين السـابقة لها. تعرضت روسيا لهزيمة كبرى في الحرب الروسية - اليابانية خلال العامين 1904 - 1905، لكن تفوقها على اليابـان ازداد في الواقـع بعد الحرب. ولم تتقلص قوة ألمانيا إلا لفترة مؤقتة فقط بفعل الحرب

العالمية الأولى، على الرغم من خسارتها لأراض شاسعة. وحتى بعد هزيمة ألمانيا الساحقة وتقسيمها في نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد تجاوزت جمهورية ألمانيا الاتحادية كلا من فرنسا وبريطانيا في إجمالي القوة بحلول العام 1960.

بيد أن انهيار الإمبراطورية النمساوية- المجرية والإمبراطورية العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى يمثل استثناءين ملحوظين. كانت النمسا من دون شك هي الدولة البادئة للحرب العالمية الأولى، التي خاضتها الإمبراطورية العثمانية على أمل الحصول على الغنائم، غير أن تلك الحرب دمرت كلتا الإمبراطوريتين. وباعتبار أن النمسا - المجر والدولة العثمانية كانتا القوتين الخامسة والسابعة في أوروبا على الترتيب، يبدو أيضا من غير المرجح أن زوالهما قد أدى إلى زيادة كبيرة في قدرة الحلفاء المنتصرين على فرض تفضيلاتهم على النظام، كما تتوقع نظريات انتقال السلطة.

لم تنجح الحرب في حل مشكلة انتقال السلطة، لأن معظم الحروب لا تقلل كثيرا من المصدرين الأساسيين للقوة في الدولة المهزومة: الناتج المحلي الإجمالي وعدد السكان. نادرا ما تتسبب أكثر الحروب دموية في مقتل أكثر من 1 إلى 2 في المائة من سكان أي بلد محارب، وسرعان ما يمكن تعويض خسائر سكانية أشد تدميرا من ذلك. ربما فقدت روسيا 25 مليون نسمة في الحرب العالمية الثانية، لكن تعداد سكانها انتعش مجددا وتجاوز مستويات ما قبل الحرب بحلول العام 1956. إن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها للحرب أن تقلل من قوة دولة ما على المدى الطويل هي التقسيم الدائم، أو تفكيكها، أو غزو واحتلال أراض تضم نسبة كبيرة من سكانها ومواردها الاقتصادية. وقد اتبع عدد قليل من الدول مثل هذه الأهداف (مثل فرنسا النابليونية، وألمانيا الفلهلمية والنازية)، لكنها لم تحققها، أو أنها فعلت ذلك على نحو عابر فقط.

الماركسية

مثل الليبرالية، فإن الماركسية Marxism هي نظرية مجتمعية ذات فرضيات، يمكن توسيع نطاقها - كما تم بالفعل - لتشمل السياسات الخارجية للدول الرأسمالية، وتلك التي سميت بالدول الاشتراكية في أعقاب الثورة البلشفية Bolshevik revolution. إن أبرز تحليل ماركسي للحرب - وهو كتاب لينين المعنون «عن الإمبريالية» - قد كتب خلال الحرب العالمية الأولى، ويصف هذا الصراع باعتباره ثمرة حتمية للإمبريالية وأنه يمثل اللحظات الأخيرة من

الرأسـمالية الناضجة [77]. بيد أن حجج لينين حول الإمبريالية تسـتمد أصولها من كتابات عالم الاقتصاد الليبرالي جون هوبسـون Hobson مثلما تستمد من أفكار ماركس [78]. وهو يفترض أنه مع انخفاض معدلات الربح في أوطانهم، يقوم الرأسـماليون بالاستثمار في الخارج لتحقيق عائـدات أعلى عـلى أموالهم من خلال اسـتغلال الأيدي العاملة والمواد الخـام الرخيصة. أما الدولة، التي تسيطر عليها الآن الكارتلات الرأسمالية، فتحمي هذه الاستثمارات والأسواق عن طريق إنشـاء المستعمرات. أدى التوسع الاسـتعماري إلى تأجيل وقوع أزمة الرأسمالية، لكنه أدى إلى نشـوب حرب عالمية، لأنـه بحلول العام 1914 لم تعد هنـاك أراض جديدة لغزوها، وبالتالي لم يعد هناك أمام القوى الاستعمارية من خيار سوى أن ينقلب بعضها ضد بعض. كان ماركس وإنغلز Engels في الإجمال محبذين للاسـتعمار colonialism، لأنه أحل الرأسـمالية بدلا من الإقطاع feudalism. وقد تجنب لينين الاعتراض عليهما، معتبرا أن الرأسمالية تحولت من شكل تنافسي إلى آخر احتكاري في أواخر القرن التاسع عشر.

يمثل كتاب «عن الإمبريالية» إنجازا ثقافيا باهرا، لكنه يخطئ بصورة واضحة في بعض الجوانب المهمة [79]، فالاستثمار الأجنبي الأوروبي لم يكن موجها إلى المستعمرات في المقام الأول، كما لم يحقق الاستثمار في الخارج أرباحا أعلى من الاستثمارات في الداخل [80]. بحلول العـام 1914، كانـت بريطانيا وألمانيـا - وهما أكثر البلدان الأوروبية تقدما - تسـتثمران بشـكل مكثـف إحداهما في الأخرى، وفي البلـدان الأوروبية الأخـرى، والولايات المتحدة، وأمريـكا الجنوبية، وأقل من ذلك بكثير في مسـتعمرات كل منهـما. كان الدافع الرئيسي للمسـتعمرات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر سياسيا، وليس اقتصاديا. وتشير دراسـات الحالات إلى أن التوسـع الاسـتعماري كان مدفوعا في كثير من الأحيان بمسألتي المكانة والأمن، أو كاسـتجابة للصراعات السياسية البيروقراطية الداخلية والمحلية [81]. كما أن الطموحات الاسـتعمارية لم تكن الدافع الرئيسي للحرب في العام 1914، فقد تعاظمت وتضاءلـت وفقا للتوقعات المدركة حول الانتصـار في الحرب العالمية الأولى، وظلت قابعة في الخلفية تماما من القرارات التي أدت إلى اندلاع تلك الحرب [82]. لم تؤد الحرب العالمية الأولى إلى ثورة اشتراكية ولا إلى إنهاء الرأسمالية. وجاءت الثورة في روسيا، وهي أقل القوى الكـبرى تقدما والتي تمتلك أصغر طبقة عاملة، ولم تكن لها سـوى تدخلات ثانوية قصيرة الأمد في المجر وبافاريا [83]. وقد تخطى مشروع لينين الثوري حالة لازمة للتطور التاريخي، كما فعل استيلاء الشيوعيين على الصين بعده بجيل كامل.

وخلال السنوات الأخيرة، اكتسبت كتابات الباحث الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي Gramsci أهميـة كبيرة في نظريـة العلاقات الدولية. كتب غرامـشي مؤلفاته في العقود الأولى مـن القـرن العشرين، وكان معنيا بقضايا التطور الرأسـمالي غير المتكافئ، وفشـل الثورة الاشـتراكية في الاندلاع في الدول الرأسـمالية الأكثر تقدما. بيد أن مفهومه للهيمنة، وهو قاسـم مشـترك في العديد من التحليلات الماركسية المعاصرة للعلاقات الدولية، يجب أن يفهم على أنه تفسـير للتطور غير المتكافئ للرأسمالية. افترض ماركس وجود عملية غير معقـدة من التراكم البدائي primitive accumulation، والتي تقطع أي صلة مباشرة بين جمهرة المنتجين ووسـائل الإنتاج - باسـتثناء قوة العمل الخاصة بهم - وتحولهم إلى كتلة من الأفراد الصغار الذين يمكن التعامل معهم على أنهم سـلع [84]. يجادل غرامشي أنه مع انتشار الرأسمالية من جوهرها الإنجليزي، أنتجت أنواعا مختلفة من التحولات الاجتماعية بسبب التكتلات المحلية من القوى السياسية والاقتصادية التي واجهتها.

اعتمد تحليل غرامشي على فهمه لجنوب إيطاليا، وهي منطقة شبيهة بروسيا، بمعنى أنها لم تكن خضعت بعد للتطور الرأسـمالي واسـع النطاق. لم يتمكن برجوازيو الشـمال الإيطالي من اختراق الجنوب وتحويله بسـبب المقاومة التي أبداها ملاك الأراضي المحليون والكنيسة، الذين يمتلكون مصلحة في بقاء الوضع الراهن. ظل سـكان الريف الجنوبيون مرتبطين بالأرض ومنغمسـين في علاقـات اعتمادية clientelist مـع أصحـاب الأراضي، ولم يتمكنوا من تمثيل أنفسهم بسـبب افتقارهم إلى منظمات جماهيرية مسـتقلة وذاتية الحكم. تحققت الوحدة السياسـية لإيطاليا عن طريق «التحول» trasformismo، وهو ائتلاف بين النخب التي كانت مصالحها فيما عدا ذلك متعارضة جوهريا. وفي رأي غرامشي، كان لينين محقا في القيام بانقلاب على طريقة اليعاقبة Jacobin coup باسـم الجماهير - أي الأغلبية الصامتة، إذا جاز التعبير - وأكد أنه ما لم يقم الشيوعيون الإيطاليون بعمل الشيء نفسه، فستقوم الفاشية بسحق القوة المنظمة للبروليتاريا الشمالية [85].

وصف غرامشي كيف حافظ مـلاك الأراضي في الجنوب على هيمنتهم عن طريق الإرضاء والإكـراه. وقـد روجوا لخطاب عمل على اسـترضاء الفلاحـين للقبول بالوضـع الراهن، بينما استخدم القوة ضد الأقلية الذين قاوموا. أعمى هذا الخطاب الفلاحين عن مصالحهم الطبقية - أو أحـدث «وعيـا زائفا» في مصطلحات إنغلز - لكنـه كان عرضة للتحدي من قبل الفاعلين الجماعيين الثانويـين [86]. يعترف مفهوم غرامشي للهيمنة بقوة الوكلاء، كما انحرف بعيدا عن

الحتمية البنيوية structural determinism للماركسية التقليدية، وهو أحد الأسباب التي أثبتت جاذبيتها للفكر اليساري المعاصر. وبداية من روبرت كوكس Cox، طبق الغرامشيون الجدد neo-Gramscians مفهوم الهيمنة على النظام الدولي من أجل فهم الطرق التي يمكن بها للدول الرأسمالية المتقدمة الحفاظ على أنفسها من خلال مزيج من الخطاب والإكراه. وفي التقاليد الماركسية، نجدهم يصورون تحليلاتهم على أنها إسهامات مهمة لمشروع مكافحة الهيمنة [87]. وقد اعترض النقاد، من بين أمور أخرى، على التطبيق العالمي لمفهوم وضع لتفسير ملامح محددة جغرافيا وتاريخيا للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية [88].

• يمكن فهم الماركسية بأفضل صورة كمحاولة مبتكرة لفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل بناء على فهم مبكر لطبيعة الرأسمالية وتطورها المحتمل. بيد أنها تعاني كثيرا من المزالق المرتبطة بالنظريات الكبرى، فهي متجذرة في غاية telos اعتباطية، مبنية على دافع واحد - هو الصراع بين الطبقات - وتنطوي على مفهوم ضيق لقيمة الثروة - الفائض [89]. كما أن حتميتها التي لا تلين - أصر إنغلز على أن التاريخ الأوروبي كان سيصير هو نفسه لو لم يولد نابليون - لا تترك مجالا كبيرا للفعل، كما تضعف بصورة منطقية من جاذبيتها كمشروع تحويلي. وكما أشار إليه هابرماس Habermas، فهي تتجاهل التأمل الذاتي، وهو إحدى الخصائص المميزة للبشر، وتتجاهل معه قدرتهم والتزامهم بتغيير ظروفهم، وبالتالي تغيير مسار التاريخ [90]. ومع ذلك، فالفضل يرجع إلى ماركس وأتباعه في جعل تحليلهم للرأسمالية متقدما بخطوات عن الليبراليين. ومثلهم في ذلك مثل الليبراليين، فهم يرون أن طبيعة الوحدات السياسية هي العامل المحدد الرئيسي للسلوك ضمن النظام الدولي. لكن ماركس، وعلى عكس الليبراليين، حاول تفسير طبيعة تلك الوحدات على هيئة نظرية عالمية للتطور التاريخي. وفي حين قد تكون هذه النظرية معيبة، بيد أنها تمثل المحاولة الكاملة الوحيدة لتجسير المستويات المتعددة للتحليل وإظهار كيف أن طبيعة العلاقات الدولية في أي عصر ما هي إلا انعكاس لتطورات اقتصادية وسياسية أوسع.

المنطق والنظريات العقلانية

تمثل العقلانية rationality افتراضا جوهريا لكل النظريات الحالية للحرب. وهي تزود الصلات اللازمة لربط الفرص والقيود المنهجية، والصياغات المتعلقة بالمصلحة الوطنية، وسياسات خارجية محددة. يفترض المنظرون الواقعيون التقليديون (مثل مورغنثاو وهيرتز

وولفرز وهوفمان)، أن القادة عقلانيون على نحو فعال، أو يمكن أن يكونوا كذلك، فبوسعهم التلاعب بالنظام، وصياغة المصلحة الوطنية، وتقدير القوة النسبية لدولهم وللدول الأخرى، وتحديد أيها يدعم أو يعارض الوضع الإقليمي الراهن، والتفاوض على إبرام التحالفات مع الجهات الفاعلة الأخرى التي تتشارك أهدافهم نفسها. ومع ذلك، يعترف الواقعيون الكلاسيكيون بالصعوبة المتأصلة في هذه المهام، وبقدرة المفاهيم الأيديولوجية، والضغوط السياسية الداخلية، والقيود المعرفية على تشويه أحكام وخيارات القادة. استشهد مورغنثاو بجميع هذه العوامل الثلاثة لتفسير عمى القادة البريطانيين والفرنسيين في ثلاثينيات القرن العشرين عن التهديد الذي يمثله هتلر، كما فعل لاحقا لتفسير التدخل الأمريكي في فيتنام، الذي اعتبر أنه يتعارض على نحو حاد مع المصلحة الوطنية [91]. بيد أن مورغنثاو لايزال يرى أن نظريته، والمبدأ الواقعي بصورة أكثر عمومية، مفضلة على النظريات والمقاربات الأخرى لأنها تقدم وصفا أفضل للسلوك الفعلي للدول. بيد أن ادعاءه يمكن دحضه جزئيا بفعل اعترافه بأن السياسات الرئيسية للقرن العشرين كانت تتعارض بشدة مع نظريته. وفي فترة لاحقة، وقع ميرزهايمر في نفس النوع من التناقض.

وعند مستوى أعمق، يمكن إثبات خطأ الواقعية بسبب اعتقادها الكانطي Kantian أن المنطق وحده يمكنه دفع المراقبين الأذكياء إلى الاتفاق في الرأي حول المصالح الوطنية. وفي الممارسة العملية، نجد أن كل مفاهيم المصلحة الوطنية هي مفاهيم سياسية، فهي مبنية على فرضيات غير موضوعية، والتي تعكس أيديولوجيات ومصالح من يطرحونها. كما أن انتصار أحد مفاهيم المصلحة الوطنية على المفاهيم الأخرى يمثل عملية سياسية وليست عقلانية. من الممكن لعدم الاعتراف بهذه الحقائق أن يدفع الواقعيين لطرح ادعاءات عبثية، كما فعل ميرزهايمر ووالت في جهودهما الرامية إلى تفسير أسباب حرب العراق. وباعتبار أنهما يريان أن هذه الحرب تتعارض مع المصالح الأمريكية، فقد احتاجا إلى تفسيرات غير عادية لها، والتي وجداها في القدرة المزعومة للوبي اليهودي على لي السياسة الخارجية الأمريكية لتتناسب مع المصالح الإسرائيلية - وهذا على الرغم من أن القادة الإسرائيليين لم يكونوا متحمسين لهذه الحرب [92]. والنقطة الأكثر أهمية بالنسبة لأغراضنا هي أنه إذا كان المنظرون الواقعيون - مثل مورغنثاو، ميرزهايمر ووالت - يصفون الحروب الكبرى باعتبارها شذوذات غير عقلانية - عند النظر إليها من منظور المصلحة الوطنية - فلن تكون لنظرياتهم قيمة تذكر من حيث تفسير الحرب والتنبؤ بها.

وبـــدلا من مواجهة هذا الضعف الحرج، يقوم بعض الواقعيين بتمديد، ولي، وتشـــويه التاريخ لجعل الأحداث الشـــاذة تبدو متوافقة مع نظرياتهم وتوقعاتهم. وقد سار في هذا الدرب كل من شفيلر Schweller، وكوبلاند وميرزهايمر، فقد طرح شفيلر وكوبلاند أسبابا للنظـــر إلى سياســـة هتلر الخارجيـــة باعتبارها عقلانية، مما يوفر بالتـــالي مزيدا من الأدلة الداعمـــة لنظرياتهـــما [93]. وإذا اســـتبعدنا الطبيعة التي لا يمكن الدفـــاع عنها لقراءتهما لثلاثينيات القرن العشرين، فسنجد أمرا مستهجنا أخلاقيا بخصوص النظريات التي تحاول تبرير عدوان هتلر باعتباره أمرا عقلانيا من الناحية الموضوعية.

* يعتمـــد انتقال الســـلطة بالمثل على القدرات المعرفية للقـــادة، الذين يتوقع منهم معرفة القوى الآخذة في الصعود والانحسار، وأن يقوموا بحساب القوة النسبية لخصومهم المباشرين. ويتضح أن هذه الفرضيات غير واقعية، كما تفضح ذلك بحوث منظري انتقال السلطة أنفسهم. ومنذ أن نشر أورغانسكي وكوغلر أفكارهما، سعى العلماء لاختبار ادعاءاتهما عن طريق وضع تدابير أكثر تطورا للقوة وتوازن القوى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجهود الأحدث لقياس درجة عدم رضا القوى عن النظام القائم تولد بدورها مزيدا من الجدل [94]. تفضي التدابير المختلفة إلى تقديـــرات مختلفة، كما أن التقييمات نفســـها لها عواقب مـختلف بشـــأنها بين الفاعلين. وإذا لم يتمكن العلماء من التوصل إلى اتفاق فيما بينهم حول هذه القضايا الأساسية المتعلقة بالقياس والتفسير، فكيف يمكن أن يتوقع من صناع القرار القيام بذلك؟

بيـــد أن واقعية والتـــز الجديدة تحتال على هذه المشـــكلة بأن تصبـــح نظرية للعلاقات الدوليـــة، وليس للسياســـة الخارجية، وعن طريق الاعتماد على تأثـــيرات اختيار النظام، وليس التكيفات المبنية على المنطق من جانب الجهات الفاعلة. وهو يتنبأ بتوجه نحو التماثل الشكلي isomorphism، مع تحول الوحدات السياســـية بحيث تشبه بعضها البعض كدول تعمل على تعظيم قدراتها القتالية والحربية [95]. أما ألكســـندر فيندت Wendt فيطرح نمطا أضعف من هـــذه الحجة، فيصف الاحتياجات الأمنية على أنها «مصالح موضوعية»، ويصر - على شـــاكلة الواقعيـــين - عـــلى أنه يتعـــين على الدول أن تجعل منهـــا أولوية - فهي لا تســـتطيع البقاء أو تغيير العالم عن طريق تجاهلها. ويجادل أنه «على المدى الطويل، ســـيؤدي الفشل المستمر في التوفيق بين المصالح الذاتية والموضوعية إلى زوال الجهة الفاعلة المعنية» [96] وعلى الرغم من أن هذه تمثل خطوة ذكية، لكنها غير مقنعة. ليست هناك عملية للانتقاء الطبيعي في العلاقات الدوليـــة، والتـــي تغربل قطيع الفاعلين الضعفاء، أو المســـنين، أو غير القادرين على المنافســـة بخلاف ذلك. لقد ازداد عدد الدول في العالم من 57 في عام 1900 إلى 193 بحلول نهاية القرن

العشرين. وازداد العدد في أوروبا من 32 دولة في عام 1945 إلى 47 اليوم. وقد لاحظ المراقبون الأذكياء أن النظام الدولي منظّم بهذه الطريقة للحفاظ على الدول الفاشلة على قيد الحياة، مع أن العواقب ليست دائمًا مفيدة لمواطنيها [97]. وليس هناك أي دليل على أن الدول التي تفقد استقلالها - بصفة دائمة أو مؤقتة - تتسم بأنها أقل كفاءة أو قدرة على المنافسة من غيرها. بيد أن بعض الدول التي تعمل بصورة جيدة، مثل إستونيا ولاتفيا وليتوانيا، تعاني من سوء حظ مزدوج لكونها صغيرة الحجم وتقع بين قوى عظمى متناحرة. هناك نمط شائع آخر، هو الاندماج amalgamation، الذي يجمع في كثير من الأحيان بين دول تعمل بصورة جيدة وناجحة من الناحية التنافسية، كما حدث عند توحّد ألمانيا وإيطاليا، وربما يفعل ذلك اليوم في الاتحاد الأوروبي. ومنذ عام 1945، تحسنّت نسبة بقاء الدول الصغيرة إلى حد كبير؛ كما ازدهر بعضها، مثل سنغافورة، وجزر كوك Cook Islands، وليختنشتاين Liechtenstein، وموناكو ومالطا[98]. يذكّرنا تيموثي ماكيون McKeown بأنه لكي ينجح الانتقاء الطبيعي يجب أن يكون البقاء صعبا[99]. وتشير الأدلة التجريبية إلى أن بقاء الدول أصبح سهلا على نحو متزايد.

يتسم الانتقاء الدارويني في السياسة بكونه غير مقنع، وذلك لسبب أكثر عمقا: فإذا تمكّنت زرافة ذات رقبة طويلة من الوصول إلى كمية أكبر من أوراق الشجر، فمن المرجح أن تبقى على قيد الحياة، وأن تتكاثر. وبمرور الوقت، سيزداد متوسط طول رقاب جمهرة الزراف. بيد أن الحنكة السياسية ليست مهارة موروثة، فالقادة المحنكون لا ينتجون ذرية أكثر من نظرائهم الفاشلين، كما أنه لا يخلفهم في مناصبهم خلفاء مؤهلون بالمثل[100]. تمكن فريدريك الأكبر Frederick the Great من تحويل بروسيا من دولة ذات مسيرة راكدة إلى قوة عظمى، في حين قام خلفاؤه بتهور بتحدّي فرنسا النابليونية، وبحلول عام 1806 فقدوا معظم الأراضي التي اكتسبها. قام كل من هاردنبيرغ Hardenberg، وغنيسناو Gneisenau، وشارنهورست Scharnhorst بإعادة تنظيم الدولة والجيش البروسيين، ومن ثم استعادة مكانة بلادهم كقوة عظمى. وبنى بسمارك Bismarck على هذه القاعدة، فقام بتوحيد ألمانيا وجعل منها القوة المهيمنة في أوروبا. وقد راهن فيلهلم الثاني ومستشاروه على نحو متهور، ومن دون مبرّر، على الانتصار في حرب أوروبية، مما أدى إلى هزيمة ألمانيا، وتقطيع أوصالها جزئيا، ودفعها إلى تعويضات باهظة، وفرض قيود خانقة على إعادة تسليح وحجم قواتها المسلحة. حقّق غوستاف شتريسمان Stresemann تقدما تدريجيا لكنه ملحوظ في إعادة دمج ألمانيا بالمجتمع السياسي الأوروبي، بينما قاد هتلر ألمانيا إلى حرب أكثر تدميرا، والتي تركت البلد أصغر حجما ومقسّما إلى دولتين تابعتين شبه مستقلتين، ومتعارضتين أيديولوجيا. وعلى مدى

نصــف القرن التالي انتهج قادة جمهورية ألمانيا الاتحادية سياســات حذرة مكّنت بلادهم من تحقيق اســتقلاليتها، وكســب الاحترام والثقة، وإعادة التوحّد في نهاية المطاف. ويعد تأرجح ألمانيا مثالا أقرب نموذجية للعلاقات الدولية من ذلك النوع من النمو الخطي المتعلق بالتطوّر.

مــن أجل تحقيق أثرها، تعتمد الماركســية على مزيج من المنطــق وعواقبه غير المقصودة، وهي تفترض أن تكون الجهات الاقتصادية الفاعلة منطقية للغاية، خصوصا الرأســماليين الذين يدركون أفضلية الإنتاج الواســع النطاق والأجور المتدنية، وبجعل مشــاريعهم أكبر حجما وأكثر فعاليــة، فهم يقومون بخلــق ضرورة وفرصة للطبقة العاملة كي تتوحد وتقوم بثورة اشــتراكية. يتســم الرأسماليون ببُعد النظر وقصره في الوقت نفســه - كما يتلاءم مع احتياجات النظريات الماركسية. فهم على استعداد لتثقيف وتدريب العمال، حتى أن يدفعوا بشكل غير مباشر مقابل تدريبهم عســكريا، وكل ذلــك بهدف جعلهم أكثر إنتاجية في مصانعهم وأكثر فعالية في ســاحة المعركــة. واعتقد ماركــس وغرامشي أيضا أن الرأســماليين لديهم نظرة ثاقبة بمــا يكفي لتعزيز الخطابات التي تثبّط الأفكار الهدامة وتشــجّع على القبول بســلطتهم، كما وصف الماركســيون المتأخرون التقادم المخطّط والتســوية مع النقابات باعتبارهما حيلا ذكية من قبل الرأســماليين للحفــاظ على نظامهم. وبالتالي فإن الرأســماليين يتســمون بالذكاء والتأمــل، ويبتكرون آليات مختلفــة للحفاظ على هيمنتهم؛ لكنهم بطريقة ما ســجناء للتاريخ بســبب عدم قدرتهم على إدراك العواقب البعيدة المدى لأفعالهم، وبسبب حقيقة أن الثورة العالمية أمر لا مفر منه. تصوّر الماركســيون الرأســماليون على أنهم عميقو التفكير وقادرون على التخطيط البعيد المدى عندما يحتاجون إلى تفســير نجاح النظام، لكنهم عديمو التفكير ومحدودو الآفاق عندما يريدون شرح أسباب حتمية فشلهم، وبالتالي فإن حجج ماركس، والماركسية بوجه عام، مليئة بالتناقضات.

لننتقــل الآن إلى النظريــات العقلانيــة rational theories للحــرب، وسأســتخدم هذا المصطلــح لوصف المقاربتــين النظريتين للمنفعة المتوقعة والحيل، اللتين تشــكلان النظريات الاقتصاديــة وذات الطابع الرســمي formalized للحرب. ومثل غيرهــم من منظري الاختيار العقــلاني، فهم يفترضــون أن الجهــات الفاعلة قادرة على «اختيار أفضل الوســائل لكســب مجموعــة من الغايات المحــدّدة»[101]. بيد أن النظريات العقلانيــة للحرب تفرض متطلبات إضافية؛ فهي تســتلزم امتلاك الجهات الفاعلة لتفضيلات مُتعدِّية transitive، وأن تنخرط في التحديث بطريقة بايس Bayesian updating (الاســتدلال الإحصائي)، وأن تلجأ إلى أشــكال متطورة من الإشارات للتعبير عن تفضيلاتها، والتزاماتها، وعزمها، وأن تتمكن من الحصول على معلومــات حول قــدرات ونوايا الجهات الفاعلة الأخرى. ويُفترض مــن القادة أيضا أن يكونوا

متحررين من أي التزامات أيديولوجية، أو قيود سياسـية، أو ضغوط نفسـية قد تتداخل مع تطبيق المنطق المحض على عملية صنع القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية.

بيـد أن النظريات العقلانية تختلف في فهمهـا للحرب. وبداية من فرضية كون الحرب فعلا عقلانيا، فهي تبحث عن الظروف التي تبرّرها، أو تفسّر أسبابها على الأقل. ومن بين الأمثلة المبكرة على ذلك، نجد نظرية بروس بوينو دي مسكيتا de Mesquita حول الفائدة المتوقعة للحرب[102]، التي يؤكد فيها أن الدول من جميع الأنواع، وليسـت الدول الكبرى فقط، تخوض الحرب عندما تتجـاوز الفوائد المتوقعة التكاليف المتوقعة. فالقادة الذيـن يبدأون الحروب يتوقعون الانتصار فيهـا، ومن ثم يفعلون ذلك في الممارسـة العملية. وهـو يتعامل مع القـادة كفاعلين منفردين يمكنهم الاعتراض على قرار خوض الحرب، لكنهم لا يمتلكون دائما سـلطة كافية لفرض تفضيلاتهم على الآخريـن. وهم عقلانيون، ويتوقع منهم تحقيق أقصى فائدة، لكنهم يمتلكون ميولا مختلفة لتحمل المخاطر، كما إنهم يتشككون في سلوكيات الدول الأخرى. وهو يستنتج أن احتمال النجاح في الحرب يمثل دالة على القدرات العسكرية النسبية للدولة؛ بحيث تنحسر القدرة العسكرية مع تباعد المسافة عن الدولة التي تطبقها، وأن المنافع تمثل دالة على تقارب أهداف السياسة العامة للدول، ما ينعكس في تحالفاتها الرسمية. وبالنظر إلى هذه الفرضيات، يقوم القادة بحساب فوائد الانتصـار مقابـل تكاليف الهزيمة، مع إجـراء موازنة بين النصر والهزيمـة وفقا لأرجحية حدوث كل منهـما. وتتأثر هذه الاحتمالات بدورها بفقدان القدرة العسـكرية بوصفها دالة خطية على المسـافة وعـلى العواقب المحتملة لتدخل طـرف ثالث على أي من الجانبـين. وفي هذه الحالة، تُسـتخدم التحالفات باعتبارها تدابير بديلة لتقارب المصالح بين الدول وفيما بينها. قام بوينو دي مسـكيتا باختبار نظريته باسـتخدام بيانات مسـتقاة من مشروع علائق الحرب Correlates of War (COW)، ومـن ثم ادّعـى أن أداءها كان أفضل من النظريات المتعلقة بقدرات القوة من حيث التنبؤ ببدايات الحروب التي نشبت ما بين عامي 1816 و1980.

وقد حظي نموذج بوينو دي مسـكيتا بدرجة متساوية من الثناء والنقد. تشكّك المنتقدون في واقعيـة فرضياته حـول واضعي السياسـات، والنتائج الثنائية binary للحرب أو السـلام، والتعامـل مع النزاعات على أنها لعبة محصلتها صفر، واسـتخدام التحالفات باعتبارها تدابير متعلقـة بالمصالح، وعـدم إدراك أو تناول الغموض الذي يكتنف الجهـود الرامية إلى تحديد الجهات البادئة للحروب، وعدم النظر إلى الهجوم الاستباقي باعتباره استجابة محتملة من قبل دولة توشـك أن تتعرض للهجوم، وعدم مراعاة التكاليف المتوقعة للحرب، وعدم السماح بأي مساومة أو تفاوض إستراتيجي بين المهاجم المحتمل وهدفه، وحلفاء كل منهما[103].

الجدول (1 - 2): الحروب التي نشبت بعد عام 1945

اسم الحرب	التواريخ	هل تحقق انتصار حربي؟	هل تحققت أهداف الحرب؟
حرب كشمير الأولى الجانب «أ»: الهند باكستان :الجانب «ب»	1949-1947	لا	لا
حرب استقلال إسرائيل العراق (أ2)، الأردن الجانب «أ»: تحالف: مصر (أ1)، (أ3)، سورية (أ4) إسرائيل:الجانب «ب»	1949-1948	لا	لا
الحرب الصينية - التبتية الأولى الجانب «أ»: الصين التبت الجانب «ب»:	1950	نعم	نعم
الحرب الكورية كوريا الشمالية (أ2) الجانب «أ»: تحالف: الصين (أ1)، الجانب «ب»: الولايات المتحدة	1953-1949	لا	لا
الحرب الروسية - المجرية الجانب «أ»: المجر روسيا (الاتحاد السوفييتي) الجانب «ب»:	1956	نعم	نعم
حرب سيناء / السويس الجانب «أ»: مصر الجانب «ب»: تحالف: إسرائيل (ب1)، فرنسا (ب2)، المملكة المتحدة (ب3)	1956	نعم	نعم
حرب فيتنام الجانب «أ»: فيتنام الشمالية الولايات المتحدة الجانب «ب»:	1975-1959	لا	لا
الحرب الهندية - الصينية الجانب «أ»: الصين الجانب «ب»: الهند	1962	نعم	نعم
حرب كشمير الثانية الجانب «أ»: الهند الجانب «ب»: باكستان	1965	لا	لا
حرب الأيام الستة العراق (أ2)، سوريا الجانب «أ»: تحالف: مصر (أ1)، (أ3) إسرائيل:الجانب «ب»	1967	لا	لا

الحرب الأمريكية - الكمبودية	1971	لا	لا
الحرب الإسرائيلية - المصرية (حرب الاستنزاف) الجانب «أ»: مصر إسرائيل:الجانب «ب»	1970 - 1969	لا	لا
(حرب كرة القدم (السلفادور - هندوراس الجانب «أ»: السلفادور الجانب «ب»: هندوراس	1969	نعم	نعم
الحرب الهندية - الباكستانية (بنغلاديش) الجانب «أ»: الهند الجانب «ب»: باكستان	1971	نعم	نعم
حرب أكتوبر (يوم كيبور) سورية (2أ) الجانب «أ»: تحالف: مصر (1أ)، إسرائيل:الجانب «ب»	1973	لا	لا
الحرب القبرصية الجانب «أ»: اليونان الجانب «ب»: تركيا	1974	نعم	نعم
الحرب الفيتنامية الكمبودية الجانب «أ»: كمبوديا الجانب «ب»: فيتنام	1979 - 1977	نعم	لا
الحرب الإثيوبية - الصومالية (أوغادين) الجانب «أ»: تحالف: كوبا (1أ)، إثيوبيا (2أ) الجانب «ب»: الصومال	1978 - 1977	لا	لا
الحرب الأوغندية - التنزانية الجانب «أ»: تنزانيا الجانب «ب»: أوغندا	1979 - 1978	لا	لا
الحرب الصينية - الفيتنامية الأولى الجانب «أ»: الصين الجانب «ب»:فيتنام	1979	لا	لا
الحرب الإيرانية - العراقية الجانب «أ»: إيران الجانب «ب»: العراق	1988 - 1980	لا	لا
حرب الفوكلاند / مالفيناس (المملكة المتحدة والأرجنتين) الجانب «أ»: الأرجنتين الجانب «ب»: المملكة المتحدة	1982	لا	لا

الحرب الإسرائيلية - السورية (لبنان) الجانب «أ»: إسرائيل الجانب «ب»: سورية	1982	لا	لا
الحرب الصينية - الفيتنامية الثانية الجانب «أ»: الصين الجانب «ب»: فيتنام	1987	لا	لا
الحرب العراقية - الكويتية الجانب «أ»: العراق الجانب «ب»: الكويت / الولايات المتحدة	1990 - 1991	لا	لا
حرب جمهورية الكونغو الديمقراطية - رواندا/ أوغندا الجانب «أ»: جمهورية الكونغو الديمقراطية الجانب «ب»: تحالف: رواندا (ب1)، أوغندا (ب2)	1998 - 2003	نعم	لا
الحرب الإثيوبية - الإريترية الجانب «أ»: إريتريا الجانب «ب»: إثيوبيا	1998 - 2000	لا	لا
حرب أفغانستان (حركة طالبان) والولايات المتحدة (تحالف الشمال) الجانب «أ»: أفغانستان الجانب «ب»: الولايات المتحدة	2001	نعم	لا
الغزو الأنجلو - أمريكي للعراق الجانب «أ»: العراق الجانب «ب»: الولايات المتحدة	2003	نعم	لا
التوغل الروسي في جورجيا	2008	نعم	نعم

ملاحظة: أعد الجدول بنيامين فالنتينو والمؤلف.

وقد حاول بوينو دي مسكيتا ومعاونوه تصحيح بعض هذه المشكلات في مؤلفاتهم اللاحقة [104]، بيد أنهم استمروا في تجاهل دور السياسة الداخلية والبيروقراطية، والأيديولوجية، والعمليات التعليمية والسيكولوجية، وجميعها من الملامح السياقية التي تشير دراسات الحالات إلى أنها تمثل عوامل حاسمة في القرارات المتعلقة بالحرب والسلام. ومن المثير للدهشة أن أحدا لم ينتقد بوينو دي مسكيتا بسبب فرضيته التجريبية الأساسية: وجود علاقة إيجابية قوية بين توقّعات القادة ونتائج سياساتهم. ويتسم هذا الافتراض بأهميته البالغة بالنسبة إلى النماذج العقلانية، لأننا إذا وجدنا أن القادة يخسرون

بصورة روتينية الحروب التي يبدأونها، فلا بد أنهم يتخذون قراراتهم حول الحرب على أسس مختلفة تماما عن تلك التي افترضها بوينو دي مسكيتا وزملاؤه.

قمت أنا وبنيامين فالنتينو باختبار هذه الفرضية على الـ 31 حربا بين الدول التي دارت رحاها منذ عام 1945، والتي قُتل في كل منها ما لا يقل عن ألف نسمة. وجدنا أن ثماني فقط من الجهات البادئة للحرب (26 في المائة) قد حققت أهدافها المتعلقة بزمن الحرب. وإذا قمنا بتخفيف صرامة معيارنا للنجاح وجعلناه مجرد هزيمة القوات المسلحة للطرف الآخر، فسيرتفع عدد مُشعلي الحروب الناجحين إلى 10 فقط (32 في المائة)[105]. وإلى حد اعتبار الحرب فخًا، فهذا يمثل عكس ما افترضه بوينو دي مسكيتا. وفي عالم ما بعد الحرب - وكذلك قبلها كما ستُظهر مجموعة بياناتي - ظل القادة، وبصورة روتينية، يخسرون الحروب التي يبدأونها. ولا يمكن عزو هذه النتيجة إلى نقص المعلومات لأنه في كثير من هذه الصراعات، إن لم يكن في معظمها، كانت المعلومات المتاحة للجهات البادئة للحرب تشير مسبقا إلى أن الحرب لن تحقّق أهدافها المرجوة. ومن الأمثلة على ذلك اجتياز الولايات المتحدة لخط العرض 38 في عام 1950، وتحدي الهند للصين في عام 1962 وغزو الصين لفيتنام في عام 1979[106]. وفي حالات أخرى، حيث كانت المعلومات غامضة في تضميناتها، لم تبذل الجهات البادئة كثيرا من الجهد لسبر تصميم أو قدرات خصومها، ومن ثم تركت أنفسها دون أي طريق واقعي للتراجع. ومن الأمثلة على ذلك غزو الأرجنتين لجزر فوكلاند/ مالفيناس في عام 1982 وغزو العراق للكويت في عام 1990[107].

يطرح جيفري بلايني Blainey اعتراضا مختلفا على الحجج من أمثال ما ساقه بوينو دي مسكيتا؛ فالحروب يخوضها طرفان، وبالتالي فإن القادة لديهم عموما توقعات متفائلة حول نتائجها[108]. وفي هذه الحالة، كما أشار إليه عالم الاجتماع جورج سيميل Simmel منذ عام 1904، فمن الضروري أن يدخل في الصورة عنصر من سوء التقدير. توفر الحرب الوسيلة الأكثر إقناعا بتحديد الدول التي تمتلك قدرات فائقة وأشد حلفائها إخلاصا، لكنها وسيلة مكلفة للغاية للإجابة عن هذا السؤال[109]. ومن الممكن أن تكون تكلفتها باهظة بما فيه الكفاية لإضعاف كلا الجانبين، وجعلهما أضعف نسبيا في أعقاب الحرب من أي طرف ثالث لم ينخرط في القتال. وبالنظر إلى هذه التكاليف المطلقة والنسبية، فمن المفترض أن يجد الفاعلون العقلانيون وسيلة أخرى لتسوية المنازعات. وقد توصّل جيمس فيرون Fearon إلى النتيجة نفسها. ورغم أن الدول لديها مستويات مختلفة من القوة وتفضيلات متعارضة، فهذه

الاختلافات لا توفر أساسا عقلانيا للحرب. ومن هذا المنظور، تفشل النظريات العقلانية في أن تتناول، أو أن تتناول على نحو فعال، الأحجية المركزية: «بما أن الحرب مكلفة ومحفوفة بالمخاطر، فلا بد من أن تمتلك كل الدول العقلانية حوافز تفضلها على مقامرة الحرب». يجب على أي نظرية عقلانية جيدة أن تثبت سبب عدم تمكّن الدول من العثور على هذه النتيجة المحبّذة. يستكشف فيرون ثلاثة أنماط من المنطق السببي، والتي قد تفسر هذا السلوك. قد يعجز القادة العقلانيون عن إيجاد اتفاق مقبول من كلا الطرفين، لأن كل طرف لديه حوافز تمثل قدراته وتصميمه على نحو خاطئ. وقد يتوصلون إلى مثل هذا الاتفاق، لكنهم يعجزون عن الالتزام به لأن أحد الجانبين، أو كلاهما، لا يثق في التزام الطرف الآخر بشروطه؛ أو أنهم قد يفشلون في التوصل إلى اتفاق لأن بعض القضايا لا تقبل التجزئة، مثل الفرضيات التي تحتاج إلى الاختيار بين أمرين. وهو يعلل الأمر بقوله إن مزيجا من المنطقين الأولين يمكن أن يفضي إلى طريق مسدود وإلى الحرب في الحالات التي توجد فيها صفقة مقبولة من كلا الطرفين[110].

وفي حين أن منطق فيرون لا غبار عليه، فإن أهميته بالنسبة إلى العالم الحقيقي هي مسألة أخرى. وبالإضافة إلى عقلانيته، فهو يفترض ضمنا أن الصراعات المعنية هي وحدها التي تثير قلق القادة، أو أنه يمكن تناولها بمعزل عن نتائجها المُدركة بالنسبة إلى غيرها من المشكلات الخارجية والداخلية. دائما ما يرى القادة ارتباطات بين نزاعات بينها وبين الصراعات الأوسع: قام جون ف. كينيدي Kennedy بتأطير رده لاكتشاف صواريخ سوفييتية في كوبا من حيث نتائجه المتوقعة للموقف الغربي في برلين؛ كما شعرت مارغريت تاتشر بالقلق بخصوص الآثار المترتبة على سياستها في جزر فوكلاند بالنسبة إلى مستقبل كل من جورجيا الجنوبية، وبليز، وهونغ كونغ[111]. واهتم الزعيمان أيضا بالعواقب المحلية لأي اتفاق: كان كينيدي يخشى أن تؤدي أي تنازلات إلى هزيمته في الانتخابات المقبلة، حتى مساءلته أمام الكونغرس. وقد شعر أعضاء المجلس العسكري الحاكم للأرجنتين بالمخاوف نفسها عندما واجهوا تدفقا غير عادي من التأييد الشعبي لاحتلالهم لجزر الفوكلاند، مما أقنعهم بعدم سحب قواتهم كما كان مقررا في الأصل. وشعرت تاتشر بالخوف من فقدان منصبها إذا لم تطرد الأرجنتينيين من جزر الفوكلاند[112]. بيد أن اعتبارات من هذا النوع لا تجعل الحرب عقلانية بالضرورة، لكنها ضرورية لفهم سبب إبرام الصفقات في بعض الحالات وليس في غيرها. وكذلك الحال بالنسبة إلى العوامل أخرى، مثل التكلفة المتوقعة للحرب، وهو السبب الرئيسي لجعل كينيدي وخروتشوف Khrushchev يبذلان

قصارى جهدهما من أجل التوصل إلى تسوية لأزمة الصواريخ[113]. أما صناع القرار الألمان والنمساويون في الحرب العالمية الأولى، وهي الحالة التي ناقشها فيرون بصورة مستفيضة، فكانوا محكومين باعتبارات تقع برمتها خارج هذا النموذج. ولم يكن الفشل في التوصل إلى اتفاق يتعلق كثيرا بإساءة تقدير القدرات أو النوايا - فتلك الخاصة بالنمسا والمجر كانت واضحة تماما لجميع الجهات الفاعلة الأخرى - كما لا يمكن عزوها إلى مشكلات تتعلق بالالتزام. بالنسبة إلى القادة النمساويين، كانت الحرب هي النتيجة الوحيدة التي يمكن إدراكها على أنها عمل مشرّف، وبالتالي فعلوا كل ما بوسعهم لجعل أي تسوية مستحيلة[114]. ومثل كل الصياغات التبسيطية في العلاقات الدولية، فلا تزودنا نظرية فيرون إلا بتبصرات قليلة حول ظاهرة في مثل تعقيد الحرب، كما أنها ليست مفيدة حتى كمعيار يمكن أن نقيّم على أساسه سلوكيات العالم الحقيقي، لأنها توجّه انتباهنا إلى اعتبارات مستقلة عن السياق الذي تستمد مغزاها منه.

ونجد أن مؤيد نظرية الألعاب game theorist، روبرت باول Powell، يعزو الحرب أيضا إلى مشكلات تتعلق بالمعلومات. «توجد مشكلة معلوماتية محضة عندما تتقاتل الدول فقط بسبب امتلاكها لمعلومات غير متناظرة. ولو كانت هناك معلومات كاملة، فلن يكون هناك قتال». وبالنسبة إلى باول، تؤدي التغيرات السريعة والمعتبرة في قدرات القوة إلى مباريات ثنائية المرحلة، والتي لا يكون فيها التعامل السلمي هو الخيار المنطقي دائما لأن هناك حالات تكون فيها الحرب الوقائية منطقية بالنسبة إلى دولة ما. وعند أخذ تكاليف الاستعدادات والجاهزية العسكرية في الاعتبار، يرى باول أن «الدول قد تفضّل القتال إذا كانت التكلفة الطويلة المدى للشراء المستمر للقوات اللازمة للردع الدائم لمهاجمة الوضع الراهن أعلى من التكلفة المتوقعة لمحاولة القضاء على التهديد»[115].

إن أحدث المنضمين إلى هذا المجال هو تشارلز غليسر، الذي وضع نظرية عقلانية للعلاقات الدولية. تتطلب نظريته من الدول امتلاك عقلانية جوهرية وذرائعية في الوقت نفسه. «من المفترض أن تكون الدول قادرة على تحديد الخيارات والمقارنة بينها، وتقييم احتمالات نجاحها، وكذلك تكاليفها وفوائدها». وعليها أيضا «امتلاك اعتقادات وتفاهمات تتوافق تماما مع الأدلة المتوافرة حول وضعها الدولي؛ فمن دون امتلاك هذه المعتقدات، لن تكون الدولة قادرة على اختيار استراتيجية مُثلى». ولتحقيق هذه الغاية، يجب على الدول «أن تستثمر قدرا مناسبا من الجهد في جمع وتقييم المعلومات التي من شأنها إطلاعها

على البيئة المحيطة بها»[116]. بُنيت نظرية غليسر على متغيرات مادية ومعلوماتية: تحدد الأولى قدرات الدولة العسكرية، أما الأخيرة فهي التي تُمثل ما هو معروف عن دوافع العدو وعن معتقداتها بشأن دوافعها هي. إن التفاعل بين هذه المتغيرات ودوافع الدولة هو ما يحدد اختيارها من الاستراتيجيات. وبالسير على خطى أرنولد ولفرز Wolfers، وهو من الواقعيين التقليديين، لا يعترف غليسر إلا بنوعين من الدوافع: الأمن والجشع[117]. فالدول التي تحركها الدوافع الأمنية لا بد من أن تكون أكثر تقبلا للوضع الراهن، وأكثر ميلا نحو السياسات التعاونية. وعلى أي حال، فإذا كان الاستيلاء على مزيد من الأراضي سيجعل دولة ما أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها ويقلل من رغبة الأعداء في مهاجمتها، فهذه الدولة ستكون أكثر ميلا إلى الحرب[118].

بيد أن النظريات العقلانية من هذا النوع تكون مفتوحة لانتقادات مدمرة. فأولا وقبل كل شيء، هذه الفرضيات التي بنيت عليها تتسم بكونها غير واقعية. لا يظهر القادة السياسيون في كثير من الأحيان ذلك النوع من العقلانية الذرائعية التي تتطلبها هذه النظريات، وخصوصا عندما نضع في اعتبارنا تلك القضايا المشحونة عاطفيا مثل السلم والحرب. ولا يمكن أن تكون الدول محاصرة داخل «صناديق سوداء»، مما يجعل قياداتها - على نحو اعتباطي - وحدوية وغير مقيدة بالسياسات والأهداف الداخلية. تبين دراسات الحالات أن التفضيلات لا تكون متعدية بالضرورة، وكثيرا ما تتغير في سياق التفاوض، بحيث يجد القادة صعوبة في تقدير المخاطر، وفي تفريق الإشارات عن الضجيج noise، وفي فهم معنى ما يتعرفون عليه باعتباره إشارات، وعدم تحديث التوقعات وفقا للنماذج النظرية الافتراضية (نماذج بايس Bayesian models)[119]. إن مفهوم التحركات concept of moves، وهو مفهوم محوري بالنسبة إلى معظم هذه النظريات، يصعب تطبيقه على التفاوض بشأن الأزمات في العالم الحقيقي، بالنظر إلى ميل الزعماء لتفسير الإشارات باعتبارها ضجيجا، والعكس صحيح[120].

يرد المنظرون العقلانيون على هذه الانتقادات بطريقتين، فهم إما أن ينكروها على اعتبار أنها خارج السياق، لأنها لا تتظاهر بوصف سلوكيات العالم الحقيقي، أما تشارلز غليسر فيعلن أنه من اللاأدريين agnostic حول ما إن كانت الدول تتصرف بعقلانية، ويعترف بأنها إذا تصرفت بصورة غير عقلانية، فإن نظريته «لن تُبلي بلاء حسنا في تفسير تصرفاتها الماضية». من الصعب سبر غور لا مبالاة غليسر، إذ إن نظرية لا تُشبه الواقع إلا

قليلا لا تستحق مثل هذا الجهد. كما أن علماء الفيزياء لن يمنحوا مثل هذه النظرية مكانة علميــة أبدا، كما أن بعضهم يســوي بينهــا وبين نظرية الأوتار (نظريــة الخيطية: string theory)، التــي صارت غامضة على نحو متزايد وغير قابل للتمحيص بواســطة الوســائل المتاحــة في الوقت الحاضر[121]. والأكــثر حتى من نظرية الأوتــار أن النظريات العقلانية للحرب أصبحت تستشهد ببعضها البعض، وتدافع عن أنفسها على أساس منطقها الداخلي.

هنــاك رد شــائع آخــر، وهو الاســتعانة بحجة عــالم الاقتصاد ميلتــون ج. فريدمان Friedman، الــذي أكّــد على نحو شــهير على الحاجة لعدم وجود توافــق بين الفرضيات النظريــة والواقع. وعلى خُطى فريدمان، يُصر بوينو دي مســكيتا على أنه لا ينبغي تقييم نظريته إلا على أســاس قدرتها على تفســير النتائج والتنبؤ بها. وليس من المســتغرب أن الفرضيــات غير الواقعية من النوع الذي يبني نموذجــه عليه تجعلها غير قادرة على توقع النتائج في العالم الحقيقي[122].

بيد أن النماذج العقلانية قد تكون مفيدة إذا تمكنت من تحديد وتحليل الديناميات التي تشكّل السلوك الفعلي؛ كما كان الهدف المبتغى لكل من مورغنسترن Morgenstern وفــون نيومــان Von Neumann، وهما من وضعا نظرية الألعــاب. قد تزودنا مثل هذه النماذج بقالب لقياس وفهم الســلوك الفعلي، وهو هــدف لا يندر الإفصاح عنه، بيد أنها فشــلت في تحقيــق أي من الغايتين، إذ تعتمــد التوازنات التي تخلقهــا بصورة كلية على الفرضيــات المتضمنــة في تلك النماذج. تُــؤدي الفرضيات وأنواع المنطق logics الســببية المختلفة إلى توازنات مختلفة. ومن دون محاولة تقييم هذه النماذج والفرضيات التي بنيت عليها مقابل الســلوك الحقيقي، لا يمكننا أن نعرف أيهــا - إن وجدت - تُدرك الديناميات الفعلية للأزمات، كما إن هذا الخلل نفسه يجعلها عديمة الفائدة كقوالب templates.

وقد تمتلك النماذج العقلانية أيضا فهما ســاذجا للعقلانية: فهي تفترض أنها مستقلة عن الســياق وعن الثقافة. وسرعان ما أشــار المنتقــدون الأوائل لنظريــة الألعاب إلى أن التعليل الذرائعي يتطلب من الجهات الفاعلة إجراء مفاضلات بين أهدافها والمخاطر التي يبــدو أنها تنطوي عليهــا[123]. وتتحدّد هذه المفاضلات عن طريــق قيم الجهات الفاعلة، وليس بفعل منطق أي لعبة. من الاعتباطي أن نعتمد على أي خوارزمية مثل «مينيماكس» minimax، وهــو الاختيار الطبيعي لكثير من أفراد الجيل الأول من أتباع نظرية الألعاب، لتناول هذه المفاضلات. لم يتم حل هذه المشكلة من قبل المنظّرين اللاحقين، ولا يمكن لهم

ذلـك بفعل طبيعتها ذاتها. علينا أن ننظر بعيدا عن اللعبة وخارج إطار أفضليات الجهات الفاعلـة، أي إلى دوافعها وقيمها. تُظهر نظرية الاحتمالات prospect theory أن الجهات الفاعلـة، التي تعمـل على صياغة أهدافها بحيث تتجنب الخسـارة بدلا من أن تسـعى لتحقيق المكاسـب، تكون أكثر عرضة للخطر[124]. ويبـدو أن هذا ينطبق أيضا على صنّاع القرار في السياسـة الخارجية[125]. وقد عرضت في منشور آخر تنقيحا لنظرية الاحتمالات، الذي بنيته على افتراض أن قبول المخاطر يتباين بوصفه دليلا على دوافع الجهات الفاعلة. وعندمـا تتحرك بدافع من الـروح أو الخوف، فإن الجهات الفاعلة تسـتجيب للمخاطرة بشـكل مختلف عما تفعل عندما تتحرك بدافع من المصلحة. ويتضح هذا النمط أيضا في الخيارات المتعلقة بالسياسة الخارجية[126].

تتطلب النظريات العقلانية فرضيات موضوعية حول دوافع الجهات الفاعلة ونزعاتها المتعلقة بقبول المخاطر، ويميل واضعو هذه النظريات إلى إقحامها في نماذجهم. وفي أغلب الأحيـان، نجدهم يعتمدون على ضروب متغايرة من النظريات الواقعية؛ أما غليسر، وهو أمر يُحسـب له، فهو واضح في اختياراته، على الرغم من أنه لا يقدم أي دفاع عن سـبب اختيـاره لمجموعـة ما من الفرضيات وليـس الأخرى. وفي الواقـع أن النظريات العقلانية تسـتند إلى فرضيات اعتباطية وقواعـد اعتباطية لاتخاذ القـرارات بهدف وضع نظريات اعتباطية تتجاهل الواقع السياسي، وتُظهر توافقا سيئا معها.

الدراسات العلائقية للحرب

تمثل الدراسـات العلائقية correlational studies للحـرب، في المقام الأول، ظاهرة نشـأت بعـد الحرب، والتي تلقت دفعة قوية من مـشروع علائق الحرب (COW) الذي انطلق عام 1963 في جامعة ميشـيغان[127]. يتسـم النهج الأصـلي لمشروع علائق الحرب بكونه اسـتقرائيا inductive: سـعى واضعوه إلى بناء مجموعة من البيانات التي تسمح بالبحـث عـن انتظامـات regularities. وفي العقود الأخيرة، اسـتخدم الباحثون مشروع علائـق الحرب وغيره من مجموعـات البيانات، بما في ذلك تلك التـي جمعها جاك ليفي ومعهد أبحاث السلام في أوسلو، لاختبار سلسلة من الفرضيات حول أسباب ونتائج الحرب. لم تـؤد الدراسـات الإحصائية إلى وضع أي نظريـات حول الحرب، رغم أنها اسـتُخدمت لاختبار مجموعة واسـعة من الفرضيـات والنظريات الأخرى. وقد أفـرزت بعض النتائج

التجريبية المثيرة للاهتمام. وفي معرض تلخيصه لتلك الأدبيات، يشير دانيال غيلر Geller إلى أن: «القرب/ التواصل الجغرافي، والتكافؤ الثابت في القدرات والتحولات نحو التكافؤ parity، وعلاقات التحالف الخارجي غير المتوازنة، ووجود منافسة مستمرة، تمثل عوامل ترتبط على نحو مُهم وإيجابي بوقوع كل من النزاعات العسكرية والحروب»(128).

قبل أن تطرح أي ادعاءات حول المصداقية الخارجية، يجب أن تلبي الدراسات الإحصائية شرطين أساسيين: يجب أن تكون الحالات الفردية قابلة للمقارنة، ومستقلة عن بعضها البعض، بيد أن مجموعات البيانات الحالية حول الحرب تعاني من قصور في كلتا الحالتين. حتى بعد عام 1648، وقعت الحروب ضمن سياقات ثقافية وسياسية وتكنولوجية شديدة التباين، مما يجعل إجراء المقارنات بينها أمرا غير ذي مغزى في غياب جهود جادة لأخذ هذه الاختلافات بعين الاعتبار. إن حروب القوى العظمى في القرن الثامن عشر، التي شنّتها السلالات الحاكمة باستخدام مزيج من جيوش المرتزقة والمجندين النظاميين تختلف إلى حد كبير عن الحروب التي نشبت بين الدول الصناعية مطلع القرن العشرين، والتي كان كثير من قادتها يدينون بالولاء، سواء بصورة رسمية أو غير رسمية، للرأي العام. ويختلف كلا السياقين عن الحرب الباردة، مع احتمال تحوّلها إلى حرب نووية ومن ثم تدمير الدول والشعوب المعنية. يبدو بعض هذه الاختلافات أكثر وضوحا عند استعادة أحداث الماضي مما كان عليه بالنسبة إلى صنّاع السياسات في ذلك الوقت. وبالتالي فإن فهمنا للسياق، على الرغم من أهميته، يجب أن يتم تناوله من خلال فهم الجهات الفاعلة ذات الصلة. وهنا نجد أن مجموعات البيانات الحالية نادرا ما تشرح السياق، كما أنها لم تقم مطلقا - على حد علمي - بترميز المتغيرات ذات الصلة من وجهة نظر الأطراف الفاعلة(129).

نادرا ما تكون الحروب مستقلة، لأنها تقع غالبا على هيئة مجموعات. يمكن لحرب ما أن تؤدي إلى نشوب أخرى، ويمكن أن ينتج عن مجموعة منها عدد من الدروس التي يتم تطبيقها على التحديات المستقبلية، سواء كانت وثيقة الصلة بها أم لا. إن غزو اليابان للصين عام 1931، ومهاجمة إيطاليا للحبشة عام 1935، والتدخل الإيطالي، والألماني، والسوفييتي في الحرب الأهلية الإسبانية، والصراع السوفييتي - الياباني في منغوليا عام 1939، والحرب الروسية - الفنلندية التي نشبت في العام نفسه، تمثل جميعها جزءا من الفترة المؤدية إلى الحرب العالمية الثانية وجزءا لا يتجزأ منها. وهذه الحرب بدورها هي في الحقيقة دالة عامة على حروب أوثق صلة: الغزو الألماني والسوفييتي لبولندا، وحرب

ألمانيا في الغرب، والهجوم الإيطالي على فرنسا، وإخضاع ألمانيا ليوغوسلافيا وألبانيا واليونان، والغـزو الألماني للاتحاد السـوفييتي، والحرب البحرية غـير المعلنة في المحيط الأطلسي بين الولايات المتحدة وألمانيـا، والهجوم الياباني على القوى الغربية في المحيط الهادي، ودخول أمريكا رسميا في الحرب. ويمكن تناول كثير من مكونات الحرب العالمية الثانية هذه - من الناحية التحليلية - كحروب مستقلة، بالطريقة نفسها التي عادة ما توصف بها التحالفات المختلفة في الحروب الفرنسـية والنابليونية عـلى أنها حروب منفصلة، وإن كانت متعلقة بعضها ببعض.

وعلى العكس من ذلك، فإن الحربين العالميتين الثانية والأولى، أو على الأقل مكوناتهما الأوروبيـة، يمكـن دمجهما معـا كجزء من حرب قارية اسـتمرت على مـدى ثلاثين عاما. والسـابقة التي سنشير إليها هنا هي الحرب البيلوبونيسية (415 - 404 قبل الميلاد)، التي تعامـل معها ثوكوديدس على أنها صراع واحد، لكن معاصريه اعتبروها حربا تالية للحرب الأرخيداميـة Archidamian War (431 - 421 قبـل الميلاد). وكثيرا ما تُسـتخدم حرب الثلاثين عاما، والحروب الثورية الفرنسية لوصف سلسلة من الحروب ذات الصلة ببعضها البعض، ما يمثل استمرارا لهذا التقليد.

وعـلى الرغـم من أن أيا من هـذه الأوصاف يمكن قبوله، فإنها تمثل كلها مشـكلات لمجموعات البيانات. وإذا قسـمت الحروب العامة إلى مكوناتها الفردية فسـيتم التعامل معهـا كحالات مسـتقلة، بينما هي ليسـت كذلـك في الواقع. وإذا تـم ترميزها على أنها جـزء مـن حرب واحدة، فـإن ذلك يُخفي تعقيد وتعـدّد مكوناتها العديـدة. بيد أن كلا الخياريـن يحظى بميزة امتلاك أسـباب وجيهة ذات أنواع مختلفة؛ فالأول يشـجعنا على البحث عن تفسيرات عامة لمجموعات الحروب، والثاني على إيجاد تفسيرات أكثر خصوصية idiosyncratic لمكوناتها الفردية.

كثـيرا ما ترتبط الحـروب بالمعنى الثـاني: إذ يتعين على صناع القرار ومستشـاريهم مواجهة التحديات المعاصرة، من حيث الدروس التي تعلموها من الحالات السـابقة التي يعتبرونها مشـابهة[130]. مثّلت المهادنة appeasement، جزئيا ردا على الاعتقاد بأن الردع وسباقات التسلح ساعدا في إشعال الحرب العالمية الأولى، كما أن محورية القدرة على الردع وتكديس الأسلحة خلال الحرب الباردة كانت ردا على الاعتقاد بأن المهادنة كانت مسؤولة عن الحرب العالمية الثانية[131]. ولا يمكن فهم التدخل الأمريكي في الحرب الكورية في غياب

الدروس المزعومة للفشـــل في ممارسة القدرة على الردع في ثلاثينيات القرن العشرين[132]. وقـــد تعاملت الإدارات الأمريكية المتعاقبة مع مواجهات ما بعد الحرب الباردة، من حيث الـــدروس التـــي تعلمتها من الحرب الباردة، ســـواء كانت ملائمـــة أم لا. وكذلك فإن الهند وباكســـتان تفكران بدورهما في الأســـلحة النووية وتضميناتها المتعلقة بالصراع بينهما من حيث الدروس التي تعلمتاها من الحرب الباردة[133].

هناك مشـــكلة أخرى يجب تدبّرها؛ وهي فشل أي من مجموعات البيانات الحالية في أن تأخذ في اعتبارها الأهمية المســـتقلة للأســـباب المباشرة للحرب. تفترض الدراســـات الإحصائيـــة للحرب أن الأســـباب الكامنة وراءها حاســـمة، وأنها إن وجدت، فســـيحدث شيء ما لإشـــعال حرب. عـــادة ما تتطلب الحرب عاملا حفازا، الـــذي وفره في عام 1914 اغتيال الأرشـــيدوق فرانز فرديناند Ferdinand وزوجته صوفي في سراييفو. وقد جادلت في منشـــور آخر بأنه ليس هناك أي حافز سيفعل ذلك، بل فقط ذلك الذي يلبي سلسلة من الشروط، من بينها خلق حالة شـــعر النمســـاويون حيالها بالتـــزام شرفي بالرد: إزاحة فرانز فرديناند، وهو النصير الرئيسي في النمســـا للســـلام مع روســـيا؛ مما ســـمح للقيصر والمستشـــار الألمانيين بدعم النمســـا من دون تحمّل المســـؤولية عن الحرب؛ وما ســـمح للمستشـــار الألماني بيتمان هولفيغ Hollweg بكســـب دعم الاشـــتراكيين للحرب. كانت حادثة سراييفو في حد ذاتها سببا أكثر من كونها محفزا، كما كانت محصلة سلسلة أخرى مســـتقلة من المسببات[134]. وقد طرح ألبرت هيرشمان Hirschman ادّعاء مماثلا حول الثورة الروســـية[135]. ليس هناك ســـبب للاعتقاد بأن حادثة سراييفو أو الثورة الروســـية تمثـــلان حالتين فريدتين. ففي غياب الحافز أو الحشـــد المناســـبين، لم يكن لأحداث مثل الحروب والثورات أن تقع - حتى لو وجدت الظروف الملائمة المســـتبطنة لها. والاستثناء الوحيـــد في حالة الحرب هـــو الحالات التي تكون فيها الدولـــة عازمة على الحرب وعلى اســـتعداد لاختراع ذريعة لها إذا لم تنشـــب الحرب بسهولة[136]. ومن أجل معالجة هذه المشـــكلة، فإن الدراســـات الإحصائية تتطلب مجموعات من البيانـــات الثنائية المرحلة، والتي تضع في اعتبارها كلا من الأسباب الكامنة والآنية[137].

ويمكن لهذه المشـــكلات تفســـير طبيعة ونوعية النتائج التي توصلت إليها الدراسات العلائقية. وكما لاحظنا في بداية هذا القسم، تتمثل النتائج الرئيسية في أن القرب الجغرافي، والتكافـــؤ الثابت في القدرات والتحولات باتجـــاه التكافؤ، وعلاقات التحالف الخارجي غير

المتوازنة، ووجود منافسة مستمرة ترتبط جميعها بصورة إيجابية مع الحرب. بيد أن أيا من هذه النتائج ليس معاكسا للتوقعات البديهية counter - intuitive، ولا يمكن أن يقال إن أيها يمكنه اجتياز «اختبار الجدّة» grandmother test[*]، وهو الشيء الذي لا يمكن لأي شخص عادي ألا يطرحه على نحو معقول بعد بضع دقائق من التأمل، كما أن هذه الفرضيات لا تفسّر قدرا كبيرا مَن التباين، وهو أمر ليس بالمستغرب بالنظر إلى أوجه قصور مجموعات البيانات وتعقيد الحرب وأسبابها.

بعد ما يقرب من ستة عقود من قراءة التاريخ، وخمسة عقود من كتابة دراسات حالات مفصلة حول الأزمات، أقنعتني أسباب الحروب وحلول الصراعات الدولية بأن التطورات الدولية الكبرى، في جميع الحالات تقريبا، كانت لها أسباب متعددة ومعزِّزة[138]. وفي كتاب أصدرته حديثا تحت عنوان «الفاكهة المحرمة: الحقائق البديلة والعلاقات الدولية»، أجادل بأن مثل هذه الأحداث غالبا ما تكون نتيجة لالتقاء غير خطي بين السلاسل السببية causal chains وأسباب مستقلة. وقد نتجت الحرب العالمية الأولى عن التقاء ثلاث سلاسل من هذا النوع، التي جعلت القادة في كل من فيينا، وبرلين، وسانت بطرسبرغ أكثر استعدادا بشكل ملحوظ لقبول خطر اندلاع الحرب عام 1914، وذلك مقارنة بما كانوا عليه قبل ذلك التاريخ بسنة أو اثنتين. لم تكن الحرب العالمية الأولى بأي شكل من الأشكال فريدة من نوعها من حيث تعقيد أسبابها[139]. كما أن تلك الأنواع من مجموعات البيانات والاختبارات الإحصائية التي تستخدم روتينيا من قبل العلماء الدوليين ذوي التوجّهات الكمّية لاختبار نظريات الحرب لا يمكنها تفسير هذا التعقيد.

إن تعقيد مسببات كثير من الحروب يمثل تحدّيا خطيرا لعملية وضع النظريات. وأقصى ما يمكن أن تفعله النظريات، بحسب اعتقادي، هو تحديد الطرق المؤدية إلى الحرب. أما كون هذه المسارات تؤدي بالفعل إلى الحرب أم لا فيعتمد في الغالبية الساحقة من الحالات على عوامل تقع خارج نطاق أي نظرية، وأبرزها الفعل والمصادفة، على صورة أحداث أو ملتقيات تجعل القادة أكثر استعدادا لخوض الحرب أو قبول خطرها في معرض السعي إلى تحقيق أهدافهم السياسية. وفي دراسة حديثة، يقدم سينيز وفاسكويز وصفا متقنا لأحد هذه المسارات: أي ذلك الذي يقع بين منافسين متعادلين في القوة تقريبا،

(*) «اجتياز اختبار الجدة»، هي عبارة تطلق للتدليل على مدى سهولة استعمال أو فهم شيء أو منتج ما، وما إذا كان يسيرا بحيث تتمكن الجدات من استخدامه أو استيعابه [المحررة].

والـذي ينطوي على تحالفات وتكديس للأسـلحة، وعلى وقوع أزمـات، بيد أنهما يعترفان بأن هذا المسـار لا يصف كل الحروب، ولا يؤدي بالضرورة إلى الحرب، كما تم حل الحرب الباردة سلميا[140].

إن المسارات المتعددة للحرب والاستقلالية المحتملة للمحفزات اللازمة لإشعالها تخلق أيضا مشـكلات خطيرة فيما يتعلق باختبار النظريـات. كيف يمكن إذن أن نقيّم ادّعاءات النظريات والفرضيات المتعارضة حول أسـباب الحرب؟ من بين الإسـتراتيجيات الممكنة أن نلجأ إلى النظريات القائمة لوصف المسـارات المختلفة للحرب. سـيمكننا عندئذ أن نسعى إلى اكتشـاف العوامل المفعّلة لهذه المسارات، أي أن ندفع العلاقة السببية للوراء مستوى واحـدا. وتتمثـل الخطوة التالية في تحديد الشروط الأساسـية التي من شـأنها تسريع أو إعاقة هذه المسـارات المفضية إلى الحرب، لأن كلا منها يتكشـف عن سياق سياسي أوسع. وأخـيرا، يمكننا أن نتحول إلى مشـكلة الأسـباب المباشرة للحرب، وأن نحـاول التحقّق من أنواع المحفزات التي يمكن أن تحرك أيا من هذه المسـارات في اتجاه الحرب. لكن ما مدى كون هذه المحفزات شـائعة، أو متباعدة، أو نادرة، وهل هي مرتبطة بأسـبابنا المستبطنة لها أم مسـتقلة عنها؟ إن تعقيد أي نموذج سببي ينتج عن استخدام هذه الطريقة، وعدد المتغيرات التي يُنتجها، يخلق نوعا آخر من المشكلات. يتطلب الاختبار الإحصائي مجموعات كبـيرة من البيانـات المتعلقة بحالات متشـابهة، وهو وضع لا يمكن تحقيقـه بالنظر إلى العدد المحدود من الحروب الحديثة. ثمة استراتيجية بديلة، وقد طرحتها في كتابي المعنون «الفاكهة المحرمة»، والتي تتناول الحروب ومحفزاتها بصورة عكسـية، وصولا إلى أسـبابها الكامنة، عن طريق إجراء تجارب فكرية مغايرة وتتبّع العمليات process tracing. ولهذه الطريقة عيوبها أيضا، لكنها أكثر ملاءمة لدراسـة العلاقات السببية في الحالات التي يكون حجم مجموعة البيانات المتوافرة لدينا محدودا للغاية[141].

الجزء الثاني

الحرب في الماضي

3

النظرية والفرضيات

«يدرك كل من أفلاطون، وأرسطو، وراولز عوالمهم الخيالية باعتبارها مُثلا عليا يجب أن نطمح إلى تحقيقها، فرديا وجماعيا، لكن من غير المرجح أن نحققها على الإطلاق. وبالتالي، فإن المقصود بعوالمهم هذه أن تكون بمنزلة قوالب يمكننا استخدامها لقياس مدى توافق العوالم القائمة مع مبادئنا»

المؤلف

اتباعا لرأي الإغريق، فإنني أزعم أن الشهوة، والروح، والعقل تمثل دوافع أساسية للحرب، ويسعى كل منها إلى تحقيق أغراضه الخاصة[1]. تكمن النماذج القائمة للعلاقات الدولية في الشهوة (الماركسية والليبرالية) أو الخوف (الواقعية). أما الروح spirit - التي كثيرا ما كان الإغريق يسمونها thumos - فلم تنتج أخيرا إلا نموذجا سياسيا، على الرغم من أن مكيافيلي وروسو Rousseau أدركا قدرتها الكامنة على القيام بذلك. وباستخدام إلياذة Iliad هوميروس بوصفها دليلا إرشاديا، شيدت مجتمعا مثاليا مبنيا على الشرف في كتابي المعنون «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية»، واستخدمته كنموذج لتحليل دور الروح في العلاقات الدولية في العالمين القديم والحديث. وفي هذا الفصل سأعرض أولا لمحة موجزة عن

الخصائص والتوترات المميزة للعوالم المبنية على الروح وانعكاساتها على الحرب. وفي هذا الصدد سـأطرح ست فرضيات بشـأن أصول الحرب، ومن ثم سأختبرها مقابل مجموعة من البيانات.

سأقتصر على أربعة من الدوافع الكامنة: الشهوة، والروح، والمنطق، والخوف. طرحت السـلطات المعاصرة أوصافا مختلفة للنفس psyche وللاحتياجات البشرية. يختزل فرويد جميع الدوافع الأساسـية في الشهوة، ولا يفهم المنطق إلا بمعناه الذرائعي. ومن الصياغات البارزة الأخرى، نجد التسلسل الهرمي للاحتياجات لأبراهام ماسلو Maslow، الذي وضعه بناء على دراسـته للأشـخاص العظماء وتفسـيره لأسـباب إنجازاتهم [2]. وفي فترة لاحقة، سـعى علماء النفس إلى تصنيف جميع العواطف البشرية إلى سـبع أساسـية [3]. يتسـم تسلسـل ماسلو الهرمي للاحتياجات بكونه ملتبسـا من حيث المفهوم، كما أنه متجذر في فهـم للطبيعـة البشرية ينتمي بصورة محددة إلى القرن التاسـع عشر [4]. وتفترض جهود علـم النفس المعاصر في مجال تصنيف العواطف أنه يمكن تطبيق أنماطها typology على الجميع، وهو أمر مشـكوك فيه تماما [5]. حتى لو أمكن الدفاع عنها، فهذه الأنماط وغيرها تنطوي على مشـاعر - مثل الحب، والحزن، والفـرح - يصعب اعتبارها محورية في عملية صنع القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية. ثمة عواطف أخرى - مثل الغضب، والمفاجأة، والاشـمئزاز، والازدراء - تتسم بكونها أكثر ملاءمة، ولكنها - في زعمي - يمكن اختزالها على نحو فعال إلى واحد أو آخر من دوافعي الأربعة.

الروح

يبـدأ النموذج القائم على الروح من فرضية أن الناس، أفرادا وجماعات، يسـعون إلى احترام الذات self-esteem. واحترام الذات هو الشعور بالقيمة الذاتية الذي يجعل الناس يشعرون بالرضا عن أنفسهم، وبقدر أكبر من السعادة تجاه الحياة، وبثقة أكبر في قدرتهم على مواجهة تحدياتها. ويتحقق ذلك بالتفوق في الأنشطة ذات القيمة العالية لدى نظراء المرء أو المجتمع، ومن ثم اكتسـاب احترام الأشـخاص ذوي الآراء المهمة. ومن خلال الفوز باستحسـان أولئك الناس، نحن نشـعر بالرضا عن أنفسـنا. يتطلب احـترام الذات بعض الشعور بالذات، لكن الاعتراف أيضا بأن الذات تحتاج إلى مجتمع لأن احترام الذات يصبح مستحيلا في ظل غياب قيم مشتركة وإجراءات مقبولة لإثبات التفوق.

تتسم الروح بحمايتها المحمومة لاستقلالية المرء وشرفه، وهما أمران وثيقا الصلة لدى الإغريق. فوفقا لأفلاطون تستجيب الروح - عن طريق الغضب - لأي كابح لإثباتها لذاتها، سواء في الحياة الخاصة أو المدنية. وهي تريد أن تنتقم لكل الإهانات التي تلحق بشرفها، وتلك الموجهة ضد أصدقائها، وتسـعى إلى إرضاء فوري عندما تستثار [6]. يخضع الأشخاص الناضجون لقيود المنطق، ويدركون حكمة الأمثولة القديمة القائلة إن الانتقام طبق يكون أشهى عند تقديمه باردا، كما فعل أوديسيوس في ملحمة الأوديسة Odyssey [7].

يمثـل احترام الذات دافعا عالميا، عـلى الرغم من أنه يدرك على نحو مختلف من قبل المجتمعات المختلفة. وبالنسبة إلى الإغريق، تتحدد الهوية وفقا لمجموع الأدوار الاجتماعية التي يؤديها الناس، وبالتالي فإن الاحترام (كيف ينظر إلينا الآخرون)، واحترام الذات (كيف ننظر إلى أنفسـنا) كانا يعتـبران مرادفين بصورة أو بأخرى، لأن الأخـير يعتمد على الأول. أما بالنسـبة إلى الغربيين المعاصرين، فإن الاحترام واحترام الذات هما اصطلاحان متميزان يمثلان فئتين مختلفتين، وبالتالي لم يعودا مرادفين. ونحن نقوم أيضا بتمييز الشرف الخارجي external honor - هو النوع الوحيد الذي اعترف به الإغريق - عن الشرف الداخلي، وهو المفهوم الغربي المعاصر المتعلق بالسـلوكيات المتوافقة مـع قيمنا. من الممكن أن نتصرف بطريقة تثير اسـتياء الآخرين، لكننا لانزال نشـعر بالرضا عن أنفسنا إذا كان هذا السلوك يعكس قيمنـا ومعتقداتنا ويمنحنا شرفا داخليا. ومع ذلـك، فعلينا أن نتحلى بالحذر فيما يتعلق بوضع حدود فاصلة وقاطعة بين الإغريق والأشـخاص المعاصرين، لأن هناك بعض الأدلة على أن الشرف الداخلي لم يكن غريبا بالكامل عن الأثينيين. تقبل سقراط Socrates الحكم عليه بالإعدام، في حين أن المقصود منه كان إجباره على التوجه إلى المنفى، وهو ما توسل إليه أصدقاؤه أن يفعله، لكنه أصر على التصرف على نحو يتفق مع ما يؤمن به [8].

يمكـن للناس تلبية بعض الشـهوات بفعـل الغريزة، لكن عليهـم أن يتعلموا كيفية التعبـير عن الروح وتلبيـة متطلباتها عن طريق الأنشـطة التي تعتبر مناسـبة من قبل مجتمعاتهـم. وهم في ذلك يحتاجون إلى قدوة ملائمة لمحاكاتها. وبالنسـبة إلى أرسـطو، كانت المحاكاة، مثل الكثير من السـلوكيات، موجهة بفعل الألم والمتعة. نحن نشعر بالألم عندما نراقب أناسا نرى أنهم يشبهوننا كثيرا، الذين يمتلكون الصفات والمواقف التي نصبو إليها. وللهروب من هذا الألم، نحن نتصرف بطرق تتيح لنا امتلاك هذه السـلع ونشـعر بالسرور عندما نحصل عليها [9].

تمتلك المجتمعات حوافز قوية لدعم وتوجيه الروح، فهي تولد ضبط النفس والتضحية التـي يزدهر المجتمع من خلالها باعتباره وحدة متكاملـة. وفي المجتمعات المحاربة، تجد الروح تعبيرا عنها في الشـجاعة وإنكار الذات، والتي يسـتفيد منها المجتمع ككل. بيد أنه يجـب على كل المجتمعات أن تكبح، أو أن تحول إلى الخارج، ذاك الغضب الذي يسـتثار عندما يتم تحدي الروح أو تثبيطها. تمثل الروح دافعا إنسانيا، فالمنظمات والدول لا تمتلك نفوسا، وبالتالي لا يمكن التعامل معها كأشخاص. ومع ذلك بوسعها أن تستجيب لاحتياجات الروح بالطريقة نفسـها التي تستجيب بها لشهوات مواطنيها. ينضم الناس إلى المؤسسات الجماعيـة أو يدعمونها آملين الحصول على مكافآت ماديـة ومعنوية. وهم يبنون احترام الذات بالطريقة نفسـها، عن طريق الإنجازات التي تحققها الجماعات، والفرق الرياضية، والأمم، والأديان التي ينتسبون إليها. ويمكن القول إن أهم وظيفة للقومية nationalism في العالم الحديث هو توفير إرضاء غير مباشر للروح.

هناك مجموعة من المفاهيم المرتبطة بالـروح، والتي ينبغي تحديدها بعناية، وأولها احـترام الـذات، الذي وصفته كحاجة إنسـانية عالمية تتسـاوى في الأهمية مع الشـهوة. وبالنسـبة إلى أفلاطون وأرسـطو، والآداب الإغريقية الكلاسيكية بشـكل عام، فإن احترام الذات أو تقديرها يمثل حالة وجدانية affect، ومثله مثل كل العواطف عند الإغريق، فهو يتم بوسـاطة من العقل intellect. نحن لا نشـعر بالرضا عن أنفسنا إلا عندما ندرك أننا نحظى باحترام الفاعلين الآخرين الذين نحترمهم ونعجب بهم للأسباب الملائمة.

ينعكس الاحترام واحترام الذات - وهو المفهوم الأكثر أهمية بالنسبة إلي - على المفاهيم المختلفة للهوية. وقد لاحظت أن الهوية الاجتماعية كانت تفهم في العالم القديم على أنها ذات طبيعـة اجتماعية[10]. لم يكن الأمر هـو افتقار الناس إلى مفهوم للذات، لكنهم كانوا يعرفون الذات على نحو علائقي، كما يمكن وصفها على أنها مجموع الأدوار المسندة إليها اجتماعيا[11]. إن الكلمة الإنجليزية «شـخص» person مستمدة من مصطلح «شخصية» persona، وهـي لفظة لاتينية تعني «قناعا»، وتصـف الوجه الخارجي الذي يظهره المرء للمجتمـع[12]. وفي العالم المعاصر يعتقد أن الهوية الفردية قد اكتسـبت أهمية متزايدة، وبالتالي فقد نشأ معها مفهوم احترام الذات.

لاحـظ دوركهايـم Durkheim أن اسـتبدال الجماعـة بالفرد كموضـوع للاهتمام الطقوسي يمثل إحدى السـمات المميـزة لعمليات التحول من المجتمعـات التقليدية إلى

تلك الحديثة. وبداية من روســو، أكدت أيديولوجيات عــصري التنوير Enlightenment والرومانســية تفرد واســتقلالية الذات الداخلية [13]. وقد ابتدعت الحداثة Modernity عــددا من المفردات التي تقر بالتوتــرات بين ذواتنا الداخلية وأدوارنــا الاجتماعية، لكنها تشجعنا على صقل والتعبير عن «ذواتنا الداخلية» وعن السبل الأصلية للكينونة [14].

يمثل احترام الذات شعورا شخصانيا subjective بشرف المرء ومكانته، الأمر الذي يمكن أن يعكــس أو يختلف عن التقدير الممنوح من قبل الآخرين. ومن الممكن أن ينشــأ التوتر والصراع، داخليا واجتماعيا، عندما يكون احترام الذات لدى الفاعلين أقل أو أعلى بكثير مما يحصل عليه من تقدير خارجي. ومن الممكن أيضا وصف الاحترام واحترام الذات على أنهما التبجيل وتبجيل الذات. إن عكس الاحترام هو الخزي shame، وهو شــعور ينشــأ استجابة للأحكام التي أصدرها، أو سيصدرها الآخرون على المرء. يتسم كل من نوعي الاحترام هذين بكونــه اجتماعيا من الناحية الشرطيــة stipulatively. يصف أرســطو الخزي بأنه «ألم أو اضطراب يرتبط بأمور ســيئة، سواء في الوقت الحاضر، أو الماضي، أو المستقبل، والتي يرجح أن تتســبب في تشــويه ســمعتنا». وتتضمن الأمثلة التي أوردها إلقاء درع المرء في معركة، والامتناع عن دفع المال لشــخص يستحقه، وتحقيق الربح بطريقة مشينة، وإقامة علاقات جنسية مع أشخاص لا يحلون للمرء، أو في الوقت أو المكان غير المناسبين [15].

أشار أرسطو بوضوح إلى أننا نتقاعس عن التعرف على سلوكنا، وليس على الأفعال نفسها، إذ إنها معنية في المقام الأول بالطريقة التي نبدو بها في أعين الأشخاص الأكثر أهمية بالنسبة إلينــا [16]. بيــد أنه يجب علينا توخــي الحذر فيما يتعلق بثنائيــات binaries مثل الهويتين الاجتماعيــة والفردية، والاحترام واحــترام الذات، لأنه بالإضافة إلى أفلاطــون، فإن التراجيديا اليونانية (مثل شــخصيتي أجاكس Ajax في مسرحية سوفوكليس، وميديا Medea في مؤلفات يوريبيديــس) تكشــف عن أن احترام الذات كان موجودا بصورة مــا في أثينا القرن الخامس. حتى في العالم القديم، ربما كانت هذه الثنائيات تصف الاختلافات في الدرجة وليس في النوع.

يرتبــط احترام الذات ارتباطا وثيقا بالشرف، وهــي مقام خاص عند الإغريق لوصف الاعتراف الخارجي الذي نحصل عليه من الآخرين كاستجابة لميزنا. يمثل الشرف منحة يتم إســباغها على الفاعلين actors من قبل الفاعلين الآخرين، ويحمل في طياته مجموعة من المســؤوليات التي يجب الوفاء بها بشكل صحيح إذا أردنا الاحتفاظ بهذا الشرف. وبحلول القرن الخامس تم الربط بين الشرف والحقوق والمناصب السياسية. وقد استخدم كوسيلة

لاختيار المرشحين للمناصب وللتضييق عليهم من حيث ممارستهم للسلطة. يمكن فهم الروح بأفضل صورة كدافع بشري فطري، يتمثل هدفه في تحقيق احترام الذات، كما يمثل الشرف والمكانة وسيلتين لتحقيقه.

يمثل التسلسل الهرمي hierarchy ترتيبا للمقامات. وفي المجتمعات المبنية على الشرف، يحدد الشرف طبيعة المقامات، ومن يشغلونها. يتمتع كل مقام بامتيازات معينة، لكنه يرتبط أيضا بحزمة من القواعد. وكلما ارتفع المقام ازداد الشرف والامتيازات، لكن المنصب يصبح بدوره أكثر تطلبا ويزداد تعقيد القواعد الحاكمة له. وفي كثير من الأحيان كان من المتوقع من الملوك - الذين كانوا يحتلون قمة الهرم الاجتماعي في السابق - أن يؤدوا دور الوسيط بين العالمين البشري والإلهي، كما استمدوا سلطتهم ومكانتهم من هذه المسؤولية. وينطبق هذا على عدد من المجتمعات المتباينة، مثل آشور القديمة، والصين في عهد سلالة سونغ، وأوروبا أوائل العصر الحديث [17].

ومن الممكن منح المقام، كما تم في حالة انتخاب الملوك أو قادة الحرب الألمان. وفي مجتمعات الشرف التقليدية ويتوقع أن يحظى الاثنان بالمكانة نفسها، فكان متوقعا من الملك أو القائد أن يكون أشجع المحاربين، وأن يقود قواته بنفسه في المعركة. ويستوجب على الأفراد الآخرين رفيعي المستوى أن يتقبلوا أدوارا عالية المخاطر، حتى لو كانت ثانوية. أما الخدمة والتضحية - وهما الوسيلتان اللتان يتم من خلالهما كسب الشرف والحفاظ عليه - فتمتلكان القدرة على إضفاء الشرعية على التسلسل الهرمي. وفي مقابل إجلال وخدمة من يحتلون مراتب أعلى في السلم الاجتماعي، يتوقع الناس أن تتم رعايتهم بطرق مختلفة. إن حماية الآخرين وتزويدهم بأسباب العيش يمثل دائما واحدة من المسؤوليات الرئيسية لذوي المكانة العالية والمناصب الرفيعة. دفعت أسرة سونغ بهذا النظام إلى أقصى حدوده المنطقية، بإدراج جميع الذكور في المملكة في نظام للمكانة الاجتماعية كان يتضمن في البداية سبع عشرة مرتبة ranks، ازدادت لاحقا إلى عشرين. ومع المرتبة وتأتي التزامات محددة، بما في ذلك العمل اليدوي، والخدمة العسكرية، إضافة إلى العديد من الحوافز الاقتصادية المختلفة. وكما هي الحال في أوروبا الأرستقراطية، كانت شدة العقوبة على الجريمة ذاتها تختلف وفق المرتبة، لكن بترتيب عكسي [18].

وقد أنيطت بالقوى العظمى مسؤوليات مماثلة في العصر الحديث، والتي وصفت من قبل الممارسين والمنظرين على حد سواء [19]. ويمثل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة

ثمـرة لهذا التقليد. ويتمثل الغرض منه، على الأقل في نية من وضعوا ميثاق الأمم المتحدة، في تنسيق الجهود المشتركة للمجتمع من أجل حفظ السلام. وهنا تبرز التسلسلات الهرمية التقليدية أنفسها من حيث تطبيقها لمبدأ الإنصاف، إذ تساهم كل من الجهات الفاعلة في المجتمع وفي حفظ نظامه بأفضل ما تسمح به قدراتها، كما تتلقى الدعم وفقا لاحتياجاتها. أما التسلسلات الهرمية الأكثر حداثة فتستند إلى مبدأ المساواة. هذا وتسعى الأمم المتحدة إلى دمج الاثنين في هيئتين منفصلتين: مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

يمثـل الشرف أيضـا آلية لكبح جماح الأقويـاء والحيلولة دون وقـوع هذا النوع من الاسـتغلال الفج، حتى الوحشي، الشـائع في التسلسـلات الهرمية في العالم الحديث القائم على المصالح. يمكن للشرف أن يحافظ على التسلسـل الهرمي لأن التحديات التي تكتنف مكانـة إحدى الجهات الفاعلة، أو عدم احـترام الامتيازات التي تمنحها، تثير غضبا لا يمكن احتـواؤه إلا عن طريق معاقبة الجاني، وبالتالي «وضعه في مكانه الملائم». وتتعرض العوالم المبنية على الشرف لإمكانية التقلص إلى تسلسلات هرمية مبنية على القوة، وأن تتحول إلى سبل للاستغلال عندما تفشـل الجهات الفاعلة الموجودة على قمتها في تحمل مسؤولياتها أو ممارسة ضبط النفس خلال سعيها إلى تحقيق مصالحها الخاصة.

يتمثل تعريفي للتسلسـل الهرمي في أنـه ترتيب لأهمية المقامات. من جانبه، يطرح ماكس فيبر Weber فهما مختلفا للتسلسل الهرمي: ترتيب للمناصب وسلسلة القيادة التي تربـط بعضها ببعض. تذكرنا صياغة فيبر أن المقام والمنصب ليسـا دائما متزامنين، حتى في العوالم المثالية النمط. وفي إلياذة هوميروس، ينشـأ الصراع بين أغاممنون Agamemnon وأخيل Achilles من حقيقة أن أغاممنون يحظى بمنصب أعلى، مما يجعل أخيل مرؤوسا له، في حين نجد أخيل، وهو أشـجع المحاربين وأكثرهم إثارة للإعجاب، يمقت بشدة إساءة اسـتغلال أغاممنون لسـلطته. وفي العلاقات الدولية، فإن صفة القوة العظمى تمثل ترتيبا لأهمية المقامات ومنصبا في الوقت نفسـه. وكما الحال في الإلياذة، يمكن أن يصبح الصراع حادا عندما يتباعد الاثنان، وتعتقد الدول - أي قادتها وسكانها، إذا أردنا توخي الدقة - أنها حرمت من منصب يتناسب مع المقام الذي تدعيه.

تمثـل المكانة والشرف زوجـا آخر من المفاهيم ذات الصلة. تشـير المكانة standing إلى الموقـع الذي تحتله الجهة الفاعلة ضمن تسلسـل هرمي. وفي عالم روحي مثالي النمط، تتساوى مكانة فاعل ما في التسلسل الهرمي مع درجة الشرف الذي يناله. وينال الموجودون

تميـل المجتمعات القائمة عـلى الشرف إلى أن تكـون طبقية للغاية، ويمكن تشـبيهها بالأهـرام المدرجة. هناك كثير من المجتمعات القائمة عـلى الشرف، لكن ليس جميعها بأي حال من الأحوال، والتي تنقسم على نحو حاد إلى فئتين: أولئك الذين يسمح لهم بالتنافس على نيل الشرف ومن لا يسـمح لهم بذلك. وفي كثير من المجتمعات التقليدية القائمة على الشرف، يتم التمييز الرئيسي بين الأرستقراطيين وحدهم، والذين يتوقع منهم السعي إلى نيل الشرف، أما العوام، أو وضيعو المولد low-born، فلا يمكنهم ذلك. ويتعزز هذا الانقسام في كثير من الأحيان بفعل تباين الثروات، مما يسمح لكثير من رفيعي المولد high-born بشراء المعدات العسـكرية، وتحمل تكاليف أنشـطة أوقات الفراغ، ورعاية الاحتفالات والحصول عـلى التعليم والمهارات اللازمـة للتنافس. وكما هي الحال في اليونـان القديمة، فإن المولد والثروة ليسا مترادفين على الإطلاق، مما خلق مصدرا آخر للتوترات الاجتماعية. تمثل الثروة عموما شرطا ضروريا، لكنه غير كاف، لنيل الشرف. بين أفراد قبائل السـو المنادين بالمساواة egalitarian Sioux، يكتسـب الشرف والمكانة مـن خلال عقد احتفالات متنوعة، تنطوي جميعها على توفير الولائم والهدايا للحضور. ولا يمكن الحصول على الخيول والأثواب، وهي الهدايا الرئيسـية، إلا عن طريق شن الحملات العسكرية الناجحة ضد القبائل المعادية، أو كهدايا من الآخرين بسبب الاحترام الكبير الذي يكنونه للمحاربين الشجعان[23].

في العوالم القائمة على الشرف، يمثل الاعتراف بعضوية المرء ضمن دائرة النخبة، حيث يمكنه أن يتنافس على الشرف، أول خطوة - وأكثرها صعوبة في كثير من الأحيان - ويمكن لخصوصية exclusiveness العديـد من المجتمعات القائمة على الشرف أن تصبح مصدرا رئيسـيا للتوتر، عندما يطالب الأفراد، أو الطبقات، أو الوحدات السياسـية بالدخول في الدائرة التي يمكن من خلالهـا نيل الـشرف، ثم يرفض طلبهم. إن ما هو جدير بالـشرف، والقواعد التي تحكم نيله، والمؤشرات المستخدمة في قياسه، كلها قابلة للطعن. وتاريخيا، تمت مقاومة التحديات من هذا النوع، على الأقل في البداية. أما المجتمعات التي اسـتجابت لها بشـكل إيجابي فقد تطورت، وتباعدت في بعض الحالات تدريجيا عن قاعدتها من المحاربين، سواء كليا أو جزئيا.

ويتمثل التحذير الأخير هنا في النظام. ففي جميع أجزاء هذا الكتاب استخدم مصطلح «الاعـتراف» recognition على أنه يعني القبـول في الدائرة التي يمكن فيها التنافس على نيـل الشرف. بيد أن الاعتراف يحمل في طياته إمكانية إشـباع الروح، كما لا ينبغي الخلط بينه وبين استخدام هذا المصطلح في الفلسفة الأخلاقية.

جعـل هيغل Hegel النضال للحصول على الاعتراف (Kampf um Anerkennung) مفهوما محوريا لكتابه المعنون «فلســفة الحق»، والذي يفهم الآن على أنه يقدم تفسـيرا إيجابيـا لنظام اجتماعي منصف، والذي يسـتطيع تجاوز عدم المسـاواة في العلاقات بين السيد والعبد [24]. وفي مقال مؤثر نشر في العام 1992، طبق تشارلز تايلور Taylor مفهوم هيغـل للمطالبة بالاعـتراف بالأقليات والفئات المهمشـة الأخرى، وجـادل بأن الاعتراف البشري يمثل خيرا بشريا مميزا، لكنه مهمل إلى حد كبير، والذي يتأثر بشكل كبير بالطريقة التي يتم بها الاعتراف بنا، وإسـاءة الاعتراف بنـا misrecognized من قبل الآخرين [25]. ومنذ ذلك الحين، تم توسـيع نطاق السـيكولوجيا السياسـية للاعتراف لتشمل العلاقات الدولية، حيث يفترض أن تمتلك الدول التابعة صورة ذاتية مشوهة واحتراما متدنيا للذات. ومن جانبه، يشـدد أكسل هونيث Honneth على أهمية تجنب ممارسات علاقات السيد والعبد بين الدول [26]. ويجـادل فرناندو كورنيل Cornil أن الدول التابعة تتمتع بمظاهر السـيادة، لكن في كثير من الأحيان تبطن internalize الصور السـلبية عنها، التي تعتنقها القوى الكبرى [27].

وعـلى الرغم من أنني أقر بالعلاقة بين المكانة والاحترام، فإنني أمتلك حجة مختلفة. وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية على الأقل، فإن الدول القوية، وليس الضعيفة، هي التي تستشـعر الإذلال بقوة. يعتمد فهمي لهذه الظاهرة على مفهوم أرسطو للغضب، والذي هو أضيق من مفهومنا الغربي الحديث. وهو استجابة لما أسماه oligoria، الذي يمكن أن يترجم على أنه تجاهل، أو اسـتخفاف طفيف. من الممكن أن يصدر مثل هذا الاستخفاف من شـخص ذي مكانة مسـاوية، لكنه يثير غضبا أكثر عندما يصـدر عن فاعل يفتقر إلى المكانـة التي تخوله تحدينـا أو إهانتنا. يمثل الغضب ترفا لا يمكن أن يستشـعره إلا من يتمتعون بوضع يمكنهم من الانتقام. فلا يمكن للعبيد والمرؤوسـين أن يسـمحوا لأنفسهم أن يشـعروا بالغضب، على الرغم من أنهم قد يظهرون العديد من أشـكال المقاومة. كما أنه لا معنى للشـعور بالغضب تجاه من لا يمكنهم إدراك غضبنا [28]. وفي مجال العلاقات الدولية، فإن قادة الدول القوية - وشـعوبها في كثير من الأحيان - قد يشـعرون بالغضب من النوع الأرسـطي عندما يحرمون من الدخول إلى النظام، أو يرفض الاعتراف بهم كقوة عظمى، أو يتم التعامل معهم بطريقة مهينة بالنسبة إلى مدى فهمهم لمكانتهم. وفي هذه الحالة، سـيبحثون عن طريقة ما لتأكيد ادعاءاتهم، ويسـعون إلى الانتقام. تفتقر الدول

التابعة إلى هذه القوة، لذلك يتعلم قادتها وشــعوبها كيفية التعايش مع وضعهم المتدني، وحكمهــم الــذاتي المحدود. أما القوى العظمى فتشــعر بالغضــب إذا تحدتها مثل هذه الدول [29]. وفي اعتقادي أنه بوســعنا الاســتفادة من إعــادة تطبيق الفصل dichotomy الإغريقــي بين المتضمنين والمســتبعدين من الدائرة التي يمكــن فيها نيل الشرف وتفعيل تعريف أرسطو للغضب.

دعونا ننتقل إلى التداعيات الأوســع للشرف كدافع للسياســة الخارجية. أولا وقبل كل شيء، هنــاك تأثيره في رغبــات الدول وقادتها. يصر الواقعيــون وغيرهم من علماء العلاقــات الدوليــة على أن البقاء هو الهدف الأســمى لجميع الــدول، تماما كما تؤكد التفســيرات المتعلقة بالسياسة الداخلية أنه كذلك بالنسبة إلى القادة [30]. بيد أن هذا ليــس صحيحا في المجتمعــات القائمة على الشرف، حيث يحظى الــشرف لديها بقيمة أعلى. وفي الإلياذة، يزدري أخيل الحياة الطويلة مقابل موت مشرف يجلب له السمعة الحســنة. وبالنســبة إلى هوميروس وإلى الإغريق، فإن الســمعة الحسنة تسمح للناس بتجاوز كونهم غير مخلدين، فالأفعال العظيمة تحمل اســم المرء وسمعته عبر الأجيال، حيث تستمر في تلقي الاحترام والتأثير في الأطراف الفاعلة الأخرى. وفي العالم الحقيقي، وليس فقط في الروايات الإغريقية وأدبيات القرون الوســطى، هناك محاربون، وقادة، وشــعوب بأكملها في بعض الأحيان، ممن اختاروا الــشرف على البقاء. ولا تقتصر هذه الظاهرة على دراســتي لحالة المجتمعات القديمة والعصور الوسطى، لكنها توجد أيضا في أوروبا واليابان خلال القرنين التاســع عشر والعشريــن [31]. يعتمد مورغنثاو ووالتز على آراء هوبز، ووالتز على روســو، في المجادلة بأن البقاء هو الموجه الرئيس لكل من الأفراد والوحدات السياســية. أما ليو شــتراوس Strauss فــيرى أن هوبز يمثل انقطاعا مهما للتقاليد الكلاســيكية، إضافة إلى أنه من أوائل المفكرين «البرجوازيين» لأنه يجعل الخــوف من الموت والرغبة في المحافظة على الذات غاية الإنســان الأساســية بدلا من الفضائل الأرســتقراطية [32]. ثمة قراءة لهوبز، والتي تتســم بقابليــة أكبر للدفاع عنها، وتتمثل في أنه كان يتطلع إلى اســتبدال الغرور بالمصالح المادية بوصفها دافعا إنســانيا أساســيا، لأنه أدرك أنه يمكن الســيطرة عليه بفعالية أكبر عن طريق مزيج من المنطق والخوف. وبالنسبة إلى هوبز، لاتزال الروح وسعيها إلى نيل المكانة والشرف يمثلان قوة عالمية فاعلة ومدمرة إلى حد كبير.

وكـما أدرك كل مـن ثوكوديـدس وهوبـز، فإن السـعي إلى الحصول عـلى الشرف، والاسـتعداد لمواجهة الموت لنيله أو الاحتفاظ به، يجعـل المجتمعات القائمة على الشرف معرضة للحرب للغاية. ويسهم في هذه الظاهرة العديد من جوانب الشرف. ارتبط الشرف بالمجتمعـات المحاربة، وإن لم تكن جميـع المجتمعات المحاربة هي مجتمعات قائمة على الشرف، كما أنه ليست كل المجتمعات المحاربة هي مجتمعات أرستقراطية. وفي مثل هذه المجتمعات لا تعتبر الحرب نشـاطا عاديا فقط، بل تمثل نشـاطا ضروريا لا يمكن من دونه للشـبان إثبات قدراتهم وتمييز أنفسهم. والأهم من ذلك أن الحرب ترسخ هوية المحاربين ومجتمعاتهـم. وقد جادلت في موضع آخر بأن ثوكوديدس اعتبر أن التهديد الذي شـكلته قوة الأثينيين على هوية الإسـبرطيين، وليس أمنهم، هو السـبب الأساسي في تصويت برلمان إسـبرطة لمصلحة الحرب[33]. ويطرح إريك رينغمار Ringmar حجة مقنعة أن ذلك كان الدافـع الرئيسي وراء تدخل السـويد في حرب الثلاثين عاما، حيث سـعت إلى نيل المكانة كوسـيلة لتحقيق الهوية الوطنية[34]. وفي كتابي «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية»، قمت بتوثيق كيف كانت هذه الاعتبارات مهمة بالنسبة إلى القادة والشعوب، اعتبارا من أوروبا بعد صلح ويستفاليا post-Westphalian Europe إلى عالم ما بعد الحرب الباردة.

وفي المجتمعات القائمة على الشرف، تمثل المكانة أثمن ما يملكه الفاعلون، وبالتالي، فإن التحديـات الموجهة إلى المكانة أو إلى الامتيـازات التي تمنحها غير مقبولة عندما تأتي ممن يتسـاوون معنا أو هم أقل شـأنا. وفي المجتمعات الإقليمية والدولية تتسم المقامات بأنها مؤكدة، وقد يكون هناك العديد من المتنافسـين عليها، وعادة لا توجد أي وسـائل سلمية للفصل بين الادعاءات المتنافسـة. وغالبا ما يخدم القتال هذه الغاية، وهو سـبب شـائع للحرب في المجتمعات القائمة على الشرف، وكثيرا ما تجد متنفسا لها في قضايا جوهرية مثل السيطرة على الأراضي المتنازع عليها، لكنها قد تنشأ أيضا عن منازعات رمزية (مثل من له الأسـبقية في مهرجانات أو مواكب معينة، أو من يسـتوجب على سفنه أن تقدم أو تتلقى فروض الاحترام من قبل سفن الآخرين في عرض البحر).

لهذه الأسباب الثلاثة جميعا، تميل الحرب في العوالم القائمة على الشرف إلى أن تتكرر، لكن غايات الحرب والوسـائل التي تشـن بها الحرب تميل إلى أن تكون محدودة. وفي كثير مـن الأحيان، نجد أن الحروب بين الوحدات السياسـية في المجتمعات القائمة على الشرف تشـبه المبارزات[35]. تكون المعركـة نمطية للغاية، وإن كانت لاتزال وحشـية، وتحكمها

مجموعـة من القواعد التي يتم اتباعها من قبل المشـاركين عمومـا. وتزودنا الحروب بين الإغريق، والأزتيك، وهنود السهول، والدول الأوروبية في القرن الثامن ببدائل متنوعة حول هذا الموضوع. وبإفساح مجال للعنف في المواقف الخاضعة لأحكام المجتمع، يتم احتواؤه جزئيا، وربما يكون أقل ضررا مما كان سيؤول إليه [36]. لكن هذه القيود لا تنطبق إلا على الحـروب بين الأعضاء المعترف بهم ضمن المجتمع نفسـه. أما الحرب ضد الغرباء، أو ضد غير أفراد النخبة من المجتمع نفسه، فغالبا ما تتسم بعدم وجود أي قواعد مرعية. وتتضح هـذه الحقيقـة الكريهة في حـروب الإغريق ضد رجال القبائل، أو ضـد الفرس في معارك ماراثون، وسـلاميس، وبلاتيـا Plataea، والحرب الأمريكية ضد الهنـود الحمر، والحروب الاستعمارية بشكل عام.

وعلى الرغم من الطبيعة المتوطنة للحرب في مجتمعات الشرف القائمة على المحاربين، فإن التعاون ليس ممكنا فحسـب، بل هو أمر شـائع. ويسـتند التعاون إلى الاحتكام إلى الصداقة، والأصل المشترك، والالتزام المتبادل أكثر مما يعتمد على المصلحة المتبادلة. تفرض قواعد التسلسل الهرمي أن تقوم الجهات الفاعلة ذات المكانة العالية بمساعدة تلك الأقل منهـا مكانة، والتي تعتمد عليها، في حين يتعين عـلى ذوي المكانة المتدنية تبجيل وخدمة حماتهم أو رعاتهم. عادة ما تنطوي الصداقة على تبادل الهدايا والخدمات، كما توفر أسبابا إضافية لطلب وتلقي المسـاعدة. يتسـم التعاون في المجتمعات القائمة على الشرف بكونه أشـد صعوبة بين الأنداد، لأن أيا من الجهات الفاعلة لا ترغب في قبول قيادة جهة فاعلة أخرى، ومن ثم الاعتراف بعلو مكانتها عنا. يجعل هذا الوضع من التعاون أمرا عسيرا، حتى في الحالات التي توجد فيها مخاوف أمنية مشتركة ملحة.

وباعتبـار أن الشرف يفوق البقاء أهمية، فقد تمت صياغة مفهوم الخطر نفسـه على نحو مختلف: تتسـم المجتمعـات المحاربة بتقبلها للمخاطر في مـا يتعلق بكل من الربح والخسـارة. لا يمكن نيل الشرف من دون مخاطرة، لذلـك يرحب القادة والأتباع على حد سـواء بالفرصة لتعريض أجسـادهم وحياتهم للخطر لنيل الشرف أو الدفاع عنه. ويدافع الفاعلون أيضا عن اسـتقلالهم بأي ثمن تقريبا لأنه يتعلق عن كثب بشرفهم، ما لم يمكنهم إيجـاد مبررات للفصل بينـه وبين الشرف، التـي يقتنع أقرانهم بها. ويتم توسـيع نطاق المخاطـرة للدفاع عن الممتلكات المادية والأرض، إلى حد أنها صارت متشـابكة مع الشرف والرموز الدالة عليها.

وللاختصار، فإن المجتمعات القائمة على الشرف تشهد صراعا حول كنه «المعترف به»، الذي يسمح له بالتنافس على نيل المكانة، والقواعد التي تحكم الصراع الدرامي **agon** أو المنافسة، وطبيعة الأعمال التي تمنح المكانة والجهات الفاعلة التي تمنح الشرف، وتحدد المكانة، وتفصل في الادعاءات المتنازعة. إن تتبع الحدة النسبية للصراع حول هذه القضايا، وطبيعة التغيرات أو التكيفات التي تؤدي إليها تزودنا بتبصرات حول مدى بقاء الشرف كقيمة أساسية في مجتمع بعينه، وقدرته على الاستجابة للتحديات الداخلية والخارجية. ويسمح ذلك أيضا بطرح تكهنات مستنيرة بشأن تطورها.

الشهوة

تمثل الشهوة الدافع الذي نحن أكثر دراية به. اعتبر أفلاطون أن الثروة صارت الشهوة المهيمنة في أثينا، وهو تطور وجد له صدى في جميع المجتمعات التي أصبح فيها امتلاك قدر من الثراء ممكنا. وبطبيعة الحال، هناك شهوات أخرى، بما في ذلك الجنس، والغذاء، والشراب، والملبس، والمخدرات، لكن خبراء الاقتصاد والليبراليين المعاصرين إما تجاهلوها وإما افترضوا أن الإشباع الناتج عنها يعتمد على الثروة، أو يتيسر بفضلها على الأقل.

يتحرض الرفاه المادي عموما برفاهية الفاعلين الآخرين، أو حتى ازدهارهم. ويمثل هذا تبصرا تم الوصول إليه بشق الأنفس [37]. انطوت الجهود المبكرة لتكديس الثروة على العنف في كثير من الأحيان، إذ بدا أسهل وأرخص للمرء أن يستحوذ على ممتلكات الآخرين من إنتاجها بنفسه أو إيجاد رأس المال اللازم لشرائها. حتى العصور الحديثة، كانت القرصنة مهنة محترمة، وكان الرق، الذي كثيرا ما كان ينتج عن حملات الإغارة، يعتبر وسيلة مقبولة لاكتساب الثروة. أصبحت الثروات المكتسبة عن طريق الغزو هدفا مهما للإمبراطوريات، ولم توضع القواعد المناهضة لغزو الأراضي إلا في القرن العشرين.

حتى الاقتصادات المبنية على المقايضة (مثل القرطاجيين والبرتغاليين والبريطانيين) كانت تنظر تاريخيا إلى الثروة على أنها لعبة محصلتها صفر، وسعت إلى استبعاد منافسيها من الوصول إلى المواد الخام والأسواق التي كانت تسيطر عليها. لم يبزغ الاعتراف إلا ببطء شديد، لدرجة أن توليد فائض عن طريق الإنتاج والتجارة جعل المجتمعات وحكامها أكثر ثراء مما كان يمكنها تحقيقه عن طريق الغزو، أي أن الإنتاج والتجارة استفادا من السلام والرخاء الذي كان ثمرة للتعاون، كما كان بالقدر نفسه نتيجة للصراع. كان على العالم أن

ينتظـــر حتى أواخر القرن الثامن عشر لكي يبدأ حتى خـــبراء الاقتصاد في إدراك أن التبادل الحر لرؤوس الأموال، والســـلع، والناس، والأفكار يصب في المصلحة المشتركة الطويلة الأمد لجميع الدول التجارية [38].

تستند العوالم المعاصرة القائمة على الشهوة إلى مبدأ المساواة، الذي يعد روسو منظره الأبرز [39]. وبحلول العقد الثالث من القرن التاسع عشر، كما لاحظ توكفيل Tocqueville، كانت المســـاواة في ســـبيلها إلى التحول إلى المبدأ الوحيد الذي يمكن أن تبنى عليه حكومة شرعية [40]. وفي مثل هذا النظام يفترض الاعتراف بكل فرد بوصفه شريكا وجوديا متساويا، وأن يمتلك فرص الترقي نفسها في مثل هذه الأنظمة. كما أن التسلسلات الهرمية الناتجة - والمبنية على الثروة - ليســـت أقل وعورة من نظيراتها القائمة على الروح، لكنها غير رسمية تماما، فهي تأتي من دون مقامات أو امتيازات محددة، ومن دون ترتيبات واضحة للحكم. وبالإضافـــة إلى ذلـــك، فإن المكانة ليســـت واضحة كما هي الحال في التسلســـلات الهرمية التقليدية، وبالتالي يجب على الفاعلين أن يســـعوا بنشاط إلى إظهار ثرواتهم من أجل دعم مطالباتهـــم بنيل المكانة [41]. لا يســـعى الجميع إلى أن يتم الاعـــتراف به، وأن يمنح مرتبة بعينهـــا على هذا النحـــو. وفي غياب ترتيبات الحكم، ليس هناك أيضا أي ضرورة لتقاســـم الموارد مع الآخرين الذين هم أقل ثراء. وبالتالي، فإن إعادة توزيع الثروة، بقدر ما يحدث هـــذا الأمر، يجب أن تفرض مـــن قبل الحكومات من خلال فـــرض ضرائب تصاعدية على الدخـــل والعقارات، ومنح خصومـــات ضريبية للتبرعات الخيرية. ويؤكـــد داعمو الأنظمة القائمة المساواة على أنها تفيد جميع من يمتلكون المهارات والالتزام، لأن المكانة تعتمد على الصفات الشـــخصية. يرى آدم ســـميث أنه من بين الفوائد الكبرى لهذه الأنظمة كان إنهاء التبعية الشـــخصية، مما يســـمح للناس ببيع مهاراتهم وعملهم في السوق المفتوحة. يزعم البعض أن الحرية الشخصية والأسواق غير المقيدة تجعل استخدام الإمكانات البشرية أكثر كفاءة، وكذلك يتم الدفاع عنها على أســـاس أنها تولـــد مزيدا من الثروة، مما يجعل أولئك الذين ينتهي بهم المطاف في أدنى مراتب التسلســـل الهرمي أفضل حالا بكثير مما ســـتكون حالهم عليه في ظل الأنظمة التقليدية القائمة على التبعية [42].

يصف أفلاطون الشهوة والروح كاثنين من المحفزات أو الدوافع المتميزة، ويقدم أمثلة لإظهار كيفية حدوث صراع بينهما، كما هي الحال عندما يوجد شـــخص يشعر بالعطش في ظل ظروف يكون الشرب فيها أمرا غير مناســـب اجتماعيا. وفي هذا المثال يســـمح السلوك

للمراقب الحسن الاطلاع على الثقافة المعنية بتحديد أي الدافعين هو المهيمن. وفي حالات أخرى، قد لا يكون هذا واضحا، إذ اكتنفت الثروة والشرف بعضهما مع بعض منذ بداية التاريخ البشري، مما يجعل الفصل بينهما صعبا في بعض الأحيان. وفي اليونان القديمة، كما هي الحال في كثير من المجتمعات، كانت الثروة تعد شرطا مسبقا لنيل للشرف [43]. وفي أوروبا، لم يكن من النادر بيع الألقاب أو منحها بناء على الثروة، وفي فرنسا في القرن السابع عشر كانت الامتيازات الممنوحة تمثل وسيلة لزيادة ثروة المرء. وفي كثير من دول أوروبا الغربية، بحلول منتصف القرن التاسع عشر وقبل ذلك في بعض البلدان، كان الأرستقراطيون يتميزون في المقام الأول عن البرجوازيين الأثرياء بمدى قدم ثرواتهم.

ومما يضفي على الأمر مزيدا من البلبلة، نجد الاندماج الظاهر بين الثروة والمكانة في عصرنا هذا. من جانبه، يصف روسو عزة النفس amour-propre، وهي توق المرء لأن ينظر إليه بشكل إيجابي من قبل الآخرين، بأنها العاطفة السائدة في عصر الحداثة. وعلى النقيض من الإنسان الهمجي، الذي كان يسعى إلى نيل الاحترام بصورة مباشرة، نجد نظيره «المتحضر» يسعى إليه بشكل غير مباشر، من خلال اقتناء الممتلكات المادية والتباهي بها [44]. ووفقا لآدم سميث، فنحن نقوم بتحسين وضعنا «من أجل أن نلاحظ، وأن يعتنى بنا، وأن يتم التعامل معنا على نحو ينطوي على التعاطف، والاستحسان، والرضا» [45]. يمكن القول إن الحداثة Modernity، على الأقل في الغرب، أدت إلى تحويل الثروة إلى سلعة مفيدة أكثر من أي وقت مضى، لأنها أصبحت المصدر الرئيسي للمكانة. من جانبه، اعتقد شومبيتر أن الدافع الرئيسي لرجال الأعمال هو «حلم تأسيس مملكة خاصة»، في صورة شركة تحمل اسم المرء وشهرته عبر الأجيال. ومثل الأبطال الإغريق والطرواديين في ساحة المعركة، فإن النجاح المالي لأصحاب المشاريع «ينظر إليه في المقام الأول على أنه مؤشر للنجاح، وأحد مظاهر الانتصار» [46].

وفي مجتمع نمطي قائم على الشهوة، تتصرف الجهات الفاعلة في العالم بشكل يختلف مما كانت ستفعل في عالم قائم على الروح. سيكون التعاون أمرا روتينيا، بل هو القاعدة، ومبنيا على المصالح المشتركة. وسيظل قائما مادام وجدت مصالح مشتركة بين الفاعلين، وسينتهي حين يتباعدون. ومع تغيير المصالح في الأهمية أو الوضوح، تتبدل التحالفات (الرسمية وغير الرسمية)، وبالتالي يمكن لشركاء الأمس أن يصبحوا خصوم اليوم. وتشبه العلاقات بين الوحدات ذلك النوع من التحالفات المتغيرة التي توقع مؤلفو مقالات

«الأوراق الفدرالية» Federalist Papers[*] أن تقع في الكونغرس[47]. من الممكن أن يكون النزاع في مثل شيوع التعاون، إذ تمتلك الجهات الفاعلة مصالح متعارضة بشأن العديد من القضايا المهمة. وعلى أي حال، فإن صراعاتها تتسم بعدم العنف وبخضوعها لقواعد معينة، لأن جميع الأطراف الفاعلة تعترف بمصلحتها العليا في الحفاظ على العلاقات السلمية، وعلى المؤسسات، والإجراءات، والمستوى العام من الثقة الذي يتيح الإبقاء على علاقات سلمية. وبالتالي تعتمد نتيجة النزاعات بدرجة كبيرة على القوة النسبية لكل من الجهات الفاعلة، وعلى بنية وقواعد المؤسسات التي يتم فيها الفصل في النزاعات، ومهاراتها في صياغة الحجج والتفاوض مع الخصوم، وبناء التحالفات. وربما حتى يتوقع من الجهات الفاعلة أن تضع مجموعة من القواعد حول تغيير قواعد اللعبة.

ولأن المصالح - الاقتصادية في المقام الأول - تفرض التفضيلات المتعلقة بالسياسات، فإن الصراعات داخل الوحدات السياسية تعكس تلك التي تدور بينها. من الممكن أن تتشكل التحالفات المحلية والإقليمية لتعزيز المصالح المشتركة وتقديم المساعدة المتبادلة. توصف المجازفة في العوالم المبنية على المصلحة من خلال نظرية الاحتمال: تكون الجهات الفاعلة مستعدة لتحمل قدر من المخاطر لتجنب الخسارة أكبر مما تفعل لتحقيق المكاسب.

إن الليبرالية هي النموذج المثالي للمناورات السياسية والعلاقات الدولية المبنية على دوافع المصلحة. أما النظريات والطروحات المتجذرة في هذا النموذج، بما فيها تلك المتعلقة ببرنامج السلام الديموقراطي للأبحاث، فتؤدي دورا شاملا يتمثل في طرح الفرضيات الخاصة بعالم قائم على المصلحة، والسلوكيات الناتجة عنه. ومع ذلك، يقع كثير من الليبراليين في خطأ الخلط بين أوصافهم ذات النمط المثالي للعالم القائم على المصلحة، وبين العالم الحقيقي الذي هو عالم مختلط تمثل فيه المصلحة مجرد واحد من بين دوافع عديدة. ويخطئ الليبراليون أيضا في الاعتقاد بأن العالم الذي يصفونه - وهو عالم يتألف من ديموقراطيات رأسمالية - يمثل الاستجابة الفعالة الوحيدة للعالم الصناعي الحديث. ويمكن طرح حجة دامغة تقول إنه لا يمثل سوى استجابة واحدة من بين العديد من الاستجابات المبنية على المصلحة المحتملة، وأن ظهوره كان شرطيا إلى حد كبير.

(*) هي سلسلة مقالات وأوراق كتبها كل من ألكساندر هاميلتون، جيمس ماديسون، وجون جي في الفترة من 1787 إلى 1788 للدفع نحو التصديق على دستور الولايات المتحدة الأمريكية - [المحررة].

المنطق

نفتقـر أيضا إلى نمـوذج للمنطق، لكن لسـبب منطقي، إذا جاز التعبـير. إن العوالم الـمنصفـة والمنظمة لا وجود لها عند أي مسـتوى من مسـتويات التجميع، وبالتالي، كان على الفلاسـفة الإغريق والمحدثين تخيلها. وبالنسـبة إلى أفلاطون، تمثـل هذا العالم في مدينة كاليبوليـس Kallipolis التي وصفهـا في كتابه المعنون «الجمهوريـة»، أو ماغنيزيا في كتاب «القوانين». أما بالنسبة إلى أرسـطو، فهي هومونويا homonoia، وهو مجتمع اتفق أعضاؤه على طبيعة الحياة الجيدة، وكيف يمكن تحقيقها. وبالنسبة إلى أوغسطين Augustine، يتجسد هذا العالم في حضارة يسـتخدم البشر فيها المنطق للتحكم في عواطفهم، حتى التغلب عليها، ومن ثم العمل بما يتوافق مع مقاصد الله [48]. وبالنسبة إلى ماركس، يتمثل في مجتمع يسهم فيه الناس بأفضل قدراتهم ويحصلون على ما يحتاجون إليه في المقابل. أما بالنسـبة إلى راولز Rawls، فهو مدينة فاضلة utopia تعمل وفقا لمبادئ العدالة في التوزيع. وكما يعترف معظم أولئك المفكرين، لا تزال هناك خلافات في العوالم المستنيرة بالمنطق، لكنها لا تهدد السلام لأنها لا تدور حول القضايا الأساسـية للعدالة، ويتم الفصل فيها ضمن بيئة تتسـم بالاحترام والثقة المتبادلين. يدرك كل من أفلاطون، وأرسـطو، وراولز عوالمهم الخيالية باعتبارها مثلا عليا يجب أن نطمح لتحقيقها، فرديا وجماعيا، لكن من غير المرجح أن نحققها على الإطلاق. وبالتالي فإن المقصـود بعوالمهم هذه أن تكون بمنزلة قوالب يمكننا اسـتخدامها لقياس مدى توافق العوالم القائمة مـع مبادئنا. وكما صاغها أفلاطون، من الممكن حتى للمعرفة غير المكتملة بشـكل ما أن تحفـز المواطنين والمـدن للعمل من أجل تحقيقها. ويمكن للتقـدم الجزئي توليد ما يكفي مـن الفضيلة للحفاظ على قـدر معقول من النظام بين الأفـراد والمجتمعات. أما ثوكوديدس فيطرح أثينا في عهد بريكليس Periclean Athens كمثال على ذلك - وهو المثال الذي يرفضه أفلاطـون على نحو لا لبس فيه - في حين يجادل أرسـطو لمصلحة نظـام الحكم polity، وهو مزيج من حكم القلة (الأوليغاركية: oligarchy) والديموقراطية.

ينبـع النظـام في العوالم المسـتنيرة بالمنطق من رغبـة الفاعلين في التعـاون حتى عندما يحتمل أن يتعارض مع مصالحهم الذاتية الآنية. يدرك جميع الفاعلين أن التعاون يديم المجال nomos الذي يسـمح لهم جميعـا بتعزيز مصالحهم على نحو أكـثر فعالية مما كان يمكنهم عملـه في غيابه. توجد نزاعات في العوالم المسـتنيرة بالمنطق، لكـن حدتها تقل ليس فقط من خلال الاعتراف بأهمية النظام، لكن - كما يشـير أرسـطو في وصفه للهومونويا - بفعل اتفاق

مبدئي حول القيم الأساسية والذي يقلل من طبيعة الصراع ومن تكلفة أن تكون على الطرف الخاسر. وللحفاظ على هذا الإجماع، يفضل الفاعلون في كثير من الأحيان الحلول الوسط على تحقيق فوز صريح في النزاعات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التنازلات التي تسمح بإقامة المشاريع المشتركة هي أيضا وسيلة لبناء والحفاظ على الهويات المشتركة التي تحافظ على توافق الآراء حول القيم الأساسية. ويدمج مبدأ الاختلاف difference principle الذي وضعه راولز بين النزوع إلى تجنب المخاطرة من جانب الفاعلين، الذي افترض أنه صفة إنسانية شاملة لا تزال فاعلة من وراء حجاب الجهل، حتى لو تم تشذيب جميع التوجهات الاجتماعية الأخرى [49]. بيد أنه تعرض لانتقادات مبررة بسبب هذه الخطوة، ومن المعقول أكثر أن نفترض أنه حتى في عالم مستنير بالمنطق، سيعتمد اجتناب المخاطر على خصائص المجتمع وعلى الفاعلين المعنيين.

تنطوي العوالم المستنيرة بالمنطق، بدورها، على تسلسلات هرمية. وفي جمهورية أفلاطون، نجدها مبنية على مبدأ الإنصاف: فكل فرد، بمن فيهم النساء، يحتل مكانة تتناسب مع قدراته وشخصيته. أما أرستقراطية أرسطو، التي كان يعتبرها - بصورة مجردة – على أنها النموذج المثالي للحكم، فتتسم أيضا بتسلسلها الهرمي، وتجمع بين مبادئ الإنصاف والمساواة. وهي هرمية من حيث إن الأرستقراطيين في وضع أفضل من عامة الشعب demos بسبب منزلتهم الرفيعة، لكنهم متساوون في طرق تواصلهم بعضهم مع بعض وفي فهمهم لضرورة منح الشرف والمناصب على أساس الجدارة [50]. يعترف راولز بأن ثمة تسلسلا هرميا مبنيا على الثروة، ويحاول الموازنة بين مبدأ المساواة وذلك المعني بالإنصاف. ومن المفترض بحجاب الجهل والموقف الأصلي دفع الفاعلين إلى استنتاج مفاده أن كل الأشخاص يجب أن يحصلوا على نفس الفرص لتحسين أنفسهم. وينص مبدأ الاختلاف على أن أوجه عدم المساواة الوحيدة (التسلسلات الهرمية للثروة) المسموح بها هي تلك التي تتيح بشكل واضح لأفقر أفراد المجتمع أن يصبحوا أفضل حالا [51]. يعترف كل من أفلاطون وأرسطو بأن عوالمهما المستنيرة بالمنطق ستكون قصيرة الأمد: توقع أفلاطون أن تصبح جمهوريته فاسدة بعد بضعة أجيال، في حين توقع أرسطو للأرستقراطيات أن تتدهور، حتى إلى درجة الثورة عندما يقوم عدد قليل من الفاعلين باحتكار أوجه الشرف في الدولة [52].

ولأغراض كبح جماح الروح والشهوة، يتعين عليها توعيتهم. يتم حل هذا التكرار الظاهري عن طريق المشاركة الفاعلة من جانب الآباء وأولياء الأمور الذين يفرضون على الشباب ذلك النوع من القيود الذي لا يمكنهم فرضه على أنفسهم، وتعليمهم عن طريق

أمثلة من حياتهم هم [53]. وتمثل القدوة role model عنصرا بالغ الأهمية للتوعية الفردية والمدنية اللازمة لتحقيق العوالم المستنيرة بالمنطق [54]. ولسوء الحظ، كما اكتشف سقراط، من المرجح أن يستـاء الناس على الأقل، بل يرجح أن يعاقبوا غيرهم ممن يعيشـون حياة مسـتقيمة. وفي زعمي أن أفلاطون وأرسطو سعيا، دون جدوى، لإيجاد سبيل للخروج من هـذا المأزق، وإن صعوبة القيام بذلك كانت أحد الأسـباب المهمة لتشـاؤمهما على وجه العموم. لجأ أفلاطون إلى «الكذب النبيل» لإنشـاء مدينته الخيالية، كاليبوليس، فقد اتفق مؤسسُـوها فيما بينهم على أن يقولوا لأبنائهم أن مجالهم هذا قد أرسـت دعائمه الآلهة. لكنه لا يقول لنا كيف اكتسـب المؤسسـون أنفسهم ما يكفي من الحكمة والبصيرة لوضع هذه القوانين وإخضاع أنفسهم عن طيب خاطر للقيود التي تنطوي عليها.

إن الفهم المشترك للمنطق لدى كل من ثوكوديدس وأفلاطون وأرسطو يختلف في جوانب مهمـة عن المفاهيم الحديثة للمنطق. فبالنسـبة إلى القدماء، كما رأينا، يمثل المنطق وسـيلة مفيـدة ودافعـا ذا أهداف خاصـة به. والاختلاف المهـم الثاني هو علاقتـه بالوجدان: اعتقد أفلاطـون وأرسـطو أن المنطق لا يمكن أن تكون له تأثيرات مفيـدة إلا بالتناغم مع العواطف السـليمة [55]. يمتلك الحوار قيمة بالنسـبة إلى أفلاطون بسـبب قدرته على بناء الصداقات، فعندما نشعر بعواطف دافئة تجاه الآخرين، فنحن نتعاطف معهم، ويمكننا أن نتعلم أن نرى أنفسـنا من خلال أعينهم. ويشـجعنا هذا على أن نراهم ككائنات وجودية متساوية. يندمج الوجدان والمنطق ليجعلانا مستعدين للاستماع إلى حججهم بآذان صاغية، والأهم من ذلك أن ندرك أن مفاهيمنا للعدالة، التي نعتقد أنها شـاملة، هي في الواقع محدودة. وهنا ندرك سببا أكثر جوهرية لضبط النفس: فهو يسـمح للآخرين بإشـباع شـهواتهم وأرواحهم. يتسم ضبط النفس بكونه عقلانيا على نحو مفيد، لأنه يبني الصداقات، ويكسـب ولاء الآخرين، ويحافظ على النظام الاجتماعي الذي يسمح للفاعلين الآخرين بإشباع شهواتهم وأرواحهم. وكذلك فإن ضبط النفس يجلب معه مكافآت عاطفية مهمة، لأنه يتم إرضاء الشهوة والروح بأفضل صورة في سياق علاقات وثيقة مع أشخاص آخرين.

بالنسـبة إلى ثوكوديدس، وأفلاطون وأرسـطو، فإن ما ينطبق على الأفراد ينطبق على مدنهـم أيضا. إن أشـد المدن تنظيما وأكثرها عدلا هي تلك التـي تضم مواطنين متعلمين بشـكل صحيح. بتوجيه مـن المنطق والحب لمدينتهم polis، يقـوم المواطنون عن طيب خاطر بتنفيذ المهام الأنسب بالنسبة إليهم، ويحصلون على الترضية المناسبة من استكمالها

بنجاح. يتمثل أساس المدينة في الصداقة (philia) التي يبنيها المواطنون بعضهم مع بعض، كما أن السلام الإقليمي مبني على الصداقة بين المدن [56]. وعلى كلا المستويين يتم بناء العلاقات والإبقاء عليها عبر شبكة كثيفة من التفاعلات الاجتماعية والالتزامات المتبادلة التي تبني هويات مشتركة، إضافة إلى الاحترام والمودة المتبادلين [57].

وعلى الرغم من التركيز الحديث على المنطق باعتباره وسيلة instrumentality، نجد أصداء لآراء أفلاطون وأرسطو في كتابات بعض المفكرين المؤثرين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. يؤكد آدم سميث على أن المنطق يمكنه أن يعلم الحصافة والانضباط والصدق للأشخاص المهتمين بذواتهم - وهي مجموعة الصفات التي يطلق عليها اسم «اللياقة» - والتي تؤدي بهم، من بين أمور أخرى، إلى تأجيل الإشباع القصير الأجل لتحقيق مكاسب على المدى الطويل [58]. ويتشابه هذا كثيرا مع مفهوم أرسطو للحكمة العملية phronesis، والذي كثيرا ما يترجم على أنه «المنطق العملي» أو «الحصافة» prudence. وهو ينشأ من التأمل في النتائج المترتبة على سلوكنا وسلوكيات الآخرين. ورغم أنه متعلق بالخصوصيات، إلا أنه قد يساعدنا على تحقيق حياة أفضل لأنفسنا من خلال التأثير على ماهية الأهداف التي نسعى إليها، وعلى كيفية سعينا لتحقيق هذه الأهداف [59]. كما أن هيغل أقرب منه لأرسطو، إذ جادل بأن المنطق يجب أن يندمج مع الوجدان، ومن ثم يمكن للاثنين معا أن يعلما الناس كيفية التصرف على نحو أخلاقي وتأكيد التزاماتهم المدنية. وبرأيه، فإن البصيرة المبنية على المنطق (Einsicht durch Gründe) تمتلك القدرة على تحريرنا، على الأقل جزئيا، من شهواتنا، وتوجيه حياتنا، ومساعدتنا على تحقيق كامل إمكاناتنا كأفراد [60].

الخوف

إن أفضل ما تستطيعه العوالم الحقيقية هو تقريب هذا المثال، بيد أن معظمها لا يقترب حتى من ذلك. يتعين على العوالم التي تعمل بصورة جيدة على نحو معقول، بالضرورة، أن تنطوي على ما يكفي من المنطق لكبح جماح الشهوة والروح وتوجيههما إلى قنوات منتجة. ويجب عليها كبح جماح الفاعلين، والأقوياء منهم خصوصا، عن طريق مزيج من المنطق، والمصلحة، والخوف، والعادة. دائما ما يكون ضبط النفس Self-restraint صعبا لأنه ينطوي على الحرمان، وهو أمر انقضى زمنه على نحو ملحوظ في العالم الحديث، حيث

صار اتباع الملذات الآنية وإشباع الرغبات الشخصية - وعلى نحو متزايد - هو القاعدة. تشير الأدلة التجريبية إلى أن نحو ثلث الأمريكيين يضعون مصالحهم المادية الشخصية فوق الأعراف المشتركة عندما لا تكون هناك قيود عليهم غير الضمير. ولا يمكن تقييد هذا السلوك على نحو فعال إلا عن طريق مستويات عالية من التوافق المعياري، والاعتماد على موارد الفاعلين الآخرين، والارتباط الوثيق مع أولئك الفاعلين، ومع المجتمع الأوسع[61].

تتسم العوالم القائمة على الروح والشهوة بكونها غير مستقرة بطبيعتها، فهي تنافسية على نحو محموم، مما يشجع الفاعلين على انتهاك القواعد التي يتم من خلالها نيل الشرف أو الثروة. وعندما يقوم بذلك عدد كاف من الفاعلين، فإن من يستمرون في اتباع القواعد يرجح أن يصبحوا معاقين على نحو خطير. ويوفر هذا حافزا قويا للجميع، باستثناء أكثر الفاعلين التزاما للتنصل من اتباع القواعد. وتكون هذه المعضلة أشد حدة في العوالم القائمة على الروح، بسبب الطبيعة العلائقية للشرف والمكانة، الأمر الذي يجعل منها لعبة محصلتها صفر ما لم تكن هناك تسلسلات هرمية متعددة للشرف والمكانة. وعلى الرغم من أن العوالم القائمة على الشهوة لا يلزم أن تكون كذلك، فإن الفاعلين يقومون في كثير من الأحيان بصياغة نيل الثروة باعتباره منافسة يحصد الفائز فيها كل شيء، ومن ثم يتصرفون على نحو تنافسي حتى عندما يوفر التعاون منفعة متبادلة. وفي هذه الحالة، بالمثل، فإن عدم ضبط النفس يشجع الآخرين على محاكاتهم في سعيهم لنيل الثروة. وبالتالي، فإن عدم احترام القواعد يأخذ أحد شكلين: عدم أداء الواجبات (بما في ذلك ضبط النفس) من قبل الفاعلين ذوي المكانة الرفيعة، وتجاهل هذه المكانة والامتيازات المتعلقة بها من قبل الفاعلين الأدنى مكانة. ومن المرجح أن يتسم هذان الشكلان من عدم الامتثال بالتعزيز الذاتي، وأن يعملا على إضعاف التسلسلات الهرمية وتوجيه الأنظمة التي يدعمانها.

يعرف أرسطو الخوف على أنه «ألم أو اضطراب ناجم عن تخيل حدوث كارثة مدمرة أو مؤلمة في المستقبل». وهو ناتج عن «كل ما نشعر بأن لديه قدرة هائلة على تدميرنا، أو على إيذائنا بطرق تميل لأن تسبب لنا ألما كبيرا». وهو نقيض الثقة، ويترافق مع الخطر، الذي هو اقتراب شيء فظيع. وهو يستثار بفعل توقع، وليس حقيقة وجود، مثل هذا الحدث، كما يشجع حدوث استجابة متأنية. وفي كثير من الأحيان يحدث الخوف عن طريق إساءة أحد الفاعلين الآخرين لسلطته، ومن ثم تهديده للنظام الاجتماعي ككل، وليس للأفراد وحدهم[62].

ومثل أرسطو، فإنني أجادل بأن السبب الرئيس في انهيار الأنظمة هو السعي دون قيود من قبل الفاعلين - سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو وحدات سياسية - لتحقيق أهدافهم الضيقة. يؤدي سلوكهم إلى جعل الفاعلين الآخرين يخافون على قدرتهم على إشباع أرواحهم و/أو شهواتهم، وربما الخوف على بقائهم ذاته. ومن المرجح أن يقوم الفاعلون الخائفون بتدبر وتنفيذ مجموعة من الاحتياطات التي يمكن أن ينتج عنها أي شيء، بداية من إغلاق أبوابهم ليلا إلى بناء التحالفات والحصول على أسلحة أكثر وأفضل. ودائما ما يتوازى تصعيد من هذا النوع مع تحولات في تقييم التهديدات. وبالتالي، فإن الفاعلين الذين كان ينظر في البداية على أنهم زملاء أو أصدقاء أو حلفاء، الذين يستحضرون صورا غنية بالوضوح والتفصيل، يفسحون المجال لصور نمطية أبسط وأكثر سطحية للخصوم، أو الأسوأ من ذلك، للأعداء [63]. وهذا التحول، والانحطاط المتعلق به في التعقيد المعرفي، يقوض أي ثقة متبقية، ويشجع تحليلات أسوأ الحالات لدوافعهم، وسلوكياتهم ومبادراتهم المستقبلية. من الممكن للتغيرات التي يعزز الواحد منها الآخر في السلوك والصياغة أن تبدأ تدريجيا، لكنها قد تتسارع عند نقطة ما، ومن ثم تحدث مرحلة انتقالية. وعندما تفعل ذلك، يدلف الفاعلون إلى عوالم قائمة على الخوف.

الجدول (1 – 3): الدوافع والعواطف والأهداف والوسائل

	المتعة	الثروة
	الاحترام	الشرف/ المكانة
	الأمن	القوة

إن الخوف عاطفة، وليس دافعا إنسانيا أساسيا. وبهذا المعنى، فهو يختلف عن الروح، والشهوة والمنطق. وهو ينشأ عن عدم التوازن وتطبيق الخيال البشري على عواقبه المرجحة، أو الممكنة. يحفز الخوف رغبة في الأمن، التي يمكن تلبيتها بطرق متعددة. في العلاقات بين الدول عادة ما ينشأ الخوف عن الامتلاك المباشر للقوة العسكرية (والرفاه الاقتصادي الذي يصنع هذه القوة)، أو امتلاكها بصورة غير مباشرة من خلال التحالفات. وكذلك فهو عامل حفاز، كما هو الحال على المستوى المحلي، للترتيبات المؤسسية التي توفر الأمن عن طريق تقليص قدرات واستقلالية الفاعلين الذين قد يصيبون المرء بأذى. يقارن الجدول (1-3) بين الخوف، والروح، والشهوة والمنطق.

يختلف تناولي للعوالم القائمة على الخوف عن معظم الواقعيين في ناحيتين مهمتين: فأنا لا أعزو العوالم التي يسيطر عليها الخوف إلى الفوضى anarchy، لكن إلى انهيار «المجال» الناجم عن عدم اتباع نخبة الفاعلين لأي قيود. يفترض منطق الفوضى أن الضعفاء هم الأكثر عرضة للتهديد في ظل العوالم القائمة على الخوف، وهم أيضا الأكثر عرضة للموازنة أو ركوب الموجة. تشير فرضية انهيار المجال إلى أن نخبة الفاعلين هم من يقومون بتفعيل عملية التصعيد، وغالبا ما يشعرون بأنهم الأكثر عرضة للتهديد. يزودنا تاريخ القرنين الماضيين بأمثلة عديدة على هذه الظاهرة على الصعيدين المحلي والدولي. ويحدث النوع نفسه من الانهيارات داخل الدول وفي النظم التي تتفاعل ضمنها، وتنتج عن الديناميات نفسها. وأعتقد أن ثوكوديدس افترض أن وصفه لعملية الانزلاق إلى الحرب الأهلية والهمجية في جزيرة كورسيرا يجب أن يقرأ باعتباره مماثلا في كل الجوانب تقريبا للعملية التي انتشرت من خلالها الحرب في جميع أنحاء اليونان القديمة Hellas. تصف الكلمة اليونانية stasis كلتا النتيجتين، التي تترجم إما كحرب أهلية أو صراع حاد، أو انهيار النظام.

تختلف العوالم القائمة على الخوف عن نظيراتها القائمة على الشهوة وعلى الروح، فهي صراعية conflictual للغاية، كما أن أيا من غايات أو وسائل الصراع لا يخضع لأي قواعد. يجعل الفاعلون من الأمن همهم الأول، ومن ثم يحاولون أن يصبحوا أقوياء بما يكفي لردع أو هزيمة أي مجموعة ممكنة من الخصوم المحتملين. يؤدي سباق التسلح، والتصعيد المتبادل، والتحالفات وعمليات الانتشار الهجومية إلى تكثيف انعدام الأمن لدى الجميع، كما تتكهن به المعضلة الأمنية. يتم تفسير الاحتياطات كما لو كانت تشير إلى النوايا، مما يحرض مزيدا من الإجراءات الدفاعية التي يمكن أن تؤدي إلى صراع حاد، وربما إلى حرب شاملة ناجمة عن الضربات الاستباقية، أو فقدان السيطرة، أو اتخاذ قرار لدعم طرف ثالث يشعر بالتهديد. وفي هذا السياق، أشار ثوكوديدس إلى أن إعلان إسبرطة الحرب على أثينا كان نتيجة لعملية من هذا النوع [64]. وتتسم مثل أنماط التصعيد هذه بكونها موصوفة على نحو جيد في أدبيات العلاقات الدولية [65].

وفي العوالم التقليدية القائمة على الروح (تلك التي تهيمن عليها النخب المحاربة)، عادة ما تكون الحروب متكررة لكن محدودة في أهدافها ووسائلها. أما في العوالم القائمة على الخوف، فقد تكون الحروب أقل تواترا لأنها تميل إلى أن تكون أقل تقييدا في غاياتها ووسائلها،

وبالتالي، فكثيرا - وإن لم يكن دائما - ما يتم الاعتراف بكونها أشد خطورة وأكثر تكلفة. كما أنها أكثر صعوبة في الحيلولة دون وقوعها عن طريق الردع والتحالفات، وهي الأدوات الرئيسية لإدارة الصراع لدى الواقعيين. ومن بين الجوانب الأكثر دلالة لوصف ثوكوديدس للحرب البيلوبونيسية نجد الفشل المطلق لجميع التحالفات وجميع أشكال الردع التي هدفت إلى منع نشوب الحرب. وقد أثارت في كل الحالات تقريبا السلوك نفسه الذي وضعت للحيلولة دونه [66]. وقد فشل الردع العام والفوري في اليونان في القرن الخامس للأسباب نفسها التي كثيرا ما تسبب فشله في العصر الحديث: إنه بدا كأنه يؤكد أسوأ مخاوف الفاعلين المستهدفين، مما يقنعهم بالحاجة إلى إظهار ثبات أكثر، وليس أقل، في توقع خاطئ بدوره لأن يؤدي ذلك إلى ردع خصومهم من القيام بمزيد من المبادرات العدوانية [67]. وعندما يركز الفاعلون المستهدفون على مشاكلهم واحتياجاتهم الخاصة، ويلتزمون بخططهم الاستراتيجية باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يرونها لمعالجة تلك المشاكل، فمن المرجح أن يفشل الردع. يمتلك المتحدون challengers حافزا كبيرا لإنكار، أو تشويه، أو تفسير، أو التشكيك في علامات واضحة على عزم خصومهم [68]. تكون كلتا المجموعتين من الشروط أقل احتمالا في العوالم القائمة على الشهوة والروح. ولهذا السبب، يكون الردع أقل احتمالا لأن ينجح في تلك الظروف على وجه التحديد، والتي يرى الواقعيون أنها ضرورية وملائمة للغاية.

وفي بعض الأحيان، توجد تسلسلات هرمية في العوالم القائمة على الخوف. وفي كتاب هوبز «حرب الجميع ضد الجميع»، لا توجد تسلسلات هرمية، بل فوضى فقط، على الرغم من أنه يترك الباب مفتوحا أمام إمكانية تحالف الناس بعضهم مع بعض لحماية أنفسهم أو أخذ ما يريدون من الآخرين [69]. يصف الواقعيون المعاصرون الفوضى بأنها عكس النظام، على الرغم من اعترافهم بإمكانية وجود تسلسلات هرمية. وفي ظل هذه القطبية الثنائية، على سبيل المثال، تقوم العديد من القوى الأضعف بإلصاق نفسها بواحد أو أكثر من أنظمة التحالف المهيمنة، على أمل الحصول على الحماية أو غيرها من الفوائد. من الممكن أن تعمل مثل هذه التراتبية على غرار التسلسل الهرمي التقليدي القائم على الروح، كما فعل التحالف الإسبرطي، أو منظمة حلف شمال الأطلسي NATO، على نحو قابل للجدل. وبدلا من ذلك، فقد يكون مجرد نظام آخر قائم على الخوف، كما كان التحالف الأثيني أو حلف وارسو Warsaw Pact. يساعد هذا على تفسير سبب استمرار بقاء الأول بعد نهاية الحرب الباردة، في حين انهار هذا الأخير.

تمثل العوالم التي يحركها الخوف نقيض العوالم القائمة على الشرف والمصلحة، من حيث إنها تشبه فخاخ جراد البحر: يسهل الدخول إليها ويصعب الخروج منها، فبمجرد أن تتم استثارة الخوف، يكون من الصعب تهدئته. أما تحليل أسوأ الحالات، وهو أمر مستوطن في العوالم القائمة على الخوف، فيشجع الفاعلين على أن يروا تهديدا حتى في ألطف التلميحات وأحسنها قصدا. يخلق ذلك تأثيرا شبيها بكرة الثلج، مما يجعل المخاوف في مثل هذه العوالم تحقق نفسها بنفسها. وبالتالي، فإن الفاعلين الذين يفكرون في اتخاذ خطوات نحو بناء الثقة والتسوية يشعرون بالقلق - وهم محقون في ذلك - من أن الآخرين سوف يسيئون فهم نواياهم أو يستغلون تنازلاتهم. تتسم العوالم القائمة على الخوف بصورة محضة بكونها قليلة ومتباعدة، لكن معظم الوحدات السياسية، طوال معظم فترات تاريخها، كانت تشعر بدرجة ما من القلق بخصوص أمنها. لهذا السبب، يرى الواقعيون أن العوالم التي يحركها الخوف هي القاعدة، وأنها تمثل الحالة التي تعود إليها المجتمعات البشرية حتما. ويزودنا التاريخ بأسباب كافية للتشاؤم، لكنه يبعث على التفاؤل أيضا. وإذا كان سرد ثوكوديدس للحرب البيلوبونيسية يظهر كيف يمكن لانعدام ضبط النفس والخوف الذي يثيره أن يدفع الفاعلين بسرعة إلى العوالم الواقعية المدمرة، فإن كتابه المعنون «آثار الحضارة» يظهر أن الهروب ممكن، لأن الحضارة نشأت عن الهمجية [70]. ولا يعجز التاريخ الحديث عن تقديم أمثلة على كل من العمليتين: فالتنافس على المستعمرات في أواخر القرن التاسع عشر، والذي سعت الدول إليه في المقام الأول لأسباب تتعلق بالمكانة، قد خرج عن نطاق السيطرة، مما أدى إلى منافسة غير مقيدة على نحو متزايد في منطقة البلقان ودفع القوى الأوروبية إلى الحرب العالمية الأولى [71]. أما سياسات إفقار الجيران، التي سادت خلال فترة الكساد الكبير، فتكشف عن مدى السرعة التي يمكن بها تدمير عالم تجاري حر جزئيا [72]. أدى الانتعاش الاقتصادي والسياسي الاستثنائي في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، والذي ارتكز في جزء كبير منه على ترسخ الديموقراطية في ألمانيا، وإيطاليا، وفيما بعد، إسبانيا والبرتغال واليونان، إلى تغيير تلك القارة بطرق كان من الممكن أن ترفض جملة وتفصيلا باعتبارها أضغاث أحلام إذا طرحت كتنبؤات حتى في أوائل خمسينيات القرن العشرين.

عوامل مختلطة

يتسم المفهوم من النوع المثالي بكونه ضمنيا في صياغات أفلاطون، وكذلك في أعراف أرسطو، لكنه لم يتطور إلا على يدي ماكس فيبر في بداية القرن العشرين. امتلك فيبر مفهومين مختلفين إلى حد ما حول الأنواع المثالية. وقد ابتكر ذلك المفهوم في البداية ليحل محل الحدس كوسيلة لفهم سلوك المجتمعات التي تمتلك قيما ووجهات نظر مختلفة. بيد أن الأنواع المثالية من هذا النوع لا تمتلك مصداقية خارجية لأنها غير متوافقة مع أي واقع تاريخي. وقد طرح تصنيفه للسلطة كمثال على ذلك[73]. وقد قام فيبر لاحقا بإعادة صياغة مفهوم الأنواع المثالية لمنحها ارتباطا أكثر تجريبية بالمجتمعات التي قام بدراستها، ووصفها كتشديد تحليلي لجانب واحد أو أكثر من ملامح ظاهرة تهدف لخلق بناء ذهني لا يوجد في الممارسة العملية لكن يمكن أن تقاس القيم التقريبية للعالم الحقيقي مقارنة به. ليس المقصود بهذه الأنواع المثالية أن تعمل كأساس للمقارنة، ولكن كمخطط schema لفهم ثقافة معينة أو وضع بعينه[74].

يتأهل كل من عوالمي الأربعة كأنواع مثالية وفقا لتعريف فيبر الأول. تمثل العوالم القائمة على الروح، والشهوة، والمنطق والخوف بنى تحليلية تفيد في فهم سلوك المجتمعات، ولكن دون ارتباط مباشر بالواقع. ويكون هذا أشد وضوحا في حالة العوالم المستنيرة بالمنطق، والتي ظلت مفهوما مثاليا معزولا منذ أن تصورها سقراط أو أفلاطون، وفي عالم كهذا، تم تقييد الشهوة والروح وتشكيلهما بحيث لا يرغبان إلا فيما ينتج السعادة الحقيقية والسلوك الذي يتفق مع العدالة.

أما العوالم القائمة على الشهوة، والروح والخوف، ولكن ليس المبنية على المنطق على الأرجح، فتتوافق أيضا مع مفهوم فيبر اللاحق للأنواع المثالية: فهي أفكار مجردة للمجتمعات التي توجد فيها، أو التي تواجدت فيها. تتطلب كل هذه العوالم درجة معينة من المنطق، لكنه منطق ذرائعي. فإذا قام الفاعلون بتقييد شهواتهم أو أرواحهم، فسيكون ذلك للسبب نفسه الذي جعل أوديسيوس Odysseus، عندما اكتشف أن بيته يعج بالخاطبين الذين يزعجون زوجته بينيلوب، يتفهم أنه إذا قمع غضبه الآن فسيزيد من فرصه للانتقام لاحقا. إن المنطق، كغاية في حد ذاته، يعمل على مستوى آخر من التجريد، فهو يقيد الروح والشهوة، لكنه يفعل ذلك من أجل إعادة تشكيلهما وتوجيههما لتمكين حياة أكثر سعادة، وتنظيما، وعدلا. تعتمد جميع الأنظمة المستقرة نسبيا على هذه

العملية، لكن في الممارسة العملية، نجد أن سيطرة العقل على الشهوة والروح لا ترقى أبدا إلى درجة خلق أي شيء يقترب من عالم يحكمه المنطق. وبناء على ذلك، سأقصر نفسي على ثلاثة عوالم من النوع المثالي، واضعا العالم المستنير بالمنطق في الخلفية كضرب من المثل العليا أو كعرف أفلاطوني.

لا يفكر الواقعيون في نموذجهم باعتباره نوعا مثاليا، ولكن كوصف للعالم الحقيقي للعلاقات الدولية. بيد أن صحة هذا الادعاء تتوقف كثيرا على الصياغة formulation المعنية. إن الادعاءات القوية، مثل تأكيد والتز على أنه «في السياسة الدولية، لا تعمل القوة كحل أخير فحسب، لكن في الواقع كحل أول ومستديم»، لا تصف سوى عدد قليل، إن وجد، من العوالم الحقيقية، والتي لا يمكن اعتبارها إلا أنواعا مثالية [75]. أما الادعاءات الأضعف فتتعلق بالواقع بصورة أوثق. يؤكد روبرت غيلبين أن حالات الفوضى وسيادة الدولة لا تقتضي ضمنا عالما من الحروب المتواصلة، ولكن مجرد الاعتراف بأنه «ليست هناك سلطة أعلى يمكن للدولة أن تستنجد بها في أوقات الشدة» [76] وعن طريق إرخاء فرضياتها، يمكن للنظريات الواقعية، والليبرالية والماركسية، أن توفق بصورة أفضل بين ادعاءاتها والعوالم الحقيقية. وفي معرض القيام بذلك، عليهم أن يتخلوا عن طرح ادعاءات محددة determinant، وأن يعترفوا بأن هناك ما يجري في العالم أكثر مما يمكن أن تصفه النظريات الخاصة بكل منهم.

كان فيبر متشددا فيما يتعلق بضرورة تفريق الأنواع المثالية عن العوالم الحقيقية، فالأولى تمنحنا صورة واضحة عن الشكل الذي سيكون عليه العالم «النقي» من جنسه، ومعيارا لقياس مدى اقتراب العوالم الحقيقية منه. ومن خلال تحديد ملامح العوالم الحقيقية التي تتوافق على نحو وثيق مع واحد أو أكثر من العوالم المثالية، سنحصل على فهم أفضل لأي نوع من العوالم هي. النقطة المهمة التي يجب وضعها في الاعتبار هنا هي أن هناك ثلاثة دوافع، عادة ما يضاف إليها الخوف، توجد في كل مجتمع. ويتباين التركيز النسبي الذي يخلعه عليها المجتمعات ومعها الفاعلون داخل هذه المجتمعات، وكذلك تختلف درجة تحفيز الخوف لعلاقاتها مع المجتمعات الأخرى ومع الفاعلين الآخرين. وفي بعض الأحيان، يكون من الصعب للغاية الفصل بين الدوافع تحليليا. ويزداد الأمر صعوبة في العالم الحديث، حيث صارت الممتلكات المادية علامة تدل على المكانة. وهناك عامل آخر يزيد الأمر تعقيدا - وهو أيضا أكثر وضوحا في العصر

الحديث - وهو ميل الفاعلين للاستجابة إلى أحد الدوافع، وفي الوقت نفسه شرح وتبرير سلوكهم فيما يتعلق بدافع آخر. يقوم المسؤولون الحكوميون بشكل روتيني باستحضار الهاجس الأمني لتبرير السياسات المدفوعة بالروح أو المصلحة، لأنهم يعتقدون أنه من الأسهل إقناع الجمهور بها. وباعتبار أن الروح سقطت كلية من المعجم السياسي والفلسفي خلال عصر التنوير، على الرغم من بقاء الشرف و«الشرف الوطني»، فإن السلوك الذي تحفزه الروح هو الأقل احتمالا لأن يتم الاعتراف به من قبل الفاعلين المعاصرين. وعلى الرغم من هذه المشاكل، فكثيرا ما يمكن الحكم على دوافع الفاعلين، وكيف تتجسد هذه في سياساتهم الخارجية. وفي كتابي «نظرية الثقافة»، أناقش ببعض الإسهاب الطرق الملائمة لمسعى من هذا القبيل. ويتمثل افتراضي، الذي تدعمه دراسات الحالات التي أجريتها، في أن الدوافع المتعددة تتفاعل كأمزجة mixtures، وليس كمحاليل: فهي لا تمتزج، بل تتعايش، غالبا بطرق تجعل سلوك الفاعلين متناقضا. وباعتبار أنه لا يوجد تفسير بسيط لهذا السلوك، فهو يقدم دعما ظاهريا للاستنتاج القائل إن الدوافع المختلطة تعمل معا.

الحرب

إذا كان الكفاح من أجل نيل الشرف أو المكانة دافعا مهيمنا في السياسة الخارجية للنظام الأوروبي، ولاحقا في النظام السياسي الدولي، فلا بد من أن تكون أنماط الصراع، والتعاون، والمجازفة التي نلاحظها قريبة الشبه بتلك التي أربط بينها وبين العوالم القائمة على الروح. وإذا كانت المكانة، وليس الأمن أو المصلحة المادية، هي الدافع وراء إشعال الحروب التي خاضتها الدول الكبرى والدول الصاعدة، فلا بد من أن نلاحظ وجود نمط مميز لبدء الحروب، والمتعلق بالدول التي تشن الحرب، وبالدول التي تقوم بمهاجمتها، والظروف التي يحدث فيها ذلك. ويختلف هذا النمط كثيرا عما نتوقعه في العوالم المدفوعة بالمصلحة أو الخوف. ولاختبار التوافق بين عالم قائم على الروح والعالم الحقيقي في العلاقات الأوروبية والدولية، سأطرح ست فرضيات حول أسباب الحرب وأنواع الدول التي يرجح أن تكتنف فيها. وتتناقض هذه الفرضيات على نحو حاد مع توقعات النظريات الواقعية، ونظرية انتقال السلطة، وتلك الماركسية والعقلانية للحرب.

الفرضية الأولى

أشـد الدول عدوانية هي القوى الصاعدة التي تسعى للاعتراف بها كقوى عظمى والقوى العظمى المسيطرة التي تسعى للهيمنة.

يعكـس هذا النمـط أهمية الانتصار في الحرب باعتباره الوسـيلة الرئيسـية تاريخيا لاكتسـاب المكانـة الدوليـة. لا تقنع كثير من القـوى العظمى بوضعها حتـى عندما يتم الاعـتراف بهـا باعتبارها القوة العظمى الرائدة. مدفوعين بالغطرسـة، يسـعى قادتها إلى الهيمنة وإشـعال الحروب على أمل تحقيقها. ومن الأمثلة على ذلك إسـبانيا تحت حكم فيليب الثاني، وفرنسـا بقيادة لويس الرابع عشر ونابليـون، وألمانيا الإمبراطورية والنازية، والولايـات المتحـدة منذ نهاية الحرب البـاردة، برأي البعض. تسـعى القوى الصاعدة إلى الاعتراف بها كقوى عظمى، ولهذا السبب تكون عدوانية على وجه الخصوص.

شـهدت أوروبا في بواكير العصر الحديث اندماج الوحدات السياسية وظهور عدد من الدول المتوسطة إلى كبيرة الحجم. وقد بنيت كل من إسبانيا وإنجلترا وفرنسا وروسيا حول مناطق رئيسية بدأت، منذ أواخر العصور الوسطى، في استغلال تفوقها الاقتصادي للتوسع على حسـاب الأقاليم المجاورة. أدت أوجه التفوق الصغيرة، التي تم اسـتغلالها بنجاح من قبل قادة يتسـمون بالذكاء والطمـوح، إلى أفضليات متزايدة دومـا بينهم وبين جيرانهم. كان الزواج وسـيلة أخرى للتوسـع، والذي اسـتغله بأكـثر الصور فعالية آل هابسـبورغ Habsburgs، الذين سـيطروا في مرحلة ما على إسـبانيا، ومعظـم الإمبراطورية الرومانية المقدسـة وشـمال إيطاليا والبلدان الواطئة. لم يكتف قادة هذه الدول بالصراع مع طبقة النبلاء في بلادهـم، ومع الدول المجاورة كجزء لا يتجزأ من جهودهم الرامية إلى الاندماج، بل صارع بعضهم بعضا في جهود رامية إلى اكتساب الهيبة Prestige. وقد ارتبط الجهدان بعلاقة ما، فالهيبة في الخارج عملت على تسهيل التوحد في الداخل، والعكس صحيح.

ليس من المسـتغرب، إذن، أن تكون القوى العظمى في حالة حرب خلال 95 في المائة من القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد انخفضت هذه النسبة إلى 71 في المائة خلال القرن الثامن عشر، وإلى 29 في المائة في القرن التاسع عشر المعدل (أي ما بين العامين 1815 و1914). مثلت السـنوات ما بين العامين 1815 و1914 أول فترة امتدت طوال قرن كامل، والتي كانت سـنوات السلام فيها أكثر من سـنوات الحرب[77]. وقد سعى النبلاء بدورهم لنيـل الشرف عن طريق الحرب، كما واجه حـكام مثل لويس الرابع عشر ضغوطا داخلية

لشـــن الحرب. وقبل العام 1691، كان هناك ما لا يقل عن 3 آلاف نبيل يخدمون في قوات النخبة للملك لويس، كما أدى الخدمة العســـكرية أكثر من 10 في المائة من جميع النبلاء [78]. وفي مذكراتـــه، اعـــترف لويس قائلا: «لدي ضباط لا أحتاجهـــم، لكنني واثق من أنهم بحاجة إلي» [79].

وفي غضـــون القرنين التاســـع عشر والعشريـــن، نجد أن الممالك والســـلالات الحاكمة المتنافســـة أفســـحت المجال على نحو متزايد لـــدول ديموقراطية ذات سياســـات خارجية يزعم أن المصالح الوطنية تحكمها. لم يعد يحكم هذه الدول أرســـتقراطيون يرثون الحكم، ولكن من قبل المســـؤولين المنتخبين، والبيروقراطيين والمحامين الذين صاروا مسؤولين أمام دوائر انتخابية أوسع، والذين يعمل كثير منهم بدافع من المصالح الاقتصادية. من الناحية التاريخيـــة، نحن نربط بين أهداف نيـــل الشرف والمكانة وبين قادة الوحدات السياســـية للســـلالات الحاكمة، لكن القومية nationalism تشـــير إلى أنهم لا يقلون أهمية بالنسبة إلى الـــدول الديموقراطية الصناعية الحديثة، والدول بعد الصناعية. واســـتنادا إلى البحوث النفســـية، تؤكـــد الأبحاث التـــي أجريت مؤخرا عـــلى القومية أن النـــاس يظهرون رغبات قوية في الانضمام لعضوية مجموعة ما والانتســـاب إليها، لأنها توفر «مســـتوى مرتفعا من القيمـــة الذاتية» [80]. تتجاوز حجتي ذلك بخطوة، لتؤكد أن الأشـــخاص الذين يتعاطفون مع القوميات أو الأمم يســـعون بصورة ما لتحقيق إشباع بديل وتعزيز احترامهم لذواتهم عـــن طريق انتصاراتهم، ويعانون من فقدان مقابل في احترامهم لذواتهم، وحتى الشـــعور بالإذلال، عندما يتعرضون للنكسات.

ولهذه الأســـباب، تكشف العلاقات الدولية عن اســـتمرارية صارخة عبر القرون. وقد تيسرت هذه الاســـتمرارية أيضا من خلال اســـتمرار هيمنة الأرستقراطيين على الحرب والديبلوماســـية وصولا إلى العام 1914. أما السعي من أجل الشرف والمكانة، الذي كان في البداية حكرا على الطبقة الأرستقراطية، فقد تغلغل عميقا في الطبقات الوســـطى، التي أخذ كثير من أفرادها عظة من الطبقة الأرســـتقراطية، وســـعوا إلى اســـتيعاب قيمها وممارســـاتها. وفي كتابي «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية»، أوردت دراســـات لحالات عـــن الإمبريالية والحـــرب العالمية الأولى لتوثيـــق كيف انعطفت الحاجة لاحترام الذات إلى الخارج في صورة تنافس دولي واســـتعداد لاستخدام القوة دفاعا عن «الشرف» الوطني [81].

الفرضية الثانية

نادرا ما تقوم القوى الصاعدة والقوى المهيمنة بشـن الحرب بعضها ضـد بعض. وعندما تفعل ذلك، تكون القوى الصاعدة متحالفة مع قوة عظمى واحدة على الأقل.

تسـعى القوى الصاعدة الساعية إلى المكانة إلى أن يتم قبولها ضمن مجموعة رفيعة المكانـة. وبالتالي، فهي بحاجة لإثبات امتلاكها للصفات التي تبرر قبولها. وهذا يخلق نوعا من الإشكالية، إذ أن المؤهل الرئيسي هو النجاح العسكري، لكن مهاجمة وهزيمة أعضاء مهمين في «النادي» سـينفر واحدة أو أكثر من القوى العظمى، وسـتكون له نتائج عكسـية خطيرة على الدول التي تسعى إلى القبول. ويمكن لهجوم يفضي إلى هزيمة أو مـأزق أن يكـون مكلفا على نحو غير متناسـب للقوة الصاعـدة. وتكون القوى الصاعدة أقرب احتمالا لشـن الحـرب ضد قوة عظمى عندما تتعـرض تلك القوة لضعف مؤقت، وحبذا لو كان ذلك كجزء من ائتلاف أوسع. ومن أمثلة ذلك بروسيا، التـي قامت - بدعم مـن بريطانيا - بمهاجمة ولاية سكسـونيا في العام 1756، مما أشعل حربا مع النمسا، والتي تصاعدت إلى حرب السنوات السبع.

من جانبها، لا تمتلك القوى العظمى حوافز مهمة لمهاجمة القوى الصاعدة، فالقوى الصاعدة لا تكون عموما قوية بما فيه الكفاية لتهديد أمنها أو مكانتها، وعادة ما تكون حريصة على عدم استعدائها. وهناك استثناء مهم هنا، هو الحرب الفرنسية - البروسية، التي أشعلتها بروسيا، وهي قوة صاعدة، كوسيلة لتوحيد ألمانيا. وقد عارضت فرنسا في عهد لويس نابليون توحيد ألمانيا، الأمر الذي يعود جزئيا إلى أسباب أمنية، من الناحية التاريخية، سعت فرنسا لإبقاء ألمانيا مقسمة إلى دويلات صغيرة متعددة، كما تعاملت مـع الدويـلات الواقعة على طول نهر الراين باعتبارها شـبه محميات. وعلى أي حال، فإن هذه الاسـتراتيجية، إضافة إلى المعارضة الفرنسـية لتوحيـد ألمانيا، تعكس كذلك التزاما فرنسيا طويل الأمد، في علامة على سمو المقام والمكانة، بأن تظل القوة المهيمنة في القـارة. وتفضل القوى العظمى عموما تفادي عـدوان القوى الصاعدة ضد أطراف ثالثة، وتهدئتها لاحقا عن طريق الاعتراف بالقوى الصاعدة الناجحة كقوى عظمى. وقد ردت القوى العظمى على وجه العموم بهذه الطريقة على بروسـيا وروسـيا في القرن الثامـن عشر، وعلى ألمانيا بعد العام 1870، والولايات المتحدة في نهاية القرن التاسـع

عـشر، واليابان بعد العام 1905. ويمثل هذا النمط نقيض ما تنبأت به نظريات انتقال السـلطة. ونجد اسـتثناء مهما، على الرغم من كونه محدودا، لهذه القاعدة في القوى العظمى التي تخطئ بصورة فادحة في تقدير القوة العسـكرية لقوة صاعدة، وتعتقد بالخطـأ أنها تهاجم أو تسـتفز طرفا ثالثا ضعيفا. وأفضل مثال على ذلك هو اسـتفزاز روسيا لليابان في العام 1904، والذي تسبب في نشوب الحرب الروسية - اليابانية خلال العامي 1904 - 1905. كما أن اسـتعداد فرنسـا لخوض الحرب في العام 1870 انطوى أيضا على سوء تقدير جسيم لقوة الجيش البروسي[82].

الفرضية الثالثة

تتمثـل الأهداف المفضلـة للقـوى المهيمنة والصاعـدة في القوى العظمـى الآفلة والأطـراف الثالثة الضعيفة. وهي تهاجـم أيضا القوى العظمـى التي ينظـر إليها على أنها ضعيفة مؤقتـا، وحبذا لو كان ذلك ضمن تحالف مع القوى الكبرى الأخرى.

إذا لم تكـن الدول الكـبرى والدول الصاعدة تهاجم بعضهـا البعض في العادة، فإن أهدافهـا الواضحـة هي الأطراف الثالثة الضعيفة. ويمثل شـن الحروب ضدها وسـيلة رخيصة وقليلة المخاطر على ما يبدو لإظهار القوة العسـكرية، واكتسـاب أراض إضافية والاسـتحواذ على مواردها. وكذلك فإن القوى التي كانـت عظمى لكنها تعاني الآن من تدهـور خطير تمثل بدورهـا أهدافا جذابة للقوى الصاعـدة، إذ كان ينظر لهزيمة مثل هـذه الدول باعتبارها أكثر جلبا للشرف وإثارة للإعجاب من الانتصار على أطراف ثالثة أضعف بكثير. وفي القرن السابع عشر، أصبحت السويد دولة عظمى عن طريق مهاجمة الإمبراطورية الرومانية المقدسـة، وكذلك فعلت فرنسـا بانتصارها على إسبانيا، وكلاهما كان خصما آفلا. وفي القرن الثامن عشر، أصبحت روسيا قوة عظمى عن طريق انتصارها في الحروب التي خاضتها ضد السـويد والعثمانيين. ويزودنا القرن التاسـع عشر بثلاثة أمثلة: تحدي بروسـيا الناجح للنمسـا، وانتصار الولايات المتحدة على إسـبانيا، وهزيمة اليابان للصـين. وبالنظر إلى تواتر الحروب من هذا النوع، والتي بدأتها الدول الصاعدة على مدى القرون الأربعة الماضية، يمكن اعتبار أن هزيمة قوة عظمى آفلة شرط أساسي لنيل الاعتراف بدولة ما كقوة عظمى.

الفرضية الرابعة

إن الغالبيــة الســاحقة مما يطلق عليه اســم حــروب الهيمنة (أي تلك التي تشــمل معظم القوى العظمى، إن لم يكن كلها) تكون عرضية وناتجة عن تصعيد غير مقصود.

يفــترض العديد مــن النظريات الواقعيــة وتلك المتعلقة بانتقال الســلطة أن حروب الهيمنة hegemonic wars تعكس الجهــود الحثيثة التي تبذلها القوى المهيمنة لتحقيق الســيادة، أو التي يبذلها المنافســون ليحلوا محلها كقوى مهيمنــة. تطرح نظريتي فرضية مختلفــة: تكون حروب الهيمنة عرضية accidental في جميــع الحالات تقريبا. ولا يعني هذا أن القوى المهيمنة لا تسعى إلى فرض هيمنتها، بل إن معظمها لا يحاول تحقيق ذلك عن طريق حرب عامة. وبدلا من ذلك، فهي تهاجم الدول الضعيفة والقوى العظمى الآفلة، في توقــع منها لأن تخوض حروبا محدودة ومحلية. وفي بعــض الأحيان، يتم تصعيد هذه الحروب إلى صراعات أوسع نطاقا - يطلق عليها البعض اسم حروب الهيمنة - عندما تهب دول أخرى لمســاعدة هذه الأطراف الثالثة. وتمثل حروب الخلافة الإســبانية والنمساوية، والحرب العالمية الأولى أمثلة على ذلك. وباعتبار أنه يفترض من القوى الصاعدة ألا تهاجم القوى الكبرى، فلا ينبغي لنا أن نتوقع منها أن تبدأ حروب الهيمنة. أما الاســتثناء الوحيد المحتمل فهو هجوم قوة صاعدة على قوة عظمى ضعيفة أو آفلة، والذي يحرض سلســلة مــن التصعيدات غير المقصودة التي تجتذب إليها معظم القوى العظمى، إن لم يكن كلها. ويمكن وصف حرب السنوات السبع بهذه الطريقة.

الفرضية الخامسة

للتصعيد غير المقصود وإساءة تقدير توازن القوى أسباب أعمق من عدم اكتمال المعلومات.

تفترض تفســيرات الواقعيــة الجديدة وكثير من تلك العقلانيــة للحرب ضمنا أن الحرب تنتج عن معلومات منقوصة. لكنني أرى أن المعلومات الجيدة غالبا ما تكون متاحــة مســبقا، وأن محاولات خوض حــروب محدودة النطاق غالبــا ما تكون غير واقعيــة والتــي يجوز، إن لم يكن من المرجح، أن تؤدي إلى حروب أوســع نطاقا ذات نتائج غير مؤكدة.

ولهذه الانحرافات عن عمليات صنع القرار العقلانية، عموما، أسباب منهجية. يرتبط أولها بدوافع الحرب: المكانة والشرف. ينطوي الشرف تقليديا على مخاطر، وبالتالي فإن المرء ينال الشرف عن طريق مواجهة المخاطر بشجاعة. ويكون الساعون إلى الشرف، سواء من الأفراد أو الدول، أكثر عرضة للخطر من غيرهم من الفاعلين. وكما لاحظ أفلاطون، فإن الروح تغضب بسهولة عن طريق الازدراء، والذي يتضمن الفشل في تكريم المرء على نحو ملائم. ويبلغ الغضب مداه عندما يفتقر المسؤولون عن مثل هذا الازدراء للمكانة. إن السعي إلى نيل الشرف، وخصوصا عندما يقترن مع الغضب، يجعل القادة لا يكترثون للمخاطر ولا لمن يحذرونهم من هذه المخاطر، ويكونون أقل عرضة من غيرهم للانخراط في تقييم جاد للسيناريوهات التي يسعون من خلالها إلى نيل الشرف أو المكانة، أو لمعاقبة من أهانوهم.

الفرضية السادسة

ليس من النادر أن تقوم القوى الضعيفة والآفلة بشن الحروب ضد القوى العظمى.

توجه النظريات القائمة للحرب جل اهتمامها إلى القوى العظمى المهيمنة والصاعدة. وهي تتجاهل القوى الضعيفة والآفلة، لكنني افترض أن هذه الأخيرة تعد من الأسباب الرئيسية للحرب بين الدول. وهي تتصرف في المقام الأول لأسباب تتعلق بالانتقام، فهي حساسة بشكل خاص لشرفها ومكانتها باعتبار أنها كانت من القوى العظمى في يوم ما. ومن الممكن أن تغضب بسهولة بفعل الهجمات الشرسة عليها، لا سيما تلك التي تؤدي إلى فقدان الأرض والمكانة، ومن ثم تسعى للانتقام. وهي تخسر هذه الحروب في الغالبية الساحقة من الحالات. ومن الأمثلة على ذلك هجوم تشارلز الثاني عشر على روسيا في العام 1707 والهجمات العثمانية على روسيا في القرن التاسع عشر.

ولننتقل الآن إلى مجموعة البيانات التي سيتم بناء عليها تقييم هذه وكذلك التفسيرات المتنافسة للحرب.

4

مجموعة البيانات والنتائج

قمت بإنشاء مجموعة بيانات تتألف من جميع الحروب، منذ العام 1648، التي اشتملت على الأقل على واحدة أو أكثر من القوى العظمى أو الصاعدة. وفي هذا الفصل سأقوم بوصف مجموعة البيانات وتبرير مدى ملاءمتها لفرضياتي. سأبتدئ بمناقشة المصطلحات وقواعد الترميز coding rules الرئيسية؛ ثم أناقش نتائجي، التي - في حد زعمي - تقدم دعما كبيرا لفرضياتي، وتشكك في بعض الافتراضات والادعاءات الأساسية للنظريات المتعارضة.

«مثّل الأمن دائما هاجسا مهما في العلاقات. ومع ذلك تشير بياناتي إلى أنه ليس من بين الأسباب الرئيسية للحروب التي دارت رحاها بين القوى العظمى»

المؤلف

التعريفات

في المقدمة أشرت إلى أنه عادة ما يتم التعامل مع السلم والحرب بوصفهما فئتين منفصلتين، على الرغم من أنهما يمثلان في الواقع طرفي سلسلة متصلة. وفيما بين هذين القطبين سنجد حالات مختلفة من التعاون والعنف. تمت صياغة مصطلح

«الحرب الباردة» ليمثل واحدة من حالات البين - بين هذه: سـلام مسلح مشوب بالتوتر، مع صراعات عسـكرية تقع على فترات بين الدول التابعة للقوتين العظميين أو بين إحدى القوتـين العظميـين وحليف للأخرى (مثل الجزء الصيني - الأمـيركي من الحرب الكورية). ويزداد تعقيد التفريق بين الحرب والسـلم بفعل حقيقة أنهما فئتان قانونيتان، مما يمنح الدول خيار خوض الحروب دون إعلانها، كما فعل الاتحاد السـوفييتي واليابان في منغوليا في العام 1939، وما فعلته الولايات المتحدة والصين في كوريا في العام 1950. أما فيما يتعلق بمجموعة بياناتي، فقد احتسـبت حربا أي نزاع بين الـدول نتجت عنه أكثر من ألف حالة وفاة، بغض النظر عما إذا كان أطرافها يعتبرون أنفسهم في حالة حرب.

تـدور فرضياتي حول خمسـة أنواع من الجهـات الفاعلة: القـوى العظمى، والقوى المهيمنـة، والقوى الصاعـدة، والقوى العظمى الآفلة، والدول الضعيفة. تسـتخدم جميع الفئـات الخمـس في الأدبيات على نطاق واسـع، لكن هذا لا يسـهل مطلقا عملية وضع تعريفات عملية جيدة لكل منها.

إن القوة العظمى Great power هي الفئة الأكثر إشـكالية. وقد دخل هذا المصطلح حيز الاسـتخدام في القرن الثامن عشر؛ فرغم أن بعض القوى قد أعطيت امتيازات خاصة بموجب معاهدات ويستفاليا، فإنها لم تنل الاعتراف المؤسسي إلا في مؤتمر فيينا. وهي تمثل منزلة تمنح للدول السياسية القوية من جانب الدول القوية الأخرى. تترأس القوى العظمى المؤتمرات الدولية، وتشـارك في الاجتماعات المقصورة على النخب، ويتوقع منها أن تتحمل المسؤوليات التي تتناسب مع مكانتها[1].

بيد أن هناك ثلاث مشـكلات تربك عملية ترميـز coding هذه الفئة؛ تتعلق أولاها بهذه الفئة نفسها. تغطي مجموعة بياناتي 360 سنة، ما بين عامي 1648 و2008. وباعتبار أن مرتبة القوى العظمى لم تنل الاعتراف المؤسـسي إلا في العام 1815، فليس صحيحا من الناحيـة الفنية أن نتصور أنها كانت موجودة منذ العام 1648. ومع ذلك فإنني أعتقد أنه يمكن الدفاع عن هذه الخطوة لأنه خلال 167 سـنة، ما بين معاهدات ويسـتفاليا ومؤتمر فيينا، ظل الحكام ومستشاروهم يقومون على نحو منتظم بتقييم قوة دولهم، وكذلك قوة الـدول الأخرى؛ فقد تعرفوا على أقوى الجهـات الفاعلة وتعاملوا معها على نحو مختلف. وفي المقابل، طالبت الجهات الفاعلة القوية بامتيازات ومجاملات لا تمنح للآخرين. وبالتالي، كانت القوى العظمى قوى عظمى، ولم ينقصها في ذلك إلا الاسم فقط.

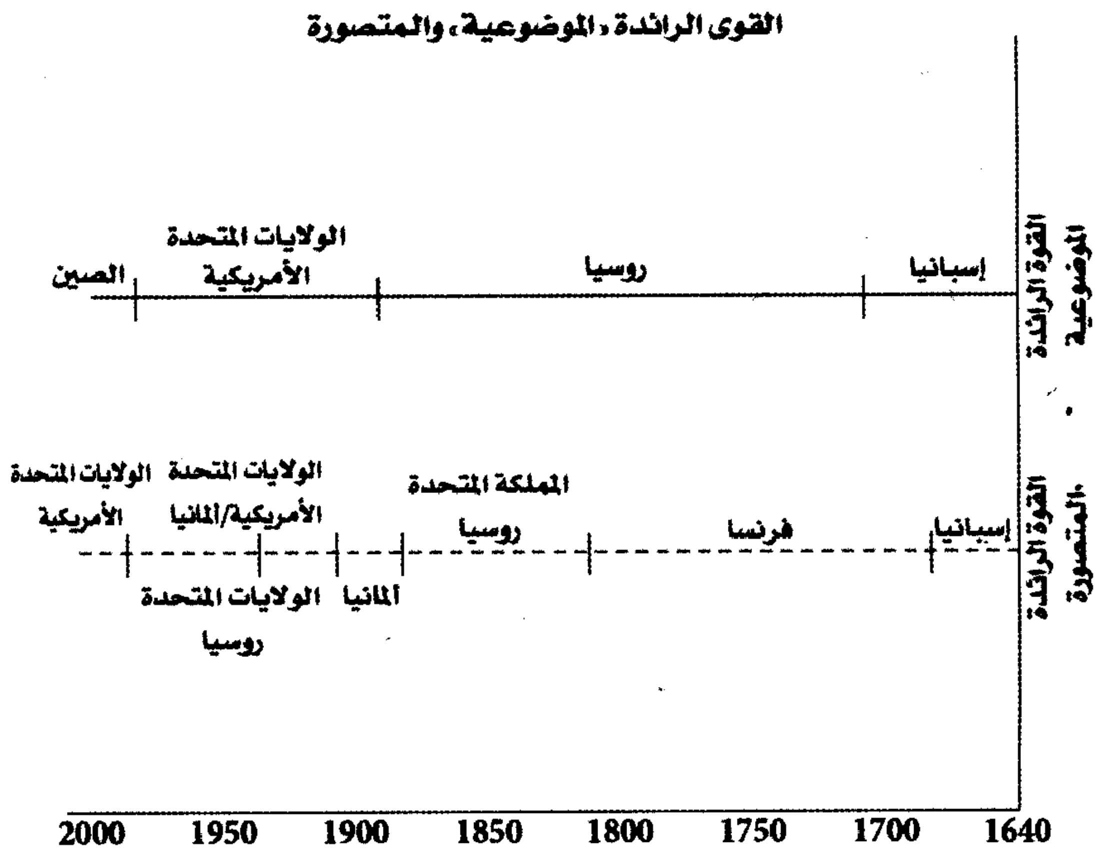
ثانيـا: هناك صعوبة في تحديد متى تصبـح الدولة قوة عظمى أو تتوقف عن أن تكـون كذلك. لا توجد عملية رسـمية للتقدم والاعتراف؛ فالقـوة العظمى هي دولة يعـترف بها ويتم التعامل معها على هذا الأسـاس من قبل القـوى العظمى الأخرى. ولا تصبـح هذه المنزلة واضحة إلا مـن خلال إدراجها في منظمات وتجمعات مختارة، وقدرتهـا على اسـتضافة المؤتمرات التـي تحضرها القوى العظمـى، والأهم من ذلك قيادتها للجهود المشـتركة لدعم السلام أو غيرها من معايير النظام. وليس من الواضح دائما متى يظهر، إن حدث أصلا، التوافق في الآراء بين القوى العظمى على التعامل مع دولـة أخرى كواحدة منها، كما توجد خلافـات أحيانا بين القوى العظمى حول الدول المؤهلـة للقبـول في دائرة النخبة خاصتهم. ومما يزيد عمليـة الاعتراف هذه تعقيدا، نجد ميل القوى العظمى - في اسـتجابة منها لمصالحهـا الوطنية الـمدركة - للتعامل بوصفهـا قوى عظمى مع بعـض الدول التي لا تمتلك قوة أعضـاء «النادي» الآخرين نفسـها (مثل إيطاليا بعـد توحدها، والصين بعد العام 1945)، أو الاسـتمرار في منح هذه المنزلة على سبيل المجاملة للدول التي تلاشت قوتها بشدة (مثل فرنسا بعد العام 1945). وبالنسـبة إلى الشـطر الأكبر من الفترة المذكورة، كان هناك ما يشبه الإجماع بين المراقبين المعاصرين والمؤرخين في فترة لاحقة على صفات الدول التي يمكن وصفها كقـوى عظمى. بيـد أن هناك المزيد من اختلافات الرأي حول متى لم تعد بعض هذه الدول تمثل قوى عظمى.

أما المشكلة الثالثة فهي أيديولوجية: ففي بعض الأحيان الدول التي كان ينبغي أن تكون قوى عظمى على أساس قوتها العسكرية وإنجازاتها، لا يتم الاعتراف بها كذلك إلا متأخرا، لأنها غير مسيحية أو غير أوروبية (مثل الإمبراطورية العثمانية، واليابان). ولهذا السـبب، غالبا ما توجد اختلافات في توقيت الاعتراف بهذه الدول بوصفها قوى عظمى بـين كتابات معاصريها وكتابـات مؤرخي الوقت الحاضر. وفي جميـع الحالات، اتبعت تقديرات اللاحقين.

تصف فئة القوة المهيمنة dominant power قوة عظمى تتسم بكونها أقوى بكثير من القوى العظمى الأخرى. بيد أنها فئة شـخصانية subjective لأنها تسـتند بدورها إلى الأحكام الصادرة عن صناع السياسـات والمراقبين الذين يجرون تقييماتهم الخاصة بمدى القوة. وبالتالي، فليس من المستغرب أن مفاهيم صناع السياسات والمراقبين حول

الدولـة التي تعد قوة مهيمنة، إن وجدت، لا تشـبه في كثير مـن الأحيان إلا على نحو عابر جهود العلماء لإضفاء صبغة موضوعية «objectivize» على هذه الفئة عن طريق تطبيق المعايير القياسية للقوة.

وفي نقدنا لنظرية انتقال السـلطة، قمت أنا وفالنتينو Valentino باستكشاف هذه التناقضـات[2]. وقد وضعنا ترتيبـا للقوة الكامنة للدول عن طريـق ضرب الناتج المحلي الإجمالي لبلد ما في مجموع سـكانها. اسـتقينا البيانات المتعلقة بـكل من الناتج المحلي الإجمالي وعدد السـكان من البيانات التي جمعها أنغوس ماديسون Maddison[3]. وفي حالـة الإمبراطوريات اشـتملت البيانـات أيضا على الناتج المحلي الإجمالي وعدد سـكان الأقاليـم المجاورة، كما تم ملء البيانات المفقودة عن طريق الاسـتيفاء interpolation. يمثـل الشـكل (1-4) مخططا للتوزيع المتنامـي للقوة في أوروبا (بالإضافـة إلى الولايات المتحـدة واليابان) منذ العـام 1640 حتى العام 2000. قد يعترض البعض بأن قياسـاتنا تمنح ثقلا كبيرا لعدد السـكان، وبالتالي تبالغ في تقدير قوة الدول الكثيفة السـكان، مثل روسـيا، في حين تقلل من شأن قوة الدول الأقل سـكانا، مثل بريطانيا. وفي الواقع، لكونها تضـم مواطنـين يزيد عددهم بسـبعين في المائة على الأقل من الدولـة التالية من حيث عدد سـكانها، فقد امتلكت روسـيا أكبر عدد من السـكان في أوروبا خـلال هذه الفترة. ومنـذ العام 1648 على الأقل، ارتبـط إجمالي الناتج المحلي بعدد السـكان ارتباطا وثيقا للغاية، على الأقل فيما بين القوى العظمى. وتتسـم هـذه العلاقة بالقوة لأنه قبل العام 1900 كانت الإنتاجية الاقتصادية للقوى العظمى، باستثناء بريطانيا، مستمدة أساسا من الزراعـة[4]. وما بين منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسـع عشر، لم تكن روسـيا تمتلك أكبر عدد من السـكان في أوروبا فحسـب، بل أكبر ناتج محلي إجمالي. ولم ينخفـض ترتيب الناتج المحلي الإجمالي لروسـيا أبدا إلى أقل مـن المركز الثالث في أوروبا (باسـتثناء الولايات المتحدة واليابان) خـلال هذه الفترة بأكملها. وبالتالي فإن مقياسـنا الخام للقوة، والمرتكز على عدد السـكان والناتج المحلي الإجمالي، يظهر اسـتقرارا كبيرا في الترتيبات الأوروبية للقوى العظمى. في فترة ما بعد صلح ويسـتفاليا، أوائل القرن الثامن عشر، انحسرت هيمنة إسـبانيا مفسحة المجال لروسيا، التي لم تتجاوزها الولايات المتحدة حتـى العام 1895. من جانبها، حافظت الولايات المتحدة على مكانتها بوصفها قوة رائدة حتى تفوقت الصين عليها في ثمانينيات القرن العشرين.



وفي أحســن الأحوال لا يمتلك ترتيب القوى الرائدة هذا إلا علاقة عابرة بالتصورات المعــاصرة للقوى الرائدة، والممثلة في الخط الأســفل من الشــكل (1-4). ووفقا لمعظم التقارير، كانت فرنســا تعد القــوة الرائدة اعتبارا من أوائل القرن الســابع عشر حتى الهزيمــة النهائية لنابليــون في العام 1815. وخــلال الفترة المتبقية من القرن التاســع عــشر، كان ينظر إلى بريطانيا، وبريطانيا وألمانيا لاحقا، بوصفها قوى رائدة. وكما تظهر قياساتنا، ظلت روسيا قوة رائدة طوال هذه الفترة كلها، أما تصور أن الولايات المتحدة هي القوة الرائدة في العالم فلم يترسخ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، بعد نحو ثلاثين عاما من تحولها إلى أقوى دولة حســب قياســاتنا. وقد احتفظت بريادتها حتى أواخر القرن العشرين عندما تفوقت عليها الصين من حيث القوة الكامنة.

كيــف نفسر هذا التناقض بين القوة والإدراك؟ في المقام الأول، يرجع هذا الاختلال إلى كفاءة دولة ما في اســتخراج الموارد واستخدامها. كانت فرنسا الثورية ناجحة بشكل خاص في هذا الصدد، مقارنة بالنمسا وبروسيا؛ وكانت بريطانيا أكثر الدول كفاءة في القرن التاسع عشر بسبب بنيتها السياسية، إذ كان برلمانها قادرا على جمع مبالغ كبيرة من المال بأسعار

فائدة منخفضة في السوق المفتوحة، وذلك بالإضافة إلى ما يجبيه عن طريق الضرائب. وفي العصر الحديث، تمثل الكفاءة أيضا دالة على المقدرة التكنولوجية. وعلى مر التاريخ نجدها تعزى أيضا إلى القوة.

يسـعى القادة المختلفون إلى تحقيق أهداف مختلفة، ويخصصون نسبا مئوية شديدة التفاوت من دخولهم المتاحة لبناء قواتهم المسلحة وغيرها من الأنشطة التي تشير إلى القوة أو تساعد على اكتساب المكانة. وفي سعيه إلى تحقيق المجد gloire، أغدق لويس الرابع عشر على جيشه أموالا طائلة، مما أوقعه وبلاده في ديون ثقيلة. وقد فعلت الشيء نفسـه بروسـيا تحت حكم آل هوهنتسولرن Hohenzollerns: أنفق فريدريك الأكبر أكثر من 75 في المائة من الدخل البروسي على آلته العسكرية، وهو رقم غير متناسـب تماما مع ما أنفقته القوى العظمى الأخرى في عصره[5]. وفي العـام 2008 أنفقت الولايات المتحدة، وهي بروسـيا العـصر الحديث، 417 مليار دولار أمريـكي على الدفاع. ويمثل هذا المبلـغ نحو 47 في المائة من إجمالي النفقات الدفاعية في العالم، رغم أن الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة لا يزيد على نحو 20 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي[6]. إن القوى العظمى التي تنفق على جيشـها بصورة غير متناسبة، وتستخدمه في شن الغزوات، تبرز بين أقرانها، ويمكنها تحقيق منزلة القوة المهيمنة في عيون الآخرين حتى لو لم يكن ذلك مبررا بموجب أي تقييم لقدراتها المادية الإجماليـة. ولأغراض المنزلة وتحقيق التوازن، تبدو تصورات القوة أكثر أهمية من القوة أو القدرات الفعلية، تماما كما أن تصورات التهديد تزيد أهميـة عن تصورات القوة. ووفقا لذلك، سأسـتخدم الأولى لتحديد الدول المؤهلة لأن تكون قوة مهيمنة.

إن القوى الصاعدة Rising powers دول عازمة على انتزاع الاعتراف بها بوصفها قـوة عظمـى، وأن يقر معاصروها بأنها كذلك. ومن أمثلة ذلك بروسـيا وروسـيا في القرن الثامن عشر، وإيطاليا في القرن التاسـع عشر، والولايات المتحدة واليابان أواخر القرن التاسـع عشر وأوائل القرن العشرين. وطوال معظم الفترة قيد الدراسـة، كان النظـام الدولي مقتصرا على أوروبا والمناطق المتاخمـة لها، ومن ثم يجب النظر إليه بوصفه منظومة إقليمية. ومنذ الحرب العالمية الثانية، تتواجد أنظمة إقليمية متميزة ضمن الإطار الأوسـع للنظام الدولي. ولأغراض هذه الدراسـة، سأستبعد من اعتباري

تلـك القـوى التي لا يمكن اعتبارها قـوى عظمى على الصعيد الـدولي، رغم أنها قد تسـعى جاهدة إلى الهيمنة الإقليمية (مثل إيران، وإسرائيل، والبرازيل). وقد صنفت الهنـد بعد العام 1974 على أنها قوة صاعدة بفضل قدراتها النووية، وحجمها، وعدد سكانها، واقتصادها.

ومن الناحية التاريخية، كان الاعتراف ببلد ما بوصفه قوة عظمى يتم عن طريق إظهـار القوة العسـكرية. حتى وقت قريب - سـنتحدث عن هـذا الأمر بمزيد من التفصيل في الجزء الثالث من الكتاب - كان بالإمكان التعرف على القوى الصاعدة عن طريق النسـبة المئوية المتاحة من الدخل للإنفاق على قواتها العسكرية. إن السويد في القرن السـابع عشر، وروسـيا وبروسـيا في القرن الثامن عشر، واليابان في القرنين التاسع عشر والعشرين أنفقت جميعها على قواتها المسلحة بصورة غير متناسبة. كان حكام أوروبا في القرن الثامن عشر ينفقون عادة ما بين عشرين وأربعين في المائة من دخل بلادهم على مؤسسـاتها العسـكرية، رغم أن تلك النسبة تزيد على ذلك بكثير خلال الحروب.

وأضـاف بطرس الأكـبر 40 فوجا regiments جديدا لجيشـه خلال فترة حكمه، وطوال الحرب الشـمالية خصص ما يصـل إلى 80 في المائة من عائدات بلاده للحرب أو للصناعـات المرتبطة بالحرب[7]. وفي العام 1786، وهي السـنة الأخيرة من حكمه، أنفـق فريدريك الأكبر 75 في المائـة من دخل بلاده على الجيش، كما وجه 5 في المائة أخرى إلى خزينة حربه[8]. وكثيرا ما تنظر القوى العظمى إلى القوى الصاعدة باعتبارها محدثة نعمة مزعزعة للاستقرار، مما يمثل وسيلة أخرى، غير رسمية، لتحديد هويتها. وبعد انتصار روسـيا على السـويد في موقعة بولتافـا Poltava في العام 1712، عادة مـا كان بطرس الأكبر Peter the Great يوصف باعتباره بربريا خطيرا[9]؛ فقد أشـار إليه لايبنتز Leibniz على أنه «تركي الشـمال». أما فريدريك وليام الأول Frederick William I فكان ينظر إليه بوصفه طاغية مسـتبدا لأنه سـجن ابنه وأعدم حبيبته. وفي وجود اسـتثناءات نادرة، تحاول القـوى العظمى أن تدخل في النظام تلك الدول التي تظهر بسـالة متواصلة على أرض المعركة. تم اسـتبعاد اليابان في القرن التاسـع عـشر، لكنهـا أدخلت بسرعـة إلى النظام بعد هزيمتها لروسـيا في العـام 1905. ولم يتم اسـتبعاد الاتحاد السوفييتي لأسـباب أيديولوجية فحسب، بل أقيم حاجز وقائي

cordon sanitaire لعزلــه عــن بقيــة أوروبا. بيد أن هذا الجهــد سرعان ما تعرض للفشــل ومن ثم تم إدخال الاتحاد الســوفييتي إلى النظام، فدعي في العام 1934 إلى الانضــمام إلى عصبة الأمــم League of Nations، قبل أن يطرد منها في العام 1939 بعد غزوه فنلندا [10].

أمــا القــوى الآفلــة Declining powers فكانت قوى عظمى يومــا ما، بل ربما كانــت قوى عظمى مهيمنة في وقت ما، والذي يدرك أنها تفقد قوتها مقارنة بالدول الأخرى. بيد أنها قد لا تزال تحتفظ بمنزلة القوة العظمى، كما فعلت إســبانيا طوال القرن الثامن عــشر والإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاســع عشر وأوائل القرن العشرين. وينظر إليها على أنها عرضة للهجوم، ليس فقط لأنها ضعيفة نسبيا مقارنة بالقوى العظمى الأخرى، لكن لأنها غالبا ما تكون متوســعة على نحو مفرط إقليميا. وبعد هزيمتها من قبل روســيا في الحرب الشــمالية الكبرى (1700 - 1721)، صارت الســويد قوة آفلة خلال القرن الثامن عشر، وكذلك فعل اتحاد بولندا - ليتوانيا حتى اختفــى مــن الوجود بعد ثلاث مراحــل للتقســيم (1771، و1793 و1795). بيد أن بولندا تمثل حالة غير نمطية: فمن الصعب عادة التيقن من توقيت تحول قوة عظمى إلى قوة آفلة بســبب عــدم وجود مرحلة انتقالية واضحة يســهل تحديدها. وتتمثل العلامة الأكثر أهمية بالنسبة إلى معظم المراقبين في الهزيمة أو الأداء السيئ في الحرب. وبالنظر إلى أهداف بحثي هذا سيكون من قبيل التكرار أن استخدم الهزيمة كمؤشر، لأن الهجــمات التي تتعرض لها هذه القوى هي ما أحاول تفســيره. وبناء على ذلك، ســأعتمد عــلى تقديرات الأطراف الثالثــة، لكن هذا حتى لا يخلو من المشــاكل لأن أحــكام المؤرخين تصدر بأثر رجعي، وتتأثــر حتما بمعرفتهم بأداء الدول التي خاضت تلــك الحروب. تكــون بعض خيارات الترميز أكثر موضوعية مــن غيرها؛ فقد صنفت تحالف النمســا - المجر بوصفه قــوة عظمى حتى انهياره في العــام 1918، رغم أنه يمكــن أن يوصف أيضا بأنه قــوة آفلة بعد هزيمته من قبل بروســيا في العام 1866. ولحســن الحظ، فإن هذه الترميزات المختلفة لم تــؤد إلا إلى فارق هامشي في النتائج التي توصلت إليها: أدى تصنيف تحالف النمســا - المجر بوصفه قوة آفلة بعد نتائج حرب العام 1866 إلى نقص حرب واحدة فقط أشــعلتها إحدى القوى العظمى وإلى زيادة واحدة أشعلتها قوة آفلة.

الشكل (2-4): القوى العظمى، والصاعدة، والآفلة: 1648 – 2000.

النمسا - المجر	قوة صاعدة، 1648 - 1714؛ قوة عظمى، 1714 – 1918.
براندنبورغ - بروسيا	قوة صاعدة، 1648 - 1763؛ قوة عظمى، 1763 – 1871.
الصين	قوة صاعدة، 1949 - 1990؛ قوة عظمى، 1990.
إنجلترا/ بريطانيا/ المملكة المتحدة	قوة صاعدة، 1648 - 1688؛ قوة عظمى، 1688.
فرنسا	قوة عظمى، 1648 - 1659؛ قوة مهيمنة، 1659 - 1815؛ قوة عظمى، 1815 - 1940، 1945.
ألمانيا	قوة عظمى، 1871 - 1945؛ قوة صاعدة، 1991.
الهند	قوة صاعدة، 1974.
إيطاليا	قوة صاعدة، 1861 – 1943.
اليابان	قوة صاعدة، 1868 - 1905؛ قوة عظمى، 1905 - 1945؛ قوة صاعدة، 1965 – 1990.
الإمبراطورية العثمانية	قوة عظمى، 1648 - 1683؛ قوة آفلة، 1683 – 1918.
بولندا	قوة عظمى، 1648 - 1733؛ قوة آفلة، 1733 – 1795.
روسيا	قوة صاعدة، 1654 - 1721؛ قوة عظمى، 1721 - 1917، 1991.
سردينيا - لومباردي	قوة صاعدة، 1814 – 1861.
الاتحاد السوفييتي	قوة صاعدة، 1920 - 1941؛ قوة عظمى، 1942 – 1991.
إسبانيا	قوة مهيمنة، 1648 - 1658؛ قوة عظمى، 1658 - 1713؛ قوة آفلة، 1713 – 1900.
السويد	قوة عظمى، 1648 - 1711؛ قوة آفلة، 1711 – 1750.
المقاطعات المتحدة	قوة عظمى، 1648 - 1713؛ قوة آفلة، 1713 – 1792.
الولايات المتحدة	قوة صاعدة، 1865 - 1917؛ قوة مهيمنة، 1917.

إن القوى الضعيفة Weak powers هي الدول المعروف على نطاق واسع كونها ضعيفة عسكريا وتمثل فريسة سهلة للقوى المهيمنة، والعظمى، والصاعدة. وهي في الغالب الأعم دول صغيرة تفتقر إلى الدفاعات الطبيعية (مثل البلاتينات

Palatinate في القرنين السابع عشر والثامن عشر)؛ ومن الممكن أيضا أن تكون دولا كبيرة أو مكتظة بالسكان لكنها متخلفة تكنولوجيا (مثل المكسيك والصين في القرن التاسع عشر)، أو دولا متقدمة أهملت دفاعاتها (مثل سكسونيا Saxony في القرن الثامن عشر).

يوضح الشكل (2-4) القوى العظمى والصاعدة والآفلة خلال الفترة من العام 1648 حتى الوقت الحاضر. وقد اعتمدت في وضع هذه الترميزات على العديد من الدراسات التاريخية المحترمة يتممها حكمي الخاص في الحالات التي اختلف فيها المؤرخون.

مجموعة البيانات

في الفصل الثاني تشككت في فائدة دراسات أصول الحرب التي تعتمد على التحليلات العلائقية. بيد أن مجموعة بياناتي لن تبلي بلاء أفضل منها، كما أنني استخدمها بصورة وصفية فقط. وفي هذا الصدد، من المفيد أن نميز بين الاستراتيجيات العلائقية والرصدية observational. توصف هذه الأخيرة بأفضل صورة على أنها ضرب من استطلاع الرأي التاريخي غير المباشر: يتم مسح الجهات الفاعلة للتأكد مما فعلته، ولماذا فعلته. ولتحقيق هذه الغاية، استخدمت مصادر ثانوية، وأولية في بعض الأحيان، لتحديد الطرف المسؤول عن إشعال الحرب، وسبب خوضه للحرب. وقد رصدت تواتر ونتائج هذه الحروب، وهي البيانات التي ربطت بينها وبين الدوافع المستبطنة لها، ولكن ليس عن طريق الارتباط correlation.

وقد قمت بتقييم فرضياتي مقابل مجموعة بيانات حول الحروب بين الدول، التي دارت رحاها ما بين عامي 1648 و2008. تبدأ مجموعة البيانات بعام 1648، لأن سلام ويستفاليا Peace of Westphalia يمثل نقطة الانطلاق الأوسع اعترافا لنظام الدولة الحديثة. وقبل تلك النقطة غالبا ما يصعب التمييز بين النزاعات الداخلية والدولية. كانت الحرب وسيلة رئيسية يسعى من خلالها الحكام إلى فرض سيطرتهم على الأراضي التي يرثونها أو يدعون ملكيتها، والتي تحرض المقاومة من قبل أولئك الذين لولا ذلك لتم إخضاعهم. ولا يمكن تفريق العنف الدولي عن نظيره المحلي إلا بعد ظهور «الدول» - وهي وحدات سياسية مستقلة ذات سيادة واحتكار فعلي لاستخدام القوة داخل حدودها -

وثمة نوع من «النظام» الدولي الذي تنتمي إليه. ويمنح هذا الأخير السيادة sovereignty لتلك الوحدات، مما يجعل شـــن الحرب ممكنا [11]. وفي الممارســـة العملية، لم ينشئ سلام ويســـتفاليا نظام الدولـــة الحديثة، ويجب علينـــا أن نتوخى الحذر، كـــما حذرنا منه دان نيكسون Nexon - وهو محق في ذلك - من عدم الخلط بين وجود عدد من العناصر التي نربط بينها وبين الدول الإقليمية ذات الســـيادة وبين الوجود الفعلي لمثل هذا النظام[12]. وبحلول القرن الثامن عشر كان النظام يتضمن لاعبين أكثر اســـتدامة، وقواعد وممارسات، وبعض القدرة على إدارة النزاعات باستثناء الحرب[13].

اقتصر نظام ويستفاليا في البداية على القوى الغربية، قبل أن يتوسع تدريجيا ليشمل دولا غير مســـيحية وغـــير أوروبية. وقد تغيرت طبيعة الوحدات التـــي يتألف منها النظام بشـــكل كبير على مدى 350 عاما. ففي العام 1648 كانت جميع الدول تقريبا تتبع النظام الملكي، يفرض كثير منها بعض القيود على حكامها. ومنذ العام 1945، تحول العديد منها إلى ديموقراطيات، على الرغم من أن ذلك ظل في بعضها شـــكليا أكثر منه في المضمون. ومما لا شك فيه أن هذا التحول المزدوج في مسوغات العضوية ونظام الحكم كانت له آثار عميقة على ســـلوك الوحدات السياســـية، مما يجعل المقارنة بين سلوكياتها عبر مجموعة البيانات مشتبها به إلى حد ما. وللسبب نفسه، فمن الممكن اعتبار أن أي أنماط تواصلت عبر هذه القرون هي أكثرها إثارة للإعجاب.

وكما أشرت إليه، فإن مجموعة بياناتي تستند إلى مجموعة بيانات سابقة قمت ببنائها في العـــام 2007 من أجل مقال قمت فيه، مع بنيامـــين فالنتينو، بتقييم ادعاءات نظريات انتقال السلطة [14]. وفي الجزء الخاص بي من هذا الجهد المشترك قمت بتجميع قائمة بكل الحروب التي نشـــبت بين الدول منذ العام 1648 حتى الوقت الحاضر، والتي انطوت على وفيات قتالية لا تقل عن الألف. وللقيام بذلك، راجعت مجموعات البيانات المســـتخدمة على نطاق واســـع (مثل علائق الحرب COW، وراســـلر وتومســـون، وليفـــي)، وعدد من الروايات التاريخية البارزة من الفترة المذكورة. ولم أُدرج إلا الحروب التي كان أحد أطرافها عـــلى الأقل من القوى المهيمنة، أو العظمـــى أو الآفلة. نتج عن هذا ما مجموعه 94 حربا (انظر الملحق) من بين نحو 150 حربا درات رحاها بين الدول منذ العام 1648.

يشـــكك المؤرخ ديفيد بلايني في أن أي دراسة عن أهداف الحرب لن تسفر عن أنماط مفيـــدة. وهـــو يؤكد على أنه لا توجد أدلـــة على أن «الرغبة في فتح الأراضي أو الأســـواق،

أو الرغبـــة في نشر أيديولوجية معينة، قد طغت على جميـــع أهداف الحرب الأخرى. من الصعـــب القول حتى بأن أنواعـــا معينة من الأهداف كانت مهيمنـــة في جيل بعينه»[15]. إنني لا أعترض على هذا الحكم، لكنني أســـارع إلى الإشـــارة إلى أن فرضياتي تتعلق بدوافع الحرب، وليس أهدافها. ليســـت هناك علاقة ضرورية بين الاثنين، إذ إن أهداف الحرب قد تتوافـــق مع العديد من الدوافـــع، كما أن كلا من الدوافع التي قمت بدراســـتها يمكن أن تجـــد تعبـــيرا عنها في مجموعة متنوعة من أهداف الحرب. ومـــع ذلك، فإن تحديد دوافع الأطراف الفاعلة يمثل مهمة شاقة، ويحتاج إلى دراسة متأنية للوثائق ذات الصلة. وفي بعض الأحيـــان، نجدهـــا توفر أدلة مباشرة حول دوافع القادة، وفي أحيـــان أكثر تزودنا بأدلة غير مباشرة تســـمح لي بأن أســـتنتج منها بدرجة معينة من الثقة. ثمة استراتيجية بديلة، لكنها متكاملة، هي التعليل الرجوعي: من الســـلوك إلى الدوافـــع، وهنا، أيضا، فإن وجود درجة ما من عدم اليقين يعد أمرا لا مفر منه، خصوصا عندما يكون الســـلوك المعني متوافقا مع دوافع متعددة.

ولتحديـــد الأطراف البادئة initiators لهذه الصراعات، راجعت المصادر الثانوية التي تحظـــى باحترام كبير، وجميعها مذكور في ثَبْت المراجع. اتســـم ترميـــز الأطراف البادئة في العادة، ولكن ليس دائما بكونه عملية سهلة. وكما يحذرنا هايديمي سوغانامي Suganami، فرغم أن الحروب تنشـــب عادة عن قرار القيادة باســـتخدام القوة، فإن المسؤولية عنها لا تقع دائما على عاتق الدولة التي أقدمت على الخطوة الأخيرة. عادة ما يكون إعلان الحرب أو عبور الحدود هو الخطوة الأخيرة في عملية طويلة تنطوي على استفزازات من الجانبين. وقد تكون الخطوة النهائية للحرب أمرا قسريا في ضوء ما سبقها. يطرح سوغانامي الهجوم اليابـــاني على ميناء بـــيرل هاربور كمثال على ذلك[16]. أما المؤرخ ريتشـــارد إيفانز Evans، فيذهب إلى أبعـــد من ذلك، فيعتبر أن أدوارا مثل «الجاني»، و«الضحية» و«المتفرج» تمثل إفراطا في التبســـيط و«تمثل عقبة أكثر منها وسيلة مســـاعدة للفهم التاريخي»[17]. تذكرنا هذه المقاربة بثوكوديدس، الذي يبدأ نصه المتراكب بتحديد ظاهري للطرف المســـؤول عن الحـــرب، الأمر الذي يتم تقويضه لاحقا بفعل تحليل لأســـباب الحرب، التي تزداد صعوبة التوفيق بينها وبين مفهوم المسؤولية[18].

تكشـــف حالاتي عن أنواع مختلفة من المشـــاكل، عندما يتعلق الأمر بالترميز. وقد تم تنـــاول التحالف الأول (1793 - 1797) من الحروب الثورية الفرنســـية على نطاق واســـع

من قبل المؤرخين، الذين كان الكثير منهم يمتلك أجندات قومية فرنسية أو ألمانية، الذين انعقدت نية كل منهم على إلقاء اللوم على الجانب الآخر، واتهامه بالسعي إلى تحقيق أهداف إمبريالية بعيدة المدى. ولترميز الحالة نحتاج إلى التراجع عن هذه المناقشات والاطلاع على مزيد من الأدلة بصورة منصفة. وهي تروي قصة أكثر تعقيدا، تحاول فيها النمسا منع نشوب الحرب، في حين كانت بروسيا متحمسة لخوض الحرب لتحقيق مكاسب إقليمية على حساب فرنسا، فيما تعرضت الجمعية الوطنية الفرنسية للتضليل من جانب دعاة الحرب الجيروندييين Girondin حتى اعتقد أعضاؤها أن الأنظمة القديمة ستنهار مع أول هجمة إلى الشرق[19].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحرب الفرنسية - البروسية تستعصي أيضا على الترميز البسيط. تشجعت فرنسا على إعلان الحرب بفعل تلغراف إيمز Ems Dispatch الشهير الذي أذاعه بسمارك[20]. من الناحية التقنية، كانت فرنسا هي الطرف البادئ للحرب، لكن ألمانيا كانت البادئ الفعلي لها. وفي حرب الائتلاف السابع، التي نشبت في العام 1815، قمت بترميز تحالف القوى العظمى على أنه الطرف البادئ للحرب، رغم أن عودة نابليون إلى السلطة وزحف الجيش الفرنسي الاستباقي شمالا إلى بلجيكا كانا السبب في إشعال الحرب من جديد. إن إجمالي عدد الأطراف البادئة في مجموعة البيانات (1078) يزيد على العدد الإجمالي للحروب، لأن بعض النزاعات - مثل حرب الخلافة النمساوية (1740 - 1748)، والحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) والحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) - انطوت على العديد من الأطراف البادئة، حتى عند تحليلها إلى مكوناتها.

لست مهتما بالأطراف البادئة للحروب فحسب، بل بالأسباب التي دعتها إلى ذلك. ولتحقيق هذه الغاية استشرت المصادر الثانوية المناسبة، وكذلك المصادر الأولية في بعض الأحيان. تعتمد بعض ترميزاتي على دراسات الحالات التي نشرتها في مطبوع آخر، والتي تشمل حروب لويس الرابع عشر، وبطرس الأكبر، وفريدريك الأكبر والحربين العالميتين[21]. تتألف مجموعة البيانات من عدد كبير من الحالات، ولا بد بالضرورة من تلخيص الحالات الفردية، على النحو الشديد الإيجاز الخاص بالترميز. وقد قصرت نفسي على خمسة دوافع: الأمن، والمصلحة، والمكانة، والانتقام، وفئة إضافية للدوافع «الأخرى». يتسم الأمن بكونه موجها بالخوف، وهو ما يفترض الواقعيون وكثير من العقلانيين أنه الدافع المهيمن والمسؤول عن معظم الحروب. من الممكن أن يؤدي الهاجس الأمني إلى إشعال حرب

وقائية، أو ضربة استباقية، أو عمل عسكري ضد جهات خارجية (مثل حرب الغواصات غير المقيدة من جانب ألمانيا في العام 1918، والهجوم السوفييتي ضد فنلندا خلال عامي 1939 - 1940) والتي يعتقد أنها ضرورية لكسب صراع مبدئي. ولكي أكون منصفا قدر المستطاع تجاه ادعاءات الواقعيين، أفسر الأمن بمفهومه الواسع ليشمل جميع أنواع بدء الحرب، كما قمت بالترميز كدافع أمني لأي حرب تم خوضها للمحافظة على الأرض، أو الاستقلال أو الأنظمة (إذا كان سيتم تغييرها من قبل العدو المنتصر) أو السمعة (عندما تتسم بالأهمية لأسباب تتعلق بالأمن). ووفقا لذلك، قمت بترميز التحالفات الأول حتى الثالث ضد فرنسا الثورية (1792 و1798) على أنها مدفوعة باعتبارات أمنية.

أما المصلحة interest فهي الدافع الرئيسي لدى الليبراليين، وتشير إلى السياسات التي تهدف إلى تحقيق أقصى قدر من الثروة. منذ فترة طويلة، كانت المصلحة دافعا للحرب، وكان الحافز المهيمن أو المساهم في بعض الحروب التي نشبت في القرن الثامن عشر. وفي عصرنا هذا، كانت المصلحة دون شك أحد الأسباب الرئيسية لغزو صدام حسين للكويت في العام 1990. في بعض الأحيان، تتوافر أدلة وثائقية تثبت الحافز الذي توفره المصلحة لخوض الحرب. وفي أحيان أخرى، اعتمدت على مصادر ثانوية، كما فعلت فيما يتعلق بالأمن كدافع للحرب. بيد أننا يجب أن نتوخى جانب الحرص في هذا الصدد لأن هناك اتجاها من قبل المؤرخين، بل أكثر منهم علماء العلاقات الدولية، لتفسير الحالات وفقا لتوجهاتهم الفكرية أو نظرياتهم المفضلة. وللحد من هذا الخطر، استشرت مصادر متعددة في كل حالة، وحيثما كانت هناك انقسامات في الرأي، أجريت استقصاءاتي الخاصة، وخلعت في بعض الأحيان ترميزات متعددة على الحالة نفسها. وتعد أسباب الحرب العالمية الأولى مثالا على ذلك: ففي البداية، كان هناك جدل كبير حول الدولة أو الدول المسؤولة عن الحرب، لكن هناك الآن اتفاقا واسع النطاق على أن النمسا وألمانيا كانتا الطرفين البادئين، ولكن ليس هناك اتفاق عام حول دوافع قادتهما. واحتراما للواقعيين سأمنح الأمن وزنا مساويا للمكانة كدافع للحرب، وإن كنت أرى أن هذا الأخير يعد دافعا أوليا. وقد فعلت الشيء نفسه بالنسبة إلى التدخل الأمريكي في أفغانستان، وهو ما كان بوسعي أن أعزوه إلى السياسة الداخلية والانتقام. وأعتقد أن إدارة بوش كانت مدفوعة في المقام الأول برغبتها في غزو العراق، ومن ثم ظنت أن غزو أفغانستان سيمهد الطريق، من الناحية السياسية، لتحقيق هذا الهدف[22].

تصف المكانة standing الترتيب النسبي بين الدول، وأعتقد أنها السبب الأكثر أهمية للحـرب. وهـي تمثل تعبيرا عن الروح، كـما يفعل الغضب. والانتقام هـو أيضا تعبير عن الغضـب، والـذي - كما أشرت إليه سـابقا، مُتبعا في ذلك نهج أرسـطو - يسـتثار في كثير من الأحيان عن طريق الاسـتخفاف بمكانة المرء. وفي الغالبية السـاحقة من الحالات، تمثل الحروب التي تشـن بدافع الانتقام جهودا ترمي إلى اسـتعادة أراض فقدت لمصلحة دولة معتدية في حرب سـابقة. وفي القرن الثامن عشر خاض النمسـاويون الحرب ضد بروسيا، والعثمانيون ضد النمسا وروسيا، لهذا السبب. وفي حين يمثل الانتقام تعبيرا عن الروح، فقد قمـت بترميزه كفئـة متميزة لأن الشروط التي تحرضه تختلـف، في كثير من الأحيان على مـا أعتقد، عن تلك التي تعمل كمحفزات للدول التي تأمل في تعزيز - وليس اسـتعادة - مكانتهـا. وفي بعض الأحيان، يندمـج الاثنان، والذي يمكن القول بأنه كان الحال في الحرب الهولندية التي شـنها لويس الرابع عشر، والنمسا في العام 1914، والغزو الأمريكي للعراق. وفي محاولـة مني للتدليل على أهمية المكانة كدافع للحرب، حاولت دائما تفضيل الدوافع الأخرى في ترميزاتي، كلما أمكن ذلك.

أما فئتي الإضافية للترميزات «الأخرى»، فتصف الحالات التي لا يمكن بسهولة إدراجها ضمن واحـدة من فئاتي التصنيفية الأخرى. ومن أمثلة ذلك الحروب التي انجر إليها قادة غير راغبين في خوضها بسبب عمل عسكري غير مخول من قبل مرؤوسيهم، كما في الهجوم الذي وقع في العام 1938 على تل شـانكوفينغ Changkufeng من قبل جيش الكوانتونغ اليابـاني. وتشـمل الحالات الأخـرى الحروب التي شُـنت بدافع من المخاوف السياسـية الداخليـة، مع عدم وجود خطر يتهـدد بقاء النظام، كما هي الحال في الحرب البروسـية - النمسـاوية ضد الدنمارك في العام 1864. سـعت بروسيا والنمسـا لتحسين موقفهما في المجتمع الألماني، لكن بسـمارك كان يسـعى بدوره لتقسـيم وهزيمة المعارضة الوطنية - الليبراليـة في المجلـس التشريعي البروسي. وقد قمت بترميز هـذه الحالة على أنها وقعت بدافع المكانة وأسباب أخرى.

وقـد خلعت ترميز «أخرى» على حـركات التمرد الكولونيالية ضـد القوى العظمى. وأخـيرا، هناك حـروب هتلر العدوانية ضـد أوروبا الغربية، ودول البلقان وروسـيا. وقد حـاول بعـض الواقعيين وغيرهم مـن أتباع ادعـاء العقلانية - على نحو غـير مقنع، من وجهة نظري - تفسـير هذه الحروب باعتبارها اسـتجابات عقلانية لمصالح ألمانيا الوطنية

أو الاستراتيجية[23]. وقد تابعت مؤلفات أبرز كتاب سيرة هتلر (مثل بولوك Bullock، وفيست Fest) والتقارير المنشورة حول سياسته الخارجية (مثل واينبرغ Weinberg، وريتش Rich)، فوجدتهم يصرون على أنها تتعارض مع أي تفسير منطقي.

إنني مهتم بالمثل بنتائج الحروب: هل فازت الأطراف البادئة في الحروب التي أشعلتها؟ يحمل مصطلح «الفوز» معنيين اثنين مقبولين عموما. الأول هو الانتصار العسكري، الذي ينطوي على هزيمة مقابلة للجانب الآخر. قد تكون هذه النتيجة واضحة في بعض الحالات، ولكن ليس في غيرها. مَن، على سبيل المثال، كان الطرف المنتصر في المكون الصيني - الأمريكي من الحرب الكورية أو حرب الاستنزاف 1969 - 1970 بين مصر وإسرائيل؟ أما المفهوم الثاني للفوز، والأقرب إلى مفاهيم فون كلاوزفيتس Clausewitzian، فيشير إلى الأهداف التي لجأ الطرف البادئ إلى القوة بسببها. وفي بعض الأحيان يمكن تحقيقها دون انتصار. خسر المصريون حرب أكتوبر 1973 ضد إسرائيل، لكن الطبيعة المكلفة لانتصار إسرائيل مهدت الطريق لإبرام معاهدة السلام مع مصر واسترداد الأخيرة لشبه جزيرة سيناء. وبالتالي، ساعدت الحرب الرئيس المصري أنور السادات في الحصول على هدفه الاستراتيجي الأشمل[24]. وفي مناسبات أخرى فشل الانتصار في تحقيق الأهداف السياسية التي كانت سببا في نشوب الحرب، كما كان الحال مع غزو إسرائيل للبنان في عامي 1978 و1982. ومن الممكن أيضا أن يكون هناك انفصال بين أهداف الحرب والمخاوف الكامنة التي حرضتها. في العام 2003 غزت الولايات المتحدة العراق وأطاحت بصدام حسين، محققة بذلك أهدافها السياسية المعلنة. وعلى أي حال، فإن إدارة بوش واجهت حينئذ حركات للتمرد، وازديادا في الخسائر البشرية من العسكريين، إضافة إلى فقدان الدعم في الداخل والخارج. وبالتبصر في الماضي، يبدو أن النصر العسكري عمل على تقويض، وليس تعزيز، المصالح الأمنية أو المادية للولايات المتحدة ومكانتها الدولية. وأعتقد أن المؤرخين في المستقبل سيعتبرون هذا التدخل هزيمة سياسية ساحقة. ولتجنب مشكلة التفسير عند طبقات متعددة من التحليل، قررت استخدام التعريف الأكثر سطحية للانتصار، وهو ذلك العسكري.

في كثير من الأحيان، ولكن ليس دائما، يرتبط النصر العسكري أو الهزيمة (أو الطريق المسدود stalemate) بنجاح أو فشل الأهداف السياسية للدولة. ويكون هذا أقرب احتمالا عندما تتحرك الأطراف الفاعلة بدافع المصلحة أو الخوف، وبصورة أقل من ذلك

إلى حد ما بالنســـبة إلى الزعماء الذين يتحركون بدافع من الروح. وكما ذكرت في الفصل الســـابق، لا يمكن نيل الشرف إلا عن طريق مواجهة الخطر بشـــجاعة، والأفضل من ذلك التغلـــب على ذلك الخطر. إن مواجهة التحـــدي من دون تردد قد تكون أكثر أهمية من الفوز، حتى لو نتجت عن الهزيمة وفاة الفاعلين المعنيين أو انهيار دولتهم. قدمت ألمانيا والنمســـا في العام 1914 مثـــالا معبرا عن ذلك: اعتبر كل مـــن الإمبراطور فرانز جوزيف ورئيـــس الأركان العامة للجيـــش فرانز كونراد فون هوتســـيندورف von Hötzendorf وصقـور الحـــرب في الجيـــش ووزارة الخارجية، أن اغتيال الأرشـــيدوق فرانـــز فرديناند وزوجتـــه صوفي في سراييفو يمثل تحديـــا من قبل صربيا، والذي لا يمكن معالجته بالطرق الديبلوماسية. وبالتالي، فقد أرادوا خوض الحرب بغض النظر عن عواقبها. تخيل القيصر الألماني هـــذا الصراع باعتباره مبارزة، وأن دوره فيها هو أن «يناصر» فرانز جوزيف. كان لا بد من ترضية الشرف[25].

وكذلك فقد تأثر الســـعي النمســـاوي والألماني للحرب بقوة باعتبـــارات الشرف. قام كونـــراد بنشر الجـــزء الأكبر من قواته على الجهة الجنوبيـــة، وبدأ هجوما ضد صربيا على الرغم من أن التهديد الرئيسي للنمســـا والمجر كان يتمثل في الغزو الروسي المتوقع لمنطقة غاليســـيا في شـــمال شرقي البلاد[26]. وفي أوائل أغســـطس 1916، اعترف المشير بول فون هيندينبورغ von Hindenburg بالضرورة الاســـتراتيجية للانسحاب من فردان، وبصورة أعـــم بضرورة وقف حرب الاســـتنزاف على الجبهة الغربية، بيـــد أنه أصر على المثابرة لأن «شرف ألمانيا كان على المحك»[27]. وفي نوفمبر 1918، حبذ الأمير ماكس من مجلس وزراء مقاطعـــة بادن التوصل إلى هدنة، أملا في حماية المصالـــح الوطنية المهمة. لكن الأدميرال ألفريـــد فون تيربيتز von Tirpitz والجنرال إريـــك لودندورف Ludendorff عارضا هذا الرأي بشـــدة، ودعَـــوا إلى «معركة أخيرة»، يتم خوضها عـــلى الأراضي الألمانية لدعم شرف البلاد. لم يكن لديهم توقع للانتصار، بل العكس هو الصحيح. طالب الحلفاء ألمانيا بتسليم أســـطولها البحري في أعالي البحار؛ وبدلا من ذلـــك قام الأدميرال فون رويتر von Reuter بإغراقـــه في القاعدة البحرية البريطانية في ســـكابا فلو. جاءت هذه الإهانة للبريطانيين في الوقت نفســـه الذي عرض فيه على الألمان مشروع للســـلام في فرساي، حيث كان الحلفاء الغاضبـــون غير مســـتعدين لتقديـــم العديد من التنـــازلات التي كان الألمـــان يرغبون في الحصول عليها بشدة[28].

ليســت الحــرب العالمية الأولى حالة فريــدة من نوعها: فمن لويــس الرابع عشر إلى جورج بوش، ســعى القادة إلى نيل الشرف أو المكانة على حســاب المصالح الأمنية والمادية المهمة. ويحدث هذا على الأرجح في حالتين: عندما يحاول القادة تعزيز شرفهم أو مكانتهــم، أو الحفاظ عليهما في حرب انتقاميــة. إن الزعماء الذين يتحركون بدافع الــشرف هم قادة غاضبون، وعلى عكس توقعات نظرية الاحتمال، فهم على اســتعداد لتعريض بلادهم لمخاطر بالقدر نفســه من الجســامة في سعيهم لتحقيق المكاسب أو تجنب الخسارة [29].

النتائج

لقد أوردت مجموعة بياناتي في الملحق، بيد أنها ليســت عينة، إذ إنها تنطوي على كل الحروب المتضمنة في الفئات المتعلقة بفرضياتي، وبالتالي ليست هناك حاجة لإجراء اختبــارات للدلالة الإحصائية. ومع ذلــك، فبعض الباحثين المهتمــين بطرح التوقعات المبنية على بياناتهم يستخدمون مثل هذه الاختبارات؛ وهم يتعاملون مع الكون الذي يضم حالاتهم على أنه عينة للكون الذي يضم جميع الحالات المحتملة. بيد أن هذا غير ضروري في حالتنا هذه، بسبب عدم وجود نظام للدولة قبل العام 1648، كما أنه خلال هذه الفترة المبكرة - وكما أشرت إليه ســابقا - يصعب التفريق بين الحروب بين الدول والعنف داخل الدول. ويمثل يومنا هذا نقطة فاصلة أخرى لأنني لا أمد نتائج تحليلاتي لتشمل المستقبل. وبدلا من ذلك، فإنني أرى أن النظام الدولي يمر بتحولات تعمل على تغيير توزيع دوافع الحرب وارتباط هذه الدوافع بالحرب.

وبالتالي ليس من المفيد على حد ســواء أن أســتخدم الاختبــارات الإحصائية لتحديد الأهميــة الموضوعية لنتائــج تحليلاتي. فلكي تكون هذه التحليــلات ذات مغزى، يجب أن تكون هناك علامات مرجعية benchmarks مناســبة، وهي ليســت موجودة لدينا. وإذا أكــدت عــلى أن المكانة تمثل دافعا مهــما للحرب، ففي كم حرب، أو في أي نســبة مئوية منهــا، يجب أن يتم اعتبارها دافعا للتحقق من صحة ادعائي أو إضفاء قدر من المصداقية عليه؟ هل ثلاثون في المائة تمثل نســبة كافية، أم يجب أن تكون هذه النســبة خمسين في المائة أو أكثر؟ وباعتبار أنه لا يوجد معيار مقبول يمكنني الإشارة إليه هنا، فسأقوم بعرض نتائج تحليلاتي على شكل إحصاءات وصفية، وأسوق الحجج الداعمة لاعتقادي بكون هذه

النسـب مهمة أم لا، من الناحية الموضوعية، كما أسـمح للقراء بالتوصل إلى استنتاجاتهم الخاصة. وسأفعل هذا بالنسبة إلى جميع ادعاءاتي، باستثناء تلك التي تتعقد فيها المقارنات بفعل التوزيع غير المتكافئ للأنواع المتعددة من الدول التي أقوم بوصف سلوكها. وفي هذه الحالة، تكون المقارنات الموزونة ضرورية.

وعـلى وجه العموم، فـإن البيانات تقدم دعما قويا لفرضياتي؛ وهي تبين أن أنماط من بدء الحرب تتعارض على نحو لافت للنظر مع توقعات نظريات الحرب الواقعية، والمتعلقة بانتقال السـلطة وتلك العقلانية. بيد أنها تقدم دعما محدودا، في أحسن الأحوال، لنظرية توازن القوى.

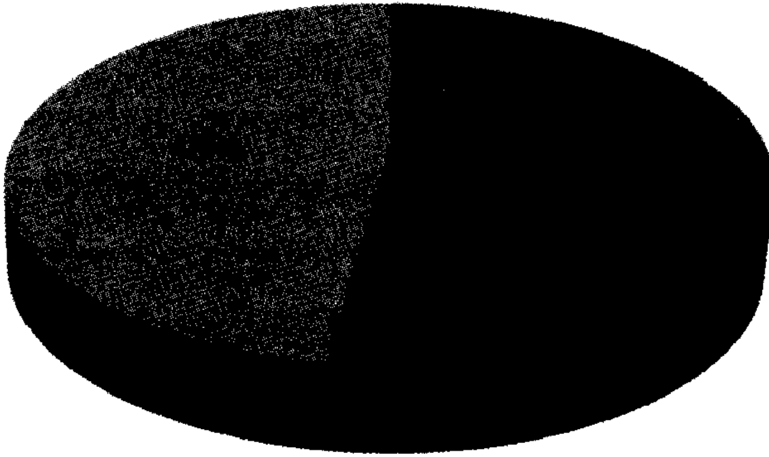
الفرضية الأولى

أشـد الدول عدوانية هي القوى الصاعدة التي تسعى للاعتراف بها كقوى عظمى والقوى العظمى المسيطرة التي تسعى للهيمنة.

كان هناك 119 طرفا بادئا لأربع وتسعين حربا، إذ انطوت بعض الحروب على أطراف بادئة متعددة أو على مكونات متعددة ذات أطراف بادئة مختلفة. قامت القوى المهيمنة ببـدء 24 حربا، وبدأت القوى الصاعدة 27، في حين كانت الفئتان معا مسـؤولتين عن 47 من الحروب التي قمت بدراسـتها، وعددها 94 (تشـارك عدد مـن الأطراف في بدء أربع حـروب)، أو 46 في المائة من الحروب التي دارت رحاها بين العامين 1648 و2003. بدأت القـوى العظمى 49 حربـا (52 في المائة)، كان أقل من نصفها ضـد قوى مهيمنة أو قوى عظمى أخرى. وقعت حروب القوى العظمى ضد القوى المهيمنة في معظم الأحيان ضمن تحالف مع قوى عظمى أخرى، كما مثلت جزءا من جهد مشـترك لمنع القوة المهيمنة من تحقيق السيادة المطلقة. ومن أمثلة ذلك التحالفات المتعددة ضد نابليون في العام 1815. انظر الشكل (3-4).

وباعتبـار أن هنـاك عددا من القـوى المهيمنة والصاعدة أقـل بكثير من القوى العظمى ضمن النظام في أي وقت من الأوقات، نحن بحاجة إلى قياس موزون لمقارنة مـدى عدوانية كل منها. وللقيام بذلك، قمت باحتسـاب العدد الإجمالي للسـنوات بالنسـبة إلى كل مـن فئـاتي الأربع للجهـات البادئة: القـوى المهيمنـة، والعظمى، والصاعدة، والآفلة. ظلت فرنسـا قوة مهيمنة لمـدة 156 عاما، ما بين العامين 1659

و1815؛ والولايات المتحدة لمدة 91 عاما، منذ العام 1918 حتى الوقت الحاضر. ينتج عن هذا ما مجموعه 247 من سـنوات الدولة state-years للقوى المهيمنة، وهو ما يمثـل 9 في المائة من إجمالي سـنوات الدولة. تعادل سـنوات الدولة للقوى العظمى 1259 سـنة (48 في المائة). وتعد هذه أكبر فئة، إذ كانت تضم عددا أكبر من الدول مقارنـة بالفئـات الأخرى خلال هذه الفترة، والتي ظل كثـير منها قوى عظمى لفترة طويلة من الزمن.



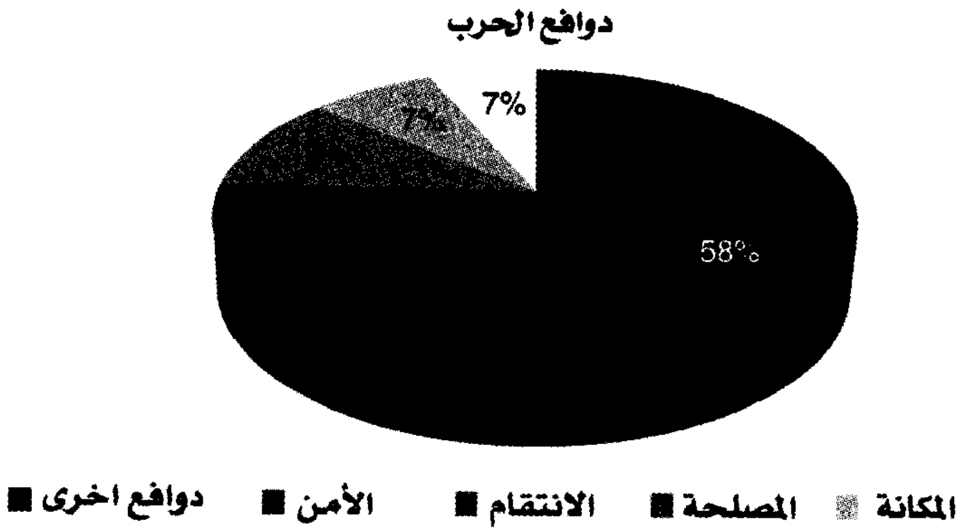
الشكل رقم (3-4): بدء الحرب

ظلـت بريطانيا العظمى (المملكة المتحدة لاحقا) قوة عظمى منذ العام 1688 وحتى الوقت الحالي، أي لمدة 320 سنة، في حين ظلت النمسا- المجر قوة عظمى على مدى 204 سـنوات، ما بين العامين 1714 و1918. حققت القوى الصاعدة عددا إجماليا من سـنوات الدولة قدره 643 (24 في المائة)، في حين حققت القوى الآفلة 498 (19 في المائة). في الواقع، كانت القوى المهيمنة والصاعدة، التي تمثل 33 في المائة فقط من إجمالي سـنوات الدولة، مسؤولة بصورة جماعية عن أقل قليلا من نصف كل الحروب (46 في المائة). وعلى النقيض من ذلك، بدأت القوى العظمى 38 في المائة من الحروب، ولكنها تمثل تقريبا نصف سنوات الدولة (48 في المائة).

وبمثل القدر من الإيضاح، نجد الدوافع التي تمتلكها الدول لبدء الحروب. وباعتبار أن لبعض الأطراف البادئة دوافع متعددة، كان عدد الدوافع (107) أكبر من عدد الحروب (94). أما المكانة، والتي اعتبرت أنها الدافع وراء 62 حربا، أو 58 في المائة من المجموع، فهي الدافع الأكثر شيوعا على الإطلاق؛ يليها الأمن (19 حالة، 18 في المائة)، والانتقام (11 حالة، 10 في المائة)، والمصلحة (8 حالات، 7 في المائة)، والدوافع الأخرى (7 حالات، 7 في المائة). عادة ما يُنظر إلى القرن الثامن عشر باعتباره حقبة كبرى للتنافس بين الأسر الحاكمة، والتي خاض فيها الحكام الحروب من أجل الشرف والمكانة. وعلى أي حال، فليس هناك سوى اختلاف غير منتظم في النسبة المئوية للحروب التي نشبت بسبب المكانة عبر القرون. كانت المكانة هي الدافع وراء 11 من بين 16 حربا دارت رحاها في القرن الثامن عشر، ووراء 21 من بين 24 في القرن التاسع عشر، و17 من بين 31 في القرن العشرين. كانت المكانة دوما من بين الدوافع الرئيسية، وهو الأمر الذي لا ينطبق على الدوافع الأخرى. ومما لا شك فيه أن الأمن كان الدافع الأكثر أهمية للحرب في القرن العشرين، حيث كان الدافع الرئيس أو المساهم في 11 حربا، بينما لم يزد العدد الإجمالي على تسع حروب طوال القرون السابقة. نشبت ست من أصل تسع حروب بدافع المصلحة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، عندما كان المذهب التجاري (المركنتيلية: mercantilism) يمثل الحكمة الاقتصادية المقبولة، فيما اعتقد الزعماء أن ثروة العالم قابلة للانتهاء[30]. أما أكثر الأمثلة وضوحا على المصلحة كدافع للحرب، فكان الاستيلاء الإنجليزي - الفرنسي على مصر في العام 1882، ولكن حتى في هذه الحالة كانت المكانة دافعا ثانويا مهما [31]. نشبت معظم الحروب الانتقامية خلال القرن الثامن عشر. وتتسم فئة «الدوافع الأخرى» بكونها موحدة نسبيا، ومن الصعب طرح تعميمات حول أسبابها المتنوعة، على الرغم من أن معظمها، إن لم يكن كلها - وكما أشرت إليه سابقا - يمكن عزوه في نهاية المطاف إلى الخوف، أو المصلحة، أو المكانة على المستوى المحلي. انظر الشكل (5 - 4 ب).

وعلى الرغم من أن المكانة مثّلت دافعا مستمرا للحرب، فهي ليست موحدة في مظاهرها. خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وجدت المكانة تعبيرا عنها ضمن إطار التنافس بين الأسر الحاكمة: فقد سعى الحكام إلى تحقيق المجد عن طريق الغزو، وقد قاد كثير من حكام هذا العصر جيوشهم شخصيا في المعارك (مثل لويس الرابع

عشر، وفريدريك الأول والثاني، وبطرس الأكبر)، مما يعزّز بشكل كبير سعيهم إلى نيل المجد. وبحلول القرن التاسع عشر، كان هذا الأمر قد تغيّر؛ كان نابليون آخر حاكم مهم يظهر بشكل منتظم في ساحة المعركة. أصبح البحث عن المكانة همّا وطنيا على نحو متزايد، حتى في بلدان مثل ألمانيا والنمسا، التي يمكن بالكاد اعتبارها ديموقراطية. كانت الأغلبية الساحقة من أصول أفراد النخبة من صنّاع السياسات الخارجية لاتزال أرستقراطية، وربما أكثر التزاما وأشد حماسا لنيل الشرف الوطني أو الحفاظ عليه، ففي هذا الوقت صارت رموز الشرف التقليدية أقل نفوذا في العلاقات بين الأشخاص. ارتبط الرأي العام بالدول الوطنية بقوة، وكذلك في البلدان التي تم فيها إبعاد طبقة المثقفين intelligentsia والطبقة الوسطى إلى هامش التسلسل الهرمي للقوة والمنزلة. أصبحت هذه الظاهرة أكثر وضوحا في القرن العشرين، وكانت سببا رئيسيا لنشوب الحرب العالمية الأولى[32].



الشكل (4 - 4): دوافع الحرب

مثّل الأمن دائما هاجسا مُهما في العلاقات الدولية. ومع ذلك، تشير بياناتي إلى أنه ليس من بين الأسباب الرئيسية للحروب التي دارت رحاها بين القوى العظمى. هناك 19 فقط، من بين 94 حربا، يبدو أنها نشبت لدافع أمني، سواء كليا أو جزئيا. وكذلك كان سبعة من بين 18 طرفا بادئا، والتي بدا أنها تصرفت بدافع من القلق على أمنها، مدفوعين بالمكانة أيضا. ومن أمثلة ذلك إعلان الولايات المتحدة الحرب على إسبانيا خلال العامين 1898 و1899، والتي بدأت بهجوم على مستعمرة كوبا الإسبانية. كان الرئيس ماكينلي McKinley وكثير من أعضاء

مجلس الشيوخ حريصين على ترسيخ مكانة أمريكا كقوة عظمى- وهو ما يفسر سبب قيامهم باحتلال وضم بورتوريكو والفلبين. ولأسـباب تتعلق بالأمن القومي، فقد اعتبروا أيضا أنه من الضروري أن يتدخلوا في الحرب الأهلية المتأزمة في كوبا لأن تردّي الأوضاع الصحية في الجزيرة كان مسؤولا عن وباء الحمى الصفراء الذي انتشر إلى دول الخليج الأمريكي[33].

تستحق الحرب العالميـة الأولى بدورها ترميزا مزدوجا، كما أزعـم أن المكانة كانت الدافع الرئيسي المحرّك للزعماء الألمان والنمساويين، في حين تؤكد التفسيرات التقليدية على الأمن. وكما أشرت إليه في وقت سابق، فقد منحت الأمن منزلة مساوية بناء على ذلك. ثمة قضية أخرى مثيرة للاهتمام، وهي الغزو السـوفييتي لأفغانستان. لأسباب تتعلق بالمكانة، لم يكن القادة السوفييت راغبين في فقدان صدارتهم السياسية في دولة تابعة مجاورة. وقد تعزّز هذا القلق بفعل المخاوف المتعلقة بانتشـار الأصولية الإسـلامية في المنطقة المسلمة المحيطة بها [34]. وفي هذه الحالة، أيضا، فقد عزوت الحرب إلى كلا الدافعين.

هنـاك حرب يبـدو أنها وقعت بدافع مـن المصالح الأمنيـة والمادية: وهي هجوم الولايـات المتحدة وقوات التحالف على العراق في العـام 1990[35]. إن معظم الجهات التسـع الأخرى البادئة للحرب التي قمت بترميزهـا باعتبارها مدفوعة بالأمن يمكن أن نعزوهـا بثقة إلى هذا الدافع. وهي تشـمل الغزو السـوفييتي لفنلندا في العام 1939، والهجوم السـوفييتي في العام نفسـه على جيش كوانتونغ الياباني في منغوليا [36]. هناك عـدد قليل من الحروب المدفوعة بالأمن والتي تظل مفتوحة على تفسـيرات بديلة أو متعـددة، ومنها الهجوم الياباني على الولايات المتحدة والقوى الاسـتعمارية الغربية في العام 1941. وبسـبب الحظر النفطي الذي قادته واشـنطن، أصيـب القادة اليابانيون باليأس بصورة متزايدة، واعتبر العديد منهم أنه ليس أمامهم خيار سـوى خوض الحرب قبل ألا يعود ذلك ممكنا [37]. ومع ذلك، فقد كانت هذه معضلة من صنع اليابان: فلو لم يكن اليابانيون أقدموا على غزو الصين كجزء من سعيهم إلى تحقيق الهيمنة في آسيا، لمـا كان هناك أي حظـر. ومن الحالات الأخرى، نجد الغزو السـوفييتي للمجر وتدخل الولايـات المتحدة في الهند الصينية. وكما هي الحال مع أفغانسـتان، فقد اعتُبرت هذه التدخلات ضرورية للأمن القومي من قبل صنّاع السياسات السوفييت والأمريكان، على الترتيب. وفي التدخلين الفيتنامي والأفغاني، يمكن إثبات أن فهمهم كان معيبا، إن لم يكن مشوبا بجنون العظمة[38].

إن التفاهة النســبية للأمن كدافع للحرب، تُعد إلى حد ما صنيعة artifact لمجموعة بياناتي. لقد قمت بفحص حالات بدء الحرب، وكما رأينا، لم يعمل الأمن على تحفيز الأطراف البادئة إلا نادرا. ومما لا شــك فيه أنه يمثل مصدر قلق أساســيا بالنســبة إلى الدول التي تســتهدفها هجمات تلك الدول. وإلى حد قيام القوى الصاعدة والمهيمنة بانتهاج ســلوك عنيف، يصبح الأمن، وبصورة متناسبة، أكثر أهمية بالنسبة إلى الجهات الفاعلة الأخرى.

الفرضية الثانية

نادرا ما تقوم القوى الصاعدة والقوى المهيمنة بشــن الحرب بعضها ضــد بعض. وعندما تفعل ذلك، تكون القوى الصاعدة متحالفة مع قوة عظمى واحدة على الأقل.

تقــدّم البيانات دعما قويــا لهذا الفرضية؛ فقد بــدأت القوى المهيمنــة 24 حربا والقوى الصاعدة 27، ولم تتحارب بعضها مع بعض إلا في مناسبتين. وفي امتداد للحرب التي دارت رحاها ما بين 1635 و1648 ضد إســبانيا، هاجمت فرنســا إسبانيا مرة أخرى في العام 1648 وخاضت حربا دامت عشر سنوات لتحل محل آل هابسبورغ - من حيث السيطرة على النمسا، وإسبانيا والبــلاد الواطئة - كقوة مهيمنــة في أوروبا. وقد انضمت إنجلترا، كقوة صاعدة، إلى الصراع ضد إســبانيا في العام 1648. أما الحالة الأخرى فهي هجوم جمهورية الصين الشــعبية على القوات الأمريكية المتمركزة في كوريا في العام 1950. حاولت بكين، ولكن من دون جدوى، أن تمنع غزوا أمريكيا لكوريا الشمالية، وعندما فشلت في ذلك، تدخلت للحفاظ على إقليم منشوريا والثورة الشيوعية[39]. أرادت واشنطن تجنّب الحرب مع الصين، لكن إدارة الرئيس ترومان شعرت بأنه مضطر إلى عبور خط العرض 38 لأســباب داخلية سياســية، وتعرضت إلى تضليل متعمّد فيما يتعلق بمخاطر الحرب من قبل القائد الميداني، الجنرال دوغلاس ماك آرثر MacArthur[04].

الفرضية الثالثة

تتمثــل الأهداف المفضلــة للقــوى المهيمنة والصاعــدة في القوى العظمــى الآفلة والأطــراف الثالثة الضعيفة. وهي تهاجــم أيضا القوى العظمــى التي يُنظر إليها عــلى أنها ضعيفة مؤقتا، حبــذا لو كان ذلك ضمن تحالف مع القوى الكبرى الأخرى.

مــن المفهوم أن الأطراف الضعيفــة والقوى الآفلة التي كانت قوى عظمى في الســابق، تمثل أهدافا «رخوة» نسبيا، ووسيلة منخفضة التكلفة لإظهار القوة العسكرية. ثانيا، فهي وسيلة لتعزيز

المكانة الاستراتيجية أو الإمكانات المادية لدولة ما، عن طريق ضم بلد آخر أو السيطرة عليه بصورة غير رسمية. تدعمُ البيانات هذه الفرضية: فمن بين 27 حربا بدأتها القوى الصاعدة، كانت ست منها ضد قوى عظمى آفلة، وسبع ضد قوى ضعيفة. بدأت القوى الصاعدة عشر حروب ضد القوى العظمى، كانت كلها تقريبا ضمن تحالف مع قوى عظمى أو مهيمنة. ومن الأمثلة على ذلك، نجد هجوم بروسيا على النمسا في العام 1740 بالتحالف مع فرنسا وبافاريا وسكسونيا، حيث استفادت بروسيا ليس فقط من الحلفاء، ولكن من الشريعة الصالية Salic Law(*)، والتي لا يمكن بموجبها للملكة ماريا تيريزا ، لكونها امرأة، أن تُطالب بالعرش النمساوي.

نجح فريدريك في فصل مقاطعة سيليزيا Silesia النمساوية الغنية، ومنحها لبروسيا بموجب معاهدة إيكس لا شابيل في العام 1748. تسعى القوى الصاعدة غالبا إلى انتهاج استراتيجية «ابن آوى»: فهي تهاجم الضعيف أو تحرك من أجل «القتل» بمجرد أن ينشغل أحد الفاعلين الآخرين، والذي كان أكثر قوة منها، في صراع مع صيادين أكثر قوة، ومن ثم يصاب بالضعف.

بدأت القوى المهيمنة 23 حربا، لم يكن أي منها ضد قوى صاعدة؛ كانت تسع حروب منها ضد قوى عظمى، وخمس ضد قوى آفلة وعشر ضد قوى ضعيفة. هاجم لويس الرابع عشر الأراضي الواطئة Netherlands الإسبانية مرتين (في العامين 1672 و1683)، والتي كانت تمثل قاعدة أمامية للممتلكات الأوروبية التابعة لإسبانيا، والواقعة عند نهاية خط طويل للإمداد، والمعروف باسم «الطريق الإسبانية». وفي حرب الخلافة النمساوية وحرب السنوات السبع، قامت فرنسا بمهاجمة النمسا الضعيفة. وتشير البيانات إلى أن القوى المهيمنة هي الأطراف الفاعلة الأكثر تخريبا؛ فلم تكتف ببدء عدد كبير من الحروب، لكنها كانت حروبا مدمرة على وجه الخصوص، والتي تكتنف غيرها من القوى العظمى أو المهيمنة. وقد كانت مسؤولة عن بدء كل حرب، منذ العام 1648، والتي انجرّت إليها أغلبية القوى العظمى. انظر الشكلين (5 - 4أ) و(5 - 4ب).

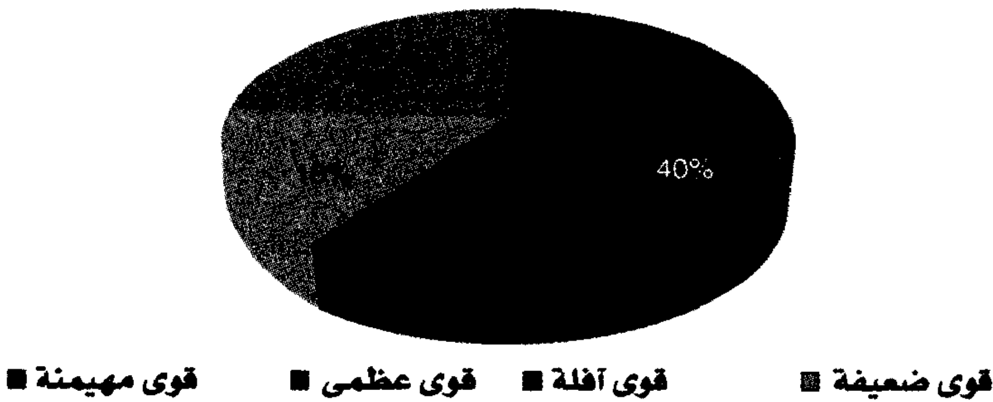
الفرضية الرابعة

> *إن الأغلبية الساحقة مما يطلق عليه اسم حروب الهيمنة (أي تلك التي تشمل معظم القوى العظمى، إن لم يكن كلها) تكون عَرَضية وناتجة عن تصعيد غير مقصود.*

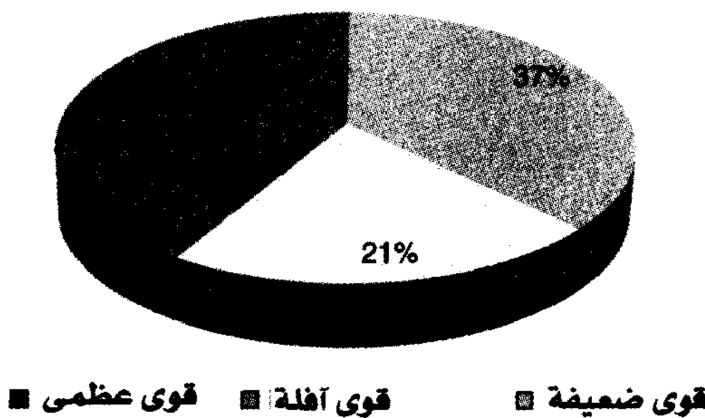
تمثل حرب الهيمنة hegemonic war مفهوما مطواعا يُعرف بالإشارة إلى قوة الأطراف المتحاربة وإلى نتيجة حرب ما من حيث توزيع السلطة ضمن النظام[41]. إنني أتجنب استخدام هذا المصطلح لهذا السبب، وكذلك لأنه يرتبط ارتباطا لا انفصام له بمجموعة من

(*) هي مجموعة القوانين التي وضعها الملك كلوفيس الأول (466-511) وظلت معتمدة في أجزاء من أوروبا الغربية. ينص أحد هذه القوانين، المتعلق بوراثة الملك، على أن الأرض الصالية لا يمكن أن ترثها امرأة. [المحررة].

النظريات التي تدور حول أسباب الحرب (انتقال السلطة، والواقعية الجديدة). تفترض حرب الهيمنة وجود أسباب محدّدة، وليس أن تكون بمنزلة فئة محايدة لاختبار التفسيرات المتنافسة للحرب. وبدلا من ذلك، فإنني أعتمد على المفهوم الأكثر شمولا للحرب «الشاملة» systemic، والذي يصف الصراعات التي تجُر إليها أغلبية القوى العظمى والقوى المهيمنة الحالية، إذا وجدت أيها في ذلك الوقت. ويجب أن تكون واحدة على الأقل من هذه القوى على الجانب الآخر. وبتطبيق تعريفي، فهناك تسع حروب شاملة. وهو يستبعد حربين من الحروب التي توصف في بعض الأحيان كجزء من الصراع على الهيمنة بين فرنسا وبين آل هابسبورغ (حربا فرنسا ضد إسبانيا في العامين 1648 و1654) لأنهما لا تكتنفان أغلبية القوى العظمى.



الشكل رقم (5 - 4أ): أهداف القوى الصاعدة



الشكل رقم (5 - 4ب): أهداف القوى المهيمنة

بيـــد أنه يشـــمل حرب القـــرم Crimean War، والتي لا تعتـــبر حربا للهيمنة لأن القوتين الرائدتين - بريطانيا وفرنسا - كانتا على الجانب نفسه. ومع ذلك، فقد اكتنفت أغلبية القوى العظمى، باســـتثناء النمسا وبروســـيا. وكما فعلت في مجموعة البيانات، فقد قمت بتقســـيم هذه الحـــروب إلى أجزائها المكوّنة الرئيســـية. تمثل هذه الحروب الشـــاملة نحـــو 90 في المائة من الوفيات الناجمة عن حـــروب القوى العظمى على مر القرون الخمسة الماضية.[42]

الحرب	الطرف البادئ	النتيجة	السبب
الفرنسية - الهولندية (1679-1672)	D	Iخسر	ME
التحالف الكبير (1697-1688)	D	Iخسر	ME
الخلافة الإسبانية (1714-1701)	D	Iخسر	ME
الخلافة النمساوية (1748-1740)	R	Rانتصر	E
السنوات السبع (1763-1756)	R/ D	Iخسر	ME
الثورية الفرنسية (1815-1792)	G/ D	Iخسر	MFs متعددة
القرم (1856-1853)	G	Iخسر	ME
الحرب العالمية الأولى (1918-1914)	R/G	Iخسر	ME/ MF
الحرب العالمية الثانية (1945-1939)	G	Iخسر	MF

D = قوة مهيمنة، R = قوة صاعدة، G = قوة عظمى، I = طرف بادئ؛ ME = خطأ في تقدير التصعيد؛ E = تصعيد؛ MF = فشل عسكري؛ PF = حسابات خاطئة لعزم الخصوم والدعم المحلي

الشكل (6 - 4): الحروب الشاملة

من حيث المدة والخسـائر، تمثل الحروب الشاملة أكثر الحروب بين الدول تكلفة. وكما يبيّن الشكل (6 – 4)، فلا يمكن تفسيرها عن طريق ما يسمى الحجج الاستراتيجية العقلانيـة. في الأغلبية السـاحقة من الحالات، خسرت الأطـراف البادئة الحروب التي أشـعلتها. ويشـير الشـكل (4 – 4) إلى أن عدد الأطراف البادئة التي تعرضت للهزيمة يصبح أكبر عندما نقسّـم الحروب الثورية الفرنسـية، والحروب النابليونية، والحربين العالميتين الأولى والثانية إلى الصراعـات المكوّنة لها. لقد هُزمت جميع القوى المهيمنة والعظمى التي بدأت حروبا شاملة. وفي حين ينطبق هذا على الثورة الفرنسية والحروب النابليونيـة ككل، يلزم توضيح بعض الحـروب المكونة لها. حرّض الائتلاف الأول First Coalition فرنسـا ضد بروسـيا والنمسا. سـعت كل من فرنسـا وبروسيا إلى خوض الحرب، على الرغم من أن فرنسـا كانت الطرف البـادئ. وبتعبيرات فون كلاوزفيتس، فقد فشلت فرنسـا في تحقيق أهدافها: إسقاط النظام القديم في الشرق، لكنها تمكنت من توسيع وجودها المادي من خلال الانتصارات العسكرية. أما الائتلاف الرابع فحرّض بروسيا والنمسا وروسيا ضد فرنسا، التي كانت الطرف البادئ والمنتصر في هذه الجولة من القتال. وفي الائتلاف الخامس، حاربت النمسا وبريطانيا فرنسا وبافاريا. وقد انتهت هــذه الحرب أيضا على نحو إيجابي بالنسـبة إلى الفرنسـيين مـع انتصارهم في معركة واغرام Wagram في يوليو 1809. ولكونه لم يقنع بالسـيطرة على معظم أجزاء القارة، غزا نابليون روسيا لاحقا، الأمر الذي حرّض على تكوين ائتلاف آخر، وهزيمة الفرنسيين، والمنفى الأول لنابليون.

هناك سببان رئيسيان لهذه النتيجة: في ست من بين تسع حروب (في الشكل 7 - 4)، كان الفشل ناتجا عن خطأ في تقدير عواقب التصعيد. سعت الأطراف البادئة إلى الانتصار في حروب قصـيرة ومعزولة ضد قوى أضعف منها. بيد أن اعتداءاتها حرّضت على تدخل قـوى أخرى، مما أدى في النهاية إلى هزيمتها. وقد حدث هذا الأمر ثلاث مرات مع لويس الرابع عشر، كما نتجت حرب القرم عن فشل روسيا في أن تأخذ على محمل الجد التهديد الأنجلو- فرنسي بالتدخل إلى جانب الإمبراطورية العثمانية من أجل الحفاظ على سيطرتها على القسطنطينية والمضايق. ونتجت الحرب العالمية الأولى عن محاولة فاشلة من جانب النمسـا، تمت بدعم ألماني، لشـن حرب معزولة ضد صربيا. وقد حرّضت عدة تصعيدات غير مرغوب فيها:

الحرب	الطرف البادئ	النتيجة	السبب
الحروب الثورية الفرنسية			
الائتلاف الأول	التحالف G	انتصر I	PF
الائتلاف الثاني	التحالف G	خسر I	MF
الائتلاف الرابع	التحالف G	انتصر I	MF
الائتلاف الخامس	التحالف G	خسر I	MF
غزو روسيا	D	خسر I	MF
الائتلاف السابع	D	خسر I	MF
الحرب العالمية الأولى			
أغسطس 1914	G/ D	Iخسر	ME/MF
الحرب الفرعية غير المقيدة	D	Iخسر	MF
الحرب العالمية الثانية			
أوروبا	G/R	Iخسر	MF
المحيط الهادي	G	Iخسر	MF

(*) قمت بترميز فرنسا كطرف بادئ، بيد أنها فشلت في تحقيق أهدافها المتمثلة في إسقاط العرشين البروسي والنمساوي، لكنها وسّعت النفوذ الفرنسي إلى الشرق بإنشاء جمهورية باتافيا Batavian Republic واحتلال إقليم الراين البروسي.

D = قوة مهيمنة، R = قوة صاعدة، G = قوة عظمى، I = طرف بادئ؛ ME = خطأ في تقدير التصعيد ؛ E = تصعيد؛ MF = فشل عسكري ؛ PF = حسابات خاطئة لعزم الخصوم والدعم المحلي

الشكل (7 – 4) : اندلاعات الحروب

دعمت روسيا صربيا، ودعمت فرنسا روسيا، ودعمت بريطانيا فرنسا. وبعد ذلك، دخلت الحرب الإمبراطورية العثمانية، وبلغاريا، ورومانيا، واليونان، واليابان، والولايات المتحدة ودول أخرى، ليصل العدد الإجمالي للدول المتحاربة إلى اثنتين وثلاثين. وقد جادل أ. ج. ب تايلور Taylor، على نحو غير مُقنع في رأيي، بأن الحرب العالمية الثانية نتجت عن خطأ في تقدير عواقب التصعيد؛ فأكّد أن المهادنة البريطانية والفرنسية

فيــما يتعلق بتشيكوســلوفاكيا أقنعت هتلر بأن القوى الغربيــة لن تهب للدفاع عن بولنــدا في العام 1939[43]. وفي إحدى الحروب، وهي حرب الخلافة النمســاوية، كان هنــاك نمط أكثر تعقيدا من التصعيد، والذي يمكــن وصفه بأنه متعمد أكثر من كونه خطأ في التقدير[44].

أما الســبب العام الثاني للفشــل فهو عسكري: لم تكن الأطراف البادئة قوية بما يكفي لهزيمــة الدول التي هاجمتها أو التحالفــات التي حرّضتها ضدها. في حرب الائتلاف الأول، افترض الفرنســيون أن الأمر لن يحتاج إلا إلى حملة واحدة لإسقاط عرشي النمسا وبروسيا، في حين ارتكب البروسيون خطأ الاعتقاد بأن الجيوش الفرنسية ستكون في حالة من الفوضى من دون ضباط أرســتقراطيين، وبالتالي سيسهل ســحقها من قبل القوة المشتركة لكل من النمســا وبروسيا[45]. وقد وقع نابليون في الخطأ نفسه في هجومه على روسيا، وبعد ذلك في مهاجمته للمملكة الهولندية المتحدة، خلال استرداده للسلطة لمدة مائة يوم بعد عودته من منفاه في جزيرة إلبا Elba. كان النجاح الوحيد هو انتصار بروسيا على النمسا في حرب الخلافة النمســاوية. انهزم فريدريــك، وكاد أن يُدمّر، في جهوده التوسّــعية اللاحقة. وقد اعترف في أواخر حياته بأن توازن القوى والقيود الداخلية لدولته جعلت من الصعب على نحو متزايد تحقيق مكاسب إقليمية إضافية[46].

الفرضية الخامسة

للتصعيد غير المقصود وإساءة تقدير توازن القوى أسباب أعمق من عدم اكتمال المعلومات.

تعــترف النظريات العقلانية، والواقعية والواقعيــة الجديدة بدور خطأ التقدير في بــدء الحرب. ومع ذلك، فهي تفترض أن الأطراف البادئة المحتملة تبذل جهودا معقولة لتقييم التوازن العســكري، ووضع استراتيجيات للالتفاف حول أوجه التفوق العسكري للخصوم. بيد أن الأطراف الفاعلة العقلانية يمكنها أن تخطئ التقدير لأنه من الصعب اســتقراء البيئة السياســية والعســكرية في كثير من الأحيان. ليس في وســع القادة أن يعلمــوا على وجه اليقين مدى عــزم الخصوم ومقدرتهم العســكرية، أو مدى احتمال أن يحتشــد الرأي العــام والحلفاء لدعم الدول التي تتعــرض للهجوم. إن الحرب، كما لاحظ كلاوزفيتس على نحو شــهير، تتسم بالاحتكاك والمصادفة[47]. وحتى في عالم يعج

بالمعلومــات الناقصة، لا بد من أن يمتلك القــادة العقلانيون فرصة أفضل من متعادلة للتوصل إلى الاســتنتاج الصحيح إذا قاموا بجمــع المعلومات ذات الصلة، وتقييم الآثار المترتبة عليها، باستثناء الاحتلال الاستباقي preemption، وألا يبدأوا الحروب إلا عندما يــرون أن احتمالات النجاح عالية. لكن الســجل التجريبي يــروي قصة مختلفة؛ فكل الأطراف البادئة، باســتثناء حالة واحدة، لحرب تصاعدت إلى حرب شــاملة، انتهت إلى الهزيمة. وفي نقدي للنظريات العقلانية، عرضت بيانات عن كل الحروب بين الدول التي تم خوضها منذ العام 1945، مشــيرا إلى أن هذه تمثل ظاهرة أكثر عمومية. خسر نحو ثلثي الأطراف البادئة الحروب التي بدأوها، وفشــلت نســبة أعلى من ذلك في تحقيق الأهداف التي خاضت من أجلها الحرب.

ما الذي يفسر هذا الوضع الشــاذ؟ تشير دراسات الحالات إلى سببين رئيسيين لكلا النوعين من الفشــل في اتخــاذ القرارات. الأول هو التحيّز المحفّــز motivated bias: يعتقــد القادة الذين يواجهــون مزيجا من التهديدات الاســتراتيجية والمحلية أنهم لا يستطيعون التغلب عليها إلا عن طريق الحرب، أو توجيه تحدٍّ إلى أحد الخصوم، مما يزيد من احتمال نشوب الحرب، الأمر الذي يقلل من القلق المرتبط باتخاذ قرار بالمضي قدما. وهم يقومون بذلك عادة عن طريق إنكار المخاطر المرتبطة بسياســاتهم. وهم يطلبون المعلومات الداعمة والتشجيع من المرؤوسين ووكالات الاستخبارات، ويفقدون حساسيتهم للمعلومات، وحتى للتحذيرات، التي تشير إلى أن سياساتهم قد، أو يرجّح أن، تؤدي إلى كارثة [48]. وقد قمت، بالمشاركة مع جانيس شتاين Stein، وجاك سنايدر Snyder بتوثيــق هذا النوع من التحيّــز المحفّز في عدد من القرارات التي اتُّخذت في الأزمات، بما في ذلك قرارات ألمانيا والنمســا وروســيا في العــام 1914، وقرار الولايات المتحدة باجتياز خط العرض 38 في كوريا في العام 1950، و«سياسة التقدّم إلى الأمام» في الهند، والتي حرّضت نزاعها الحدودي مع الصين في العام 1961، وقرار خروتشــوف في العام 1962 بنشر الصواريخ في كوبا سرا، وفشــل الاســتخبارات الإسرائيلية في حرب أكتوبــر 1973، والقــرارات الأرجنتينية المتعلقة بغزوها لجــزر فوكلاند/ مالفيناس في العــام 1982[49]. وبالإضافــة إلى ذلك، فــإن التقييم الضئيل أو الأنــاني للمخاطر يمثل ســلوكا نمطيا للفاعلين الســاعين إلى الشرف أو المكانة، والتي لا يمكن نيلها إلا بالإقدام على مخاطرات جسيمة.

ومـن الممكن أن يكون للغضب التأثير نفسـه، فهو يدخـل في الصورة عندما يرى القادة أنهم، أو دولهم، قد تعرضوا للإهانة. وفي منشور آخر، وثقت العديد من قرارات الحرب (مثل ألمانيا والنمسـا في العام 1914، والغزو الأنجلو - أمريكي للعراق في العام 2003) والتي اتحد فيها الغضب مع المخاوف المتعلقة بالشرف لإنتاج مبادرات طائشة وغير مدروسـة[50]. تزخر التقارير التاريخية بأدلة على هذه الظاهرة في حروب لويس الرابع عشر ضد هولندا، وراينلاند - بلاتينات، وحروب الائتلافين الثاني والثالث، وحرب القرم. وقد تُظهر بحوث مسـتفيضة على الحالات الفرديـة في مجموعة البيانات عدد المـرات التي تضافر فيها الغضب والسـعي إلى نيل الـشرف أو المكانة لإصدار قرارات باسـتخدام القوة لا تنطوي إلا على الحد الأدنى من تقييم المخاطر. ومن المثير للاهتمام تعيين النسـبة المئوية من الحالات التي كان من السهل فيها الحصول على المعلومات، أو أنهـا كانت متوافرة بالفعـل- كما كانت الحال في العديد مـن الحالات التي قمت بدراسـتها - والتي أشارت إلى أن توقعات النصر كانت غير واقعية. وأخيرا، فقد نتساءل عن مدى تواتر إجراء تقييمات سطحية للمخاطر في غياب أي من هذين الشرطين، أو في الحروب غير المدفوعة بالمكانة. وبغض النظر عن الأسـباب المحتملة للتقييم السطحي للمخاطـر، فالحقيقة الواضحة المتمثلة في أن ذلك يتم على نطاق واسـع تسـاعد على تفسـير بعض النتائج الشـاذة التي نلاحظها، كما أنها تثير مشـاكل عويصة للنظريات العقلانية للحرب.

الفرضية السادسة

ليس من النادر أن تقوم القوى الضعيفة والآفلة بشـن الحروب ضد القوى العظمى.

إن كل الدراسـات التـي تناولت حـروب الهيمنة، ومعظم الدراسـات حول بدء الحرب، قد ركّزت على القوى العظمى. بيد أنها تتجاهل القوى الآفلة والدول الضعيفة. تشـير مجموعة بياناتي إلى أن كلا النوعين من الجهات الفاعلة يبدأ الحروب ضد الدول الأقـوى. بدأت القـوى الآفلة 14 حربا، وبـدأت القوى الضعيفة أربعـا. كانت القوى العظمى مجتمعة هدفا لأربع عشرة من هذه الحروب. وكانت 11 من الحروب الأربع عشرة التي شُنّت ضد القوى العظمى هي حروب انتقامية سعت فيها القوى الآفلة أو

القوى الضعيفة، من دون جدوى، إلى اســتعادة أراض انتزعتها منها في حروب ســابقة القــوى العظمى (أو القــوى الصاعدة التي صارت قوى عظمى منــذ ذلك الحين). ولم يكــن من النــادر أن تفقد الأطــراف البادئة أراضي إضافية نتيجة لهــذه الحروب، كما فعلــت الدولــة العثمانية في العام 1812 عندما اضطرت إلى التنازل لروســيا عن أقليم بيســارابيا Bessarabia. كما عانت السويد مصيرا أسوأ عندما حاول تشارلز الثاني عشر معاقبة دول البلطيق في العام 1700، فقد دفعه الدعم الروسي لخصومه إلى شــن غزو ســيئ الإعداد وكارثي على روســيا، مما أســفر عن خسارة الســويد لهيمنتها الإقليمية. أمــا الحروب التي بدأتها قــوى ضعيفة وآفلة فتقدم مزيدا مــن الأدلة على أن القادة الغاضبــين لا يجرون تقديرات معتنية للخطر. وتتضــح هذه الظاهرة بأفضل صورة في حالــة القوى الضعيفة والآفلة، والتي ينبغي أن يُنظــر إلى انتصارها على الدول الأقوى باعتباره منطويا على مشاكل معقدة منذ البداية.

الاستنتاجات

تشــير بياناتي إلى أن قادة القوى الصاعدة، والعظمى والمهيمنة يتســمون بالعقلانية من حيث إنهم يختارون خصومهم، عموما، من بين القوى الآفلة والقوى الضعيفة. وكانت هذه عادة تمثل أرخص وسيلة لإظهار القوة العسكرية، وزيادة سلطة الدولة وزيادة أراضيها، ومن ثم اكتساب المكانة. وقد فشلت النظريات العقلانية للحرب في التعرف على هذا النمط من العدوان، على الرغم من أنه استمر بوتيرة ثابتة على نحو ملحوظ على مر القرون.

إن النظريــات العقلانيــة، والهجومية، والدفاعيــة الواقعية للحرب تمنح قــدرا كبيرا من المنطق الذرائعي للجهات الفاعلة، بيد أن القادة القادرين والمستعدين لإجراء ذلك النوع من الحسابات التي تتطلبها النظريات العقلانية سيحاولون أيضا أن يُجروا تقييمات جادة لمخاطر الحرب، باستثناء بعض الحالات غير العادية، وألا يلجأوا إلى القوة ما لم تُشر الأدلة إلى امتلاكهم فرصة كبيرة لتحقيق أهدافهم السياسية. وفي الممارسة العملية، لم تنتصر الأطراف البادئة إلا في ما يقل عن نصف عدد الحروب التي بدأتها؛ فقد انتصرت في 46 وخسرت في 45، وتعادلت في ست حروب، فيما لاتزال اثنتان جاريتين حتى الآن (أفغانستان والعراق)(*).

(*) انســحبت القوات الأمريكية من العراق في 17 ديســمبر 2011، أي بعد صدور هذا الكتاب، ولايزال الجدل قائما حول مبررات الحرب ونتائجها. فبينما نجحت الولايات المتحدة في تحقيق أحد أهدافها المعلنة، إسقاط نظام صدام حسين، فقد فشلت في تحقيق الأمن والحرية. [المحررة].

ومـن بين الانتصارات التي حققتها القوى الصاعدة، والعظمى والمهيمنة، كان 26 ضد قـوى ضعيفة أو آفلة. ومـن الممكن حتى لهذه الحروب أن تتصاعد إلى حروب واسـعة، وغـير متوقعة وغير مرغوب فيها ضد القوى العظمى أو المهيمنة. وفي الأغلبية السـاحقة مـن الحالات التي وقع فيهـا مثل هذا التصعيـد، كان قادة الدولة البادئـة - وبدرجات متفاوتة - غير مكترثين لمخاطر التصعيد، وانتهى بهم المطاف إلى خسـارة الحرب. انهزمت الدول البادئة في جميع الحروب الشـاملة التسـع التي شـنتها. ويبدو أن الأطراف البادئة بجميع أنواعها لا تقوم إلا على نحو ضعيف نسبيا بتقدير التوازن العسكري. وتشير الأدلة المسـتمدة من دراسـات الحالات إلى وجود اتجاه عام لقيام تلك الدول بالمبالغة في تقدير قدراتها العسكرية، والتقليل من شأن الخصوم. ويتوقع كثير من الأطراف البادئة أيضا من أعدائها أن تخوض النوع نفسـه من الحروب التي هي مسـتعدة لخوضها والانتصار فيها، ومن ثم تؤخذ على حين غرة عندما يلجأ الأعداء إلى استراتيجيات بديلة.

أما السـلوك الأشـد تعارضا مع النظريات العقلانية للحرب، لكنه يتوافق مع الواقعية الكلاسـيكية، فهو عدوانية القوى المهيمنة. تتسـم الدول المهيمنة، عموما، بعدم اقتناعها بمنزلتها وسـلطتها، وبالتالي تسـعى إلى مزيـد من القوة عن طريـق الفتوحات الإضافية. وفي القيـام بذلك، تأمـل في أن تتمكن من فرض تفضيلاتها على الآخرين. ومن الأمثلة على ذلك إسـبانيا تحت حكم آل هابسـبورغ، وفرنسا تحت حكم لويس الرابع عشر ونابليون، وألمانيـا تحت حكم الإمبراطور فلهلم والحـزب النازي، والولايات المتحدة في حقبة ما بعد الحـرب البـاردة. لم يتعرض أي من هذه الدول إلى تهديـد خطير من قبل القوى الصاعدة أو تحالفـات القوى العظمى، لكنها خاضت الحرب لأنها اعتقدت أنها قوية بما يكفي لكي تزداد قوة على قوتها. ومن أجل تحقيق مكاسب مستقبلية قليلة نسبيا، فقد أقدمت على مخاطرات جسـيمة. وقد تحدّت هذه القوى باسـتمرار توقعات نظرية الاحتمال. سعت القوى العدوانية والمهيمنة إلى السيطرة على القارة الأوروبية، إن لم يكن على العالم. والأمر الأعوص بالنسبة إلى النظريات العقلانية هو أن أهدافها كانت غير واقعية على نحو واضح. وقـد لاحظ بروكس Brooks وولفورث Wohlforth، وهما محقان في ذلك، أن واحدة من بين المآسي المستمرة لسياسات القوى العظمى تقع «على وجه التحديد عندما يعتقد صنّاع القرار أنه في وسـعهم تجاهل القيود الموازِنة counterbalancing constraints التي هم أقرب احتمالا لتحريضها بفعل سياساتهم الخارجية المفرطة الطموح»[51].

ليس هناك أي دعم لنظريات انتقال السلطة، فهي تستند إلى افتراض أن هناك قوة مهيمنة تمتلك السُلطة الكافية لترتيب النظام الدولي بطريقة تعود بالنفع على نفسها. ويفترض بهذا النظام أن يعمل على حساب الدول الأخرى، وبالتالي إثارة عدائها. تخوض القوى الصاعدة الحرب عندما ترى نفسها قوية بما يكفي لهزيمة القوى المهيمنة وإعادة هيكلة النظام لمصلحتها [52]. وبدلا من ذلك، تعمد القوى المهيمنة إلى مهاجمة القوى الصاعدة لمنعها من أن تصبح قوية بما يكفي للتفكير في تحديها [53]. ومنذ العام 1648، لم يكن هناك قوة أوروبية في وضع يسمح لها بأن تأمر نظاما في هذا السبيل [54]. تشير بياناتي إلى أن القوى الصاعدة والقوى العظمى نادرا ما تبدأ الحروب ضد القوى المهيمنة. وعندما تفعل ذلك، فهي عادة ما تكون جزءا من تحالف يهدف إلى منع قوة مهيمنة بالفعل من أن تصبح أقوى، وربما تحقيق نوع من الهيمنة التي تفرض انتقال السلطة بوصفها عرفا سائدا. وبدورها، فإن القوى المهيمنة نادرا ما تهاجم القوى العظمى، وتفضل بدلا من ذلك أن تتوسّع أو أن تظهر قوتها عن طريق مهاجمة البلدان الضعيفة.

تشير الأدلة التجريبية إلى وجود نمط من الصراع يمثل عكس ما تتوقعه أهم نظريات انتقال السلطة: تنشأ حروب القوى العظمى في غياب الهيمنة، وليس بسببها. تؤدي هذه الحروب إلى انتقالات في السلطة وتسويات سلمية، مما يفرض في كثير من الأحيان أنظمة جديدة - لكن ذلك ينتج في الأغلبية العظمى من الحالات عن إجماع بين القوى العظمى. إن الأنظمة التي تنشأ بعد الحروب لم تفرضها قوة واحدة مطلقا، كما أنها تستمر مادام وجد توافق في الآراء بين القوى العظمى المسؤولة عنها [55].

كما أن المفهوم الواقعي لمعضلة الأمن لا يجد إلا قليلا من الدعم. كانت هناك 19 حربا فقط مدفوعة بمقتضيات الأمن. وعلى أي حال، فقد لا تكون الحرب هي الاختبار الأمثل للمعضلة الأمنية. يؤكد جون هيرتز، الذي طرح هذا المفهوم لأول مرة، على أن الدول لم تشن حروبا وقائية إلا في الحالات القصوى [56]. يحاول الواقعيون الدفاعيون تحديد الظروف، سواء الفعلية أو المُدركة، التي يحدث هذا تحتها. قد تكون المعضلة الأمنية مسؤولة عن انعدام الأمن، والحشد العسكري، والصراعات الناجمة عن ذلك؛ وليس في وسعي استخدام بياناتي لتقييم هذا الفرضية. لكن البيانات تشير إلى أن المعضلة الأمنية ليست مسؤولة إلا عن عدد قليل فقط من الحروب، إذ كان الأمن هو

الدافـع وراء أقـل عن عشرين في المائة من الحروب التي نشـبت بين القوى العظمى. وخـلال الحرب البـاردة، وهي الحالة الوحيدة لما يسـمى بعصر القطبيـة الثنائية في العصر الحديث، كانت القوتان العظميان شـديدتي الحساسية لخسارة وكسب الحلفاء والعملاء، كـما كانت عليه الحال في عصور القطبية الثنائية السـابقة. يكون مثل هذا السـلوك منطقيا إذا افترضنا أن قادة القوى العظمى يهتمون بالآثار المتعلقة بمنزلتهم، عـلى الأقل بنفس قـدر اهتمامهم بأي فوائد أو تكاليف عسـكرية أو اقتصادية لاتّباع القطيع أو المُروق defection.

يشـير منطق المعضلة الأمنية إلى أن الدول الأكـثر عرضة للتهديد ينبغي أن تكون أضعفهـا. ولا بـد أن الدول الأقوى تشـعر بقـدر أقل من التهديـد، في حين أن القوى المهيمنـة تكون أقلها شـعورا بالتهديـد. وقد اعتمد كينيث والتز على هذا الاسـتنتاج الأخـير في ادعائه بأن النظم الثنائية القطبين تكون أكثر اسـتقرارا وأقل عرضة للحرب مـن نظيراتها المتعددة الأقطـاب[57]. ولأن القطبين يكونان من القوة بمكان في مواجهة الجميع، فهما بالقدر نفسـه أكثر أمنا وأقل تأثـرا بإضافة أو ارتداد أي طرف ثالث عن الكتلة التي تدور في فلك كل منهما. لا تقدم بياناتي أي دعم لهذا التخمين المنطقي على نحو بارز، بل العكس هو الصحيح؛ فقد وقعت سـت من الحروب التسـع عشرة التي نشـبت للاعتبارات الأمنية في أثناء الحرب الباردة، واكتنفت كلها - باسـتثناء واحدة - إحدى القوتين العظميين.

تفـترض نظريات توازن القـوى أن الأمن هو، أو ينبغي أن يكون، الشـاغل الأول لجميع الدول بسـبب الطبيعة الفوضوية للبيئة الدولية. تنشـأ التهديدات من البيئة نفسها، في شكل المعضلة الأمنية، أو تنجم عن طموحات الدول الـمُعتدية. تشجِّع أي من الظاهرتين الدول على زيادة قدراتها العسـكرية وبناء التحالفات لردع المعتدين المحتملين. وباتّباع مورغنثاو، افترض الواقعيون أن الحرب تكون أقل احتمالا عندما تمتلك القوى الحالية أفضلية عسكرية واضحة، ورغبة مُعلنة في استخدام القوة للحفاظ على الوضع الراهن[58]. وعلى العكس من ذلك، تكون الحرب أقرب احتمالا عندما تمتلك قوة «إمبريالية» - إذا استعرنا تعبيرات مورغنثاو - أو ائتلاف من تلك القوى، أفضلية عسـكرية أو تكون قوى الوضع الراهن، لأي سـبب كان، عاجزة عن الاتحاد ضدها.

وتشـير البيانات إلى دعم مختلط، في أحسـن الأحوال، لنظريات توازن القوى. تفشل

التوازنات غير المواتية للقوى في ردع الدول التي تسعى إلى الهيمنة، لكنها تمنع انتصاراتها. بيد أنه يجب طرّح هذا الادّعاء بشيء من الحذر، لأن مجموعة بياناتي لا تشمل «اللاحروب» non-wars التـي ربمـا تمت الحيلولة دون وقوعها بفعل وجود تـوازن غير مواتٍ للقوى، أو دعمهـا عن طريـق التطبيق الفعال للردع الفوري. أما مـا يتضح بالفعل من مجموعة البيانات وغيرها من الدراسـات فهو نمط لافت للنظر من التصعيد غير المحسوب من قبل القـوى العظمى والمهيمنة، وفشـلها في الانتصار في أي من الحروب الشـاملة التي كانت مسؤولة عن إشعالها [59]. تدعم هذه النتيجة على نحو جيد المهادنة balancing باعتبارها حلاً أخيرا، ولكن ليس للحيلولة دون وقوع الحرب.

تتعارض عدوانية بعض القـوى الآفلة والضعيفة مع كل من نظريات المعضلة الأمنية ونظريـات توازن القوى. يجب على الـدول الضعيفة أن تختار بين المهادنة واتّباع القطيع، ولكن ليس مهاجمة جيرانها الأشـد قوة. وعلى أي حال، فإن جون هيرتز لم يفاجأ بعدوانية القـوى المهيمنة، إذ إنه اعترف بـأن دوافع بعض الدول تمثلـت في المصالح «التي تتجاوز الأمن الحقيقي»[60].

تتسم الأدلة على المكانة بوصفها دافعا للحرب بقوتها: مثّلت المكانة (العدد: 62) 58 في المائـة من مجموع الدوافع (العدد: 109)، مـما يجعلها متقدمة بفارق كبير عن الأمن (العدد: 20، و18 في المائة)، والأسباب الأخرى (العدد: 7، 6 في المائة)، والانتقام (العدد: 11 و10 في المائـة)، والمصلحة (العـدد: 8، 7 في المائة). وهي تمثّل الدافع الرئيسي طوال الفترة الواردة في مجموعة البيانات، والتي تبلغ أربعة قرون تقريبا. أما الانتقام، مثل المكانة، فهو تعبـير عن الـمِزاج thumos أو الروح. وعند أخذهما معـا، تمثل المكانة والانتقام 73 من بين 107 دوافع، وبالتالي فهما مسؤولان عن 68 في المائة من جميع الحروب. يتراءى لي أن هذه الأرقام من الأهمية بمكان، فالتشديد على أهمية المكانة بوصفها دافعا للحرب يساعد على تفسـير الفشل الملحوظ لكثير من الأطراف البادئة في إجراء تقييمات معقولة للتوازن العسكري واحتمالات التصعيد.

ومنـذ البدايـات الأولى للحضارة في بلاد ما بين النهريـن Mesopotamia وحوض البحر الأبيض المتوسط، اكتسب الأفراد والوحدات السياسية الشرف والمكانة عن طريق القوة العسـكرية أولا، وثانيا من خلال ما أسـماه فيبلين Veblen بالاسـتهلاك المفرط conspicuous consumption[61]. وطوال معظم الفترة التي انطوت عليها مجموعة

البيانات، أصبحت القوى عظمى بسبب قوتها العسكرية والاقتصادية. وفي أواخر القرن التاسع عشر، بدأت الحرب تفقد بعضا من جاذبيتها. وقد تسارعت هذه العملية بعد كل من الحربين العالميتين. بيد أن العديد من القوى الصاعدة الأوروبية وغير الأوروبية، حاولت - مع بعض النجاح - أن تطالب بنيل المكانة بناء على معايير أخرى(62). وخلال فترة ما بعد الحرب، سعت كل من ألمانيا واليابان والصين إلى نيل المكانة عن طريق وسائل غير عسكرية في المقام الأول. يبدو هذا التطور قد تأخر كثيرا، باعتبار أنه من بين الخصائص المميزة للحداثة أن تفتح مسارات متعددة للشرف والمكانة. وإلى حد كون الحرب صارت سيئة السمعة على نحو متزايد، سيزداد بروز الوسائل الأخرى لنيل المكانة، كما سيقل تواتر الحروب.

الجزء الثالث

الحرب في المستقبل

5

المصلحة والأمن

هناك العديد من العجائب، ولكن
ليس من بينها ما هو أكثر «عجبا، غرابة،
قوة، وبشاعة» deinon من الإنسان.

سوفوكليس(1)

«إن الحرب تتراجع ليس لأنها لم تعد ممكنة أو جذابة، ولكن لأن الشعوب والقادة في العالم المتقدم - حيث كانت الحرب متوطنة في الماضي - اكتشفوا على نحو متزايد أن الحرب مثيرة للاشمئزاز، وسخيفة، وغير حكيمة»

جون مويللر

في هذا الفصل، سأحول اهتمامي من الحرب في الماضي إلى الحرب في المستقبل، وسأتساءل عما إذا كان المستقبل سيكون مشابها للماضي. هل سنبتلى بالحرب بين الدول في هذا القرن كما حدث في الماضي؟ هل يعقل أن يقل عدد الحروب بين الدول، أو حتى يختفي بعد أن يتوسع نطاق استخدام الوسائل السلمية لحسم التنافس بين الدول؟

هناك توجه عام بين علماء الاجتماع لاستخدام النتائج التي توصلوا إليها حول الماضي لفهم المستقبل. وهنا يقذف الإسقاط المتوازي linear projection في وجه التاريخ: نادرا ما يشبه

المستقبل الماضي - في أي مجال - وخصوصا في مجالي السياسة والعلاقات الدولية. تحدث الانقطاعات الحادة تحولات هائلة في ديناميات التفاعل الاجتماعي. إن الحروب المحدودة بين الأسر المالكة، والتي ميزت أوروبا طوال القرن الثامن عشر، قد عفا عليها الزمن بفعل الثورة الفرنسية ومفهومها للأمة المستعدة للقتال. استتب السلام في أوروبا في العام 1815، وبحلول نهاية القرن، اعتبر كثير من المراقبين من عميقي التفكير أن احتمال نشوب حرب بين القوى العظمى صار بعيدا بشكل متزايد. لكن الحرب العالمية الأولى حطمت هذا الوهم، ومعه تفاؤل الحضارة الأوروبية. وبعد عدة عقود من الزمن، بدت الحرب الباردة إلى العديد من صناع القرار والعلماء وكأنها مستقرة على نحو ملحوظ، ولم يتوقع إلا قليلون زوال أو التفكك اللاحق للاتحاد السوفييتي. وقد تطور العالم في حقبة ما بعد الحرب الباردة بطرق تتحدى توقعات الليبراليين والواقعيين على حد سواء.

وكثيرا ما تنتج التحولات من هذا النوع عن ملتقيات غير خطية تندمج فيها تسلسلات سببية مستقلة إلى حد كبير لإحداث تحولات جذرية، وصاخبة في كثير من الأحيان، في السلوك. وهناك أسباب وجيهة للاعتقاد أن الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب الباردة كانتا نتيجة لمثل هذه الملتقيات[2].

وقد تعمدت تجنب أي محاولة للتنبؤ بمستقبل الحرب بناء على دراسة الماضي. ولا يعني هذا أن الماضي لا علاقة له بالتفكير في المستقبل، فأنماطه الملاحظة تصلح كنقطة انطلاق - وليس نقطة نهاية - للأفكار المتعلقة بالمستقبل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التفحص الدقيق للماضي يكشف التغيرات الحادثة في الظروف المسؤولة عن هذه الأنماط أو الانتظامات regularities التي لم تتضح آثارها بعد، أو التي بدأت تؤثر من فورها في السلوك. وبأخذ هذه الغايات في الاعتبار، سأصف أنماط بدء الحرب منذ القرن السابع عشر وحتى الوقت الحاضر، مع التركيز على تلك التي اعتبرها أهمها. وقد رتبت تحليلي حول الدوافع الخمسة التي استخدمتها لفهم بدء الحرب، وتحديد الأنماط والاتجاهات التي نشأت خلال القرون الأربعة التي تغطيها مجموعة بياناتي، وسأقوم بطرح تكهنات مستنيرة حول احتمال استمرار هذه الأنماط، وما إن كانت اتجاهات بعينها ستزداد وضوحا. وكما أن الثورة الاجتماعية في ستينيات القرن العشرين، والتي وصفتها سابقا، توضح على نحو فعال للغاية، فمن الممكن للتسلسلات السببية التي تؤدي إلى الملتقيات غير الخطية أن تحدث في مجالات لم يتم التفكير مسبقا في أنها ذات صلة بالسلوك المعني. ولذلك فإن أي

تكهنات يتم التوصل إليها بناء على الأنماط والاتجاهات الملاحظة يجب أن تبقى مبدئية للغاية، لأننا ببساطة لا نعرف مسبقا أي تطورات أخرى قد تمارس تأثيرا مهما، إن لم يكن حاسما، على الفائدة، أو الوتيرة، أو الطبيعة المتصورة للحرب.

أنماط الحرب

ما بين وستفاليا والثورة الفرنسية، كانت الحرب أقل تواترا مما كانت عليه في الماضي على الرغم من أنها كانت أوسع نطاقا في كثير من الأحيان. إن مجموعات البيانات التي تدرس مراحل تاريخية أقدم من مجموعة بياناتي، والتي سعت إلى أن تشمل جميع الحروب، تشير إلى أن بواكير أوروبا الحديثة تمثل أكثر عصر للحروب تمتلك حوله أدلة تاريخية جديرة بالاعتماد. كانت هناك حرب جديدة كل ثلاث سنوات في المتوسط. وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كانت القوى العظمى في حالة حرب طوال 95 في المائة من الوقت. وانخفض تواتر سنوات الحرب بين القوى العظمى إلى 71 في المائة خلال القرن الثامن عشر، وإلى 29 في المائة في القرن التاسع عشر المعدل [3]. علينا أن نتوخى بعض الحذر في تفسير هذه الأرقام بسبب صعوبة تفريق الحرب بين الدول عن الحرب داخل الدول قبل العام 1648، بل وبعد ذلك في بعض الأحيان، كما لاحظنا في الفصل الرابع.

وقعت حروب القوى العظمى مرة كل خمسة عشر عاما في المتوسط خلال القرن العشرين، لكنها وقعت مرة كل أربع سنوات في القرن السادس عشر[4]. ومع ذلك، فقد كانت حروب القرن العشرين أشد تدميرا للأرواح والممتلكات. ويعزى تدميرها إلى العديد من التطورات الداعمة، وأهمها اكتناف شعوب بأكملها في الحرب، والتطورات البعيدة المدى في مجالي التكنولوجيا العسكرية والقدرة التنظيمية، وزيادة تقبل القوة باعتبارها واحدة من أدوات السياسة العامة للدولة. احتفظت الدول في وقت السلم بجيوش وقوات بحرية ذات قوة أعلى بكثير، والتي وضعت تحت إشراف ضباط مدربين مهنيا يعملون تحت إمرة هيئة الأركان العامة، وتساعدهم عناصر تقنية تمتلك الموارد العلمية، والهندسية، والاقتصادية للدولة التي تقف وراءها [5].

واعتبارا من أواخر القرن السابع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، بدت الحرب بالنسبة إلى الكثيرين وكأنها وحش جار ترويضه، إذ صارت أهدافها ووسائلها محدودة بشكل متزايد. وكما ذكرت آنفا، لم يعد الحكام يقومون باغتيال أو تسميم خصومهم،

بـــل كانوا يعاملـــون بعضهم البعض، وممثليهم، وفقا لقواعد الاحـــترام، حتى عندما كانت دولهم في حالة حرب [6]. خلال النصف الأول من القرن الســـادس عشر، شـــجعت الحروب الإيطالية والألمانية على تطور البعثات الدبلوماســـية والسفارات لمساعدة الحكام في إدارة شـــؤون السياســـة الخارجية. وبعد العام 1648، عادت أوروبا الكاثوليكية والبروتســـتانتية مرة أخرى إلى التواصل فيما بينهما، وتعاون الدبلوماســـيون في كل منهما على التوصل إلى اتفاقيات الســـلام في أوتريخت Utrecht (1713)، وراستاتRastatt (1714) ، وكارلوفيتز Carlowitz (1718)، ونيســـتاد Nystad (1721). تطـــور القانون الدولي بسرعة كجزء من جهد أوسع لتنظيم وتهذيب ممارسة الحرب. وتطورت القواعد المنظمة لتبادل التشريفات، وإيـــواء القوات في الأراضي الأجنبية، والحصول على الأموال والمؤن من الســـكان في مناطق الحرب، ومعاملة الســـجناء. وأصبح مفهوم البلدان المحايدة مقبولا على نطاق واسع، على الرغـــم من أنها كانت مضطرة للســـماح للجيوش بالمرور عبر أراضيهـــا، أو ما يعرف بحق المـــرور الآمـــن trasitus innoxius. ومع ذلك، كان يتعين على هذه الجيوش دفع تعويض عن أي أضرار تتســـبب فيها. كان يتم تبادل الأسرى من الضباط بصورة روتينية، لكن كان من الممكن إرســـال الجنود العاديين إلى حبل المشنقة. بيد أن هذه الممارسة توقفت خلال القـــرن الثامن عشر، عندما بدأ ينظـــر إلى المجندين باعتبارهم أشـــخاصا يقومون بخدمة الدولة، وليسوا مجرمين [7].

اقتصرت الحرب في القرنين الســـابع عشر والثامن عشر على أسباب فنية واقتصادية في المقـــام الأول. أدى اختراع الحربة bayonet والمدفعية الأكـــثر قدرة على الحركة، إلى جعل القتال أشـــد فتكا، مما أدى بـــدوره إلى جعل تجنيد المرتزقة عمليـــة صعبة ومكلفة. ومع ذلك، فقد وجدت الدول الوســـائل اللازمة لتمويل وتزويد جيوشها بالمؤن، على الرغم من كونها أكبر من أي وقت مضى. وفي العام 1552، قدر مستشـــارو شـــارل الخامس Charles V أنهم يدعمون 148 ألف رجل في ألمانيا، وهولندا، ولومباردي، ونابولي، وشـــمال أفريقيا وإسبانيا. وفي العام 1625، كان بوسع فيليب الرابع Philip IV ملك إسبانيا أن يحشد 300 ألف جندي نظامي و500 ألف من الميليشـــيات. وقد تزايد حجم جيش لويس الرابع عشر Louis XIV من 273 ألف جندي في العام 1693 إلى 395 ألفا في العام 1696. وكان بإمكان دولة صغيرة مثل الجمهورية الهولندية الناشـــئة حشـــد 60 ألف رجل في العام 1606. وفي العام 1756، كان العدد الإجمالي للأوروبيين المسلحين نحو 1.3 مليون.

ولأسـباب اقتصادية واسـتراتيجية، فضلت الجيوش الأوروبية المناوشـات والمناورات المحـدودة وعمليات الحصار عـلى المعارك الضارية. ولم يخـض دوق مارلبورو Duke of Marlborough، الذي اشتهر بعدوانيته، سوى أربع معارك كبرى في سياق حملاته القارية العشر. وقد نشـأت واحدة منها، وهي معركـة مالبلاكيه Malplaquet التي دارت رحاها في العام 1709، عن حاجة مارلبورو السياسـية إلى نصر حاسـم. كانت هذه أكبر موقعة في أوروبا قبل معركة بورودينو Borodino في العام 1812، وشارك فيها 200 ألف جندي من القوات البريطانية، والهولندية، والفرنسـية، والإمبراطورية. وعندما انقشـع غبار المعركة، كان هنـاك 30 ألف قتيـل [8]. لكن علينا توخي الحذر فيما يتعلـق بعزو اجتناب خوض المعـارك إلى قوتها التدميرية أو تكاليفهـا، إذ كانت عمليات الحصار في بعض الأحيان على القدر نفسه من الدموية والتكلفة.

وقـد توازى النمو الكبـير في حجم الجيوش العاملة مع تزايد أعداد السـكان، وقدرة بعض الدول على جمع المال لأغراض الحرب. وقد سـخرت الثورة الفرنسية ونابليون هذه الإمكانية من أجل تغيير طبيعة ونطاق الحروب، مما أجبر خصومها على أن يحذوا حذوها.

ومـا بين عامـي 1792 و1815 - وهـو عصر الحـروب الثورية الفرنسـية والحروب النابليونية - وقعت 713 معركة ضارية [9]. وقد بلغ جيش نابليون أقصى حجم له، والمؤلف من 600 ألف رجل، عشـية غزوه روسـيا في العام 1812 [10]. وفي العام 1814، حشـدت الدويلات الألمانية وروسـيا نحو مليون رجل في ساحة المعركة التي دارت بين الجانبين[11]. كان كلاوزفيتز محقا في ملاحظة أن الحرب صارت:

> محل اهتمام الشـعب ككل، ومن ثم اتخـذت طابعا مختلفا تماما، أو اقتربت بالأحرى بشـكل وثيق من طبيعتهـا الحقيقية، وهو الكمال المطلق. على ما يبدو، لم تكن هناك نهاية للموارد التي يتم حشدها، فقد اختفت كل الحدود في غمرة النشـاط والحماس الذي تبديه الحكومات ورعاياها. ثمة عوامل مختلفة زادت هذه الحماسـة بقوة، منها اتسـاع نطاق الموارد المتوافرة، والمجال الواسـع للفرص المتاحة، وعمق الشعور المسـتثار عمومـا. كان الهدف الوحيد للحرب هـو الإطاحة بالخصم. وقبـل أن يركـع الخصم، لم يكن بالإمكان التوقف عـن القتال، ومن ثم محاولة التوفيق بين المصالح المتعارضة [12].

وبعد إزاحة نابليون من طريقهم بلا رجعة، أقنع كثير من الساسة والجنرالات أنفسهم بأن الحرب بين القوى العظمى ستصير مرة أخرى نادرة، أو على الأقل محدودة في أهدافها، ومقيـدة في نطاقها وممارسـاتها. اعتقد كلاوزفيتز أن هذا لن يحدث إلا إذا «شـهدنا مرة أخرى انفصالا تدريجيا يقع بين الحكومة والشـعب». وقد اعتبر هذا أمرا مستبعدا للغاية لأسـباب كثيرة، أهمها السـابقة التي أرسـتها الحروب النابليونية. وفي هذا السياق، يحذر كلاوزفيتـز قراءه قائـلا: «بمجرد أن تهدم الحواجز - والتي بمعنى ما لا تتكون إلا من جهل الإنسان بما هو ممكن - فليس من السهولة بمكان أن يعاد بناؤها مرة أخرى. عندما تكون المصالـح الكبرى على المحك، فإن العداء المتبادل سـيعبر عن نفسـه بالطريقة ذاتها التي يفعل بها ذلك في أيامنا هذه» [13].

يزودنا القرن التاسع عشر بأدلة على وجهتي النظر هاتين: فقد انخفض عدد الحروب بشكل حاد، مما يجعل من السنوات الممتدة ما بين عامي 1815 و1914 أول فترة تستغرق قرنا من الزمان، والتي كانت سـنوات السـلام فيها أكثر من سـنين الحرب. تتسم الحروب المتعـددة بين القوى العظمى - مثل حروب توحيد ألمانيا (1864، 1866، 1870 - 1871)، وحـروب توحيد إيطاليا (1848، 1859) - بكونها نشـبت من أجل أهداف محدودة، كما اسـتمرت لفترة محدودة. كان الاسـتثناء هنا هو حرب القرم التي استمرت لثلاث سنوات (1853 - 1856). ومع ذلك، فقد تألفت من سلسـلة الاشـتباكات القصيرة والحادة في البر والبحر، بالإضافة إلى حصار مدينة سيفاستوبول Sevastopol الذي استمر لمدة سنة.

بـدا الرأي العام معارضا للحرب على نحو متزايد. أفـرزت الحروب النابليونية جمعيات عديدة للسلام على جانبي المحيط الأطلسي [14]. وبالسير على خطى ريتشارد كوبدن Cobden وجون برايت Bright، بدأ الليبراليون في كل مكان ينظرون إلى السلام باعتباره خادما للتجارة والصناعة. اتخذ مؤتمرا لاهاي لعامي 1899 و1907 خطوات مهمة لتقليص القدرة التدميرية للحرب [15]. أما المؤتمر الثالث، الذي كان سـيعقد في العام 1917، فقد ألغي بسـبب الحرب العالمية الأولى، فكان سـيتناول الاستبدال المحتمل للتحكيم arbitration بدلا من الحرب. إن مؤتمري لاهاي، والألعاب الأولمبية، التي نظمت أولى دوراتها في العام 1896، والحماس للغتي الفولابوك Volapük والإسبرانتو Esperanto كلغتين دوليتين للسلام، ونمو السفر عبر الحدود والتفاهم الذي بدا أنه يحققه في أعقاب ذلك، أدت جميعها إلى بث الأمل بين أصحاب الآراء التقدميـة في أن العلاقـات الدولية قد تصبح محكومة بالقانون عـلى نحو متزايد. وفي العام

1849، كان الشاعر الأمريكي رالف والدو إيمرسون Emerson يشعر بالثقة الكافية ليعلن أن «الحرب تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأن السلام العالمي يعد أمرا مؤكدا مثل هيمنة الحضارة على الهمجية»[16]. وفي العام 1899، نشرت البارونة النمساوية بيرتا فون سوتر von Sutter رواية مناهضة للحرب، حملت عنوان «لتسقط الأسلحة!» (Die Waffen Nieder!)، والتي سرعان ما أصبحت من أكثر الكتب مبيعا على مستوى العالم، كما أدت لفوزها بجائزة نوبل في العام 1905. وفي العام 1910، قام نورمان أنجيل Angell، وهو مؤلف آخر للكتب الرائجة، والذي فاز لاحقا بجائزة نوبل، بفضح زيف الاعتقاد بأن احتلال أراض يمكن أن يزيد الثروة الوطنية[17].

أما الدليل الذي يثبت صحة تشاؤم كلاوزفيتز فتوفره الحرب الأهلية الأمريكية (1861 - 1865)، والتي تشبه الحروب النابليونية السابقة لها في كل من نطاقها والدمار الذي تسببت فيه. أوشكت الحرب الفرنسية - البروسية، وهي الحرب الثالثة والأخيرة من حروب توحيد ألمانيا، على التصاعد بشكل خارج عن السيطرة بعد هروب لويس نابليون من باريس[18]. أثبتت الحرب الروسية - التركية (1877 - 1878)، وحرب البوير (1899 - 1902) والحرب الروسية اليابانية (1904 - 1905) أنها أكثر تكلفة مما تخيله أي من الجانبين المشاركين فيها. وكذلك فقد زودت الحرب الروسية - اليابانية المراقبين الأوروبيين بأدلة دامغة على قدرة المدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة على صد هجمات المشاة مع خسائر فادحة. وفي معظم الحالات، فإن الدروس المستفادة من هذه الصراعات، والتي تبدو واضحة تماما عند النظر إليها لاحقا، قد ضاعت في المؤسسات العسكرية الأوروبية. أما المارشال هيلموت فون مولتكه von Moltke الأكبر، وهو مهندس انتصار ألمانيا في الحرب الفرنسية - البروسية، فقد رفض الحرب الأهلية الأمريكية على أنها «رعاع مسلحون يطارد بعضهم البعض في جميع أنحاء البلاد، والذين لا يمكن أن يتعلم المرء شيئا منهم»[19]. وبالنظر إلى التزامهم بتنفيذ العمليات الهجومية لأسباب تنظيمية، وأيديولوجية وطبقية، وقبل كل شيء باعتبارها قضية متعلقة بالشرف، رفض جنرالات أوروبا إعادة النظر في استراتيجياتهم الهجومية أو التكتيكات المتعلقة بها. وفي العام 1914، دفعت جيوشهم وبلدانهم ثمن عنادهم غاليا. أفادت الحكمة التقليدية طويلا بأن هيئات الأركان العامة الأوروبية تلتزم بتنفيذ عملياتها الهجومية لأنها تعتبرها الوسيلة الوحيدة لخوض حرب قصيرة، والانتصار فيها[20]. بيد أن الأدلة الجديدة توضح أنه بحلول العام 1914، لم يكن

لدى كبار الجنرالات الألمان أي أوهام أن الحرب ستكون شيئا غير مغامرة مكلفة وطويلة الأمد، لكنهم قاموا على نحو متعمد بخداع الزعماء السياسيين لكي يعتقدوا أن تحقيق نصر سريع وحاسم ضد فرنسا كان أمرا ممكنا. أما رئيس هيئة الأركان الألمانية، هيلموت فون مولتكه (الأصغر)، فقد كان واثقا أيضا من أن الجيش الألماني لا يمتلك خطة حربية تتيح له شن حرب في الشرق ضد روسيا وحدها [21]. كان مولتكه وفالكنهاين، كما ذكرت في موضع آخر، مستميتين لخوض الحرب بدافع من كراهيتهما لفرنسا ولاعتقادهما بأن الحرب ستساعد في الحفاظ على طبقتهما وعلى قيمها [22].

كانت الحرب العالمية الأولى أشد تدميرا بكثير من سابقتها النابليونية، إذ فقد نحو 9.4 مليون من المقاتلين حياتهم كما تعرض ملايين أكثر للتشويه الجسدي أو النفسي [23]. توفي أكثر من مليون من المدنيين بسبب الجوع، أو التطهير العرقي، أو المرض. أدت الحرب، والحصار التالي لها على ألمانيا والنمسا من قبل الحلفاء المنتصرين، إلى جعل سكان أوروبا الوسطى أكثر عرضة لخطر الإصابة بجائحة الإنفلونزا خلال عامي 1918 - 1919. كان للحرب العالمية الأولى وتداعياتها الوحشية عواقب ثقافية وفكرية بالغة العمق. فقدت الثقة الأوروبية بالنفس إلى جانب دورها الرائد في العالم، مما شجع على ظهور أشكال من التعبير الأدبي والفني والسياسي التي تنم عن التحدي، والشك، والارتباك والاغتراب. من المفهوم أن الحرب قد أثارت آمالا عريضة في منع نشوب أي اندلاع مستقبلي للأعمال العدائية في أوروبا. من جانبه، فإن الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون Wilson، الذي كان قد برر دخول بلاده إلى الحرب باعتباره أمرا ضروريا لكسب «الحرب التي تنهي كل الحروب»، قد أخذ زمام المبادرة في صياغة اتفاقيات السلام التي من شأنها أن تقلل احتمالية نشوب الحرب في المستقبل. وكانت واسطة العقد هي تكوين عصبة للأمم، والتي يمتلك أعضاؤها القدرة على العمل بشكل جماعي ضد أي معتد [24].

يقول المؤرخ إ. ف. كلارك Clarke إن الحرب العالمية الأولى أحدثت تغيرات جوهرية في المواقف الغربية تجاه الحرب. وهو يرى أن «كل ما كتب عن الحروب المستقبلية منذ هيروشيما لا يعدو كونه مجرد تكرار وتضخيم لما قيل بين الحربين العالميتين» [25]، وفي عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، كان هناك اعتراف واسع النطاق بأن الحرب الحديثة قد أصبحت، على حد قول ونستون تشرشل Churchill، «المدمر المحتمل للجنس البشري» [26]. أما سيغموند فرويد Freud، وهو حجة أخرى تحظى بالاحترام،

فشعر بالقلق من أن العلم قد سيطر على الطبيعة لدرجة أنه يتيح الفرصة للدول التي تمتلك القوة لأن «يبيد بعضها بعضا حتى آخر رجل» [27]. وفي العام 1930، طرح ألبرت أينشتاين حله المعنون «اثنين في المائة» لمعضلة الحرب، وفيه جادل بأنه إذا قام اثنان في المائة فقط من الذين استدعوا برفض الخدمة العسكرية، فإن «الحكومات ستصير عاجزة، إذ إنها لن تجرؤ على إرسال مثل هذا العدد الكبير من الناس إلى السجن» [28]. وجدت المشاعر المناهضة للحرب تعبيرا عنها في مؤتمر واشنطن البحري لعامي 1921 - 1922، والذي تمخض عن ثلاث معاهدات وعن ميثاق كيلوغ - بريان Kellogg--Briand Pact لتجريم الحرب، والذي وقعته 15 دولة في أغسطس 1928 [29]. ازدهرت حركات السلام مرة أخرى في بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة حتى واجهت هتلر، وأدرك العديد من أعضائها، إن لم يكن أغلبهم، بأن شهيته للعدوان لا يمكن استرضاؤها بالتنازلات [30]. كانت هزيمة ألمانيا، وفقدانها للأراضي، وتصورها لمعاهدة فرساي كإهانة غير مقبولة، قد أثارت استياء كبيرا تم إذكاؤه وحشده من قبل اليمين الألماني والاشتراكيين الوطنيين (النازيين) لنزع الشرعية عن جمهورية فايمار [31]. وكما هو معروف جيدا، أدت إعادة تسليح ألمانيا النازية، التي قامت بريطانيا وفرنسا بتهدئتها، إلى إلغاء الأحكام الرئيسية لتسوية فرساي، وأطلقت العنان للحرب العالمية الثانية في أوروبا - من خلال التحالف مع إيطاليا واليابان والاتحاد السوفييتي.

كانت الحرب العالمية الثانية أشد تدميرا من الحرب العالمية الأولى، على الرغم من أنها كانت حربا تتعلق بالحركة. تتراوح التقديرات المتعلقة بعدد القتلى من خمسين مليونا فصاعدا، بما في ذلك الجنود والمدنيون [32]. كان سير الحرب وحشيا حتى عند قياسه بمعايير الحرب العالمية الأولى. وفي الشرق، كان الألمان يقومون بتجويع أو قتل، أو إنهاك جنود العدو المستسلمين حتى الموت. كانوا يطلقون النار على المفوضين واليهود بمجرد رؤيتهم، وسلبوا البلدان التي احتلوها من المواد الغذائية والسلع الضرورية الأخرى من دون أي اعتبار للاحتياجات المحلية [33]. أجرت القوات الجوية الألمانية حملات لقصف المدن الأوروبية، بدأت بتدمير مدينة غورنيكا الإسبانية، والتي بلغت ذروتها في هجماتها على لندن بالقنابل الطائرة من طراز V - 1 وصواريخ V – 2 [34]. قام الجيش الألماني بقتل أو تجويع ما بين 700 ألف و1.5 مليون من سكان لينينغراد Leningraders خلال 900 يوم من الحصار، والقصف الجوي والمدفعي [35]. وبدورهم، لم يكن السوفييت يسمحون

دائما للجنود الألمان بالاستسلام، وكانوا يرسلون من يقبلون استسلامهم إلى معسكرات الأعمال الشاقة التي لم يعد معظم من أرسلوا إليها أبدا [36]. استخدم الجيش الأحمر جنوده، عادة من الكتائب المعاقبة، في إزالة حقول الألغام عن طريق تسيير تشكيلات الجند عبرها [37]. على العموم، فإن السوفييت فقدوا أكثر من 26 مليون نسمة خلال أربع سنوات من الحرب [38].

كانت الحرب في البلقان أشبه بالحرب في الشرق، لكن على نطاق أصغر. لم يُعط أو يُطلب أي جزء من الأرض من قبل القوات غير النظامية المتناحرة، أو الألمان والثوار الشيوعيين الذين يحاربونهم. وترافق هذا القتال مع عمليات قتل واسعة النطاق للصرب واليهود [39]. وقد ارتكب الحلفاء فظائعهم أيضا، والتي كان معظمها في صورة قصف جوي، ليلا ونهارا، للمدن الألمانية، ففي هجوم واحد بالقنابل الحارقة على مدينة دريسدن قرب نهاية الحرب، قتل عشرات الآلاف من الأشخاص، كان جميعهم تقريبا من المدنيين [40]. تم تضليل طواقم الطائرات القاذفة، بصورة متعمدة، عن أهدافهم الحقيقية - أي المدن، والعمال والحياة المتحضرة لألمانيا - من قبل الحكومة البريطانية التي كانت تدرك انتهاكات القانون الدولي التي تنطوي عليها هذه الهجمات [41]. ربما دارت أقل الحروب تقييدا في الشرق الأقصى، حيث نفذ اليابانيون أعمال عنف غير مبررة ضد المدنيين الآسيويين [42]. وفي نانجينغ، اهتاج الجنود اليابانيون وأقدموا على قتل أكثر من 70 ألفا من سكان المدينة [43]. وكانت الغارات الجوية الأمريكية ضد المدن اليابانية مدمرة بالمثل، أدى إلقاء القنابل الحارقة على طوكيو ف يونيو 1945 إلى إحراق 15.8 كيلومترا مربعا من المدينة وقتل ما يقدر بنحو 87,793 شخصا [44]. وأدى قصف هيروشيما بالقنابل الذرية إلى قتل 145 ألف شخص، كما أشار - مثلما فعل الهجوم التالي ضد ناغازاكي - إلى استعداد أمريكا لاستخدام أسلحة ذات قدرة تدميرية لا مثيل لها [45]. ومثلهم في ذلك مثل الروس والألمان، كان اليابانيون والأمريكيون يرفضون في كثير من الأحيان قبول استسلام المقاتلين الأعداء [46].

وكان من الممكن للحرب الباردة أن تطلق العنان لحرب أشد تدميرا، أي حرب من شأنها تحويل غلو تشرشل وفرويد إلى واقع قبيح لا رجعة فيه. لم تتحول الحرب الباردة إلى ساخنة إلا في المناطق النائية والحدودية والحروب بالوكالة. أما المواجهات المباشرة بين الولايات المتحدة والصين في كوريا، والتدخل الأمريكي في الهند الصينية، والتدخل السوفييتي في أفغانستان، والحروب المختلفة في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا بين

عمـلاء القـوى العظمى، فكانت لهـا تكلفة بشرية باهظة، وأثارت في أكثر من مناسـبة احتمال وقـوع مواجهة مباشرة بين القـوى العظمى. وجاءت النهاية السـلمية للحرب البـاردة بمثابة مفاجأة كبرى للجميـع، فيما يختلف العلماء حول سـبب وقوعها، وهم يواصلون مناقشة أصولها [47].

نال عالم ما بعد الحرب الباردة نصيبه من الحروب، لكن أيا منها لم يكن في مثل تدمير أي من الحروب الكبرى التي نشـبت خلال الحرب البـاردة. إن الحرب العراقية الإيرانية، خلال الفترة 1980 - 1988، والتي لم تنخرط فيها أي من القوتين العظميين، كلفت إيران ما يقدر بمليون قتيل. وقع بعض الإيرانيين ضحايا جراء استخدام العراق للأسلحة الكيميائية. وتقدر الخسائر البشرية العراقية ما بين 250 ألفا و500 ألف، كما قتل آلاف المدنيين من كلا الجانبين بسـبب الغارات الجوية والصواريخ [48]. ومع ذلك، فلايزال احتمال نشوب صراع كارثي باقيا، مع تزايد انتشـار الأسـلحة النووية. تمتلك الهند وباكسـتان كثيرا من الأسلحة وأنظمـة إطلاق الصواريخ، وكذلك إسرائيـل. ويبدو أن إيران وكوريا الشـمالية ملتزمتان بنشـاط بالانضمام إلى نادي الدول النووية. ويمكن لمواجهة نووية شـاملة في شـبه القارة الهندية أن تقتل عددا من الناس يزيد على من لقوا حتفهم في الحرب العالمية الثانية [49].

قراءة في أوراق الشاي

يكشـف هذا الاسـتعراض الموجز للحرب في العصر الحديث عـن ثلاثة اتجاهات متناقضـة: انخفـاض في التواتر الإجمالي للحرب، وزيادة في شـدة فتكها، ونمو مطرد في المشـاعر المناهضة للحرب [50]. تشـبه هذه الاتجاهات أوراق الشـاي، لأن المتفائلين والمتشـائمين يقرأونها بشـكل مختلف، ثم يسـتخدمونها كأسـاس لروايتين متناقضتين تماما. بالنسـبة إلى المتفائلين، فهي توفر أدلة على أن الحرب بين الدول تمثل انتكاسـة ويتطلعـون إلى اليوم الـذي تختفي فيه تماما، على الأقل بـين الاقتصادات المتقدمة في العالم. وفي القرن الثامن عشر، كتب مونتسـكيو Montesquieu أن «السـلام هو الأثر الطبيعي للتجارة» [51]. كما جادل كانط Kant على نحو شهير في العام 1798، فقال إن «روح التجـارة» «لا تتفق مع الحرب»، وهو شـعور ردده وراءه كل من جيريمي بنتام Bentham، وليبراليا مانشسـتر ريتشـارد كوبدن وجون برايـت [52]. وفي العام 1848، كتب جون سـتيوارت ميـل Mill قائلا: «إن التجارة هي مـا يعمل بسرعة على جعل

الحرب شيئا من الماضي»[53]. أما ثورستين فيبلين Veblen، ونورمان أنجيل Angell، وجوزيف شومبيتر فساقوا حججا مماثلة في أوائل القرن العشرين[54].

وفي مرحلة لاحقة، جادل ريتشارد روزكرانس Rosecrance أن الدول التجارية لا تمتلك حافزا لخوض الحرب لأن الحصول على المواد الخام وغيرها من السلع عن طريق التجارة يكون أرخص دائما منه عن طريق الغزو[55]. قامت مجلة الإيكونوميست Economist، ووسائل الإعلام بشكل عام، بالتلاعب كثيرا بالاكتشاف المفترض أنه لا يوجد بلدان بهما فروع لسلسلة مطاعم ماكدونالدز McDonalds قد خاضا حربا ضد بعضهما البعض. أما توماس فريدمان Friedman، وهو من أبرز دعاة العولمة، فيصر، كما فعل الراديكاليون الإنجليز من قبله، على أن الاقتصادات المفتوحة تعزز الديموقراطية والسلام[56].

يؤكد مؤيدو برنامج السلام الديموقراطي للبحوث على أن أهم استنتاج تال للحرب في مجال العلاقات الدولية هو عدم وجود حروب بين الدول الديموقراطية[57]. يشير المتفائلون أيضا إلى «شيفرة السلام» code of peace أو «العهد العالمي»، وهي تعبيرات تستخدم لوصف القيود، والقواعد والالتزامات الإجرائية والاحترازية التي بدأ تطبيقها في عشرينيات القرن العشرين، ومن ثم تعزيزها بشكل كبير في فترة ما بعد الحرب[58]. ومن بين أهم هذه المعايير نجد ذلك المتعلق «بوحدة الأراضي»[59]. أما الآخر فهو المحظور (التابو: taboo) الذي نشأ حول الأسلحة النووية، أو على الأقل العرف الذي يقضي بعدم استخدامها[60]. أما جون مويللر، وهو مؤلف كتاب عميق التفكير حول بطلان الحرب، فيورد عدة أسباب لتعزيز تفاؤله: فهو يصر على أن الحرب تتراجع، «ليس لأنها لم تعد ممكنة أو جذابة، ولكن لأن الشعوب والقادة في العالم المتقدم - حيث كانت الحرب متوطنة في الماضي - اكتشفوا على نحو متزايد أن الحرب مثيرة للاشمئزاز، وسخيفة، وغير حكيمة»[61]. وهناك مؤرخون وباحثون آخرون في العلاقات الدولية، والذين ساقوا حججا مماثلة[62].

في القرن التاسع عشر، لقيت الدعوة إلى السلام معارضة كبيرة ممن كانوا ينظرون إلى الحرب باعتبارها عملا ساميا، ومجيدا، بل وجميل حتى، وإلى السلام باعتباره مسعى جبانا، ومنحطا، وماديا، وفاسدا. وإلى حد كبير، تم الترويج لهذه التوجهات من قبل الأرستقراطيين، الذين كانت مكانتهم وثرواتهم تبرر على أساس الخدمة العسكرية، والشجاعة والولاء الذي يظهرونه داخل وخارج أرض المعركة[63]. كان العديد من المحافظين في فرنسا وألمانيا

يتصورون الحرب باعتبارها وسيلة فعالة لتوسيع العمر الافتراضي للقيم التقليدية، وكبح جماح النزعات الملدية الليبرالية والاشتراكية [64]. صار المؤرخ والبرلماني الألماني هاينريش فون ترايتشكه von Treitschke أحد أبرز المدافعين عن وجهة النظر هذه، فأعلن أن «الحرب، على الرغم من كل وحشيتها وصرامتها، تنسج رباط الحب بين رجل ورجل، فتربطهما معا لكي يواجها الموت، وتجعل كل صور التمييز الطبقي تختفي» [65]. وبدورهم، ينظر كثير من الداروينيين الاجتماعيين إلى الحرب بإيجابية، لأنهم يعتبرونها الوسيلة الرئيسية التي يمكن من خلالها للأمم التقدمية أن تؤكد تفوقها. ومن جانبه، وصف إرنست رينان Renan الحرب بأنها «واحدة من شروط التقدم» [66]. ووفقا لعالم الإحصاء كارل بيرسون Pearson، فإن «طريق التقدم مفروش بحطام الدول» [67]. أما هربرت سبنسر Spencer، وعلى النقيض من ذلك، فيقول إن الحرب قد نفذت هذه المهمة بالفعل، وبالتالي فلم تعد ضرورية أو مفيدة للتقدم [68].

أفقدت الحرب العالمية الأولى مصداقية الخطابات المؤيدة للحرب، على الرغم من أنه تم إحياؤها بنجاح من قبل الحركات الفاشية في إيطاليا وألمانيا، كما واصلت ازدهارها في اليابان. وقد احتاج الأمر إلى حرب عالمية ثانية للقضاء على تلك الدعوات. وفي عالم اليوم، نادرا ما يتحدث حتى أشد السياسيين التزاما بالنهج المحافظ والقومي عن الحرب باعتبارها أي شيء سوى تجربة مكلفة ومروعة، وملاذ أخير للدفاع عن المصالح الوطنية. تثبت الاستثناءات القليلة صحة القاعدة، ففي ذروة أزمة الصواريخ الكوبية، بعث فيديل كاسترو – نظرا إلى شعوره بالذعر - برقية إلى خروتشوف لحثه على شن ضربة نووية استباقية ضد الولايات المتحدة. أصيب خروتشوف بالرعب، وصار أكثر تصميما بكثير على التوصل إلى تسوية سريعة مع كينيدي [69]. وعلى الرغم من ذلك، فلم تنجح المشاعر المناهضة للحرب في التخلص من الحرب كمؤسسة. وعلى الرغم من وقوع عدد أقل بكثير من الحروب في حقبة ما بعد العام 1945، فقد نشبت حروب بالفعل، ومنها من بدأتها بلدان تتسم المشاعر المناهضة للحرب فيها بكونها قوية بشكل خاص (مثل الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، والاتحاد السوفييتي). وبالتالي فإن الشعور المناهض للحرب هو في أحسن الأحوال شرط ضروري، لكنه غير كاف بأي حال من الأحوال، لتحقيق السلام. وهذه هي العلاقة التي سأناقشها بمزيد من التفصيل في خاتمة الكتاب.

أما اليوم، فإن المعارضة التي تواجهها حركات السلام، وتوقعاتها بأنه يمكن إبعاد شبح الحرب، تأتي من مصادر شديدة الاختلاف عما كانت عليه قبل قرن من الزمان. يرى الأعضاء المحافظون في المؤسسات الأكاديمية وتلك المعنية بالأمن القومي أن الحرب تمثل تعبيرا عن الطبيعة البشرية أو عن فوضوية البيئة الدولية. وهم يصرون على أن فترات السـلام، مهما طال أمدها، قد انتهت دائما بحروب مدمرة. أما جون ميرشايمر Mearsheimer، وهو واحد مـن أكثر علماء العلاقات الدولية تشـاؤما، فيقول إنه إذا لم يتمكن الترابط الاقتصادي من منع الحرب العالمية الأولى، فإن «اقتصادا عالميا شـديد الترابط لا يجعل الحرب بين القوى العظمـى أكثر أو أقل احتمالا» اليوم [70]. وقد اكتشـف بعـض علماء الاجتماع والمؤرخين دورة مـن الضجر من الحرب war - weariness في أعقاب الحروب المكلفة، حيث يتناسى السـكان تكاليف الحرب بعد جيل واحد أو اثنين، ومن ثم يصبحون على استعداد لدخول الحـرب مـرة أخرى [71]. يتهم المـؤرخ ديفيد بلايني المتفائلين بالخلـط بين الارتباط وبين السببية. تزامنت فترة السلام الطويلة ما بين الحروب النابليونية والحرب العالمية الأولى مع نمـو حركة التصنيع في أوروبا، وتزايد الترابط التجـاري والمالي بين الدول القومية في القارة، لكنها لم تكن السبب في فترة السلام الطويلة هذه. أما اليوم، فقد نكون شهودا على الإسناد الخاطئ نفسـه، كما يؤكد بلايني، في سـياق محاولاتنا لتفسـير سـبب السلام الطويل بين القوى العظمى منذ العام 1945 من حيث الأسلحة النووية [72].

يوجد الواقعيون من جميع المشارب في المخيم المتشائم. وعلى الرغم من أن بغضهم للحرب لا يقل عن مثيله لدى نظرائهم الليبراليين، فإنهم يعتقدون أنها تشـكل تهديدا قائمـا على الـدوام، والذي يمكن إبعـاده بأفضل صورة عن طريق وضع اسـتراتيجيات متطورة لإدارة الصراعات، والتي تشـمل الاسـتعداد للقتال. بيد أن الواقعيين مغرمون بترديد القول اللاتيني المأثور «إذا رغبت في السـلام، فاستعد للحرب» (Si vis pacem, para bellum). لكنهـم يختلفون فيما بينهم حول مدى الحاجة إلى القوة العسـكرية من أجل الردع العام والفوري، وحول الظروف التي ينبغي أن تستخدم فيها القوة. أيد العديـد من الواقعيين التدخل الأمريكي في فيتنام، لكـن أبرز اثنين من علماء المذهب الواقعي في ذلك العصر - هانز مورغنثاو وجون هيرز - كانا من أوائل المعارضين صراحة لذلـك التدخل. أما الأغلبية العظمى من علماء العلاقـات الدولية، وكذلك الواقعيون، الأمريكيـون فقد عارضـوا غزو العراق في العام 2003، لكـن الأكاديميين القلائل الذين

أيـدوه، ومن بينهم مستشـار الأمن القومـي للرئيس بوش، كانـوا جميعا ممن أعلنوا انتماءهـم للمذهب الواقعي. أقدم المتفائلون على انتقاد الواقعيين - الذين أسـموهم «المثاليـين» - لتصرفهم بطرق تجعـل الحرب أكثر، وليس أقل، احتـمالا. أما مورغنثاو فقـد وجه هذه التهمة - وهـو منصف في ذلك إلى حد بعيـد - إلى المحامين الدوليين والديبلوماسـيين في العقود الأولى من القرن العشرين، والذيـن حاولوا تجريم الحرب باعتبارها خارجة عن إطار القانون [73]. دفع مورغنثاو وإ.هـ. كار، بصورة أكثر منطقية، أن التهدئـة، المبنية على الافـتراض الخاطئ بأن هتلر يمكن ترويضـه عن طريق تلبية «المطالب المشروعة» لألمانيا، لم تؤد إلا إلى زيادة شهيته، مما ساعد على إشعال الحرب العالمية الثانية [74]. أما المتفائلون، الذين هم أكثر عرضة لتعريف أنفسهم كليبراليين أو بنائيين constructivists، فيرفضون تشـبيهات الواقعيين بين الحاضر والماضي باعتبارها سطحية ومضللة. يشير ستيفن بروكس إلى أن مقارنة ميرشايمر لعام 1914 تتوقف على القيمـة الاقتصاديـة الإيجابية لاحتلال الأراضي، وهو أمر لم يعد سـاريا [75]. ويرى كل مـن دروكر Drucker، وروزناو Rosenau وليبشـوتز Lipschutz أن تكاليف التعبئة للحرب قد صارت باهظة [76].

يحـذر المتفائلون مـن أن المجادلات الأكاديمية حول الحرب والسـلام لا تتم في فراغ سـياسي، بل تمتلك القدرة على تحقيق نفسـها بنفسها. تؤدي الاسـتعدادات للحرب إلى جعلها أقرب احتمالا، من خلال تشـجيع سباق التسـلح، وانعدام الثقة، وتحليل سيناريو أسـوأ الحالات. وهم يشـيرون إلى الحرب العالمية الأولى، حيث أدت منظومات التحالف، وسـباقات التسـلح، والخطط الحربية إلى جعل الحرب بين القـوى العظمى تبدو أقرب احتـمالا، وهو اعتقاد يمكن القول إنه سـاعد على نشـوبها بالفعـل [77]. قامت الأبحاث التجريبية التي أجريت على الردع العام بتوثيق الطرق التي تكون فيها هذه الاستراتيجيات أكـثر اسـتفزازا من كونها مقيدة، كـما كانت عليه خلال الفترة السـابقة لعام 1914 وفي الجزء الأكبر من الحرب الباردة [78]. ومن جانبهم، يرى المتفائلون أنه عن طريق التنشـئة الاجتماعية الناجحة لكثير من الصحافيين وصناع القرار السياسي في المستقبل، مما يحملهم عـلى الاعتقـاد بحتمية الصراع وبالحاجة إلى ترسـانات ضخمة وإلى الاسـتعراض المتكرر للعزيمة، فقد قاموا بتشـجيع مثل هذا السـلوك، ليس فقط في الولايات المتحدة، بل على المسـتوى العالمي [79]. وبحلول ستينيات القرن العشرين، كان هانز مورغنثاو - وهو والد

النظرية الواقعية لفترة ما بعد الحرب - يعتقد أن صناع السياسة الأمريكية قد أفرطوا في تعلم درس القوة، وأن ذلك كان من بين الأسباب التي أسهمت في تدخلهم غير المدروس في فيتنام [80].

يمثل الجدل الأمريكي المعاصر حول صعود الصين مثالا ملموسا آخر، تم تأطيره من منظور نظرية انتقال السلطة، والتي - كما رأينا - تتنبأ بأن الدول الصاعدة تكون مصممة على تحدي القوى المهيمنة السائدة [81]. وبالتالي، فإن التوقعات المعنية بنشوب صراع أو حرب بين الصين وأمريكا تستحضر نظرية انتقال السلطة بشكل روتيني باعتبارها سابقة تاريخية [82]. وقد لخصت وزيرة الخارجية المساعدة السابقة سوزان شيرك Shirk هذا المنظور بادعائها أن: «التاريخ يعلمنا أنه من المرجح أن تحرّض القوى الصاعدة على الحرب» [83]. وفي العام 2003، قدمت لجنة المراجعة الأمنية بين الولايات المتحدة والصين تقريرها السنوي الأول إلى الكونغرس، والذي حذرت فيه من الأهداف التوسعية للصين. وكتب المفوض آرثر والدرون Waldron أن «الصين ليست من دول الأمر الواقع» وأن «الغرض الأشمل» لسياستها الخارجية هو «استبعاد الولايات المتحدة من آسيا» و«تهديد الدول المجاورة والضغط عليها» [84]. وقد تكررت هذه الحجة في الكتابات الأكاديمية للواقعيين[85]. لا يوجد أي دعم تاريخي لتحدي القوى الصاعدة للقوى المهيمنة؛ فذلك من خرافات نظرية العلاقات الدولية [86]. كما أنه ليس هناك أي دليل - بل عكس ذلك تماما - على أنه يمكن تفسير سياسات الصين الخارجية والدفاعية فيما يتوافق مع نظرية انتقال السلطة [87]. ومع ذلك، فقد تم الترويج لنظرية انتقال السلطة، مع بعض النجاح البلاغي، من قبل المحافظين الجدد والواقعيين على حد سواء من أجل تبرير الميزانيات العسكرية الضخمة، وتحقيق التوازن ضد الصين، وغيرها من السياسات الخارجية العدوانية [88].

أما أنصار الصين، الذين يحظون بتقدير كبير، فلا ينظرون إليها كدولة رجعية. ويشير هؤلاء إلى الميزانية العسكرية الصينية المنخفضة نسبيا، وإلى استعدادها لقبول حلول وسط لتسوية النزاعات الإقليمية مع جيرانها، وإلى جهودها الرامية إلى الانضمام إلى المنظمات الدولية والتصرف على نحو مسؤول بداخلها، وتفضيلها لإيجاد حل سلمي لمشكلتها مع تايوان [89]. وهم يشعرون بالقلق لأن الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة لتشكيل تحالف مناهض للصين في منطقة المحيط الهادي لم تفشل فحسب، بل دفعت الصين، وهي بلد

ذو حساسية خاصة لمكانته، إلى التصرف بطريقة يمكن أن تجعل الصورة الأمريكية للصين المهدِّدة تحقق نفسها بنفسها [90]. وعلى النقيض من زملائهم الأكثر تشاؤما، فهم يضفون مزيدا من المصداقية على الخطاب «الصعود السلمي» للصين [91].

بيد أن التمييز الفكري الأساسي بين المتفائلين والمتشائمين يتعلق بفهمهم للطبيعة التكرارية للعلاقات الاجتماعية. يصر الواقعيون على وجود حقائق ثابتة في العلاقات الدولية، التي لا يمكن تجاوزها. ومن وجهة نظرهم، فإن العولمة ليست حلا سحريا. كانت اقتصادات أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى متكاملة على نحو مُحكم لم تصل إليه ثانية حتى تسعينيات القرن العشرين [92]. كما أن الأسلحة الجديدة لا يمكنها تغيير طبيعة العلاقات الدولية، رغم أنها قد تجعل الحرب أشد فتكا. يذكرنا الواقعيون بأنه منذ استخدام القوس والنشاب في أوروبا في القرون الوسطى ظل الناس باستمرار، وهم مخطئون في ذلك، يتنبأون بأن الفتك المتزايد للحرب سيفرض ضبط النفس العسكري. إن الحراب، والبنادق، والمدافع الرشاشة، والمتفجرات الشديدة القوة، والقصف الجوي، والأسلحة النووية أصابت الجمهور بالصدمة، وعززت مثل هذه التوقعات. وقد حذر فيكتور هوغو Hugo من أن البالونات تمتلك القدرة على القيام بهجمات جوية مدمرة، وحث على حظرها [93].

يؤمن المتفائلون بالتأملية reflectivity والتعلم، ومعها إمكانية هروب بني البشر مما قد يُعتبر حتى الآن كتابات خالدة ومأساوية. ويشير مويلر إلى النجاح الذي حققته المجتمعات في تحريم الرق والمبارزة، والتقدم المحرز في السنوات الأخيرة باتجاه المساواة بين الأعراق وبين الجنسين [94]. وكذلك فقد قطعت الاقتصادات المتقدمة شوطا كبيرا في إنشاء المؤسسات المتعددة الأطراف والعابرة للقوميات وذلك لتقليل، وتخفيف، والتغلب على آثار الأزمات الاقتصادية الدورية [95]. وقد تمت الإشادة بالمشروع الأوروبي باعتباره إنجازا كبيرا في كلتا الحالتين، إذ إنه ساعد في التوفيق بين فرنسا وألمانيا، ودمج اقتصادات الدول الأعضاء، والتخلص من كثير من الحدود الوطنية، وتشجيع الديموقراطية في جنوب أوروبا، وتعزيز التنمية في أطراف القارة. هناك الكثير من منتقدي الاتحاد الأوروبي، لكن معظمهم يتفقون على أن احتمال نشوب حرب كبرى في أوروبا الغربية لا يزيد على احتمال نشوب حرب بين الولايات المتحدة وكندا. وفي العام 1957، وضع كارل دويتش Deutsch مفهوم «المجتمع التعددي الآمن»، بمعنى منطقة مأهولة بمواطني دول ذات سيادة، التي أصبحت فيها الحرب أمرا لا يمكن تصوره مطلقا. وقد وصف أمريكا الشمالية

(الولايات المتحدة وكندا) وإسكندنافيا Scandinavia باعتبارهما منطقتين لم تتطور فيهما المجتمعات الآمنة فحسب، بل صارت قوية [96]. وبحلول نهاية الحرب الباردة، صار علماء العلاقات الدولية الليبراليون يدعون أن مجتمع شمال الأطلسي بأكمله، كما توقّع دويتش، قد صار مجتمعا تعدديا آمنا، كما فعلت نيوزيلندا وأستراليا. وكذلك فإن كثيرا من بلدان منطقة المحيط الهادي تتحرك في الاتجاه نفسه [97]. وباستخدام مجموعة بيانات تشمل الحروب الذي نشبت منذ عام 1495، وجد أوليه هولستي Holsti أن وتيرة الحرب بين الدول قد انخفضت باستمرار على مر العصور، وأن «العالم أصبح اليوم أكثر أمانا بكثير مما كان عليه في أي فترة سابقة» [98].

هناك نوع من المفارقة بخصوص هذه المناقشات؛ فالتشاؤم بخصوص الحرب يستند في كثير من الأحيان إلى أساس من التفاؤل حول الطبيعة البشرية، في حين أن التفاؤل بخصوص السلام كثيرا ما يستحضر التشاؤم الذي يكتنف تلك الطبيعة. أما المعضلة الأمنية، والتي تمتلك أهمية محورية بالنسبة إلى طرق فهم الواقعيين للصراع الدولي، فتفترض أن الزعماء الوطنيين فاعلون عقلانيون قادرون على فهم القيود والفرص التي تنتجها البيئة الدولية، ومن ثم الاستجابة لها بذكاء. وفي الواقع أن المنطق الذرائعي، إلى جانب الحرص على الأمن، هو ما يدفعهم إلى التصرف بطرق تؤدي في نهاية المطاف إلى جعل دولهم وغيرها أقل أمنا. وكذلك فإن المنطق يوفر حافزا لتطوير ونشر ترسانات أشد فتكا من أي وقت مضى. ومن المثير للسخرية أن التفاؤل حول قدرة البشر على التعليل المنطقي هو ما يولد التشاؤم العميق بشأن قدرتهم على العيش في وئام مع بعضهم البعض. ليس هناك شيء جديد حول هذا التوجه، والذي تعود أصوله إلى الإغريق القدماء، فالأنشودة stasimon الأولى في مسرحية أنتيغون لسوفوكليس تتغنى «بأعاجيب الإنسان، وكيف يقوم بترويض الطبيعة بدهائه وحيله، لكن عندما يصيبه الأرق وينزل به الشر يصبح منظره مخيفا. يلاحظ أن الكلمة اليونانية بمعنى عجيب deinon تعني مخيفا أيضا» [99].

وعلى النقيض من ذلك، يقوم المتفائلون بحشد التشاؤم على أمل أن يعمل بمنزلة حافز للتغيير الجذري. يرى بعض الماركسيين أن الحرب حتمية وفظيعة، لكنها ضرورية لإحداث ثورة اشتراكية. أما المتحكمون في الأسلحة ودعاة حماية البيئة فينشرون نسخة مغايرة من هذا المنطق؛ فهم يتنبأون بحدوث أسوأ نتائج ممكنة إذا لم تتم السيطرة على أنظمة

التسلح الجديدة، وإذا استمر البشر في تدمير البيئة. والمقصود بتشاؤمهم هو الاحتكام إلى عواطف وعقل الرأي العام وصناع القرار [100]. وعلى غرار الواقعيين الذين يعارضونهم، يتصور المتفائلون مزيجا من الخوف والمنطق كحافز قوي وإيجابي للتغيير.

المصلحة

إن استعراضنا للاتجاهات التاريخية واستجابات العلماء لها لا يكشف إلا تضمينات مبهمة بخصوص مستقبل الحرب. تستند هذه الاختلافات إلى مجموعات متعارضة من الافتراضات، ونادرا ما تكون الافتراضات قابلة للتقييم التجريبي. ولهذه الأسباب سأنتهج مسارا مختلفا: فبدلا من طرح مجرد تقييم إجمالي آخر لاحتمالية نشوب حروب مستقبلية، سأقوم بتفكيك عملية بدء الحرب إلى الدوافع المكونة لها، ومن ثم دراسة الاتجاهات المحددة لهذه الحروب، والدوافع المسؤولة عنها. يتيح لنا هذا انتهاج مقاربة أكثر دقة لمشكلة الحرب، والتي أعتقد أنها ذات مغزى.

إن المصلحة هي الأضعف من بين دوافعي. لم يكن هناك سوى تسع حروب، وهو ما يمثل 7 في المائة من إجمالي دوافع الحروب التي درستها، وعددها 93، والتي يمكن أن تُعزى إلى المصالح. وقعت ست من هذه الحروب التسع في القرنين السابع عشر والثامن عشر، عندما كانت المركنتيلية هي الحكمة الاقتصادية المقبولة، واعتقد الزعماء أن ثروة العالم كانت محدودة [101]. وصف آدم سميث ولع المركنتيليين بالعملات المسكوكة باعتبارها عنصرا رئيسيا لتفسير الطبيعة المفعمة بالصراعات للعلاقات الدولية الحديثة في مراحلها المبكرة. لقد جعلت «التجارة التي يجب أن تكون، بطبيعة الحال - سواء كانت بين الأمم أو بين الأفراد - ميثاقا للاتحاد والصداقة... المصدر الأكثر خصوبة للشقاق والعداوة» [102]. وعندما تغير التفكير الاقتصادي حول طبيعة الثروة، وصار يُنظر بشكل متزايد إلى التجارة والاستثمار على أنها مفيدة للطرفين، انحسر دور المصلحة في أنه دافع للحرب [103].

ورغم أنها ليست سببا رئيسيا للحرب، فقد تعاظمت أهمية القضايا التجارية في القرن الثامن عشر، عندما أدرك الزعماء أن الثروة الوطنية، وبالتالي إمكانية شن الحرب، تعتمد بشكل متزايد على التجارة. أصبحت الأنظمة التجارية بمنزلة أسلحة السياسات السياسية، فضلا عن تلك التجارية. وكانت النزاعات التجارية مصدرا للعداوة في العلاقات البريطانية - الفرنسية، والإنجليزية - الإسبانية، والإنجليزية -الهولندية في القرن الثامن عشر [104]. تمثّلت

أوضح الأمثلة على المصلحة كدافع للحرب في الحرب البريطانية- الهولندية الأولى والثانية (1652-1654 و1665-1667)، والحرب الإنجليزية - الإسبانية عام 1739، وحروب الأفيون بين بريطانيا والصين (1840-1842 و1856-1860)، والسيطرة الأنجلو - فرنسية على مصر في العام 1882. في الحربين البريطانية - الهولندية، كانت عملية صنع القرار لدى الإنجليز معقدة، إذ تأثرت بسياسات الأسرة الحاكمة وتلك المحلية بقدر ما تأثرت بالمصالح التجارية[105]. وفي الحالتين اللتين وقعتا في القرن التاسع عشر، كانت المكانة من المخاوف الثانوية المهمة[106]. تشدد التفسيرات الماركسية للإمبريالية على دوافعها الاقتصادية، لكنها فقدت مصداقيتها إلى حد كبير من قبل المؤرخين. وكما ذكرت في الفصل الثاني، فقد تم توجيه معظم استثمارات المستعمرين إلى اقتصادات المستعمرين الآخرين أو إلى أطراف خارجية، مثل الأرجنتين والولايات المتحدة. وقد فعل ذلك الزعماء البريطانيون والفرنسيون والألمان الذين تبنوا الإمبريالية، في المقام الأول، لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية أو بالمكانة. فهم دزرائيلي، وديل كاسيه وبسمارك أن الاستعمار يعني استنزاف خزائن دولهم[107].

في القرن العشرين، لم تكن هناك حروب بين القوى العظمى، والتي يمكن إثبات أن المصلحة هي دافعها الأساسي بشكل مقنع. انطوى التوسع الياباني في كوريا على عنصر اقتصادي، لكن تبين على نحو مُقنع أن الدافع الرئيسي كان المكانة. كان هناك اعتقاد واسع النطاق في أوساط نخبة صناع السياسات اليابانيين أن الإمبراطورية كانت شرطا لا غنى عنه للحصول على منزلة القوة العظمى، وأنه يتعين على اليابان وفقا لذلك أن تكون لها مستعمرات. وكذلك فقد اعتُبرت الإمبريالية وسيلة مفيدة لتقوية دعائم دولة حديثة، ولهذا السبب لقيت دعم لفيف من المثقفين والبيروقراطيين[108]. لعبت المكافآت المادية دورا ضئيلا على نحو مستغرب في التوسع الياباني، لكنها كانت تستخدم كجزرة للترويج للإمبريالية بين عموم الجمهور. وفي عام 1894، عندما تم إرسال 8 آلاف جندي ياباني إلى كوريا، اعترف وزير الخارجية موتسو مونيمتسو Munemitsu بأنه ضغط على الحكومة الكورية لتقديم تنازلات تتعلق بالسكك الحديد، والتعدين، والتلغراف وغيرها، وذلك لتبرير خطر نشوب حرب مع الصين نتيجة للتدخل الياباني[109]. وفي عام 1910، كان حجم تجارة اليابان مع الصين يزيد بنحو خمسة أضعاف عن حجم تجارتها مع مستعمراتها بحكم الأمر الواقع في كوريا وتايوان، كما تم توجيه استثمارات القطاع الخاص إلى الصين، وليس إلى هذه المستعمرات[110].

حـاول فريتز فيشر Fischer وضـع تبريرات اقتصادية للغزو الألماني لبلجيكا وفرنسـا في عام 1914، وكان دليله الرئيسي هو ما يطلق عليه اسـم «برنامج سـبتمبر»، الذي دعا إلى ضم مسـاحات شاسـعة من الأراضي وإلى الحصول عـلى تنازلات اقتصادية مـن كلا البلدين[111]. كان البرنامج يعكس جشـعا من دون شك، لكنه جشع شجعته نية الحكومة الألمانية لتعظيم أفضليتها الاسـتراتيجية مـن خلال تعزيز الصناعات الثقيلة وغيرها من الصناعات العسـكرية وإضعـاف فرنسـا «لجعل إعـادة ظهورها كقـوة عظمى أمرا مسـتحيلا على الـدوام»[112]. حتى بيتمان هولفيغ نفسـه لاحظ أن «الشـهية تـأتي من تناول الطعـام» (l'appétit vient en mangeant)[113]. لم يقـدم الزعـماء الألمان على خوض الحرب لمصلحـة رجال الصناعة، الذين كانوا يعتبرون سعيهم وراء الربح فظا، لكنهم سعوا إلى الحصول على دعمهم لأغراضهم الخاصة بمجرد أن تبدأ اسـتعدادات الحرب. وقد أعد برنامج سـبتمبر في أعقاب الموجة الأولى مما بدا كانتصار في فرنسا. وهنا نجد أن قوس مسببات فيشر قد ارتد إليه[114].

مـن الممكن طرح حجة أكثر إقناعا بخصوص حـرب دارت رحاها في القرن العشرين، لكنها ليست ضمن مجموعة بياناتي؛ وهي غزو العراق للكويت في عام 1990. لم يتم إدراج هـذه الحرب في مجموعـة البيانات لأنها لم تتضمن قوة عظمـى أو آفلة. من الواضح أن صدام حسـين قد استشاط غضبا بسـبب رفض الكويت الالتزام بالخفض في إنتاج النفط، والمتفـق عليه في شـهر يوليو بين أعضاء منظمة الأوبك، وكذلـك رفضها إعفاء العراق من ديونـه البالغة مليار دولار أمريكي أو أن تؤجر له جزيرة بوبيان ذات الموقع الاسـتراتيجي الـذي يتحكم في الوصول إلى ميناء العراق الوحيد لتصدير النفط. وفي السـادس عشر من يوليـو بعث وزيـر الخارجية العراقي طارق عزيز إنـذارا إلى الكويت يطالبها فيه بخفض إنتاجها من النفط، وإسـقاط ديون العراق الحربية، وتأجير الجزيرة، ودفع مبلغ 12 مليار دولار أمريكي كتعويض عما فقده العراق بسـبب انخفاض أسـعار النفط. وعندما لم تؤد الوسـاطة التي أجراها الرئيس المصري السـابق حسـني مبارك إلى تسوية ملائمة وسريعة للأزمة، قام العراق بحشـد مدرعاته على الحدود مع الكويت، ومن ثم مهاجمتها في وقت مبكـر من صباح يوم الثاني من أغسـطس[115]. لا تشـير مطالب العـراق إلى المدى الذي قدمت فيه القضايا الاقتصادية ذريعة للغزو فحسـب، بل إلى أنها كانت الشـغل الشاغل لصدام في ذلك الوقت. وفي حرب الخليج التي أعقبت الغزو، التي قام فيها تحالف بقيادة الولايـات المتحـدة بطرد العراق من الكويـت، يمكن النظر إلى المصلحـة باعتبارها دافعا

ثانويا. كانت إدارة بوش الأب مهتمة في المقام الأول بالحفاظ على الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الأوسط ومنع العراق من أن يصبح قوة مهيمنة وعدوانية. وعلى أي حال، أراد حلفاؤها من القوى العظمى أيضا إنقاذ نفط الكويت من الوقوع في يد صدام حسين، والإبقاء على تدفقه إلى الأسواق الغربية[116].

أصبحت القوى العظمى إمبراطوريات عن طريق غزو الأراضي. كان الفتح يمثل مطالبة بالمكانة، لكن الأراضي الجديدة كثيرا ما قدمت السكان وموارد إضافية يمكن استخدامها لمزيد من التوسع. صارت الإمبراطوريات الآن جزءا من التاريخ، وصار التوسع الإقليمي أمرا غير مألوف على نحو متزايد. وبصورة أكثر عمومية، تشير بياناتي إلى أن الحروب التي تنشب بدافع من المصلحة تنخفض على نحو حاد.

هناك سببان رئيسيان لهذا التراجع التاريخي الملحوظ: يتعلق الأول بتكلفة الغزو مقابل فوائده. حتى الحرب العالمية الثانية، كان بوسع القوى العظمى أن تستفيد اقتصاديا من الأقاليم التي تغزوها[117]. بيد أن عولمة الإنتاج بين الدول المتقدمة قللت إلى حد كبير من الفوائد الاقتصادية للغزو، لدرجة أنه لم يعد مربحا، كما يؤكد ستيفن بروكس. قامت العولمة على نحو فعال بتغيير المحفزات، وذلك لأن تكلفة الفرص الضائعة جراء منع تلك الدول من عضوية الشركات المتعددة الجنسيات قد ازدادت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة. وفي أعقاب غزو الأراضي، سيواجه تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى الدولة الغازية انخفاضا حادا، مما يخلق معوقات اقتصادية خطيرة في معظم الاقتصادات المتقدمة. كذلك فإن الابتكار داخل المناطق المحتلة سينخفض بدوره، مما يمثل تكلفة جسيمة أخرى في عالم يتزايد اعتماد اقتصاده على المعرفة[118].

وهناك سبب ثان لهذا الانقلاب التاريخي هو رد الفعل المتوقع من الجهات الفاعلة الأخرى. يصف بروكس عددا من العواقب الاقتصادية الوخيمة. لكن هناك أيضا جانبا سلبيا سياسيا وعسكريا خطيرا لمحاولات الغزو. في القرن التاسع عشر، كان لايزال بالإمكان أن يتم غزو إقليم ما واستغلاله اقتصاديا من دون أن يثير ذلك بالضرورة معارضة دولية قوية. يزودنا التوسع القاري الأمريكي والروسي بأمثلة صارخة على قيام القوى بتوسيع أراضيها عن طريق الغزو. قامت كلتا الدولتين بإخضاع الشعوب الأصلية الأقل تقدما من الناحية الاقتصادية. وكذلك فقد شنت الولايات المتحدة حربا ضد المكسيك، وهي وحدة سياسية أكثر تطورا، كما قامت بشراء الأراضي من إسبانيا، وروسيا، والمكسيك. أما ألمانيا

فتزودنـا بمثال معاكس: أدت هزيمتها لفرنسـا إلى ضمها إقليم الألزاس واللورين Alsace-Lorraine، وهو عمل توسـعي جعل من فرنسـا عدوا مسـتديما لها [119]. وبعد هزيمتها في الحـرب العالمية الأولى، أُجـبرت ألمانيا على إعادة الألزاس واللورين إلى فرنسـا، وإقليم يوبن -ماليدي Eupen-Malm édy إلى بلجيكا، وجزء من ولاية شليسـفيغ -هولشـتاين Schleswig-Holstein إلى الدانمـارك. وكذلـك فقد ذهبت أجزاء من سـيليزيا وبروسـيا وبوميرانيا إلى دولتي تشيكوسلوفاكيا وبولندا الناشئتين حديثا.

يتعلـق الفرق بين التجربة الأمريكية والروسـية من جهـة، والألمانية من جهة أخرى، بالقومية وبتوازن القوى النسبية بين الوحدات السياسية. خلال القرن التاسع عشر، انتشرت النزعـات القومية على نطاق واسـع، إن لم يكن على نحو محمـوم، في كل مكان تقريبا في أوروبا، مما جعل الاحتلال الأجنبي غير مقبول بشـكل متزايد لدى السكان المحليين. ومن سـخرية القدر أن النزعة القومية نفسها التي أشعلها البروسيون لمقاومة الاحتلال الفرنسي لبلادهم بعد الهزيمة المزدوجة في يينا Jena وآورشتادت Auerstädt في العام 1806، كانت هي القوة الدافعة لانتفاضة البولنديين ضد الاحتلال البروسي في عام 1806، ومرة أخرى ما بين عامي 1830 و1831[120]. وعلى وجه العموم، فلم يواجه الروس والأمريكان هذا النوع من المعارضة في القرن التاسع عشر. وكان الاستثناء الرئيسي هو الحركة القومية المكسيكية، التي أدت إلى التمرد ضد الإمبراطور الذي فرضه الفرنسيون وإعدامه في العام 1867. وعلى أي حال، كانت المكسيك أضعف من أن تتصدى للولايات المتحدة.

وفي القـرن العشرين، انتشرت القوميـة في كل مكان تقريبا؛ ونتيجـة لذلك ارتفعت تكاليف الغزو والاحتلال. لا نحتاج إلا للمقارنة بين الاحتلال الأنجلو - فرنسي الناجح لمصر في العـام 1882 والاحتـلال الأنجلو - فرنسي الذي لم يدم طويلا لمنطقة قناة السـويس في العـام 1956. كان التدخل الأول موجها ضد الخديو، الذي كان يحظى بدعم محلي ضئيل؛ في حين اسـتهدف الأخير نظام جمال عبدالناصر الذي كان يحظى بشـعبية واسعة. وعلى القدر نفسه من الأهمية، فقد أثارت الحملة الأخيرة معارضة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، مما أجبر القوات البريطانية والفرنسية على الانسحاب، ومن ثم تعظيم نفوذ عبد الناصر في جميع أنحاء العالم العربي[121].

تـم الاعتراف بالقومية كقوة سياسـية شرعية في مؤتمر باريس للسـلام عام 1919. ودعت النقـاط مـن 9 إلى 13 من النقـاط الأربعة عشر إلى إعادة توزيع الأراضي على أسـاس الانتماء

القومـي، وتم تطبيق هذا المبدأ على نطاق واسـع، ولو على نحو غير متسـق، في إقامة النظام الإقليمـي بعد الحـرب[122]. كان ميثاق عصبة الأمم يحظر على الدول اسـتخدام القوة لتغيير حدودها الإقليمية، كما التزمت الدول الموقعة على معاهدة بريان - كيلوغ Kellogg-Briand Pact في العام 1928 بالامتناع عن التهديد بالقوة أو اسـتخدامها القوة لتغيير الحدود الدولية القائمة. وفي عام 1931، أعلن وزير الخارجية هنري ستيمسـون Stimson أن الولايات المتحدة لـن تعـترف بأي تغييرات إقليمية ناجمة عن غزو اليابان للصـين، وهو الموقف الذي اعتمد في وقت لاحق من قبل عصبة الأمم. وفي نهاية المطاف، انهزم التوسع الألماني والإيطالي والياباني من قبل القوات المتحالفة، وتمت استعادة استقلال البلاد التي تعرضت للغزو، رغم ترافق ذلك مع تحولات إقليمية كبرى في حالة بولندا. أما حالات الاسـتيلاء على الأراضي الإقليمية بعد الحرب العالمية الثانية- مثل غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية، والأرجنتين لجزر فوكلاند/ مالفيناس والعراق لكل من إيران والكويت - فقد تم صدها أو تحرير الأراضي المحتلة بواسـطة ائتلافات دولية، أو بصورة منفردة من قبل بريطانيا في حالة جزر الفوكلاند. وفي هذا السياق، يجادل كال هولسـتي بأن هناك اتسـاقا متزايدا بين هذه المعايير والسلوك الدولي الذي يبرر الادعاء بـ «أن الغزو وتعديل الحدود الإقليمية عن طريق القوات المسلحة قد فقد شرعيته» [123].

هنـاك عدد قليل من حالات الغزو التي وقعت في القرن العشرين، والتي لم تنجح. فقد تم صد غزو بولندا للاتحاد السـوفييتي في العام 1919، والذي كان يهدف إلى إعادة الحدود الشرقية للبلاد كما كانت في العام 1772. كما أن الهجوم السوفييتي المضاد بلغ أبواب وارسو، حيث تم إيقافه ومن ثم أجبر السوفييت على التراجع إلى حدود بلادهم[124]. لم تتقبل القوى الغربية مطلقا ضم الاتحاد السـوفييتي لدول أسـتونيا وليتوانيا ولاتفيا في العام 1940، وهو أحد نواتج التحالف بين سـتالين وهتلر[125]. أصبحت هذه الدول مستقلة مرة أخرى عندما بدأ الاتحاد السوفييتي في الانهيار، كما فعلت الغالبية العظمى من الجمهوريات الطرفية التي كانت تمثل أوطان الشـعوب غير الروسـية. أما الأراضي الوحيدة التي تم الاستيلاء عليها عن طريق الغزو في القرن العشرين، ولاتزال روسـيا تحتفظ بها، فهي كالينينغراد Kaliningrad (مدينة كونيغسـبيرغ Königsberg الألمانية السـابقة)، ومدينة كاريليا Karelia الفنلندية، التـي تم التنازل عنها بعد حرب شـتاء 1939-1940، رغم أن أوكرانيا لاتزال تسـتحوذ على روثينيا Ruthenia الشرقية، التي كانت سابقا جزءا من تشيكوسلوفاكيا، والتي ضمها الاتحاد السـوفييتي نهاية الحرب العالمية الثانية[126]. وهناك حركـة متنامية بين الفنلنديين لإعادة

كاريليا إلى الوطن الأم[127]. وكذلك فإن احتلال الصين لدولة التبت المستقلة بحكم الأمر الواقع خلال عامي 1950 و1951 يمثل غزوا عويصا آخر؛ فقد تمسك الصينيون بالتبت وعززوا موقفهم فيها رغم معارضة السكان الأصليين، الذين يحظون بتعاطف واسع النطاق بين الجماهير الهندية والغربية. من الممكن تبرير احتلال «إسرائيل» للأراضي العربية في حرب الأيام الستة عام 1967 وفقا لقوانين الحرب باعتباره احتلالا مؤقتا ناجما عن حالة الحرب. استمر الاحتلال الإسرائيلي لسيناء 12 عاما، منذ العام 1967 حتى العام 1979، كما تتعرض لضغوط متزايدة لسحب مستوطناتها من الضفة الغربية كجزء من تسوية سلمية شاملة مع الفلسطينيين. وكذلك فإن قضية هضبة الجولان المحتلة، التي كانت جزءا من سوريا حتى العام 1967، لم تُحل بعد. وقد طبقت «إسرائيل» قانونها العام على الإقليم، لكنها تجنبت التصريح باستخدام مصطلح الضمّ annexation [128].

حتى هذه النقطة، تم ربط الحروب المبنية على المصلحة بالتوسع الإقليمي. غير أنه لا يُشترط أن يكون التوسع الإقليمي هو هدفها؛ فهي - مثلها مثل غزو الأراضي، كما لاحظنا - يمكن أن تحرضها دوافع أخرى. تاريخيا، سعت معظم حروب المصلحة إلى الاستحواذ على الأراضي، غير أن هناك استثناء ملحوظا لهذه القاعدة، وهو الحروب البريطانية - الهولندية الثلاث خلال الأعوام 1665-1667، و1652-1654، و1672-1674. كان التنافس التجاري عاملا مهما في هذه الحروب، لكن كذلك كانت هناك أيضا محاولات من قبل تشارلز الثاني لتعزيز سلطة وهيبة التاج خلال الحربين الأوليين[129]. وقد شهدت العقود الأخيرة الصراعات، رغم أنها ليست حروبا، للسيطرة على الموارد الطبيعية. تنازعت بريطانيا وآيسلندا على حقوق الصيد عندما قامت آيسلندا بتوسيع منطقة سيادتها الاقتصادية. مثل النفط وموارد قاع البحر المصدر الرئيسي للنزاع، وكانت الصراعات على النفط في بحر الصين الجنوبي هي أشدها احتداما. تمتلك الصين، وتايوان، وفيتنام، والفلبين، وماليزيا، وإندونيسيا، وتايلاند، وكمبوديا مطالبات متداخلة تتعلق بمجموعات مختلفة من الجزر (باراسيل Paracel، وسبراتلي Spratly، وناتونا Natuna) وبالمياه الساحلية. وقد أدت هذه المطالبات المتنافسة إلى مناورات عسكرية، واحتلالات، وخطابات بلاغية منمقة، لكنها لم تسفر حتى الآن إلا عن حالة وفاة واحدة، في غير المقاتلين. وليس من المستبعد أن تكون هذه سببا، أو ذريعة - وهو الأقرب احتمالا - لمواجهة عسكرية بين الأطراف المتنازعة[130]. هناك توترات مماثلة في منطقة الشرق الأوسط، حيث تختلط الصراعات حول حقوق المياه

بالنزاعات السياسية الطويلة الأمد بين بلدان المنطقة، وبين الفلسطينيين والإسرائيليين[131].

هل للحروب المبنية على المصلحة مستقبل؟ تصير مكاسب العدوان الإقليمي هامشية على نحـو متزايد، في حين ترتفع تكلفـة محاولات الغزو والاحتلال على نحو متزايد. وقد أصبح التنافـس على الموارد الطبيعية، وخصوصا النفط والميـاه، أكثر حدة مع تزايد أهمية هذه الموارد. وفي هذا السـياق، يمكننا بسـهولة بناء روايتين متناقضتـين: تتمثل النتيجة الأولى، والأقـرب احتمالا، كما آمل، في أن يظل التنافس على الموارد الوتيرة نفسـها التي هو عليها اليـوم، وربما تقل حدته إذا صارت المصادر البديلة للطاقـة أكثر توافرا وفعالية من حيث التكلفة. وفي مثل هذا العالم، سـيتراجع بشـدة احتمال نشـوب حرب مدفوعة بالمصلحة. وتفترض الرواية الثانية اشـتداد الضغوط البيئية، إن لم يكن وقوع كارثة، بسـبب تضاؤل المـوارد النفطية، والاحترار العالمي global warming، وارتفاع منسـوب مياه البحار. وفي مثـل هذا العالم، يكون من الصعـب على نحو متزايد أن نفرق بين المصالح المادية والأمن، وبالتالي فإن الحروب التي تهدف في الأسـاس إلى السـيطرة على الموارد الطبيعية ستصبح أقرب احتمالا. وفي هذا السيناريو، تصبح المخاوف المتعلقة بالأمن والبيئة أوثق ارتباطا من أي وقت مضى. وبالتالي، فإن أهم الخطوات على طريق السـلام سـتكون الجهود الوطنية، والإقليمية، والدولية لإدارة الموارد ووقف ظاهرة الاحترار العالمي[132].

الأمن

سـعت الدول إلى الغزو الإقليمي لأسـباب تتعلق بالمصلحة، والأمـن، والمكانة. كانت الجهـات البادئة مدفوعـة بالأمن في عشرين حربا، وهو ما يمثـل 18 في المائة من إجمالي حالات بدء الحروب. وفي سـبع من هذه الحروب يبدو أن الجهات البادئة كانت مدفوعة أيضـا بالمكانة. يبرز الأمن كدافع بأوضح صـورة في القرن العشرين، حيث كان بارزا في 13 من بين 18 حربا. لكن ما الذي يفسر هذا التوزيع، وما الآثار التي قد تترتب عليه بخصوص مستقبل الحرب؟

وباسـتثناء الحرب الإسـبانية - الأمريكية والهجوم الأمريكي على أفغانستان، اللذين كان الأمـن فيهما دافعا بنفس أهمية المكانة، فقد ارتبطت الحـالات المتبقية لبدء الحرب لدوافع الأمن بالنزاعات العالمية الثلاثة التي نشـبت خلال القـرن العشرين: الحربين العالميتين الأولى والثانيـة، والحرب الباردة. وقد جادلت بأن الأمن كان يمثل في كل منها دافعا مهما، إن لم يكن

رئيسـيا. ويزودنا إعلان ألمانيا لحرب غير مقيدة بالغواصات في أبريل 1917 بحالة أكثر وضوحا للأمن كدافع. ومن منطلق حرصهم على كسـب حربهم ضد بريطانيا وفرنسا، وإدراكهم لأنهم كانوا يخسرون حرب الاستنزاف، أقدم الزعماء الألمان على مغامرة محسوبة: أن تقوم قواربهم من الطراز U بإغراق ما يكفي من السـفن التجارية لجعل بريطانيا تجثو على ركبتيها قبل أن تدخل أمريكا الحرب - وهو أمر من شـبه المؤكـد أن تحرضه حرب القوارب U، مما يمكن أن يُحـدث فرقا على الجبهة الغربية[133]. وفي الواقع، كان التحدي الألماني للولايات المتحدة عملا يائسا من قبل قوة عظمى تخشى أن تخسر ما سيصبح، من نواح أخرى، حربا طويلة ومكلفة.

هناك أصول متشابهة لاثنتين من حالات الحرب العالمية الثانية الثلاث التي تم ترميزها باعتبارهـا مدفوعة بالأمن، مـن حيث إنها تضمنت عمليات عسـكرية ضد أطراف ثالثة بهدف تعزيز الموقف الاستراتيجي للجهة البادئة في صراع رئيسي. اندلعت الحرب الروسية - الفنلندية عامي 1939 و1940 بسـبب محاولة السوفييت لتوسيع محيطهم الدفاعي إلى أقصى حد ممكن إلى الغرب، وذلك لمساعدتهم في صد الهجوم الألماني المتوقع باتجاه الشرق Drang nach Osten. كانت الحدود الفنلندية لا تبعد سـوى 32 كيلومترا من لينينغراد، وهي ثاني أكبر مدن الاتحاد السـوفييتي، كما كانت تحكم فنلندا منذ العام 1937 حكومة محافظة موالية للألمان[134]. وفي الشرق، واجه الاتحاد السوفييتي تهديدا ثانويا من اليابان العدوانية، ومن ثم فقد شـن هجوما عسـكريا سـاحقا ضد جيش الكوانتونغ، الذي كان قد توغل في منغوليا. أدت الهزيمة السـاحقة لليابانيين إلى منح موسـكو هدنة على جبهة الشرق، إذ قرر اليابانيون توجيه عملياتهم الهجومية ضد القوى الاستعمارية الغربية[135].

وفي الحالـة الثالثة، أي الحـرب العالمية الثانية، كانت الهجمات اليابانية في ديسـمبر 1941 وأوائل العام 1942 ضد الولايات المتحدة والبؤر الاستيطانية الاستعمارية البريطانية والهولندية في آسـيا تتسم بكونها أشد تعقيدا وبالتالي يصعب تصنيفها، وهنا يدخل الأمن في الصورة، لأن اليابانيين شـعروا بخطورة موقفهم بسـبب الحظـر الذي نظمته الولايات المتحدة على إمدادات الخردة والنفط.

وفي أغسطس 1940، حذرت قيادة الأركان البحرية من أن الحصول على الخردة والنفط يمثل «مسألة حياة أو موت» لأنهم كانوا يمتلكون احتياطيات نفطية تكفي لمدة ستة أشهر فقـط، كـما كانوا قلقين من أن احتلالهـم المخطط له للهند الصينية الفرنسـية قد يحرض عـلى حصار اقتصادي أمريكي. ومع ذلك، فقد أراد المتطرفون البحريون اسـتغلال فتوحات

هتلـر في أوروبا للتحرك صوب الجنوب للاسـتيلاء على الهند الصينيـة وعلى حقول النفط الإندونيسية. ومنذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، كان كثير منهم يعتقد أن الحرب مع الولايات المتحدة آتية لا ريب. أما قادة الجيش فكانوا واثقين من الحياد الأمريكي. وإذا كان لنا أن نعود إلي ما وراء هذه الأحداث، وبالتحديد إلى ثلاثينيات القرن العشرين، فسـيتضح أن اليابان كانت مسؤولة عن معضلتها الأمنية الخاصة. وكان غزوها للصين، الذي انطلق في أعقاب ما يسمى بحادث موكدِن Mukden Incident، في سبتمبر 1931، كجزء من محاولة أوسـع نطاقا من قبل العسـكريين اليابانيين ومؤيديهم المدنيين لتوطيد الهيمنة اليابانية في منطقة المحيط الهادي، من سـيبيريا إلى أسـتراليا. أدت المقاومة الصينية إلى حرب أشـمل وأكـثر تكلفة، والتي لم تقع في بـر الصين الرئيسي، كما ازداد توغل القوات اليابانية في عمق البلاد على افتراض زائف مفاده أن احتلال المزيد من الأراضي سـيجبر القوميين على التوصل إلى اتفاق. وفي ذلك الوقت، اعتقد الجنرالات اليابانيون أن احتلال جنوب شرق آسـيا وقطع خط الإمدادات والمؤن الواصل إلى تشونغتشينغ، البالغ الأهمية بالنسبة إلى النظام القومي، سـيقنعهم بعدم جدوى إبداء المزيد من المقاومة. وبدلا من ذلك، حرض الغزو فرض حظر على الخردة والنفط، ما وضع اليابان والقوى الغربية على مسار الاصطدام. يُعد الأمن دافعا ثانويا في أحسـن الأحوال، والذي لم يبرز دوره إلا بسبب العدوان العسكري الياباني في آسيا. وفي المقابل، يبدو أن التوسـع كان يتم بدافع أسـباب معقدة تشـمل النزعة القومية، التي تتضح كدافع للمكانة المساوية لها في القيمة لدى القوى الغربية، والصراع على السلطة بين العسكريين والمدنيين داخل المؤسسة العسكرية نفسها [136].

تمثل الحالات الأربع المتبقية امتدادات للحرب الباردة. وقع التدخل الأمريكي والصيني في كوريا استجابة لمخاوف أمنية. اعتبرت إدارة الرئيس ترومان Truman أن الغزو الكوري الشـمالي للجنوب يمثل اختبارا دبرته موسكو لقياس العزم الأمريكي، ومن ثم شعرت بأنها مضطرة للرد. أدى نجاح غزو مدينة إنشـون إلى جعل كوريا الشـمالية عاجزة نسـبيا عن الدفاع عن نفسـها. واستجابة للضغوط السياسـية المحلية، وبسبب تضليله من قبل ماك آرثـر حول قدرة الصين على التدخل، أمر ترومان القوات الأمريكية بالاندفاع إلى الشـمال باتجاه نهر يالو، على الحدود مع الصين [137]. شـعر الزعماء الصينيون بتهديد أمنهم بفعل الإخضـاع الأمريكي لكوريا الشـمالية، وتصـوروه كتمهيد محتمل لمزيـد من الزحف على قاعدتهم الصناعية الرئيسية في منشوريا. وكذلك كانت لدى القادة الصينيين مخاوف بشأن

بقـاء نظامهم الحديث النشـأة إذا لم يظهروا عزما في مواجهة التحـدي الأمريكي[138]. إن التدخل السـوفييتي في المجر، والتدخل الأمريكي في الهند الصينية، والتدخل السوفييتي في أفغانسـتان كانت جميعها مدفوعة بالمخاوف المتعلقة بالعزم. وفي كل حالة، شعر الزعماء بالقلق من أن تنظر إليهم القـوى العظمى الأخرى، والخصوم المحليين، باعتبارهـم خائري العزم ومن ثم فقد دعموا تحدَيات أشد خطورة [139].

تنقسم معظم هذه الحالات إلى نمطين متميزين. كان استفزاز ألمانيا للولايات المتحدة خـلال حرب الغواصات غير المقيدة، والهجوم السـوفييتي على جيش الكوانتونغ وفنلندا، والهجوم الياباني على بيرل هاربور والمستعمرات الغربية في آسيا، تمثل امتدادات لصراعات أولية جارية أو متوقعة. وقد سبقت بعض هذه الحروب أزمات «فرعية»، كما كانت الحال في المواجهات الألمانية - الأمريكية، والسـوفييتية - الفنلندية، واليابانية - الأمريكية. تنشـأ الأزمات الفرعية عندما تؤدي اسـتعدادات دولة ما إلى خوض صراع أسـاسي، أو انخراطها الفعلي فيه، إلى إثارة نزاع غير مرغوب فيه مع طرف ثالث. يكاد يكون من المستحيل حل هذه الأزمات بسبب المصالح الحيوية التي يعتبر كلا الجانبين أنها عرضة للخطر. ومع ذلك، فإن الطرفين المكتنفين يبذلان جهودا مضنية لتسـوية هذه النزاعات بالطرق الديبلوماسية لأن كليهما لا يسـعى إلى الحرب، كما يتوقعان أن تكون تكلفتها السياسـية أو العسكرية باهظة [140]. تمثل الاسـتثناء الرئيسي لهذه العينة من الحروب في الاشتباك السوفييتي مع جيش الكوانتونغ؛ فلم تسـبق الهجوم السوفييتي أزمة حقيقية، إذ أرادت موسكو تحقيق أقصى قدر من المفاجأة، وكانت - بفضل المعلومات الاستخبارية الجيدة التي وفرتها شبكة جواسيسها في طوكيو- على علم بأنه من غير المرجح أن تنجح المفاوضات، حيث كان جيش الكوانتونغ يتصرف على هواه [141].

كان لـكل من هـذه الحروب أسـبابها الخاصة، لكنهـا ارتبطت جميعهـا بالحربين العالميتـين؛ فكانت امتدادات مبـاشرة لهذين الصراعين، أو في حالة الحملات العسـكرية السوفييتية في منغوليا، وفنلندا، كانت نتيجة للتوترات التي سبقت الحرب العالمية الثانية. كان مـن الممكن أن تحدث أي من هذه الحروب في غيـاب الحربين العالميتين، وفي غياب السـياق الذي نشـبت فيها. وصفت الحربـان العالميتان كجزء من حـرب أهلية أوروبية اسـتغرقت ثلاثين عاما، والتي تمثل أهم أسـبابها الكامنة في التحدي الذي شـكلته التنمية الاقتصاديـة والنزعات القومية عـلى الأنظمة التقليدية. صارت هـذه الحقبة من التطور

الأوروبي في ذمة التاريخ الآن، كما أن مخاطر نشــوب حرب قارية تضم العديد من القوى العظمى قد تضاءلت إلى حد كبير، إذا لم تكن قد اختفت تماما. شــهدت مناطق أخرى من العالم اضطرابات مماثلة، والتي وجدت بدورها تعبيرا عنها في الحروب الأهلية والخارجية. وبالنســبة إلى جــزء كبير من منطقة المحيط الهادي، فقــد ولى هذا العصر أيضا. وفي هذه المنطقــة بدورها، فإن احتمال وقوع حرب عامة قد تراجع بشــكل كبير. لقد اختفى هذا السبب المهم للحرب ذات الدوافع الأمنية.

كانــت هناك حروب أخرى نشــبت لاعتبــارات أمنية، والتي مثلــت امتدادات للحرب الباردة. اتخذت كل الحروب الأربع ضمن هذه الفئة شكل تدخلات عسكرية في أراض متنازع عليها. وقد نشأت جميعها للسبب نفسه: حساسية القوى العظمى والصين لفقدان النفوذ في الدول العميلة. وفي حالتين منها كان هذا مصدر قلق حقيقي: كان الســماح للمجر بالإفلات من الكتلة الشــيوعية في العام 1956، أو حصول تشيكوســلوفاكيا على اســتقلالية نسبية في العام 1968، من شــأنه أن يجعل محافظة الاتحاد السوفييتي على نفوذه في أوروبا الشرقية أمرا بالغ الصعوبة. وفي العام 1968 أسر الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف Brezhnev إلى الزعيم البولندي فلاديســلاف غومولكا Gomułka بأنه في غياب تضامن الكتلة الشرقية قد تمتد الاضطرابات إلى أوكرانيا السوفييتية [142]. كانت لدى الولايات المتحدة نظرية الدومينو الخاصة بها، والتي كانت السبب الرئيسي في تدخلها في فيتنام. شعر الرئيس ليندون جونسون Johnson ومستشــاروه بالقلق من أن يؤدي اســتيلاء الشيوعيين على السلطة في فيتنام إلى جعــل أمريــكا تبدو خائرة العــزم في نظر الصديق والعدو على حد ســواء، مما قد يؤدي إلى انهيار سريع لحكومات أخرى في جنوب شرق آسيا، والاستيلاء المحتمل للشيوعيين عليها [143]. وبالنظــر إلى ما مضى، يمكن اعتبار الخوف الأمريكي من ســقوط أحجــار الدومينو ضربا من جنون العظمة (البارانويا)، إذ لم يتحقق أي من هذه المخاوف في أعقاب الانسحاب الأمريكي مــن فيتنام. لم تكن الحركات الشــيوعية المحلية موجهة من قبل موســكو، كما أوضح فتح الأرشيف السوفييتي في عهد سياسة التحرر (الغلاسنوست) أن القادة السوفييت لم يتشككوا مطلقا في صدق عزيمة الولايات المتحدة [144].

إن الاهتمام المبالغ فيه بالقوة النسبية والعزم ليس مقتصرا على القرن العشرين بأي حال من الأحوال. يصف ثوكوديدس شيئا من هذا القبيل في تفسيره لأصول الحرب البيلوبونيسية: لم يكن بريكليس Pericles راغبا في تفويت فرصة زيادة قوة أثينا عن طريق اتخاذ كورســيرا

Corcyra كحليف. وورط التحالف الأثينيين مع الكورنيثيين Corinthians، الأمر الذي تصاعد إلى حرب مع إسبرطة وحلفائها. كان من الممكن اجتناب الحرب لو وافقت أثينا على رفع الحصار عن بوتيديا Potidaea وإلغاء الحظر الاقتصادي على ميغارا Megara. لم يكن أي من التنازلين سيهدد أمن أثينا على نحو خطير؛ على الجانب الإيجابي، وقد حمل في طياته إمكانية تفكيك التحالف بين كورنيثيا وإسبرطة. ومع ذلك أصر بريكليس على رفض مبادرات السلام الإسبرطية لأنها كانت ستظهر أثينا كأنها خائرة العزم وأضعف من إسبرطة[145]. وقد تنازع الرومان والقرطاجيون على جزيرة صقلية، التي تحتل موقعا استراتيجيا بين إيطاليا وشمال أفريقيا، وكذلك على إسبانيا، وهي موقع آخر اشتبكت فيه الإمبراطوريتان المتوسعتان. ومرة أخرى، كانت الأسئلة المتعلقة بتوسع الإمبراطورية ومكانتها على القدر نفسه من الأهمية التي تحظى به الاعتبارات الاستراتيجية في حسابات القوى المهيمنة المعنية[146].

اعتبر الأمريكيون العزم شرطا رئيسيا لتحقيق الأمن خلال الحرب الباردة. كان رد فعل ترومان الغريزي للأزمة الكورية هو أن الشيوعيين كانوا يختبرون عزم الولايات المتحدة، كما قام هتلر باختبار عزم فرنسا وبريطانيا. أما تقرير مجلس الأمن القومي رقم 68 (NSC-68) فقد منح العزم مكانة مساوية للقدرة العسكرية. وقد استنتج كينيدي، وهو مخطئ في ذلك، أن خروشوف قام بنشر الصواريخ في كوبا، لأنه كان متشككا في عزمه. وكذلك فإن التدخل الأمريكي في الهند الصينية، والخوف من وجود «نافذة التعرّض للهجوم» المزعومة أوائل ثمانينيات القرن العشرين، والمخاوف اللاحقة حول العواقب السياسية للتفوق السوفييتي في منظومات الأسلحة الميدانية، كلها تكشف عن وجود تركيز مستمر حول مسألة العزم. أما أدبيات الحرب الباردة فقد فعلت الشيء نفسه، لكن بخصوص الردع - الذي أكد المصداقية كمفتاح رئيسي - وصورت الالتزامات باعتبارها شبكة محكمة يكون فيها للعزم (أو غيابه) بخصوص أي التزام بعينه تداعيات خطيرة على جميع الالتزامات الأخرى66. وفي هذا السياق، كتب توماس شيلينغ Schelling: «هناك أجزاء قليلة من العالم تستحق بحد ذاتها خطر اندلاع حرب خطيرة؛ لكن الدفاع عنها قد يحفظ التزام المرء بالتحرك في أجزاء أخرى من العالم، وأحيانا في وقت لاحق»[148].

يتناقض هذا النوع من السلوك بصورة حادة مع مفهوم والتز لطريقة عمل الأنظمة الثنائية القطب؛ فهو يتوقع منها أن تكون أقل عرضة للحرب، الأمر الذي يرجع جزئيا إلى أن إضافة أو ارتداد أي طرف ثالث لا يمكن أن يؤثر تأثيرا جوهريا في قدرة أي من القوتين

العظميين على حفظ أمنها [149]. وفي الممارسة العملية، فإن الأمراض النفسية المرتبطة بالمعضلة الأمنية يبدو أنها تجعلها بالقدر نفسه من الحدة كما هي الحال في الأنظمة الثنائية القطب. وتشير حالة اليونان في القرن الخامس، وأوروبا قبل العام 1914، والحرب الباردة إلى أن القادة ينخرطون في تحليل سيناريو أسوأ الحالات ويبالغون في تقدير العواقب السياسية لحالات المروق، تماما كما يفعلون مع الأفضليات والنوايا العسكرية لكل منهم.

وفي كل العصور الثلاثة يصعب فصل المخاوف الأمنية عن تلك المتعلقة بالمكانة. وفي وصفه السردي لأصول الحرب البيلوبونيسية، أوضح ثوكوديدس أن الإسبرطيين Spartiates كانوا يشعرون بالتهديد بفعل الإنجازات السياسية والاقتصادية والثقافية لأثينا، على نحو أكثر مما أشعرتهم به قوتها العسكرية. تمثل حجر الزاوية بالنسبة إلى الهوية الإسبرطية في القوة العسكرية والهيمنة التي حققتها لهذه الدولة - المدينة الفقيرة من النواحي الأخرى، لذلك تم الترحيب بالحرب ضد أثينا باعتبارها وسيلة للحفاظ على الهيمنة[150]. بدأت الحرب الباردة كمواجهة حول فراغ للسلطة في أوروبا الوسطى كان شاغلوه المنتصرون مدفوعين باحتياجات أمنية واقتصادية متعارضة على ما يبدو. وبعد وفاة ستالين في العام 1953، تطورت المواجهة إلى صراع اكتسبت فيه المخاوف المتعلقة بالمكانة النسبية في أوروبا وما أطلق عليه اسم العالم الثالث أهمية بالغة. كان القادة السوفييت والأمريكيون ومستشاروهم يستخدمون دائما لغة الأمن لتبرير سعي كل منهما للأفضلية في مواجهة خصمه بالمجالات المتنوعة التي يتنافسان فيها. وفي الممارسة العملية، أصبح السعي من أجل التفوق والمكانة التي يمنحها غايتين في حد ذاتهما. إن النفقات الهائلة على الأسلحة النووية غير القابلة للاستخدام، وعلى أنظمة إطلاق الصواريخ المتطورة على نحو متزايد، والمساعدات العسكرية والاقتصادية لحلفاء لا يمكن الاعتماد عليهم، واستكشاف الفضاء، أدت إلى جعل هذا الصراع يشبه مهرجانا ضخما توزع فيه الهدايا بسخاء potlatch [151].

يجب على أي دراسة للحرب أن تتضمن تلك الكلاب التي لم تنبح، ومن أهمها الحرب الباردة. لم يحتدم الصراع مطلقا بين القوتين العظميين، وقد تم افتراض أسباب كثيرة لهذه النتيجة، بما في ذلك القدرة على الردع، وذكريات الحرب العالمية الثانية وتكاليفها، وقدرة القوتين العظميين على التوصل إلى تسوية مؤقتة للحد من نزاعاتهما وتدبيرها [152]. ويشير علماء آخرون إلى أن الحرب الباردة كانت نتيجة لصراع أيديولوجي بدأ مع نشوب الثورة الروسية في العام 1917 واستمر حتى أدى «التفكير الجديد» إلى دفع القادة السوفييت إلى التخلي عن الشيوعية والبحث عن تسوية مع الغرب [153].

أما الواقعيون والليبراليون على حد سواء فيعزون نهاية الحرب إلى عدم قدرة الاتحاد السوفييتي على التنافس مع الغرب، ويرجعون ذلك بدوره إلى اقتصاده ونظام حكمه الشمولي البطيء وغير الفعال. يؤكد الواقعيون أن غورباتشوف Gorbachev سعى إلى التفاوض على أفضل شروط ممكنة عندما كان الاتحاد السوفييتي لايزال يعتبر قوة عظمى[154]. ويصرّ المحافظون على أن قيام رونالد ريغان Reagan بتعزيز القوة العسكرية وإطلاقه لمبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) عجل بانهيار الاتحاد السوفييتي[155]. أما الليبراليون فيرون أنه في الاتحاد السوفييتي، وأكثر من ذلك حتى في أوروبا الشرقية، صار المفكّرون وكثير من عموم السكان متحررين تماما من الاشتراكية وراغبين بشدة في تقاسم الثراء المادي للغرب. في حين يشدّد محللون آخرون على التأثير الكابح للأسلحة النووية، التي في حين أدت إلى نهاية الحرب الباردة منعت الأزمات من التصاعد من جهة، ووفرت المظلة الأمنية التي سمحت لغورباتشوف بتقديم التنازلات اللازمة لإحداث تحول جذري في العلاقات بين الشرق والغرب[156]. وأخيرا، فقد عُزيت نهاية الحرب الباردة إلى التقاء غير خطي نجم عن التفاعل بين العديد من الظروف الكامنة والأحداث المحرضة [157].

وبحلول الوقت الذي صار فيه غورباتشوف أمينا عاما للحزب الشيوعي السوفييتي، كانت الحرب الباردة قد تطورت إلى شيء مختلف تماما عما كان عليه عندما بدأت عام 1947[158]؛ فقد أصبحت أقل تقلبا، كاستجابة للجهود التي بذلتها القوتان العظميان للحد من خطر الحرب من خلال التفاهم حول كيفية إدارة الخصومة بينهما. وضعت «قواعد الطريق» خلال فترة الانفراج détente القصير الأجل. في أواخر الستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين[159]، عمل الحد من التسلح واعتراف الغرب بالوضع الراهن الإقليمي بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا كمصدرين قويين للاطمئنان. استمرت القوتان العظميان في الالتزام بالخصومة بينهما، وأدى سعيهما إلى الحصول على أفضلية من جانب واحد إلى تقويض الوعد الذي مثلته حالة الانفراج. أما الجانب المدهش من أهداف القوتين العظميين في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين هو مدى ضعف ارتباط تلك الأهداف بالأمن، ومقدار ما تعكسه من رغبة كل منهما في أن تكون له اليد العليا في تنافسهما على المكانة - وهو موضوع سأتطرق إليه بمزيد من التفصيل في الفصل التالي. لم يتغير هذا التوجه حتى أصبح غورباتشوف أمينا عاما عام 1985. وقد خلص هو ومستشاروه إلى أن هذه التنافس كان مكلفا، وخطيرا، ويضر بجدول أعمالهم للإصلاح الداخلي.

فهم غورباتشوف وأقرب مستشاريه أن الحرب الباردة قد اكتسبت حياة خاصة بها، وأن القوتين العظميين على حد سواء صارتا ضحيتين لها. استلزمت الحرب الباردة إنفاق مبالغ طائلة على الأسلحة، مما عزز من السلطة القمعية للمنظومة الصناعية - العسكرية، وبرر عمليات القمع في الداخل. وكذلك فإن تكديس الأسلحة والتنافس في العالم الثالث جعلا الحرب أكثر، وليس أقل، احتمالا. وقد سعى غورباتشوف إلى الإفلات من القيود الاقتصادية والسياسية التي فرضتها الحرب الباردة ومن ثم إعادة هيكلة الاتحاد السوفييتي، سياسيا واقتصاديا. جاء «الفكر الجديد» استجابة للتراجع المادي والركود السياسي النسبي، كما تحقق بسببهما. عمل ذلك على تشجيع غورباتشوف، وسمح له بمنح الأولوية للسياسة المحلية مقابل الخارجية، وشجعه على تقديم تنازلات للغرب من أجل تحريك عملية التسوية. وعلى القدر نفسه من الأهمية، فقد زودته بإطار مرجعي سمح بتقديم تلك الأنواع من التنازلات التي كانت الحكومات السوفييتية السابقة ستعتبرها لعنة anathema (مثل اتفاقية القوات المقاتلة، التي اضطر الاتحاد السوفييتي بموجبها إلى التراجع وتدمير قدر من الأسلحة أكثر مما فعلت الولايات المتحدة، وتوحيد ألمانيا ضمن حلف الناتو). أدرك غورباتشوف وكبار مستشاريه أن محاولات جعل الاتحاد السوفييتي آمنا عن طريق تكديس الأسلحة، والتورطات الخارجية، بالإضافة إلى الاحتلال العسكري لأفغانستان- وهو أكثرها كارثية - أدت في الواقع إلى تقويض الأمن السوفييتي.

في حين كان غورباتشوف ينأى بنفسه عن لينين وتراثه، فقد حملت استراتيجيته شبها غريبا بتعامل لينين مع ألمانيا الإمبراطورية. كان لينين مستعدا للتوقيع على معاهدة بريست - ليتوفسك Treaty of Brest-Litovsk رغم كونها من جانب واحد واستغلالية تماما، لأنه راهن على أن الأحداث اللاحقة - كان يأمل في اندلاع ثورة اشتراكية في ألمانيا - ستعمل على إلغاء المعاهدة وتعزيز المصالح السوفييتية بطريقة أكثر جوهرية[160]. وقد استندت استراتيجية غورباتشوف إلى فرضية مماثلة؛ هي أن التنازلات الاستراتيجية والسياسية لن تكون ذات مغزى إذا ساعدت على إنهاء الحرب الباردة وإعادة هيكلة علاقات الاتحاد السوفييتي مع الغرب بصورة جذرية. لم تعمل أي من المقامرتين على النحو المخطط له؛ فلم تندلع أي ثورة ناجحة في ألمانيا خلال عامي 1918 و1919، كما أن عدم استعداد غورباتشوف لاستخدام القوة لإبقاء الحكومات الشيوعية في السلطة بأوروبا الشرقية أدى إلى انهيار غير متوقع في حلف وارسو، ومن ثم تفكك الاتحاد السوفييتي

لاحقا. بيد أن مقامرة غورباتشوف يمكن اعتبارها الأفضل بين المقامرتين إذا تم تقييمها من حيث تأثيراتها الطويلة المدى على شعب الاتحاد السوفييتي السابق.

ثمة درس مستفاد من الحرب الباردة، الذي يتسم بأهميته لأغراضنا، وهو أن الزعماء ليسوا سجناء الظروف الاستراتيجية والسياسية، فهم يمتلكون القدرة على تحويل العلاقات العدائية الطويلة الأمد؛ لكنهم يجب أن يكونوا مدفوعين، كما كان غورباتشوف والسادات من قبله، بأجندات محلية تتطلب حل هذه الصراعات، أو على الأقل إحراز تقدم كبير في تقليل التوترات المرتبطة بها [161]، يحتاج الزعماء إلى شجاعة سياسية وتصورات بديلة للأمن، والتي تبرر ضبط النفس وتقديم غصن الزيتون إلى أنفسهم وإلى الدوائر السياسية ذات الصلة.

أما الدرس الآخر، وهو على القدر نفسه من الأهمية، فهو مدى كون الأمن خطابا شخصانيا subjective discourse، وليس ثمة سمة «موضوعية» من سمات البيئة الدولية التي يمكن استنتاجها بتطبيق المنطق. لقد فهم ستالين وخروتشوف وبريجنيف وغورباتشوف الأمن السوفييتي بشكل مختلف تماما. ويعكس تطور الفكر السوفييتي حول الأمن تغيرا في الأفكار أكثر منه تغيرا في الظروف[162]. ربما كانت حماية الوطن السوفييتي ومواطنيه الهم الرئيسي بالنسبة إلى كل أولئك الزعماء، لكن الوسائل التي رؤي استخدامها في تحقيق تلك الحماية اختلفت اختلافا كبيرا. بالنسبة إلى ستالين، من ناحية، فرضت تلك السبل معارضة القوى الغربية؛ أما خروتشوف فرأى أن الأمر كان يتطلب مزيجا من الصراع والتعاون؛ وبالنسبة إلى غورباتشوف، كان التعاون سيد الموقف بأغلبية ساحقة. قام كل من أولئك الزعماء بتأطير الأمن على نحو مختلف، ويرجع ذلك جزئيا إلى أهدافهم الأخرى، والتي - وفقا للزعيم وللسنة - شملت البقاء في السلطة، وتوسيع نطاق النفوذ السوفييتي، وإجراء إصلاحات اقتصادية وسياسية لتحسين نوعية حياة المواطنين السوفييت. وتتضح هذه التحولات في التفكير والمفاهيم الأمنية، وبالقدر نفسه من الوضوح، في جمهورية الصين الشعبية على مدى السنوات الستين لوجودها.

الاستنتاجات المبدئية

تشير الحروب ذات الدوافع الأمنية وحالة غير حربية حاسمة إلى نتيجتين عامتين، وكلاهما له آثار مهمة بالنسبة إلى مستقبل الحرب. تتعلق الأولى بالسياق المادي والفكري

الأوسـع الذي تحدث فيه العلاقات الدولية، وتحدد توزيع الدوافع المسؤولة عن الحروب. أما الثانية فهي الفهم الشـخصاني الـذي تمتلكه الأطراف الفاعلة حـول المصالح، والأمن، والمكانة، وعند أخذها معا، في اقتناعي، فهي تحدد وتيرة الحرب.

لقـد تغيرت السـياقات المادية والفكريـة للعلاقـات الدولية بطـرق دراماتيكية في غضون السـنوات الثلاثمائة والخمسين التي تضمنتها مجموعة البيانات. أشرت في المقدمة إلى أن الـدول القوميـة، أو الوحـدات الطامحة لنيل هذه المنزلة، قـد حلت محل الدول والإمبراطوريات السـلالية dynastic باعتبارها النمط السـياسي المهيمن. أفسحت الملكية والأرسـتقراطية المجال أمام الديموقراطية والأشكال الحديثة للحكم الاستبدادي. ومع هذه التغيرات، حدث تطور مماثل في نظريات وممارسـة الديموقراطية منذ نشـأتها الحديثة في الـدول المدينية الأوروبية وإنجلـترا [163]. أصبح تعيين الهويـة الوطنية على وجه العموم أكـثر أهمية من الـولاءات الدينية والمحليـة في أوروبا، وفي أجزاء أخـرى كثيرة من العالم لاحقا. شجع تعيين الهوية الوطنية على وجود توقعات أعلى بأن تتمكن الدول التي قامت بتحديـد ولاءاتها من تحقيق رفاهيـة مادية أكبر، وأن تعزز اعتزازها بنفسـها [164]. وكما لاحظنا، فقد تطورت ممارسة الحرب بدورها. وكانت بعض ملامحها الحديثة الأكثر أهمية، التي كان كلاوزفيتز من أوائل من لاحظوها، تمثل استجابة مباشرة للنزعة القومية.

طرح العلماء طرقا مختلفة لتفتير periodizations العلاقات الدولية بناء على صعود النزعـات القوميـة، والتنمية الاقتصادية وتحـوّل الأنظمة. واسـتخدم معظمهم الحروب الكبرى كنقاط مرجعية مريحة. يبدأ التقسيم الأكثر شيوعا من حلف ويستفاليا إلى الثورة الفرنسـية والحـروب التي تلتها، ومن مؤتمـر فيينا حتى عـام 1914، والفترة الممتدة من 1914-1945، والفترة من 1945 إلى نهاية الحرب الباردة.

وهنـاك أيضـا أنماط أكثر تعقيدا؛ فيقترح بول شرويدر سـبعة أقسـام بين عام 1763 (حيث احتد التنافس البروسي- النمسـاوي)، وعام 1914 [165]. يرى بعض علماء العلاقات الدولية تحولا كبيرا في تطوير واستخدام الأسلحة النووية، معتبرين أن العلاقات بين القوى العظمـى بعد عام 1945 تتسـم بكونها مختلفة نوعيا [166]. مـن الممكن الدفاع عن كل هـذه الترتيبات، لكـن أيا منها ليس مناسـبا تماما لأغراضي، كونها تسـتند عادة إلى أبعاد منفردة: يؤثر أي عامل جديد أو تغير كبير على ممارسة العلاقات الدولية، لكنه يفعل ذلك في سـياق يتشـكل بفعل عوامل وتطورات أخرى. وباعتبار أن معظم هذه الحالات (مثل

الديموقراطية، والاستبداد، والقومية، والتصنيع) تطورت عبر الزمن، فقد أدت إلى ظهور أنماط معقدة من التفاعل التي يصعب، إن لم يكن مستحيلا، أن يتم تفتيرها على نحو فعال. إن أفضل ما يمكننا القيام به، في اعتقادي، هو تحديد الترتيبات configurations غير المؤكدة المدة، والتي لها عواقب ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى وتيرة وطبيعة الحرب. وقد تعرف المؤرخون وعلماء العلاقات الدولية العديد من هذه الترتيبات، ومنها مجموعة من الظروف السياسية والفكرية والتنظيمية المتعاضدة التي يبدو أنها جعلت الحرب في القارة الأوروبية أكثر، وليس أقل، احتمالا خلال العقود الأولى من القرن العشرين. وتشمل هذه: القومية، والإمبريالية، والداروينية الاجتماعية، والتصنيع، وتطوير المدن urbanization، والسياسة الشاملة mass politics، والنخب والأنظمة التي شعرت بالتهديد من قبل التغيرات السياسية والاقتصادية، والارتباط بالمذاهب العسكرية الهجومية وبمؤسسات صنع القرار والإجراءات الآيلة للزوال [167].

يشير علماء العلاقات الدولية الذين يعتقدون بأن الحرب في طريقها إلى الزوال إلى مجموعة أخرى من الظروف، والتي تشمل الديموقراطية، والتنمية الاقتصادية، والاعتمادية المتبادلة، والمشاعر المناهضة للحرب، والمؤسسات الدولية، حتى الأسلحة النووية. بيد أن هناك خلافات حادة في الرأي بشأن الثقل النسبي لهذه العوامل. يفسر المتشائمون هذه التطورات بشكل مختلف، فيركزون على الآثار السلبية للأسلحة النووية، والعولمة، وحتى الدقرطة democratization[168]. تعتمد جميع التنبؤات التي تم طرحها حتى الآن على الانعكاسات المتوقعة لواحد أو أكثر من هذه الظروف، كما أن الجدل مستمر حول أصول الحرب العالمية الأولى يشير إلى مدى صعوبة، إن لم يكن استحالة، بناء توافق في الآراء حول الشروط الرئيسية ضمن مجموعة ما، أو العواقب المترتبة على أي منها بالنسبة إلى الحرب والسلام، حتى عند النظر إلى الماضي. كما أن التكهنات أكثر تعقيدا منها؛ فعلى غرار نظرائها التاريخية، فإنها تقوم على افتراضات وتوقعات لا يمكن اختبار صحتها. ليس هناك حل لهذه المشكلة، ولهذا السبب يجب علينا أن نحاول تقليل عدم اليقين من خلال تعزيز بحثنا باستراتيجية ثانية: مفاهيم الأطراف الفاعلة ودوافعها وتأثيرها على كل من السلم والحرب.

وكما رأينا، تتسم هذه المفاهيم بكونها مائعة. في حالة المصلحة، انخفضت المنفعة المتصورة للحرب بشكل ملحوظ بمجرد أن فقدت المركنتيلية مصداقيتها. استمرت الدول في استغلال المناطق التي احتلتها اقتصاديا، لكن لم يحدث في أي من حروب القرن العشرين،

والمتضمنة في مجموعة البيانات، أن تم السعي لاحتلال الأراضي لأسباب اقتصادية في المقام الأول. صار الغزو صعبا على نحو متزايد بسبب المعارضة الدولية، كما أن الاستغلال الاقتصادي للأراضي المغزوة صار أمرا أكثر تعقيدا. من المرجح أن تتعرض الدول المعتدية لحظر تجاري واستثماري. وكما أوضح ستيفن بروكس، فما بين الدول الرأسمالية المتقدمة، صار تطوير الجيوش والإنتاج العسكري أمرا خاضعا للتدويل على نحو متزايد، مما يجعل الغزو أكثر تكلفة [169]. وإلى حد إدراك السلطات السياسية لهذه التكاليف والقيود، سينخفض العدوان الإقليمي؛ كما حدث بالفعل، مما يجعل الحروب المبنية على المصلحة أقل احتمالا.

يتفق الواقعيون بجميع أطيافهم على الاعتقاد بأن الأمن يجب أن يكون الشغل الشاغل للدول، وأنه يعتمد في النهاية على القدرات العسكرية. وعلى أي حال، فإن الأمن - مثل المصلحة - هو بناء اجتماعي. إن التفكير في الشأن الأمني ليس شاملا ولا ثابتا، فقد تطور كثيرا على مر العصور. وفي هذا الصدد، تزودنا الحرب الباردة بمثال ممتاز. إن الاهتمام المبالغ فيه بأمر العزم، باعتباره شرطا أساسيا لتحقيق الأمن، ساعد على إطالة أمد الحرب الباردة لفترة طويلة بعد تسوية الصراع الأساسي الذي بدأت من أجله - وهو تقسيم الأراضي الأوروبية - بين كلا الجانبين. أدى إدراك غورباتشوف أن الحرب الباردة صارت صراعا على الهيبة والمكانة، والذي يشكل خطرا جسيما على أمن كل من القوتين العظميين، إلى السماح بتقديم التنازلات السوفييتية التي أفضت إلى نهاية هذا الصراع.

كان القرن العشرون عصرا خصبا على وجه الخصوص بالنسبة إلى «الفكر الجديد» حول الأمن. ولعل أبرز مثال على ذلك مفهوم الأمن الجماعي، الذي وصفته بإيجاز في المقدمة. لقد وجد أول تجسيد مؤسسي له في مجلس أوروبا Concert of Europe، لكن تم تنظيره على نطاق واسع في مرحلة ما بعد عصر الحرب العالمية الأولى، بعد أن أصبح المهمة الأساسية لعصبة الأمم المشؤومة [170]. بعد الحرب العالمية الثانية، مثل المبرر الأساسي لإنشاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، حيث من المسلم به عموما أنه لم يقدم إلا مساهمة متواضعة، وكذلك العديد من التحالفات، ومنها حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وحلف ريو Rio Pact، والمعاهدة الأمنية المشتركة بين الولايات المتحدة واليابان، ومنظمة حلف جنوب شرقي آسيا SEATO، وحلف بغداد، ومنظمة الحلف المركزي CENTO. وكانت منظمة حلف شمال الأطلسي الأكثر نجاحا من بين هذه المنظمات، إذ لاتزال قائمة

وتعمل على توسيع مهمتها في عصر ما بعد الحرب الباردة [171]. أصبح الحد من التسلح دعامة أخرى للأمن، فقد حَظَر مؤتمر لاهاي عام 1899 أنواعا معينة من القذائف، وكذلك إطلاق القذائف والقنابل من البالونات. وعملت معاهدة واشنطن البحرية عام 1922 على تقليص الحمولة الكلية لأهم السفن الحربية، كما عملت اتفاقيات الحد من التسلح التي أبرمت إبان الحرب الباردة بين القوتين العظميين كوسائل للتطمين المتبادل، كما أن معاهدة عام 1987 بشأن القوات النووية المتوسطة المدى (INF)، ومعاهدة ستارت عام 1991 قد ساعدتا على إنهاء هذا الصراع [172].

شهد القرن العشرون ظهور، والقبول التدريجي، فكرة أن الأمن يتطلب أكثر من مجرد غياب الحرب. وكذلك تم تضمين هذا المبدأ في ميثاق الأمم المتحدة، التي أنيطت وكالاتها المتخصصة بمهمة تعزيز الصحة في العالم، ورعاية الأطفال، وحقوق الإنسان، والزراعة وغيرها من أشكال التنمية. وفي المؤسسة الأكاديمية، التفريق بين السلام السلبي (غياب الحرب) والسلام الإيجابي (استعادة العلاقات والالتزام ببناء مجتمع عادل يمكن فيه للبشر تحقيق أقصى إمكاناتهم) قد تم تنظيره على نطاق واسع [173]. وفي فترة لاحقة، تآكل المفهوم الراسخ للدولة باعتبارها قلعة يمكنها أن تحمي مواطنيها بشكل فعال من التهديدات الخارجية على نحو خطير. أدرك العلماء وصناع القرار على حد سواء أن التفريق بين التهديدات الداخلية والدولية للأمن مصطنع إلى حد كبير، وأن التحركات والتدابير العسكرية التي تتخذ من جانب واحد لا تمثل عموما أكثر الوسائل فعالية للتعامل مع أيهما. وينطبق هذا أيضا على تهديدات أمنية متنوعة مثل الإرهاب، والمخدرات، والهجرة، والأمراض، والتدهور البيئي [174].

أدت المفاهيم الجديدة للأمن إلى إحداث تغيرات مهمة في الطرق التي تفكر بها بعض الدول في الأمن وتخطط له. لكن هل يجعل هذا من الحرب بين الدول أقل احتمالا؟ يعتمد الجواب على التوافق بين هذه المفاهيم وترتيب الظروف، أو السياق المادي والفكري، التي تتم فيها العلاقات الدولية. وكما رأينا، فقد جادل هانز مورغنثاو و إ. هـ. كار بأن الاعتقاد في فعالية القانون الدولي والمؤسسات الدولية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين قد أعمى أصحاب الآراء التقدمية وتلك الموجهة نحو السلام، وكذلك القادة، عن الأخطار التي شكلها النازيون والفاشيون، مما ساهم في اندلاع الحرب العالمية الثانية. وقد بالغ مورغنثاو وكار إلى حد كبير في وصف سذاجة المحامين الدوليين البارزين، لكنهما كانا محقين في

حكمهـما على أن التهدئـة - وهو أمر لم يناد به مطلقا أولئـك «المثاليون» الذين تعرضوا لكثير من الذم- كانت اسـتراتيجية غير مناسـبة على الإطلاق في مثل هذه الظروف [175]. لكن هذا لا يعني أن القانون الدولي والمؤسسات الدولية قد لا تعمل بنجاح لخدمة غايات السـلام في ظل ظروف مختلفة، أو أن استراتيجيات الردع المتشددة، التي يمكن القول إنها كانت ملائمة في ثلاثينيات القرن العشرين، كانت ملائمة بالمثل في ستينيات القرن العشرين، حيث يبدو أنها عملت على تسريع سباق التسلح وحرضت أزمتين حادتين على الأقل. يجب النظر إلى الاستراتيجيات من حيث ملاءمتها للظروف، كما أن أي توقعات حول الاحتمالات المسـتقبلية للسـلام والحرب سـتعتمد على تراكب تصادفي fortuitous overlay. وأقول «تصادفي» لأن كثيرا من الجهود السـابقة لمنع الحرب كانت مبنية على الدروس المستفادة من حرب سـابقة، وبالتالي فإنها أقل تزامنا بقدر نزاع واحد [176]، وسـأعود إلى تناول هذه المشكلة في نهاية الفصل التالي.

اسـمحوا لي أن أختتـم الفصـل بملاحظة تتسـم بالتفـاؤل الحذر. لقـد ارتبطت ترتيبـات العوامل المسـؤولة على ما يبدو عـن الحربين العالميتين اللتـين اندلعتا خلال القـرن العشرين، وعن الحرب البـاردة التي تلتهما، بمرحلة معينة مـن التاريخ، لذلك فمـن غير المرجح أن تعاود الظهور مرة أخرى. وقد تطورت المفاهيم المتعلقة بالمصلحة والأمن أيضا، مما يجعل الحروب التي تم خوضها لهذه الدوافع أقل احتمالا، على الأقل بين القوى العظمى. ولتحليل أكثر شـمولا، سننتقل إلى دوافعنا الثلاثة المتبقية: المكانة، والانتقام، والدوافع «الأخرى».

6

المكانة والانتقام

«كثيرا ما كان السعي إلى نيل الشرف والمكانة يتم على حساب مصالح الدولة»

المؤلف

سأتناول الآن دافعي المكانة والانتقام، وكذلك فئتي المتبقية للأسباب «الأخرى». وفي هذا الصدد، سأراجع تواتر هذه الدوافع على مدى القرون التي تغطيها مجموعة البيانات والظروف التي تربط بينها وبين الحرب. وفيما يتعلق بالمكانة، فقد ظل ارتباطها بالحرب وثيقا وثابتا حتى نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأت المكانة والحرب تتباعدان. وقد تسارعت وتيرة هذه العملية خلال القرن العشرين، لكنها لم تكن متسقة في مختلف المناطق. أما اليوم، فقد وصلنا إلى نقطة من شبه المؤكد أن يعمل فيها بدء الحرب على تقليل مكانة الدولة البادئة في الخارج. والاستثناء الرئيسي هنا هو التدخل لدعم القيم المجتمعية الأساسية في وجود تفويض من الأمم المتحدة أو المنظمات الإقليمية المعنية. سأتناول الانتقام باعتباره دافعا مستقلا، لكنه مثل المكانة يمثل

تعبيرا عن الروح. وقد تراجع الانتقام بدوره كدافع للحرب، مما يرجع جزئيا إلى السبب نفسه، ولكن أيضا لأن احتلال الأراضي، وهو هدفه الرئيس، لم يعد مقبولا أو مربحا على وجه الإجمال.

أما فئة الأسباب «الأخرى» فهي أكثر تعقيدا، لأنها تشمل جميع أسباب الحرب التي لا يمكن استيعابها ضمن الدوافع الأربعة العامة. والحروب التي قمت بترميزها ضمن فئة الأسباب «الأخرى» غالبا ما تكون تعبيرا عن صراعات حول السلطة المحلية أو محاولات من قبل أنظمة ضعيفة لدعم شعبيتها. وهناك صلات واضحة بين المشاكل الداخلية والخارجية، والظروف التي تدفع القادة باتجاه انتهاج سياسات خارجية أكثر عدوانية أو تسامحا[1]. تتسم هذه الظروف بأنها سياقية للغاية، وذلك من بين الأسباب الكثيرة التي تزيد من صعوبة التنبؤ بها بأي قدر من الثقة.

المكانة

كما ذكرت في الفصل الرابع، فقد وجدت 107 دوافع لأربع وتسعين حربا. كانت المكانة في 62 من هذه الحروب، أو 58 في المائة من المجموع، مما يجعل منها أهم الدوافع على الإطلاق. وينطبق هذا على كل من القرون المتضمنة في مجموعة البيانات. وفي حين ظلت المكانة دافعا مستمرا للحرب، فإنها ليست متسقة في مظاهرها.

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقعت حروب المكانة ضمن نظام إقليمي أوروبي يهيمن عليه الملوك والأمراء، الذين كان معظمهم ينظر إلى دولهم باعتبارها إرثا عائليا. وقد سعى الحكام في كثير من الأحيان إلى تحقيق الفخار gloire عن طريق الانتصارات العسكرية والغزو. كان لويس الرابع عشر صريحا للغاية حول دوافعه المتعلقة بالحرب الهولندية (1672 - 1678)، فقد كتب في مذكراته قائلا: «لن أحاول تبرير أفعالي، فالطموح والسعي إلى نيل الفخار يمكن دائما اغتفارهما بالنسبة إلى أمير، وخصوصا عند أمير شاب امتلك قدرا هائلا من الثروة كما امتلكت»[2]. كما أن الملكين البروتستانتيين ويليام أوف أورانج وفريدريك الأكبر سعيا أيضا إلى الفخار. كان كثير من حكام هذا العصر يقودون جيوشهم شخصيا في المعارك (مثل لويس الرابع عشر، وفريدريك الأول والثاني، وبطرس الأكبر)، مما يعزز بشكل كبير سعيهم إلى الفخار. هيمن الشرف والكرامة - سواء كانت ملكية، أو متعلقة بالأسر الحاكمة، أو وطنية -

على المراسلات الديبلوماسية خلال القرن الثامن عشر، على الرغم من ظهورهما بصورة أقل كثيرا في مراسلات كاترين الثانية ملكة روسيا (1762 - 1796)، وفريدريك الثاني ملك بروسيا، وجوزيف الثاني ملك النمسا [3]. وارتبطت ثماني حروب دارت رحاها في القرن الثامن عشر بالخلافة [4]، والتي منحت فرصا للزعماء العدوانيين لتوسيع نطاق سيادتهم، إذ حاولت بروسيا وفرنسا القيام بذلك عندما اعتلت ماريا تيريزا عرش النمسا أو عندما توفي تشارلز السابع، الأمير المنتخب لولاية بافاريا والإمبراطور الروماني المقدس، في العام 1745. وفي بعض الأحيان أقدمت الدول الرائدة على خوض الحرب خلال أزمات خلافة لمجرد أن شرفها كان مكتنفا في الأمر. وكانت محاولة لويس الرابع عشر للاستيلاء على عرش إسبانيا نيابة عن حفيده، والتي أشعلت حربا قارية، متعلقة بالكامل بمكانة أسرته الحاكمة [5]. وفي العام 1733، خاضت فرنسا الحرب لأن أحد المرشحين للعرش البولندي كان صهر لويس الخامس عشر.

وكثيرا ما كان السعي إلى نيل الشرف والمكانة يتم على حساب مصالح الدولة [6]. رفض لويس الرابع عشر عروض السلام المستميتة التي عرضتها عليه الجمهورية الهولندية بعد حملته العسكرية الأولى، على الرغم من أنه حقق أهدافه المعلنة. وبدافع من الغطرسة وسعيه الذي لا يشبع إلى الفخار، أصر على غزو الجمهورية بأكملها، محولا الحرب إلى صراع طويل تدخلت فيه الدول الأوروبية الأخرى ضمن تحالف قوي ضد فرنسا [7]. وعلى الرغم من نصيحة مستشاريه الأكثر تعقلا (مثل فوبان، وكولبير، وهوغ دي ليون)، قام لويس مرارا وتكرارا ببدء مغامرات عسكرية لم يتمكن من إكمالها بنجاح، واضطر في كل من أوتريخت وريجسفيك Rijswijk للقبول بتسوية تحقق له مكاسب متواضعة في أوروبا وخسائر فادحة في الخارج. وفي العام 1714، رفض تشارلز الثاني عشر ملك السويد سلاما معقولا بعد 14 عاما من الحرب على أساس أن «أفضل الأوقات لن يأتي حتى نحصل على قدر من الاحترام في أوروبا يزيد عما نمتلك الآن»[8]. وفي الحرب الشمالية الكبرى (1699 - 1721)، التي انتهت بهزيمة كاملة للسويد، قام تشارلز بحماقة بغزو روسيا وقاد جيشه إلى موقف مكشوف في عمق ما يعرف الآن باسم أوكرانيا، حيث تعرض لهزيمة ساحقة في بولتافا. لم يكن بوسع تشارلز أن يكبح جماح روحه، فقد كان مدفوعا على ما يبدو برغبة شديدة في الانتقام من الهجمات الدنماركية – الروسية - الساكسونية على الإمبراطورية السويدية وحليفتها ألمانيا في العام 1700[9].

إن التكلفة الباهظة للحروب التي وقعت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تزودنا بمزيد من الأدلة حول الدوافع. اضطر لويس الرابع عشر وآل هابسبورغ إلى بيع ممتلكاتهم الخاصة للإبقاء على جيوشهم في الميدان [10]. وبعد الحرب الشمالية الكبرى، كانت فرنسا وبروسيا على شفا الانهيار المالي. إن ارتفاع التكاليف وانخفاض نسب نجاح الحرب يضعفان الادعاء أن الأطراف الفاعلة فيها كانت مدفوعة بالمكاسب المادية. وعلى أي حال، فإن أيا من الحالتين لم تكن لتردع القادة المصممين على تحقيق الفخار. بل إن التكلفة الباهظة للحرب قد تجعلها أكثر جاذبية، كما يتقاطر الأغنياء الساعون إلى المكانة اليوم في كثير من الأحيان إلى الفنادق والمطاعم المبالغ في أسعارها، أملا في أن يراهم أولئك الذين يريدون إبهارهم.

أما جيريمي بلاك Black، وهو حجة رائدة حول الحرب في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فيؤكد المدى الذي مثله السعي وراء الشرف والفرص كدافع للحرب [11]. أسهم السعي إلى نيل الفخار في تحديد مدى وحشية الحرب، وكان مسؤولا عن الارتفاع المستمر في معدلات الإصابة بين الضباط عنه بين الجنود العاديين [12]. اشتهر الضباط الفرنسيون بمحاولاتهم لاكتساب شرف عن طريق جرأتهم وتهورهم. مدح المارشال شارل فيلار Villars، وهو أكثر القادة نجاحا على الجانب الفرنسي من حرب الخلافة الإسبانية (1701 - 1714)، ما أسماه «نسيم الجرأة الطبيعي للغاية لدى الفرنسيين»، والذي كان أسلوبه المفضل للقتال «هو الهجوم بالحراب» [13]. وطوال الشطر الأكبر من القرن السابع عشر، وضع الجيش الفرنسي قدرا أقل من التركيز على الانتصار منه على قدرته على الحفاظ على النظام في أثناء معاناته من الخسائر الناجمة عن الجانب الآخر [14]. صار هذا التظاهر بالشجاعة انتحاريا على نحو متزايد في عصر أصبحت فيه المدفعية ونيران بنادق المسكيت musket قادرة على تدمير التشكيلات من مسافة بعيدة، وهو دليل آخر على الأهمية القصوى للفخار. وبالنسبة إلى لويس الرابع عشر، كانت الحرب متعلقة برمتها بالشجاعة: «إن النظام الجيد يجعلنا نبدو واثقين، ويبدو أنه كاف لأن نبدو شجعانا، لأن أعداءنا في معظم الأحيان لا ينتظرون حتى نقترب منهم بما يكفي لأن نريهم ما إذا كنا نتسم بالشجاعة حقا». كان الملك يقود كتائبه شخصيا في المعارك حتى العام 1692، مع التأكد من إعطاء أوامره وهو في مرمى بنادق للعدو [15]. سعى الملوك والأرستقراطيون إلى نيل المجد والمنزلة التي يمنحها، باعتباره غاية في حد ذاته،

وكذلك بوصفه إحدى وسـائل الحفاظ على سلطتهم أو تعزيزها. يحذر بلاك من تطبيق دافـع «مصالح الدولة العليا» raison d'état عـلى أحداث القرن الثامن عشر، كما فعل المؤرخون الألمان في القرن التاسع عشر: «كما هي الحال مع معظم الصراعات التي نشبت في تلـك الفترة، كان هناك قليل من الاهتمام بالمحصلة التي سـتؤول إليها أي حرب من حيث نتائجها الدبلوماسية والعسكرية» [16].

في القرن التاسـع عشر، صار السعي وراء المكانة مصدر اهتمام وطني، حتى في بلدان مثـل ألمانيا والنمسـا التي يمكن بالكاد اعتبارها ديموقراطية. كانت نخب صناع السياسـة الخارجية لاتزال أرسـتقراطية بأغلبية سـاحقة في أصولها، كما كانت أشـد التزاما بمفهوم الشرف الوطني بعد أن فقدت رموز الشرف التقليدية حظوتها في العلاقات بين الأشخاص. وقد تفاعل الرأي العام بقوة مع الدول الوطنية ومع «شرفها»، حيث بلغ ذلك أقصى مدى له في البلدان التي تم فيها تهميش طبقة المفكرين والمثقفين والطبقة الوسطى إلى أطراف التسلسل الهرمي للسـلطة والمنزلة. صارت هذه الظاهرة أكثر وضوحا في القرن العشرين، وكانت من بين الأسباب الرئيسية للحرب العالمية الأولى [17].

يفـسر الواقعيـون الحـرب العالميـة الأولى بالإشـارة إلى منظومتـين متعارضتين من التحالفـات، وسـباقات التسـلح، والتفوق الهجومـي، والصراع في البلقـان، والتي عملت جميعهـا على تفاقم المخاوف المتعلقة بالعوائق الاسـتراتيجية وانعـدام الأمن العام. وقد انتقـوا القوة الصاعدة لألمانيا وتحديها للنظام القائم، على الرغم من أن البعض ركزوا بدلا من ذلك على قوة روسـيا المتزايدة ونتائجها المزعومة المزعزعة للاسـتقرار. أما التحليلات الماركسـية وتلك المستلهمة للمبادئ الماركسـية فقد ركزت على الانقسامات الطبقية التي شـجعت الأنظمة الأرستقراطية على انتهاج سياسـات خارجية عدوانية على نحو متزايد. بدورهـم، لفت المؤرخون المفكرون انتباهنـا إلى روح العصر Zeitgeist، وإلى الطرق التي أدت بهـا الداروينية الاجتماعيـة والقومية المتطرفة وتملق الأبطال العسـكريين إلى جعل الصراعات والحرب تبدو جذابة، بل حتمية [18].

وأنـا أزعـم أن التنافس الإمبريـالي، والاسـتراتيجيات العسـكرية الهجومية، ومعظم التحالفات والمنظورات الإيجابية للحرب - والمنتشرة على نطاق واسـع بين النخب القارية - لا يمكن عزوها إلى أي من الشـهوة أو الخوف. كانت الإمبريالية وسـباقات التسلح تدرك أنها عوامل تشـكل عبئا على الموارد ومشـكوك فيها من الناحية الاسـتراتيجية، إن لم تكن

غير ملائمة تماما. وقد اعترف بعض القادة حتى بمدى حمق هذه السياسات من الناحيتين المادية والاستراتيجية. كان التنافس على المستعمرات، مثل النماذج السابقة من التنافس بين الدول، مدفوعا بالرغبة في تحقيق الاعتراف والمكانة على الصعيد الوطني. كان التنافس الإمبريالي مصدر قلق جوهريا لبعض القادة، وأبرزهم القيصر الألماني، لكنه بات مهما على نحو متزايد لدى الناخبين الواعين سياسيا من أفراد الطبقة المتوسطة الذين سعوا بشكل غير مباشر إلى دعم احترامهم لذواتهم من خلال النجاحات التي تحققها أوطانهم [19].

تتطلب حجتي حول أصول الحرب العالمية الأولى معالجة أكثر شمولية مما يمكنني طرحه هنا، خصوصا أنها تتعارض مع كثير من التفسيرات طويلة الأمد. وفي هذا السياق، أنصح القراء المهتمين بالاطلاع على الفصل السابع من كتابي «نظرية ثقافية»، والذي يقدم دراسة حالة مطولة تنتقد تفسيرات الواقعيين، ويبني حجتي، ومن ثم يقدم أدلة لدعمها. ويحتوي الفصلان الثامن والتاسع من هذا الكتاب على دراسات لحالات عن أصول الحرب العالمية الثانية، والتدخل الأنجلو - أمريكي في العراق، وهما حربان أخريان نشبتا بدافع المكانة سأناقشهما بصورة موجزة فقط في الفصل الحالي. أصبح التنافس أكثر حدة بين الدول بسبب صعوبة تكيف الأنظمة الأرستقراطية على الحداثة. انطوى جزء من هذه الصعوبة على تحدي سلطة وامتيازات النبلاء من قبل الطبقات الأخرى، لكنه - ويا للسخرية - يعكس أيضا محاولات الطبقة المتوسطة العليا لمضاهاة بعض قيمهم وممارساتهم على الأقل. هددت هذه الظاهرة بطمس معالم التمييز بين الثروتين الجديدة والقديمة، ومعها المكانة الخاصة لهذه الأخيرة. أدى ذلك إلى دفع الأعضاء الأقوياء لطبقة النبلاء إلى تأكيد أهمية «السياسة العليا»، وهو المجال الذي لايزالون يحتفظون فيه بسلطة لا تنازع من خلال سيطرتهم على القوات المسلحة ووزارات الخارجية. أما أكثر الأنظمة الأرستقراطية تعرضا للتهديد - ألمانيا والنمسا – المجر - فمارست قدرا أقل من ضبط النفس في سياساتها الخارجية، وانتهكت على نحو متزايد القواعد التي تحكم التنافس بين الدول [20].

وعندما نلتفت إلى الأزمة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، فمن الواضح أن صقور الحرب النمساوية المسؤولين عن الإنذار الذي تم توجيهه إلى صربيا تصرفوا بدافع أقل من الخوف على أمن بلادهم، وأكثر من الرغبة في الدفاع عن شرفها وشرفهم. كان الإمبراطور غير متفائل على الإطلاق بشأن احتمالات الفوز، لكنه لم يشك لحظة في أن إشهار السيف هو السبيل المشرف الوحيد للتصرف. وكذلك فإن «الشيك على بياض» الذي وقعه القيصر

فيلهلـم كان مدفوعا بالمثل: كان يـرى أنه يعمل مناصرا لفرانز جوزيـف في مبارزة. كان الدعم الفرنسي لروسيا يعكس حسابات استراتيجية، لكنه يظهر أيضا اهتماما بالشرف. أما في بريطانيا، فقد انقسـم مجلس الوزراء، لذلك لم يتمكن رئيس الوزراء هربرت أسـكويث Asquith من حشـد الأغلبية اللازمة للتصويت على الحرب إلا من خلال مناشـدة ضرورة «احـترام» التزام بريطانيا بالدفاع عن حياد بلجيكا، كـما كان وزير خارجيته إدوارد غراي Grey، ينظر بدوره إلى معاهدة دعم حياد بلجيكا باعتبارها التزاما أخلاقيا، لكنه كان أكثر اهتماما بالآثار الاستراتيجية للاحتلال الألماني للبلاد [21].

كـما أن المكانة مكتنفة على نحـو عميق في أصول الحرب العالمية الثانية، وهنا أيضا، أحيل القراء إلى دراسـة الحالـة التي أوردتها في كتابي المعنـون «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية». وفي ألمانيا، كان هناك استياء عميق تجاه الحلفاء وشروط معاهدة فرساي. ومما له دلالته، بالنسبة إلى كثير من الألمان، فإن أبغض بنود المعاهدة لم يكن فقدان الأرض، أو التعويضـات، أو القيود التي فرضت على الجيش الألماني، بل المواد التي تلزم ألمانيا بقبول المسـؤولية عن الحرب وتسليم القيصر وأفراد آخرين للمحاكمة كمجرمي حرب. ولكونها أجـبرت من قبل الحلفاء على توقيع المعاهدة، فإن جمهورية فايمار لم تكتسـب الشرعية قط. أدت الصدمـات الاقتصادية إلى إضعاف الجمهورية أكثر فأكثر. واكتسـب خصومها اليمينيـون، ومن بينهم هتلر، التأييد الشـعبي عن طريق الوعد باسـتعادة مكانة ألمانيا في أوروبـا، ومعها اعتزاز الشـعب الألمـاني بذاته. بيد أن دوافع هتلر الشـخصية لخوض الحـرب كانت مرضية لأنها تجاوزت بكثير مجرد اسـتعادة الوضـع الراهن قبل الحرب، وصـولا إلى غـزو أوروبا، إن لم يكـن العالم بـأسره [22]. إن كثيرا من سياسـاته الخارجية ومبادراته الدفاعية - مثل الانسحاب من عصبة الأمم، وإعادة تسليح ألمانيا، والاتحاد مع النمسـا، وتقطيع أوصال تشيكوسـلوفاكيا - لقيت ترحيبا حماسيا من قبل معظم الألمان والنمسـاويين. من المؤكد أن حروبه ضد بولندا، وأوروبا الغربية، ويوغوسلافيا، واليونان، والاتحاد السـوفييتي كانت أقل شعبية، لكن أيا كان الدعم الذي حصلت عليه، فقد كان مسـتمدا في معظمه من الدوافع نفسها [23]. إن أهمية الشرف بالنسبة إلى سلك الضباط هو ما منح هتلر سـكونا، إن لم يكن الدعم النشـط، للجيش الألماني، واستعداده لمواصلة القتـال لفترة طويلة بعد إدراك الضباط من جميع الرتب لاسـتحالة قضيتهم، إن لم يكن طبيعتها الشريرة.

مثلت الروح دافعا على القدر نفسه من الأهمية بالنسبة إلى إيطاليا واليابان، فلم تحاول أي منهما أن تمحو العواقب المترتبة على الهزيمة والتقسيم الجزئي لأراضيها، لكن يمكن وصف معظم سياساتها التوسعية العدوانية باعتبارها محاولة لاكتساب مكانة في النظام الدولي. لكن كلا البلدين لم يحقق منزلة القوة العظمى إلا في وقت متأخر. برز اسم إيطاليا كأمة موحدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت تعد أضعف القوى العظمى. وكانت آخر دولة أوروبية تحصل على إمبراطورية استعمارية، كما تعرضت لهزيمة قاسية في إثيوبيا في العام 1896، ويمكن القول إنها أظهرت أسوأ أداء بين القوى المتحاربة الكبرى في الحرب العالمية الأولى. وعلى الرغم من أنها كانت على الجانب المنتصر، فلم تحقق إيطاليا إلا بعض طموحاتها الإقليمية الواسعة النطاق، كما تمكنت القوات اليمينية، المناهضة للجمهورية، من إقناع كثير من الإيطاليين بأن بريطانيا وفرنسا منعتاهم من الحصول على ما يستحقونه. لم يكن نجاحهم في تحويل إيطاليا إلى قوة شيوعية تعديلية revisionist راجعا فقط إلى مجرد مهارة تكتيكية، بل إلى ميل أفراد الطبقة المتوسطة الإيطاليين للنظر إلى أنفسهم وبلادهم على أنهم ضعفاء، ويفتقرون إلى الاحترام، وبالتالي فهم عرضة لمكائد القوى الأخرى. إن الطموحات الإقليمية، وخيبة الأمل في النظام البرلماني الخامل، والأزمة الاقتصادية الحادة هي ما مكن موسوليني Mussolini من الوصول إلى السلطة عن طريق مزيج من الوسائل القانونية وغير القانونية، ومن ثم قيامه تدريجيا بفرض ديكتاتوريته. وكان القصد من سياسته الخارجية، التي تعارضت بصورة متزايدة مع مصالح إيطاليا الاستراتيجية والاقتصادية، هو توطيد وترسيخ نظام حكمه عن طريق إنشاء إمبراطورية رومانية في العصر الحديث، والتي من شأنها أن تعزز ثقة الإيطاليين بأنفسهم. كانت ألمانيا تمثل التهديد الرئيسي لإيطاليا، لكن موسوليني اختار أن يتحالف معها ضد بريطانيا وفرنسا، لأن هذين البلدين الأخيرين مثلا عائقين رئيسيين أمام التوسع الاستعماري في البحر الأبيض المتوسط. دخل موسوليني الحرب العالمية الثانية بسبب اعتقاده الخاطئ أن الانتصار الألماني كان أمرا حتميا وغير قابل للمناقشة، وأن إيطاليا لن تتمكن من تحقيق طموحاتها الإقليمية إلا بكونها على الجانب المنتصر. وفي حين أن قراره بدخول الحرب كان شاذا واستند إلى حكم فاسد، فإن غزوه لفرنسا لقي دعم شرائح واسعة من النخبة الإيطالية، على الرغم من أن دعم الرأي العام كان أقل درجة [24].

كان لليابانيين أسباب أكثر إلحاحا لمعاداة قوى الوضع الراهن، لأنهم كانوا هدفا للعنصرية والاستغلال الاقتصادي الأوروبي، وكما لم يتم قبولهم كقوة عظمى سوى على مضض. وفي مرحلة مبكرة من تاريخهم، كافح اليابانيون من أجل تأكيد نديتهم للصين، التي تلقت اليابان منها جزءا كبيرا من ثقافتها، عبر كوريا. كان التوسع الاستعماري الياباني في الصين وكوريا مدفوعا في جزءٍ كبير منه بالرغبة في الحصول على الاعتراف والمكانة، من الجماهير الآسيوية وكذلك الأوروبية. يكمن هذا الهدف وراء العدوان الياباني ضد الصين في ثلاثينيات القرن العشرين، الذي كان مدفوعا أيضا بالرغبة في الاكتفاء الذاتي الاقتصادي، وهو هدف سعت اليابان إلى تحقيقه لأسباب سياسية أكثر منها اقتصادية، إذ سعى إليه الجيش كوسيلة لجعله أكثر استقلالية من القيادة المدنية. كان هذا الصراع بدوره مرتبطا بصورة وثيقة، كما كانت الحال عليه في ألمانيا في عهد الإمبراطور فلهلم، بمشاكل الحداثة وبمدى تشبث العديد من الأرستقراطيين المهددين بقيم ما قبل الحداثة، وبفشل الطبقة الوسطى في تطوير هذا النوع من المنظور الذي ربطه ماركس بالبورجوازية. كان هجوم اليابان على القوى الغربية ثمرة لحربها في الصين. صار عدد من الشخصيات النافذة في الجيش الياباني على اقتناع بأنهم قادرون على الانتصار في حرب محدودة ضد الولايات المتحدة وحلفائها في غرب المحيط الهادي، ومن ثم إجبار الصين بدورها على قبول شروط طوكيو للسلام [25]. أدى تشديد الحظر الغربي على النفط والخردة، الذي فرض نتيجة للعدوان الياباني ضد الصين، إلى تقوية موقف صقور الحرب اليابانيين لأنه خلق عقلية تعتمد مبدأ «الآن أو أبدا»، نظرا إلى اعتماد البلاد على الغرب في الحصول على النفط والخردة. إن الهجوم على بيرل هاربور لم يكن له أي مغزى استراتيجي، بالنظر إلى الانشغال العسكري الياباني بالفعل في الصين والإمكانات العسكرية للولايات المتحدة التي تفوق إمكانياتها بكثير. يجب أن يفهم كل من حسابات اليابانيين حول رد الفعل الأمريكي، واستعدادهم لتحمل مخاطر غير عادية فيما يتعلق بأمنهم من حيث القيم المدفوعة بالروح في فئة من المحاربين [26].

مارست المكانة أيضا دورا رئيسيا في قرار الولايات المتحدة بغزو العراق في العام 2003. تم تبرير غزو أفغانستان والعراق باسم الأمن من قبل إدارة بوش، التي فعلت كل ما في وسعها لربط حاكم العراق بالإرهابيين المسؤولين عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر. يشير النقاد هنا إلى الغطرسة والحماسة الأيديولوجية لأبرز أعضاء إدارة بوش، باعتبارهم

من الأســباب الكامنة وراء هذه الإخفاقات، ومن المؤكد أنهم محقون في القيام بذلك [27]. كان عــداء إدارة بــوش للعراق ورغبتها المصاحبة في الإطاحة بصدام حســين واضحين منذ لحظة توليه لمنصبه. وفرت أحداث الحادي عشر من ســبتمبر الغطاء السياسي لغزو مقرر منــذ فــترة طويلة، والذي كان مرغوبا لأســباب لا علاقة لها بالإرهــاب، لكنها تتعلق كثيرا بالغضب والمكانة.

لم تكــن هناك دوافع اســتراتيجية أو اقتصادية مقنعة لغــزو العراق. وعلى الرغم من الادعاءات التي كثيرا ما صرح بها نعوم تشومســكي Chomsky وغيره، والقائلة إن الغزو كان مدفوعا بالرغبة في السيطرة على نفط الشرق الأوسط، فإن هذا التفسير غير مقنع [28] تقليديا، ظلت الولايات المتحدة تسمح لشركات النفط، من منطلق اهتمامها بتدفق النفط بأســعار معقولة فقط، بالتعامل مع جميع أنواع الأنظمة الاستبدادية في الشرق الأوسط [29]. فإذا رغبت الإدارة في الوصول إلى النفط العراقي، فكل ما كان عليها القيام به هو إنهاء العقوبات، كما كان يطالب به كثير من الناس لأســباب إنسانية. وفي هذه الحالة، كان صدام حســين سيســعد ببيع النفط لجميع القادمين لأنه كان بحاجة ماســة إلى الدخل، كما كان سعر النفط سينخفض مع عودة الإنتاج العراقي إلى السوق الدوليــة من جديد. ويمثــل الأمن دافعا لا يمكن الدفاع عنه على حد ســواء. لقد هزم صدام حســين في حرب الخليج، على الرغم من أنه تمكن من إعادة فرض سلطته داخل العراق. كانت قواته الجوية وشــبكة دفاعه الجوي في حالة من الفوضى، كما تم فرض مناطق من «الحظر الجوي» فوق المناطق الشــيعية والكردية في العراق، والتي أشرفت على تنفيذها منظمة حلف شــمال الأطلسي عن طريق تســيير طلعات جوية متكررة. استمرت الأمم المتحدة في فرض العقوبات الاقتصادية ومنع وصول أي مواد استراتيجية يمكن أن تســاعد في تطوير أسلحة الدمار الشــامل. عمد صدام مرارا وتكرارا إلى تقييد عمليــات التفتيــش وطرد مفتشي الأمــم المتحدة، لكن لم تكن هنــاك أي أدلة موثوق فيها على أنه عاود جهوده الســابقة للحرب لامتلاك ترسانة نووية. ومع ذلك، فقد ظل هنــاك شريط من عدم اليقــين، وبالتالي كان من المعقول، بل من الحكمة، إرغام صدام حســين على الســماح بعودة فرق التفتيش الدولية وتمكينهم مــن الوصول غير المقيد. عمل الحشد العســكري الأمريكي على تحقيق هذا الهدف، لكن مفتشي الأمم المتحدة لم يعثروا على أي أدلة تدعم الادعاءات الأمريكية بأن العراق كان يســعى إلى الحصول

على أسلحة الدمار الشامل. من المحتمل أن صدام حسين كان سيتراجع عن موافقته بمجرد ابتعاد القوات الأمريكية، لكنه كان سيعمل حينئذ لمصلحة إدارة الرئيس جورج بوش، فمثل هذه الخدعة كانت ستضفي بعض المصداقية على ادعاءاتهم أنه لا يخطط لخير، مما كان سيسهل على واشنطن الحصول على تفويض من مجلس الأمن لإزاحته عن السلطة [30]. وفي غياب أسلحة الدمار الشامل وقوة جوية ضاربة، وفي وجود جيش سيئ التجهيز والتدريب، كان صدام يمثل إزعاجا أكثر منه تهديدا لجيرانه المباشرين. كان هذا هو الموقف الذي اتخذه كل من وزير الخارجية كولن باول، وجيمس بيكر Baker، ولورانس إيغلبرغر Eagleburger (وكلاهما كان وزيرا للخارجية في عهد جورج بوش الأب)، وزعيم الأغلبية الجمهورية ديك آرمي Armey، ومستشار الأمن القومي السابق برنت سكوكروفت Scowcroft، والجنرال المتقاعد بسلاح مشاة البحرية أنتوني زيني Zinni [31].

تمثل الهدف من غزو العراق في استعراض القوة العسكرية والإرادة السياسية الأمريكية، وبعث رسالة مفادها القوة والعزم إلى مجموعة متنوعة من الجماهير في الشرق الأوسط. وباعتباره إنذارا موجها إلى دول معادية مثل إيران وسورية، كان من المفترض أن يدلل الغزو على السهولة التي يمكن لواشنطن بها إسقاط الأنظمة وإقامة حكومات صديقة. وللسبب نفسه، كان من المتوقع أن يجعل المملكة العربية السعودية، والأردن، والفلسطينيين أكثر مرونة. وبمعنى أكثر عمقا، كان غزو العراق جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية، التي يتبناها المحافظون الجدد جهارا وتحظى بتأييد واسع داخل الإدارة، المتمثلة في العمل بحزم في عالم لا تلوح في أفقه معارضة جدية، ومن خلال القيام بذلك، ترسيخ مكانة الولايات المتحدة باعتبارها القوة المهيمنة الوحيدة في العالم [32]. كان نائب الرئيس ديك تشيني Cheney يشعر بالخزي جراء الفشل الأمريكي في فيتنام.

لذلك فقد أراد انتصارا عسكريا من شأنه أن يمحو وصمة العار، كما يعمل أيضا على تحرير السلطة التنفيذية من القيود المتبقية التي فرضت عليها في أعقاب الحرب [33].

تطرح هذه الحالات العديد من الاستنتاجات المتعلقة بالروح باعتبارها سببا للحرب. أولا وقبل كل شيء، هناك الأهمية المستمرة للروح كدافع رغم تحول الأنظمة وطبيعة العلاقات الدولية على مدى القرون الأربعة. حتى الثورة الفرنسية والحروب النابليونية،

كانت الروح تمثل السـبب الرئيسي للحرب بالنظر إلى أهمية الشرف والمكانة بالنسـبة إلى الملوك والأرسـتقراطيين، كما كانت الحرب هي الوسـيلة الرئيسـية لنيل الشرف والمكانة بالنسـبة إلى كل من الدول والأفراد. وقد عمل الشرف بطريقة مماثلة على مستوى الدولة والفـرد: كانت هناك أنـواع معينة من الإهانـات والتحديات التي تلزم الأرسـتقراطيين، وخاصة ضباط الجيش، بالسـعي إلى الترضية عن طريق المبارزات [34]. كانت الدول تعتبر أشـخاصا، وكان عليها أن تدافع عن شرفها عن طريق الحرب. وقد ظهر التمسـك بالشرف بقوة في الاسـتجابة الفرنسـية لبرقية إيمز التي أعلن بسـمارك فحواها، والتي تسـببت في الحرب الفرنسية - البروسية، وعلى حد زعمي، في الاستجابتين النمساوية والألمانية لعمليتي الاغتيال في سراييفو.

وفي غضون السـنوات المائة الماضية أصبحت العلاقة بـين الروح والحرب مباشرة أكثر وأشد تعقيدا. في الحرب العالمية الأولى، كانت مخاوف الإمبراطور النمساوي والقيصر الألماني ومستشـاريهما العسكريين فيما يتعلق بشرفهم الشخصي وبشرف بلادهم، تمثل دافعا قويا للحـرب، لكـن كذلك كانت أيضا الرغبة في نيل الشرف من قبل الطبقات المتوسـطة. كان هذا الأخير يعزى إلى القومية والطبيعة الغريبة للعلاقات الطبقية في وسـط أوروبا، والتي تمنع الطبقات المتوسـطة من نيل الشرف والمكانة، مما يؤدي - وياللسـخرية - إلى تكثيف تعاطفهم مع الدولتين الألمانية والنمسـاوية، باسـتثناء بعض الأقليات الوطنية. شجع هذا التعاطـف جهود الأفراد لتعزيز احترامهم للذات من خـلال إنجازات الدول التي ينتمون إليها. وبالتالي فقد تلقى القادة الذين يتسمون بالعناد دعما سياسيا واسع النطاق، والذي من دونه ربما كانوا أكثر تحفظا.

كانـت الحرب العالميـة الثانية مختلفة من حيث إن أيا من القادة المشـاركين فيها لم يكـن مدفوعا بالـشرف: كانت أهداف هتلـر مرضية، فيما كان موسـوليني انتهازيا فجا. وحدهم القادة اليابانيون يمكن أن يقال إنهم كانوا مدفوعين جزئيا بمفهوم للشرف. كانت التحديات التي واجهتها الصين والاتحاد السـوفييتي، والتي بدأها الجيش الياباني، جزءا لا يتجزأ من اسـتراتيجيتهم للتوسع وتوطيد سـلطتهم في الوطن [35]. ومع ذلك، فقد استغل الزعماء الألمان والإيطاليون واليابانيون ذلك الاحترام المتدني الذات لدى شـعوبهم للوصول إلى السـلطة وتحقيق أهدافهم المتعلقة بالسياسـة الخارجية. فقد ازدادت شـعبية هتلر بسـبب إقدامه على «تحرير» إقليمي سـار وراينلاند، والاتحاد مع النمسا، وضم إقليمي

ميمل وســوديتنلاند، ووضع إقليمي بوهيميا ومورافيا تحــت الحماية. لكن، على النقيض تماما مما كان عليه الوضع في العام 1914، لم يكن هناك حماس كبير للحرب لدى الشعب الألماني في العام 1939 [36].

يخبرنــا الغزو الأنجلو - أمريكي للعراق بأمــور مهمة بخصوص وجهات النظر المتزايدة التقييــد حول الظــروف التي يمكن بموجبها لدولة ما أن تســتخدم القوة على نحو مشروع ضــد دولة أخرى. في خريف العام 2002 وفي فبرايــر 2003 لم تتمكن الولايات المتحدة من الحصول على موافقة مجلس الأمن على إصدار قرارات يمكن أن تسمح لها باستخدام «جميع الوســائل الضرورية» لإجبار العراق على التخلي عن جميع أســلحة الدمار الشــامل. كانت فرنســا وألمانيا وروســيا، بدعم من الحكومات الأخرى، ترى أن الإقدام على عمل عســكري ســابق لأوانه [37]. أدى التزام إدارة بوش بشــن الحرب في غياب تفويض من الأمم المتحدة إلى خســارة جســيمة للدعم في جميع أنحاء العالم. في اســتطلاع للرأي أجرته على قرائها في جميع أنحاء العالم، ســألت مجلة «تايم» عن البلد الذي «يشكل أكبر تهديد للسلام العالمي في العام 2003». حصلت كوريا الشمالية على نسبة 6.7 في المائة ممن أجابوا عن الاستبيان، وعددهم 700 ألف، وحصل العراق على نسبة 6.3 في المائة، فيما حصدت الولايات المتحدة نسبة مذهلة بلغت 86.9 في المائة [38]. إن غزو العراق، وإساءة معاملة السجناء العراقيين، وقتــل المدنيين باعتباره ضررا جانبيا، واحتجاز الرعايا الأجانب لســنوات من دون تهمة في غوانتانامو، و«التســليم الاستثنائي» للســجناء إلى دول تعرضوا فيها للتعذيب للحصول على معلومــات، أدت إلى انخفاض أكــثر سرعة في مكانة الولايات المتحدة. وفي بريطانيا، انخفض عــدد ذوي الآراء المؤيدة للولايــات المتحدة من 83 في المائة في العام 2000 إلى 56 في المائة في العــام 2006. وفي البلــدان الأخرى تعرضت الولايات المتحدة لانحدار أكثر حدة [39]. وفي العام 2007 وجدت شــبكة BBC العالمية أن 51 بالمائة ممن شملهم الاستطلاع في 27 بلدا كانوا ينظرون إلى الولايات المتحدة بصورة سلبية، في حين أن 48 في المائة فقط كانت لديهم النظرة نفســها بالنسبة لكوريا الشــمالية[40]. ومنذ حرب العراق، شهدت الولايات المتحدة تحولا في صورتها من قوة الوضع الراهن إلى قوة مستبدة[41].

ويمكــن أخذ الانخفاض الحاد في مكانة الولايــات المتحدة في عيون العالم كدليل على حــدوث تحول جــار في عصر ما بعد الحــرب الباردة حول طبيعة المكانــة. طوال قرون، ظلت القوة العسكرية وتحقيق الانتصارات على الخصوم هي ما يمنح المكانة، إن لم يكن

الـــشرف. وما العراق إلا أحدث مؤشر على أن اســتخدام القــوة - حتى لو نجح - لا يعزز المكانة ما لم يتم استخدامه لأغراض يعتقد المجتمع الدولي أنها مشروعة، على أن يتم ذلك بالتزامــن مع عقوبــات تفرضها الأمم المتحدة أو الهيئات الدوليــة المعنية. لقد تراجعت الهيبــة الأمريكية حتى قبل بداية التمرد، أي حتى عندما كانت تبدو كمنتصر عســكري لا لبس فيه. بيد أنه من الســابق لأوانه اســتنتاج أن المكانة من ناحية، واســتخدام القوة مــن الناحية الأخرى، قد تباعدتا تمامــا - لكن التوتر بينهما صار أكثر حدة بكل تأكيد. إن التفاهمات الموضوعية حول شرعية أهداف السياسة الخارجية والوسائل المناسبة لتحقيق تلك النتائج تؤثر بشــكل كبير في تشــكيل طبيعة الأنظمة السياســية الإقليمية والدولية. ووفقا لذلك، فإن التغيرات الحادثة فيما يُعتبر مشروعا ومناســبا تمتلك القدرة على إعادة صياغة سلوك تلك الجهات إلى الحد الذي تُعد فيه المكانة مهمة بالنسبة إليهم، كما نعلم أنه الحال بالنســبة إلى معظم الأفراد والــدول. وكما جادلت في مطبوع آخر، فإن تغيرات السلوك تحرض على حدوث تغيرات في الهويات لأننا نراجع مفاهيمنا حول أنفسنا لجعلها تتــماشى مع ســلوكنا [42]. ويمكن للتغــيرات الحادثة في هويات عــدد كاف من الفاعلين المهمــين أن تبدل طبيعة النظام الــدولي [43]. وإذا حدث مثل هــذا التحول، فلربما نظرنا وراءنا إلى حرب العــراق، ليس باعتبارها نقطة تحول، ولكن كحدث جعلنا نُدرك أن مثل هذه العملية قد بدأت بالفعل.

وإلى الحــد الذي لم تعُد فيه الحرب تمثل وســيلة فعالــة للمطالبة بالشرف أو المكانة، يجب على الدول اســتخدام أدوات أخرى من أجل تحقيق هاتين الغايتين. لم تكن الحرب هي الوســيلة الوحيدة لنيل المكانة أو بلوغ منزلة القوة العظمى. ففي النصف الثاني من القرن الســابع عشر تزايدت أهمية الاســتعراض، على الرغم من أنــه لم يقلل من جاذبية الحرب. وبالســير على خطى أسرة هابسبورغ الإسبانية، التي كان يسعى للاستئثار بمنزلتها الريادية لفرنســا، أنفق لويس الرابع عشر مبالــغ طائلة على القصور، والحدائق، والفنون، والعلوم. وقد حذا حذوه الملوك الآخرون، وكذلك فعل العديد من كبار أعضاء طبقة النبلاء الأوروبية. وخلال القرن التاســع عشر أصبحت الأعمال الهندسية العمومية وحركة التعمير والتجميل داخل المدن، والمســتعمرات والأســاطيل، والفوز في المنافسات الرياضية الدولية مُهمــة على نحو متزايد. وفي النصــف الثاني من القرن العشرين ارتبطــت المنزلة بالثروة، والميداليات الذهبية الأولمبية، وجوائز نوبل، والأسلحة النووية، واستكشاف الفضاء. وحتى

وقت قريب كان الاستعراض بجميع أشكاله ثانويا للنجاح العسكري كوسيلة لنيل المكانة والاعتراف ببلدٍ ما كقوة عظمى. ومن الناحية التاريخية، عادة ما كان النجاح العسكري تعقبه زيادة في الإنفاق على الاستعراض. وقد سعت معظم الدول الطامحة إلى منزلة القوى العظمى أيضا إلى إثبات استعدادها لتقبل مسؤوليات المحافظة على النظام، والتي ارتبطت بالقوى الكبرى بعد مؤتمر فيينا.

كان مؤسسو الألعاب الأولمبية يأملون في أن تصبح الألعاب بديلا عن الحرب. وبدلا من ذلك، صارت الألعاب ساحة أخرى للتنافس المحموم على الصعيد الوطني ومصدرا للتوتر الدولي في حد ذاتها. حاول النازيون استغلال دورة الألعاب الأولمبية التي نظمت في برلين في العام 1936 لتسليط الضوء على الحزب النازي والتفوق «الآري». وفي أولمبياد موسكو عام 1980، نظم الأمريكيون حملة مقاطعة ردا على الغزو السوفييتي لأفغانستان، وضغط أميركا على ستين دولة أخرى للانضمام إليها. بدورهم، قاطع السوفييت و13 بلدا آخر من بلدان الكتلة الشرقية دورة لوس أنجلوس للألعاب الأولمبية عام 1984. وفي دورة الألعاب الأولمبية التي نظمت في ميونيخ عام 1972، سعى إرهابيون فلسطينيون للترويج لقضيتهم عن طريق قتل أحد عشر رياضيا ومدربا إسرائيليا وشرطي ألماني.

إلا أن أشكالا أخرى من التنافس كانت أكثر نجاحا. تمنح جوائز نوبل مكانة رفيعة، ليس فقط للعلماء والأطباء والكتاب الفائزين بها، وإنما أيضا للدول التي ينتمون إليها. وقد اتضح هذا اعتبارا من عشرينيات القرن العشرين، عندما ادعت كل من ألمانيا وسويسرا أن آينشتاين Einstein كان من رعاياها بعد حصوله على جائزة نوبل في الفيزياء. وتمثل المنزلة المرموقة واحدة من العديد من الحوافز التي تقدمها الدول لرعاية العلوم والطب والفنون، ولجميعها آثار مفيدة مُهمة بالنسبة إلى البشرية بشكل عام. تمثل الإعانات والمساعدات التنموية بدورها مطالبة بالمنزلة، على الرغم من أنها كثيرا ما تكون مدفوعة بدوافع أخرى أيضا. تُعد الدول الاسكندنافية، وألمانيا، وبعض الأعضاء الآخرين في الاتحاد الأوروبي، واليابان من بين الدول الرائدة في تقديم المساعدات الخارجية مُقاسة كنسبة مئوية من الدخل. تسعى كل من هذه الدول لنيل المكانة على أساس التزامها بالسلام والمساهمة في الخير العام للبشرية، لكن مطالبها هذه لم تلق آذانا صاغية، فقد أظهرت دراسة استقصائية أجريت في العام 2006 عبر ثلاثة وعشرين بلدا تفضيلا قويا لأن تصبح أوروبا أقوى نفوذا من الولايات المتحدة [44].

وإذا كان بوســع الدول اكتساب منزلة رفيعة من دون أن تصبح قوى عسكرية كبرى، وتفقدها إذا أنفقت أكثر من اللازم على آلتها العسكرية، أو استخدمتها بطرق غير ملائمة، فسنحتاج إلى الفصل بين مفهومي القوة والمنزلة الرفيعة ودراستهما بشكل مستقل. صارت النظم السياســية الإقليميــة، والنظام الدولي بالتبعية، ســاحات للتنافــس، حيث تطالب مجموعــة متنوعة من الجهات الفاعلة - التي ليســت كلها دولا بــأي حال من الأحوال - بالمكانة على أساس معايير متنوعة. تقوم الدول باستثمار مبالغ كبيرة في الترويج لمطالباتها وتبريرها، كما تبذل جهودا لإبهار الدول الأخرى. إن التنوع المتزايد في المطالبات بالاعتراف، والانخفاض المحتمل في الأساس العسكري والاقتصادي التقليدي لنيل المكانة، يشير إلى توتر متزايد بين المعايير غير الرســمية المستخدمة من قبل العديد من الحكومات والشعوب في منح المكانة، والاعتراف الأكثر رســمية الذي تمنحه المؤسســات الدولية مثل مجلس الأمن ومجموعة الثمانية G-8.

مــن المرجح أن يعمــل النجاح في نيل الشرف والمكانة بوســائل لا علاقــة لها بالقوة العسكرية على تشجيع الدول الأخرى على أن تحذو حذوها، وأن تستثمر المزيد من الموارد لتحقيق هذه الغايات. وإذا تحقق هذا التطور، فســيدفع التنافس على المكانة بعيدا عن الحرب وباتجاه المجالات الأخرى.

الانتقام

يمثــل الانتقام revenge تعبيرا عــن الغضب، والذي - كــما جادلت في الفصل الرابــع - يتم تحريضه عموما بتوجيه الإهانات إلى مكانة المرء. والانتقام أيضا تعبير عــن الروح، لكنني أرمزه كفئة متميزة لأن ظــروف تحريضه تختلف عن تلك التي تُشــعل الحروب التي تهدف إلى تعزيز مكانة الدولة أو الحاكم. وفي بعض الأحيان، يتواجد دافعا الانتقام والمكانة في الوقت نفسه، بل يعزز كل منهما الآخر، كما فعلا عــلى ما يبدو في الحرب الهولندية التي خاضهــا لويس الرابع عشر والغزو الأنجلو-أمريكي للعراق.

وكان الانتقــام الدافــع الرئيسي في 11 حربا (10 في المائة مــن المجموع). تمثل هدف الغالبيــة الســاحقة من هــذه الحــروب في اســتعادة أراض مفقودة من طــرف مهاجم في حــرب ســابقة. وقد بدأتها قــوى آفلة أو ضعيفة ضد قوى صعــدت مؤخرا إلى مصاف

القــوى العظمى. وفي معظم الأحيان، فقدت الدول البادئة مزيدا من الأراضي نتيجة لهذه الحروب، كما فعلتْ الدولة العثمانية في عام 1812 عندما اضطرت للتنازل عن بيســارابيا Bessarabia إلى روسيا.

وعانت الســويد من مصير أسوأ عندما حاول تشارلز الثاني عشر معاقبة دول البلطيق في عــام 1700. أدى الدعم الروسّي لخصومه إلى إقدامه على شــن غزو غير مُعد له وكارثي لروســيا، والذي أسفر عن خسارة السويد لهيمنتها الإقليمية. وتزودنا الحروب التي بدأتها قــوى ضعيفــة وآفلة بمزيد من الأدلة على أن القادة الغاضبــين لا يُجرون تقديرات دقيقة للخطــر. وتتضح هــذه الظاهرة بأوضح صورة في حالة القــوى الضعيفة والآفلة، التي كان ينبغي أن يُنظر إلى انتصارها على الدول الأقوى باعتباره أمرا مشكوكا فيه منذ البداية.

دارت ســبع حروب انتقاميــة في القرن الثامن عشر. وقد بدأت ســت منها من قبل الســويد وتركيــا وبولندا ضد روســيا، التي جاء صعودها على حســاب تلــك الدول. وفي القــرن العشرين، هناك ثلاث حروب فقط يمكن وصفهــا بأنها انتقامية. كان الانتقام من الاعتبــارات المهمة في هجوم بولندا على الاتحاد الســوفييتي في العام 1919، الذي هدف إلى قلب نتائج التقســيمات الســابقة واســتعادة الحدود الشرقية للإمبراطورية البولندية القديمة [45]؛ وكان حافزا للمجلس العســكري الأرجنتينــي لغزو جزر فوكلاند/ مالفيناس وحافزا مماثلا للبريطانيين لتحريرها. تم طرد المســتوطنين الأرجنتينيين من جزر مالفيناس في العام 1831، وسيطرت بريطانيا على تلك الجزر في العام التالي. وعلى حد تعبير صحيفة الأرجنتــين الرائدة، لا برينســا La Prensa، فقد مثل الاحتــلال البريطاني لجزر مالفيناس «إهانــة لا تحتمل لاســتقلال الأرجنتين وســيادتها القومية»[46]. كان الغضب الشــعبي والحكومــي ضد البريطانيــين عارما، وارتفع إلى درجة الغضــب عندما فُهم أن مفاوضات تاتشر مع المجلس العســكري الأرجنتيني تمثل جزءا من استراتيجية مزدوجة لتجنب حل النــزاع. من وجهة نظــر البريطانيين، كان الغزو غير المتوقع لجــزر فوكلاند من قبل دولة ضعيفة نســبيا بقيادة طغمة عسكرية بغيضة مثيرا للغضب وغير مقبول، خاصة بالنسبة إلى رئيسة وزراء بريطانيا[47].

وكان الانتقــام محوريا بالنســبة إلى هجوم مصر وســورية عــلى إسرائيل في العام 1973، إذ ســعى كلا البلدين لاســتعادة الأراضي التي خسراها عام 1967. كان الرئيس المــصري أنور الســادات يأمل أيضا في اســتخدام الحرب لإجبــار إسرائيل على التوصل

إلى تسـوية، والتي اعتبرها شرطا أساسـيا لتمكين الإصلاحات الداخلية أو إعادة ترتيب علاقات مصر الاقتصادية والسياسـية مع الغـرب [48]. وكذلك فإن التدخل الأمريكي في أفغانسـتان في العام 2001 يمكن اعتباره أيضا، على الأقل في جانب منه، حربا انتقامية. أحدثت هجمات الحادي عشر من سـبتمبر جرحا جسديا ونفسيا في الولايات المتحدة، إذ إن تنظيـم القاعـدة قتل عددا كبـيرا من الناس، على الرغم مـن أنه يقل كثيرا عن التقديرات الأولية.

لقـد دمروا معلما رئيسـيا - أي مركز التجارة العالمي، وهـو رمز للقوة الاقتصادية الأمريكية - وألحقوا أضرارا بمبنى أكثر قدسية - أي وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وهي مركز القوة العسـكرية الأمريكية. لم تُنفذ هـذه الهجمات من قبل دولة أخرى، ولكـن من قبـل عصابة همجية مـن الإرهابيين الشرق الأوسـطيين، الأمر الذي جعل الجريمة غير مُحتملة أكثر. إن نجاح مثل هذا العدو التافه في مهاجمة الولايات المتحدة أثار الغضب بالمعنى الأرسـطي، ومن ثم حفز رغبة قوية في الانتقام. كما أنه سرعان ما بات واضحا أن الهجمات الإرهابية قد نجحت بسبب رفض المستويات الحكومية العليا أن تأخذ على محمل الجد التهديد الذي يمثله الإرهاب، وكذلك انعدام الكفاءة الملحوظ من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) [49]. نجحت الإدارة في استغلال الغضب الأمريكي، ومن ثم تشتيته بعيدا عن نفسها وباتجاه صدام حسين.

وقد صارت الإهانة والغضب الناجم عنها أشـد حدة بسبب فشل إدارة بوش في قتل أسامة بن لادن أو تقديمه إلى العدالة. وبالنظر إلى الاهتياج العام في أعقاب تلك الهجمات - وهو شـعور تشاركته الإدارة الأمريكية مع الشـعب - تعرض الرئيس لضغوط من أجل ضرب جهـة ما. وفي هـذه الحالة كانت أفغانسـتان هدفا واضحا. إن اسـتهداف تنظيم القاعـدة باعتباره جماعة إجرامية، والذي يتـم بأفضل صورة من خلال إجراءات الشرطة المعيارية وذلـك بالتعاون مع الحلفاء والأطراف الثالثة الأخرى، ربما كان منطقيا أكثر من الناحية الاسـتراتيجية، لكنه ربما تم اعتباره خيارا سياسيا أكثر تكلفة. جاء الانتقام في هذه الحالة نزولا على رغبة الرأي العام المحلي، وليس لاعتبارات متعلقة بالسياسـة الخارجية، لذلك قمت بترميزها ضمن الأسباب «الأخرى». وكما أشرت إليه سابقا، فقد رغبت الإدارة أيضا في شن «حرب ضد الإرهاب» باعتبارها وسيلة لتهيئة الرأي العام وبناء الدعم للحرب ضد العراق.

ومن المحتمل أن الغضب دخل إلى المشـهد بطريقة شخصية أكثر بالنسبة إلى الرئيس عندما حثه مستشـاروه على الإطاحة بصدام حسين. كان من الممكن لاحتمال انتقامه من الرجـل الذي يزعم أنه حاول اغتيال والده، أن يثلج صدره بصفة خاصة. وفي حملة لجمع التبرعات جرت في سبتمبر 2006 في ولاية تكساس، وصف بوش كيف يقوم صدام بتعذيب العراقيين، واستخدام الغاز ضد معارضيه الأكراد وغزوه لإيران. ثم جاءت النقطة الفاصلة، عندمـا قال لجمهوره: «في نهاية المطاف، هذا هو الرجل الذي حاول قتل والدي في إحدى المرات»[50]. تفيد مصادر اسـتخباراتية غير محددة الهوية بأن تشـيني لعب على اهتمام بوش بإبهار والديه عن طريق «تجميل» المعلومات الاستخباراتية بحيث يمكن استخدامها لدعـم فكرة إقدام صدام على محاولة اغتيال والده. وإذا كان الأمر كذلك، فمن الجائز أن الغضب والرغبة في الانتقام قدما حافزا آخر لبوش للتفكير في غزو العراق[51]. هل يحتمل أن غضب بوش، مثله في ذلك مثل أخيل في الإلياذة، قد ساعد على توجيه الحبكة الدرامية لهذه القصة؟ وفي غياب الأدلة، لا بد من أن تبقى هذه مجرد تكهنات.

بـدأت غالبية الحروب ذات الدوافع الانتقامية كرد على هزائم سـابقة أدت إلى فقدان للأراضي. وقد بدأت هذه الحروب من قبل قوى صاعدة تسـعى للاعتراف بها كقوى عظمى بحكـم الأمر الواقع. لقد ولى العهد الذي كان فيه غزو الأراضي ممكنا بل يمثل وسـيلة لنيل المكانـة. وقد جادلت في الفصل الخامس بـأن تكلفة الغزو قد ارتفعت، وكذلك القدرة على الاحتفاظ بالمناطق المحتلة واستخراج الموارد منها. وباعتبار أن الغزو أقل جدوى وأقل مثوبة من حيث المكاسب الاقتصادية والنفسية، فقد تراجع كثيرا. لقد فشلت المحاولتان الأخيرتان للغـزو: إذ طردت الأرجنتين من جزر فوكلاند/ مالفيناس، وكذلك أُخرج العراق من الكويت. وفي غياب حروب الغزو، يفقد الانتقام محفزه الرئيسي. وعلى أي حال، وكما تشير إليه حالتا أفغانسـتان والعراق، فلا يزال من الممكن أن يثير الغضب الأرسـطي مبادرات عنيفة يمكن اعتبارها حروبا انتقامية، سواء قام القادة بصياغتها بهذه الطريقة بوعي منهم أم لا.

الحروب الأخرى

قمت بإدراج سـبع حروب ضمن هــذه الفئة المتبقية. وهي تشـمل حربين بدأتهما جماعـات أو فصائل، وليس الحكومـات المركزية ذاتها؛ وهما الحـرب البولندية - التركية لعام 1671، التي بدأها القوزاق الذين يعيشـون على طول الحدود، والمواجهة اليابانية -

السوفييتية لعام 1938، والتي نجمت عن غارات جيش الكوانتونغ الياباني غير المصرح بها على منغوليا. أطلق السوفييت هجوما مضادا جيد التنسيق، على طريقة الحرب الخاطفة، علــى مقربة من بحــيرة نومونهان Nomonhan، مما أدى إلى ســحق جيــش الكوانتونغ وارتداع زعمائه عن القيام بأي عمليات توغل أخرى في منغوليا [52].

أما الحالة الشــاذة الأبرز فهي غزو هتلر لبولنــدا في عام 1939 وغزواته اللاحقة على أوروبــا الغربية، ومنطقة البلقان والاتحاد الســوفييتي. وكــما أشرت إليه في الفصل الثاني، يعــزو بعــض العلماء إلى هتلر عددا من الدوافع العقلانية. قــام العديد من مؤيدي فكرة الــردع بوصف هتلر باعتباره باحثا عن المكاســب ومعرضا للخطر، والذي كان من الممكن إيقافــه لو كانت فرنســا وبريطانيا قد وقفتا صامدتين فحســب. ويصف واقعيون آخرون توسعه على أنه مبني على الخوف: فمن المعقول تماما أنه حاول إذلال الاتحاد السوفييتي قبل أن يتجاوز ألمانيا في القوة [53]. وباستثناء اعتراف هتلر بأنه لا يستطيع تحدي الولايات المتحــدة قبل أن يصبح ســيدا لا ينــازع في أوروبا، هناك دلائل قليلة عــلى أن التقديرات الطويلة المدى لتوازن القوى بين ألمانيا وخصومها قد دخلت في حســاباته [54]. هناك شيء مقلــق، على أقل تقدير، حــول الجهود المبذولة لجعل اعتداءات هتلر تبدو كاســتجابات عقلانيــة للمعضلة الأمنية في ألمانيا. كان هتلر عازما على فتح أوروبا ومن ثم العالم، وعلى إبادة اليهود والغجر، والمثليين جنســيا، ومعظم السلافيين. يجب النظر إلى هذه الأهداف باعتبارهــا غير عقلانية من الناحيتــين الموضوعية والذرائعية، إن لم تكن مجنونة تماما [55]. من المؤكد أن الانتقام قد دخل في الصورة، وخصوصا في هجمات هتلر على بولندا وفرنسا. ومن الأدلة الدامغة على هذه الأخيرة إصرار هتلر على أن يتم توقيع استســلام فرنســا في عربة السكك الحديدية نفسها في كمبين Compiègne حيث أجبر المارشال فوش الجنرالات الألمان على التوقيع على الهدنة في نوفمبر 1918. وبعد ذلك، قاموا بتفجير الآثار التي بناها الفرنسيون لتخليد ذكرى هذه الهدنة بالديناميت [56].

كان وليام ألكســندر كينغليك Kinglake، وهو محام ومراقب لحروب القرن التاســع عشر، مقتنعا بأن نابليون الثالث دبر حرب القرم لتعزيز «رفاهية وسلامة مجموعة صغيرة مــن الرجال الذين كانوا متكاتفين حينئذ في باريس» [57]. أما كوينسي رايت Wright، وهو مؤلف دراســة مؤثرة نشرت في العام 1942 حول أسباب الحرب، فيؤكد أن الحرب نتجت في كثير من الأحيان عن إغراء «الانغماس في حرب خارجية كوســيلة للابتعاد عن المشــاكل

الداخلية»[58]. وفي أوائل خمسينيات القرن العشرين، أكد هارولد لاسويل Lasswell أن الأنظمة الاستبدادية لديها ألفة مع العدوان الذي «يأتي من الضغوط الداخلية الناتجة عن السلطة التعسفية»[59]. وفي كثير من الأحيان يزعم بعض المعلقين المعاصرين أن القادة ينخرطون في سياسات خارجية عدوانية لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية، بيد أنني لا أجد سوى القليل من الأدلة المؤيدة لهذه الظاهرة. والمثال الأكثر إقناعا من القرن التاسع عشر هو الحرب الفرنسية البروسية، لكن الزعيم الذي خاض الحرب لأغراض سياسية داخلية كان لويس نابليون ملك فرنسا، الذي بدأ الحرب لكنه لم يحرض عليها. قدمت حاجة نابليون المستميتة إلى إشباع الافتخار الفرنسي من أجل الاحتفاظ بالسلطة فاتحة لبرقية إيمز الشهيرة، التي كان الزعيم الألماني بسمارك يعلم أنها ستشعل الرأي العام الفرنسي وتجبر فرنسا على إعلان الحرب[60]. أما حرب القرن العشرين الأقرب للتلاؤم مع هذا الوصف فهي غزو المجلس العسكري الأرجنتيني لجزر فوكلاند/ مالفيناس في العام 1982. كان المجلس العسكري الحاكم يتعرض لضغوط شديدة في الداخل بسبب سياساته السياسية والاقتصادية التي لا تحظى بالشعبية، وشعر بوضوح باضطراره ليس فقط للغزو ولكن للحفاظ على قواته الغازية في الجزيرة على الرغم من أن النية الأصلية كانت أن يتم الغزو والانسحاب في اليوم نفسه، وبالتالي إرسال إشارة قوية إلى لندن. رحبت الصحف الأرجنتينية بـ «استعادة» جزر مالفيناس بعناوين لافتة، كما أن جميع الأحزاب السياسية التي عارضت المجلس العسكري احتفلت بانتصاره الظاهري. ودعت النقابات العمالية التي تظاهرت ضد المجلس العسكري قبل أسبوع أعضاءها للعودة إلى ساحة مايو لدعم سياسته الخارجية. من الواضح أن المجلس العسكري الحاكم كان مدفوعا بقضية المكانة، فضلا عن السياسة الداخلية. وقبل أن يصبح وضعه الداخلي غير مستقر تماما، سعى المجلس إلى استعادة جزر مالفيناس عن طريق الدبلوماسية الصبورة، وعندما فشلت تلك الطريقة لجأ إلى الضغط العسكري[61].

في بعض الحروب لا بد من النظر إلى السياسة الداخلية كحافز ثانوي مهم. في العام 1914 كان القادة النمساويون والألمان، على الرغم من تشاؤمهم فيما يتعلق باحتمالات الانتصار، يعتقدون أن الحرب لن تجلب مكاسب محلية مفيدة. توقع الزعماء النمساويون أن يؤدي الانتصار إلى تخويف الأقليات القومية، في حين توقع القيصر الألماني وهيئة الأركان العامة أن يمنحهم ذلك اليد العليا في تعاملهم مع الاشتراكيين

الديموقراطيين[62]. ومن الممكن أيضا أن الاعتبارات السياسية الداخلية قد تدخلت في قرار إدارة بوش حول غزو أفغانستان. كنت جادلت في مكان آخر بأن الحافز الرئيسي لها كان تهيئة الشعب الأمريكي لغزو العراق، وهو الهدف الذي أضمره تشيني ورامسفيلد منذ وصولهما إلى السلطة [63].

أما الحالات الثلاث المتبقية فهي شاذة بسبب الأطراف البادئة لها، وليس بسبب دوافعها. بدأت الحرب التي نشبت في العام 1857 بين بلاد فارس وبريطانيا من قبل قوة ضعيفة ضد قوة أخرى ضعيفة، وحرضت على حرب غير مقصودة مع قوة عظمى. وفي المرحلة الافتتاحية من حرب البلقان لعام 1913، تألبت قوى ضعيفة (دول البلقان) على قوة عظمى آفلة (الدولة العثمانية)، والتي كانت منهمكة في حرب أخرى. وقد انجرت الدولة العثمانية إلى المرحلة الثانية من الحرب كذلك، التي تحالفت فيها مع خصومها السابقين من دول البلقان ضد بلغاريا. وفي جميع الحروب الثلاث، يمكن تمييز دوافع الأطراف البادئة من حيث الخوف، أو المصلحة، أو المكانة.

الحرب في المستقبل

إن مراجعتنا للدوافع تبعث على التفاؤل، فقد فقدت كل الدوافع جاذبيتها كسبب للحرب. ويبدو هذا أكثر وضوحا في حالة المصلحة. كانت الحروب القائمة على المصلحة إلى حد كبير نتاجا لعصر المركنتيلية، وظلت محتملة الوقوع مادام بالإمكان دفع تكلفتها من الفتوحات. كان آخر الفتوحات الناجحة هو غزو الصين للتبت في العام 1950، واحتلال الهند غوا Goa في العام 1962، ولكل منهما ما يبرره كواحدة من الحركات التحررية في مرحلة ما بعد الاستعمار. وعلى النقيض من ذلك، فإن غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية في العام 1950، وغزو أوغندا لتنزانيا في العام 1978، وغزو العراق لإيران في العام 1980 وللكويت عام 1990 وغزو الأرجنتين لجزر الفوكلاند العام 1982 قد تم صدها جميعها. أما الغارات الأخرى التالية للحرب، والتي لم يقصد بها أن تكون فتوحات، فلم تكن أكثر نجاحا على وجه العموم [64].

ليس الفتح هو التعبير الوحيد عن المصلحة المادية: فالدول تتصارع بشكل روتيني على الموارد الطبيعية، وخصوصا النفط البحري. ومن الممكن للمصالح البيئية أيضا أن تخلق صراعات حادة. وعلى أي حال، فإن النزاعات على صيد الأسماك وعلى الجزر المتنازع عليها

في الرفوف القارية الغنية بالنفط لم تتصاعد حتى الآن لأكثر من استخدام الحد الأدنى من القوة بهدف التلميح إلى الحل، وتحسين الموقف التفاوضي للدولة المعنية [65]. ولا يمكن استبعاد نشوب صراعات أكثر خطورة في المستقبل، رغم أنها سوف تصبح مدمرة ومكلفة على نحو متزايد إلى الحد الذي ترتبط به الأطراف المعنية بمستويات عالية من التجارة والاستثمار. وحتى عندما لا يكون الحال هذا، فقد يتسبب القتال في عرقلة الأنشطة التجارية الأخرى ويثبط المستثمرين الخارجيين.

وبالإضافة إلى ذلك، تبدو حروب الانتقام على نحو متزايد كأنها من آثار الماضي. كان معظمها استجابات فاشلة وعاطفية لحركات التوسع الإقليمي السابقة، والتي أقدمت عليها القوى الصاعدة. ومن الممكن أيضا أن تنشب الحروب الانتقامية بسبب الإرهاب. كان قرار الإمبراطورية النمساوية المجرية بخوض الحرب ضد صربيا في عام 1914 ردا مباشرا على عملية الاغتيال المزدوجة في سراييفو، وكذلك كان الغزو الأمريكي لأفغانستان عام 2001، الذي حرضت عليه أفعال طرف فاعل من غير الدول، وهو تنظيم القاعدة. كانت لدى إدارة بوش دوافع أخرى أيضا للتدخل في أفغانستان: لقد اعتبرته مقدمة لهجوم على العراق. قدمت الحكومة الأفغانية ذريعة للغزو بإيوائها لأسامة بن لادن ورفض طرده، وهو الذي تفاخر بإعلان مسؤوليته عن الهجمات ضد الولايات المتحدة. هناك أوجه شبه مذهلة بالحال في العام 1914: كان وزير الحرب ورئيس الوزراء النمساويان يبحثان عن ذريعة لمهاجمة صربيا. صدم الاغتيالان الجمهور الناطق بالألمانية في الإمبراطورية، وكذلك القيصر الألماني. كان يُنظر إلى صربيا باعتبارها شريكة لأن جماعة اليد السوداء، وهي المجموعة المسؤولة عن الاغتيالين، تتمركز في بلغراد وكان قادتها من المسؤولين العسكريين والمدنيين [66]. ومن بين حروب القرن العشرين الأخرى التي تتناسب مع هذا النمط، نجد هجوم إسرائيل على مصر في صحراء سيناء في العام 1956، وهي ليست متضمنة في مجموعة بياناتي لأنها لا تكتنف قوة عظمى أو صاعدة. كانت إسرائيل هدفا لهجمات من قبل الفدائيين، والتي استخدمتها حكومة بن غوريون كذريعة لغزو مصر في أعقاب إبرامها لصفقة أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا. ومن بين العوامل المساهمة الأخرى في هذه القضية كان الدعم الخارجي: قامت بريطانيا وفرنسا بتنسيق هجومهما على قناة السويس ليتزامن مع غزو إسرائيل لسيناء [67].

أصبحت الحوادث الإرهابية أكثر شيوعا، وكما كانت الحال في الماضي، فكثيرا ما توجد اتصالات بين الإرهابيين والحكومات المستقرة، أو على الأقل مع العناصر المارقة منها. ارتبطت كوريا الشمالية بأعمال إرهابية في آسيا [68]، كما وقعت عدة هجمات إرهابية في الهند على أيدي مواطنين باكستانيين. وفي نوفمبر 2008، هاجم إرهابيون إسلاميون الفنادق السياحية ومحطة القطار في مومباي، مما أسفر عن أكثر من 164 حالة وفاة. اشتبهت الحكومة الهندية في وجود تواطؤ باكستاني، لكنها لم ترد عسكريا لأنها لم تكن تبحث عن ذريعة لشن الحرب[69]. لا يزال خطر الإرهاب حادا في أجزاء كثيرة من العالم، وهناك دائما احتمال - يرى معظم الخبراء أنه بعيد - لوقوع هجوم إرهابي تُستخدم فيه أسلحة الدمار الشامل[70]. وفي ظل هذه الظروف لا يمكننا استبعاد احتمال نشوب حرب انتقامية، وسيرتفع ذلك الاحتمال كثيرا إذا أمكن عزو مصدر الأسلحة المعنية إلى إحدى الدول الموردة المستعدة لذلك.

تُشير هذه الحروب المتعددة، وغيرها من الحوادث التي لم تؤد إلى حروب، إلى استنتاج مبدئي مفاده أنه من غير المرجح لأي حادث إرهابي، مهما كان مميتا، أن يشعل حربا في حد ذاته وبسببه وحده. فمن أجل أن تحرض الأعمال الإرهابية على الحروب تحتاج على الأرجح إلى تلبية ثلاثة شروط: يجب أن تثير سخط الجمهور ومطالبته بالانتقام؛ ولا بد من عزوها إلى دولة متواطئة على ما يبدو والتي يمكن الرد عسكريا ضدها؛ كما يجب أن يمتلك القادة أسبابا أخرى لملاحقة تلك الدولة أو حكومتها. ليس من الصعب تلبية الشرط الأول: من السهل إثارة غضب الجماهير ومطالبتهم بالانتقام جراء الأعمال الإرهابية التي تقتل عددا كبيرا من الناس، أو اغتيال قادة شعبيين، أو تدمير رموز وطنية أو دينية. كما أن الدول كثيرا ما تتورط في مبادرات إرهابية، فكل من صربيا، ومصر، وسورية، وإيران، وليبيا، والسودان، وباكستان، وكوريا الشمالية قد دعمت الإرهاب خلال فترة ما بعد الحرب [71]. وليس بالضرورة أن يثبُت التواطؤ إذا تمكنت الحكومات من إقناع الرأي العام بأن الدولة المستهدفة بالانتقام هي المسؤولة. تمكنت النمسا من القيام بذلك في العام 1914، وكذلك الولايات المتحدة في العام 2003 فيما يتعلق بكل من أفغانستان والعراق. أما الشرط الثالث فهو أقلها توافرا، ولهذا السبب لا تؤدي معظم الحوادث الإرهابية إلى حروب.

لا يمكننا أن نستبعد احتمال نشوب حروب انتقامية في المستقبل، فمثل هذه السيناريوهات تتقافز بسهولة إلى الذهن. ماذا لو قامت كوريا الشمالية ببيع مواد نووية إلى بلد آخر، والذي يمررها بدوره إلى إرهابيين يقومون بتفجير قنبلة قذرة في إحدى المدن

الأمريكية. أو تفكر في مجموعة متطرفة يائسة في باكستان، والتي تقوم، في وجود دعم شبه رسمي، بتنفيذ مزيد من الفظائع في الهند، مما يحرض على رد عسكري. وهناك أيضا احتمال وقوع هجوم إسرائيلي على إيران بسبب الهجمات الإرهابية التي تتم بدعم إيراني، خصوصا على خلفية ما يبدو أنه تقدم إيراني نحو امتلاك القوة النووية. وفي جميع السيناريوهات الثلاثة ستعمل الرغبة في الانتقام على تقوية الحجج التي تُطرح على أساس الأمن القومي.

وأخيرا، هناك مشكلة الحرب غير المقصودة، التي تكون في كل الحالات تقريبا نتيجة لفقدان السيطرة، ولكن قد تكون لها أسباب سياسية أو مؤسسية. وفي الأولى، يقوم المسؤولون الساخطون بتخريب السياسة القائمة أو فرض سياسة خاصة بهم. ميز فقدان السيطرة السياسية تغلغل جيش الكوانتونغ الياباني في منغوليا، وكان مسؤولا عن الحرب القصيرة، وغير المعلنة مع روسيا [72]. يمثل فقدان السيطرة المؤسسية ظاهرة أكثر تعقيدا، والتي تحدث عندما يُقدم الأفراد - الذين يعملون وفقا للأوامر، أو ضمن الحدود المقبولة لسلطتهم - على التصرف بطرق تتعارض مع، أو تقوض، أو تعرقل أهداف الزعماء الوطنيين. ينشأ فقدان السيطرة المؤسسية لأن القرارات المتعلقة بالسياسات في البيروقراطيات الضخمة كثيرا ما تكون لها نتائج غير متوقعة إلى حد كبير. ومن الأمثلة المعروفة على ذلك خطط التعبئة الألمانية في عام 1914 وجهل المدنيين بعواقبها. وخلال أزمة الصواريخ الكوبية، وقعت سلسلة من الحوادث على كلا الجانبين، والتي كانت تهدد بفقدان السيطرة، وأكثرها دراماتيكية نجاح فيدل كاسترو Castro في إقناع السلطات العسكرية السوفييتية المحلية بإطلاق النار على طائرة تجسس أمريكية من طراز U – 2 وإسقاطها، مما أسفر عن مقتل طيارها. ولحسن الحظ، لم يحرض أي من هذه الحوادث على مزيد من التصعيد، بل ربما تكون قد ساعدت في حل الأزمة عن طريق إقناع كينيدي وخروتشوف بأن الحرب باتت وشيكة [73].

وفي ثمانينيات القرن العشرين، بدأ عدد من العلماء يشعرون بالقلق بشأن احتمال نشوب حرب عرضية أو غير مقصودة بسبب الترسانات النووية الضخمة لدى كلا الجانبين، وحالة الجاهزية المرتفعة نسبيا لديهما، وطرق الاقتران الوثيق بين أنظمة الإنذار والتنبيه، والتي يمكن أن تتفاعل بطرق غير مفهومة أو غير متصورة حتى من قبل أولي الأمر والقادة الوطنيين [74]. وقد تضاءلت هذه المشكلة في فترة ما بعد الحرب، حيث أبقت روسيا

والولايـات المتحدة على قواتهما عند مسـتويات أقل بكثير مـن الجاهزية. ليس لدينا إلا قليل من المعلومات التفصيلية حول نظم القيادة والسيطرة النووية الهندية والباكستانية، كما أن لدينا الكثير من الأسباب الباعثة على القلق بالنظر إلى القرب الجُغرافي بين البلدين. وليس من المسـتبعد أن يقوم هذا الجانب أو ذاك باستباق الفعل في أزمة ما، على اعتقاد بأن الطرف الآخر يوشك على القيام بذلك[75]. وكما أشرت إليه في خاتمة الفصل الأخير، فإن السـلام العالمي يعتمد على التزامات القادة بتجنب الحرب واستعدادهم لتحمل المخاطر من أجل تحقيق هذا الهدف، بنفس قدر اعتماده على الاتجاهات العامة التي تشير باتجاه منظور عالم يسوده السلام أو بعيدا عنه.

الجزء الرابع

الخاتمة

7

الخاتمة

عندما نهاجم الحرب، يمكن القول بأنها تجعل المنتصر غبيا والمهزوم خبيثا. أما عندما نحبّــذ الحرب، فيمكن القول بأنه عن طريق إحداث هذين التأثيريـــن، فهي تجعل الأمر همجيا barbarizes، وبالتالي تجعله طبيعيا أكثر - فهي شـــتاء أو وقت إسبات الحضارة؛ وستخرج البشرية منها أقوى للخير وللشر.

نيتشه[1]

«أصبحت الحياة أكـــثر قيمة لعدة أسباب متعاضدة، مما يجعل تكلفة الحرب أكثر ترويعا»

المؤلف

قمـــت بتحليل الحرب مـــن حيث أربعة دوافع عامة - الأمن، والمصلحة، والمكانة والانتقام - والفئة المتبقيـــة من الأســـباب «الأخرى». وباســـتثناء تلك الأخرى، حيث لا توجد إلا حالات قليلـــة لدرجـــة لا يمكـــن معهـــا التعرّف عـــلى أي اتجاهـــات، فقد شهدت وتيرة الحروب المدفوعة بالمصلحة والانتقام أكبر تراجع مقارنة بتواتر الحروب بشكل عام. يُعزى

هـذا في المقـام الأول إلى انخفاض جاذبية ونجاح الغزو الإقليمـي، والذي لايزال حتى الآن هدفا حربيا رئيسـيا للحروب المدفوعـة بالمصلحة. صارت الحـروب الانتقامية أقل تواترا للسـبب نفسه: فمن الناحية التاريخية، كان هدفها الرئيسي هو استعادة الأراضي المفقودة في حروب سـابقة. تُظهر المكانة والأمن تراجعا مطلقا، لكنه ليس نسـبيا، وهو ما عزوه إلى توليفة من الأسباب المادية والفكرية. وفي الفصلين الخامس والسادس، عرضت هذه الحجة فيما يتعلق بالدوافع المنفردة، واستخدمتها كأساس للتكهنات حول احتمالية نشوب الأنواع الأربعة الرئيسـية التي قمت بدراسـتها من الحروب. وفي هذا الفصل، أقوم باستكشـاف العلاقة بين الظروف المادية والفكرية عبر الفئات المختلفة، ومن ثم سأستخدم هذا التمرين لاستقصاء بعض الأسباب العميقة لتراجع الحرب خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

الظروف والأفكار المادية

في الفصـل الخامس، جادلت بـأن الحروب القائمة على المصلحة لقيت تشـجيعا من الاعتقاديـن التوأمين بأن ثروات العالم محـدودة، وأنه يمكن تعزيز ثروة الدول عن طريق الغـزو. وقد انخفضت بشـدة وتيرة الحروب القائمة على المصلحـة عندما أدركت النخب السياسـية أنها تسـتطيع زيـادة الثروة من خلال تقسـيم العمل والتجـارة. وقد دخلت الاعتبـارات المادية بدورهـا في الصورة. كانـت الأراضي هي أكثر الأهداف الآنية شـيوعا للحروب القائمة على المصلحة. وعندما أصبح الغزو أقل قبولا وصار محفوفا بالمخاطر على نحو متزايد، تراجعت هذه الممارسـة. وظهرت على الساحة وسيلة ردع إضافية خلال فترة ما بعد الحرب؛ وهي تزايد صعوبة اسـتخراج الثروات من الأراضي المحتلة. كان هذا لايزال ممكنا حتـى الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها مباشرة. تمكن هتلر وسـتالين من تحقيق مكاسب اقتصادية من البلاد التي قام بغزوها كل منهما، على الرغم من أن أوروبا الشرقية صارت في النهاية عبئا ثقيلا على الاقتصاد السوفييتي [2] .

أثرت الاعتبـارات الماديـة ليس فقط في تواتر الحـروب القائمة على المصلحة، بل على أهدافهـا أيضـا. كانت أولى الحروب القائمـة على المصلحة في مجموعـة البيانات متعلقة بالتجارة، لكنها سرعان ما أفسـحت المجال أمام النزاعات على الأراضي. أما أشد الصراعات القائمـة على المصلحة حدة اليوم فتدور حول مصايد الأسـماك البحرية، والموارد المعدنية والبتروليـة. وعلى الرغم مـن أنها حرّضت عـلى القيام بمناورات عسـكرية، وحتى صَدْم

ramming السفن واحتلال الأراضي المتنازع عليها، فقد كانت جميع الدول المعنية حريصة على تجنب.ذلك النوع من المواجهات الذي قد يُسفر عن خسائر في الأرواح[3]. أصبحت المطالبة والمطالبة المضادة، والحروب غير الدموية عن طريق المناورة، هي القاعدة في المناطق التي تتسم اقتصادات دولها بكونها مترابطة على نحو متزايد. وعلى ما يبدو، فقد تضافرت الاعتبارات الفكرية والمادية لتحقيق هذا الوضع. تزيد الاعتمادية المتبادلة من الناحيتين السياسية والاقتصادية من تكاليف الصراع بدرجة كبيرة، كما تؤثر سلبا على الحسابات الإجمالية للمكاسب التي يمكن تحقيقها عن طريق استخدام القوة للسيطرة على الموارد المتنازع عليها. إن العضوية في المجتمعات، والتحالفات الطويلة الأمد تعمل على توسيع نطاقات الهوية، مما يجعل العنف ضد الأعضاء الآخرين أمرا بغيضا على نحو متزايد. وكما لاحظنا في حالة «حروب سمك القد» الثلاث التي نشبت بين آيسلندا وبريطانيا، فقد أعقبت الأحداث العسكرية جهود مشتركة من قبل كلا البلدين ومفاوضيهما من أجل إقامة علاقات صداقة بينهما، مما يشير إلى التزامهما بالاحتفاظ بعلاقات جيدة بين الأشخاص وبين الدولتين. وفي منطقة المحيط الهادي، لا يتمتع المجتمع بقوة نظيره شمال الأطلسي نفسها، لكن ثمة اعتبارات أخرى تدخل في الحسبان. تسعى الصين، وهي أقوى الدول من الناحية العسكرية، إلى إعادة تأسيس نمط بديل من الهيمنة التقليدية في آسيا، وهذا يتطلب تقديم منافع اقتصادية وأمنية لجيرانها في مقابل قبول دورها القيادي. يدرك الصينيون أن تطلعات من هذا القبيل تقوّضها محاولات فرض إرادتها بالقوة في النزاعات مع جيرانها على الأراضي أو الموارد.

وقد وفرت الأرض دائما الموارد والعمق الاستراتيجي؛ فالسيطرة على الموانئ، والمضايق، والخطوط النهرية والممرات الجبلية تمنح مزايا استراتيجية إضافية. بيد أن العديد من هذه الفوائد تآكلت أو انتفت في القرن العشرين من خلال تطوّر الحرب الميكانيكية والقوة الجوية. وحتى قبل ظهور الحروب الحديثة، لم تكن الجغرافيا تفرض المتطلبات الأمنية، كما رأى بعض كبار الواقعيين في القرن التاسع عشر[4]. حدّدت الثقافة مقبولية، وغايات وأهداف الحرب، والكيفية التي تُشن بها [5]. وعلاوة على ذلك، فإن الأمن مفهوم ثقافي المرتكز يتسم بأصوله الحديثة، حيث شهد تطورا كبيرا خلال القرون الثلاثة الماضية [6]. يعكس هذا التطور تحوّل الكثير من الأطراف الفاعلة من وحدات متعلقة بالسلالات الحاكمة إلى دول قومية، ومعها الاستعاضة بالمصالح الوطنية عن تلك الخاصة بالسلالات الحاكمة. وقد

لعبت التطورات المادية دورا محوريا. اعتمدت الوحدات السلالية، بشكل عام، على مرتزقة ومجندين غير مستعدين لخوض حروبها. أما الدول القومية فكانت تستطيع حشد جيوش وطنية نظامية أكبر حجما وأشد إخلاصا، كما كانت تستطيع وبسهولة توفير أو اقتراض الأموال اللازمة لتجهيز تلك الجيوش ودفع رواتب الجنود. حلّت المعارك إلى حد كبير محل المناورة والحصار كوسيلة للحرب. وفي فترة لاحقة، تأثرت الاستراتيجية بتغيّر المواقف الشعبية تجاه الحرب. وباعتبار أن الحرب صارت أكثر كلفة وأقل قبولا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فقد ركّزت استراتيجية الحرب الباردة على منع نشوب الحرب بدلا من خوضها، وكلما كان ذلك ممكنا، فقد سعت إلى تحقيق أهداف سياسية عن طريق التهديد بالقوة بدلا من استخدامها[7].

وكذلك فقد أصبح زعماء الدول الديموقراطية مقيّدين على نحو متزايد فيما يتعلق بشن الحروب التقليدية ضد القوى الأضعف وغير النووية. ومن أجل الحفاظ على الدعم السياسي في الداخل، كان عليهم تحقيق الانتصار في مثل هذه الحروب بسرعة، مع الحد الأدنى من الخسائر البشرية. وفي حرب الخليج في العام 1990، لم تضع القوات الأمريكية في اعتبارها قتلاها فحسب، بل تلك التي يحتمل أن تُلحقها بالجانب الآخر أيضا. ولذلك فقد كان رئيس هيئة الأركان المشتركة والقائد العام كولن باول مترددا في الإجهاز على حرس صدام الجمهوري المنسحب بسبب المذبحة الأحادية الطرف التي كان ذلك سينطوي عليها[8]. تعتمد الاستراتيجيات التي من شأنها تقليل الخسائر البشرية على القدرة على خوض الحروب من مسافة بعيدة، الأمر الذي لا يمكن تنفيذه إلا بفضل التطورات المتحققة في الاستخبارات الميدانية، والأسلحة، ومنظومات الصواريخ، ومن ثم دمجها باستخدام الوسائل المتطورة للقيادة والسيطرة[9]. تم تطوير هذه الأنظمة، جزئيا، لهذا الغرض، مما يشير إلى وجود علاقة تفاعلية وثيقة بين الأفكار والإمكانات المادية.

وكذلك فإن التفاعلات المعقدة من الأنماط المذكورة أعلاه توجد بالوضوح نفسه فيما يتعلق بالأسباب الأخرى للحرب. لم تعد المكانة تمثل السبب الرئيسي للحرب لأن غزو الأراضي الأجنبية لم يعد يمنح المكانة بل يقوضها. وقد صارت المكانة مرتبطة على نحو متزايد بأنواع أخرى من الإنجازات، ومن بينها الثروة، والمنجزات الثقافية والعلمية، والمساعدات الخارجية وغيرها من الأعمال التي تُنفذ نيابة عن المجتمع الدولي ككل. ومع ذلك، فلاتزال المكانة مرتكزة على أسس مادية. فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، على

الـدول الصغيرة الحجم والفقيرة أن تتنافس في معظم المجالات التي يتم فيها نيل المكانة. وعـلى أي حال، فـلا يمكن أن تفسر الموارد المادية التحولات الجارية في طبيعة المكانة، لأن الموارد التي يمكن تحويلها إلى نقد - مثل الضرائب - تُعد من المنقولات. تعكس التحولات في أنمـاط الإنفاق اختيـارات واعية من قبل الحكومات حول المـدى الذي تطمح إلى نيله من المكانة الدولية، وبخصوص المجالات التي سـتحاول تحقيق المكانة فيها. أنفق الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة نسبة غير عادية من ثرواتهما على قواتهما المسلحة بالمقارنة مع البلدان الأخرى، واسـتمرت الولايات المتحدة في القيـام بذلك لفترة طويلة بعد انتهاء الحرب الباردة.

وإذا كانت الإمكانات المادية تشجّع وتسمح للدول بالتنافس على المكانة، فقد يتوقع منها أيضا أن تمنع الدول، الضعيفة والقوية على حد سواء، من السعي إلى تحقيق أهداف غـير قابلـة للتحقيق. من الناحيـة التاريخية، كانت هذه القيود ضعيفـة أو منعدمة بين القوى العظمى الرائدة. وبداية من إسـبانيا، أقدمت القوى الرائدة المتعاقبة على التوسّـع المفرط، ومن ثم أضعفت أنفسـها بشدة خلال محاولاتها الفاشلة لتحقيق الهيمنة. وتشير البيانات إلى أن الدول الكبرى كانت مسـؤولة عن معظم الحروب الشاملة. لم يكن أي من القادة المكتنفين يسعى عن عمد لخوض مثل هذه الحرب، لكنهم انتهجوا سياسات عالية المخاطر عملت على تحريضهم من خلال التصعيد غير المحسـوب على نحو جيد. ولتفسير هذا النمط، سـنحتاج إلى دراسـة قِيَم القادة والنخب من صنّاع السياسـات. في إسـبانيا، وفرنسـا وألمانيا، كان دافع الهيمنة الإقليمية أو الدولية يتجاوز بكثير موارد الدولة في عهد شـارل الخامس، وفيليب الثـاني، ولويس الرابع عشر، ونابليـون، والقيصر فيلهلم، وهتلر. وتنطبق الحال نفسـها على اليابان، التي كانت قوة صاعدة خلال النصف الأول من القرن العشرين. تضافر السعي إلى المكانة مع صراعات محلية على السلطة بين القوات المسلحة والسياسيين، وبين المعتدلين والمتطرفين داخل القوات المسلحة [10].

وعلى عكس سـابقاتها، فإن الولايات المتحـدة لم تحاول أن تغزو منطقة بعينها، أو في العالم، لكنها سعت إلى ممارسة الهيمنة من خلال وسائل اقتصادية وسياسية أكثر دهاء[11]. وعلى الرغم من ذلك، فقد استسـلمت لغطرسـة القوة الرائدة في مناسبات متعددة، مما دفعها إلى التدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لتغيير الحكومات في آسيا وأمريكا اللاتينية خلال الحرب الباردة وبعدها. كان توسـعها الإمبريالي مُكلفـا في الأرواح والأموال، لكنه لم

يُضعف موقف الولايات المتحدة بالطريقة التي تعرضت لها القوى الرائدة السابقة بسبب قوتها النسبية وحرصها على عدم شن الحروب ضد الدول الكبرى.

إن الحــروب الانتقامية هــي أيضا حروب تتعلق بالأفكار. كانــت الأطراف البادئة في إحدى عشرة من بين 12 حربا انتقامية تعلم أنها في موقف عسكري أضعف من خصومها عند المواجهة المباشرة، لكن هذا لم يمنعها من خوض الحرب. وبالتالي، فليس من المستغرب أنها خسرت جميع الحروب باســتثناء واحدة، كما فقدت مزيدا من الأراضي نتيجة لذلك. كان قادتهــا مدفوعــين بالغضب، وكانوا في معظــم الأحوال غير مكترثين لهــذا النوع من الحســابات الدقيقة للتكلفة، والتي يجب أن ينطوي عليها الاســتعداد لشن الحرب. وكان بعضهم، مثل تشارلز الثاني عشر ملك السويد، عازما على الانتقام بغض النظر عن النتيجة. أما الســعي للانتقام في القرن العشرين فقد كان أكــثر عقلانية من الناحية الذرائعية، من حيث إن الدول المتضررة ســعت لعزل خصومها ديبلوماســيا، أو الالتفــاف حول مزاياها العســكرية. إن الهجوم الألماني على فرنســا في عام 1940، والذي تم بدافع من الانتقام في جزء كبير منه، قد ســبقته ترتيبات ديبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي وتدميرهما المشترك لبولندا، وبالتالي إزالة أي تهديد مباشر من جهة الشرق. أدت اســتراتيجية الحرب الخاطفة blitzkrieg، التــي حققت اختراقاتها عن طريق تركيز المدرعات مع الدعم الجوي الوثيق، إلى التغلــب على التفوق الفرنسي في الرجــال، والطائرات والدبابات[12]. وكان هجوم مصر وســورية على إسرائيل في العام 1973- وهي حرب غير متضمّنة في مجموعة البيانات - في جزء منه حربا انتقامية هدفت إلى استعادة الأراضي التي فقدتها الدولتان في العام 1967. وبطبيعــة الحال، كانت المخاوف السياســية الداخلية مُهمة أيضــا. وإدراكا منهما للتفوق العسكري الإسرائيلي، اعتمدت مصر وسورية على عامل المفاجأة، وعلى قاذفات الصواريخ السوفييتية المحمولة باليد لمواجهة المدرعات الإسرائيلية [13].

تفضي مراجعتــي للدوافع إلى العديد من الاســتنتاجات؛ يتعلــق أولها بصعوبة عزل الإمكانات المادية والأفكار باعتبارها متغيرات ســببية يمكن إخضاعها لاختبارات مســتقلة؛ فــكلا شرطي الحرب هذين يتســم بكونه واســع الانتشــار ومعتمدا عــلى الآخر؛ فهما لا يتفاعلان فحســب، بل إن كلا منهما يســهم في الطريقة التي يتم بها تأطير الآخر، وبالتالي يشكّل السلوك المتعلق به. تصبح هذه العلاقات مرئية بسهولة عندما ننخرط في هذا النوع مــن التحليل الرأسي الذي أســميه «التقافُز» leapfrogging؛ والــذي يتكون من محاولة

استخدام مجموعة من الأسباب لتفسير الشرط الآخر عن طريق الرجوع في الماضي إلى ما وراء النتيجة التي يحاول كل منهما تفسيرها [14]. دعوني أوضّح كيف يعمل هذا التحليل فيما يتعلق بالمكانة. يمكن للعلماء الذين يتطلعون إلى الظروف المادية لتزويدهم بالدعم التحليلي الأهم المجادلة بأن المنافسة على المكانة لا يمكن أن تتم إلا بين الوحدات السياسية التي تمتلك قدرات كبيرة، وأن التسلسل الهرمي للمكانة ينعكس في توزيع هذه القدرات. ومن الممكن لهذا أن يستحضر تعقيبا مفاده أن توزيع القدرات نفسه يتحدد بالتفاعل بين الثقافة والقوة. كذلك فإن القادة الملتزمين بالتنافس على المكانة يكونون أقرب احتمالا لبناء مؤسسات الدولة بطريقة تمكن من استخراج الموارد وتحويلها إلى جيوش، وأساطيل، وقصور، ومبان عامة، أو أي شيء آخر يمثل مطالبة بنيل المكانة.

أما أنصار نظرية الإمكانات المادية - ولن أذكر هنا إلا الحجج المرتكزة على هيكلية الأنظمة الإقليمية أو الدولية - فلديهم رد سريع وجاهز. وعلى النقيض من الشرق الأوسط، وشبه القارة الهندية والصين، لم تكن أوروبا موحدة على الإطلاق، وبالتالي كانت لدى وحداتها السياسية المتنافسة حوافز أقوى لبناء البنية التحتية التي صرنا نربط بينها وبين الدولة الحديثة، وهذا بدوره جعلها أكثر قدرة على المنافسة في مواجهة بعضها البعض، وعلى الصعيد الدولي. وفي مقابل هذه الحجة، فإن من يتخذون جانب الأفكار يشيرون إلى التباين الكبير في القدرات العسكرية داخل القارة الأوروبية باعتباره دليلا على أن هذا الاختلاف يمثل دلالة على خيارات هذه الوحدات السياسية كما يشير إلى ثروتها. وفي القرن الثامن عشر، وفي ذروة التنافس بين الأسرات الحاكمة، تراوح الإنفاق على القوات المسلحة من مستوى منخفض بلغ 20 في المائة وأكثر، إلى الحد الأقصى الذي بلغته بروسيا، والذى اقترب من 80 في المائة [15]. ومن شأن الثقافة أيضا أن تحدد المحافل التي تؤكد فيها الوحدات السياسية مكانتها. وعندما صار يُنظر إلى الحرب باعتبارها مغامرة مكلفة للغاية ومدمرة، تشجعت الدول على التنافس في مجالات أخرى. وبطبيعة الحال، فقد يرد الماديون بأن اليابان، وألمانيا، وكندا، والدول الاسكندنافية لم يكن لها السبق في ابتكار وسائل بديلة للمطالبة بالمكانة إلا بسبب عدم قدرتها على التنافس عسكريا مع الولايات المتحدة [16].

تقوم كل من المقاربتين بالمزايدة على الأخرى، وتتعرض للمزايدة بالمثل. بيد أن ممارسات المزايدة هذه تتسم بعدم جدواها إذا كان الهدف منها هو الفصل في النزاع حول الادعاءات السببية؛ لكنها قد تكون مثمرة إذا ما استخدمت لإلقاء الضوء على العلاقة

المعقدة بين الأفكار والإمكانات المادية. ومن هذا المنطلق، سأستخدم التقافز لبحث بعض الأسباب العميقة لهذا الانخفاض التاريخي في وتيرة الحرب، والاعتقاد المتنامي لدى كثير من العلماء بأنها صارت شيئا من الماضي. من بين التفسيرات القوية لانخفاض وتيرة الحرب، نجد الاستياء المتزايد من الحرب بين الجماهير والنخب في البلدان المتقدمة. وبالنسبة إلى البعض، يمثل انخفاض وتيرة الحرب قضية في حد ذاته؛ أما بالنسبة إلى آخرين فهو يمثل أحد المظاهر المهمة لأسباب كامنة أشد عمقا. ومن خلال دراسة الانخفاض الموثق بصورة جيدة في مواقف الرأي العام تجاه الحرب، يمكننا أن ندرس العلاقة بين الأفكار والأوضاع المادية بمزيد من التفصيل. وهي تشير، من بين أمور أخرى، إلى مدى صعوبة الفصل - من الناحية التحليلية - بين التفسيرات المتنافسة للحرب والأدلة التي تقدمها كل منها لدعم حجتها.

لماذا تحظى الحرب بمثل هذه السمعة السيئة؟

يؤكد العلماء الذين يغلبون القوى المادية على الآثار المدمرة للحرب الحديثة وعلى الالتزام بتجنب الحرب، الذي نجم عن تلك الآثار [17]. ويشير آخرون إلى الصعوبة المتزايدة لإدامة عمليات الغزو، وكذلك صعوبة الاستغلال الاقتصادي للأقاليم المقهورة عندما يتم ذلك [18]. وقد طرح العلماء الذين يؤكدون على قوة الأفكار تفسيرات متنوعة للسبب في تحرر عامة الجماهير من الافتتان بالحرب. يُرجع البعض، مثل جون مويللر، هذا التحول في الرأي إلى كابوس الحرب العالمية الأولى، الذي عززته تجربة أكثر بشاعة، وهي الحرب العالمية الثانية [19]. من جانبهم، يعزو الليبراليون التغيرات في مواقف الجماهير إلى ظهور الدول التجارية، وتزايد الاعتمادية المتبادلة بين الاقتصادات المتقدمة [20]، ويؤكد ليبراليون آخرون أهمية ظهور الأنظمة الديموقراطية وما يسمى بالسلام الديموقراطي. ولقد وجهت الانتباه إلى أهمية دور المكانة كسبب للحرب وكيف أدت المفاهيم المتغيرة للمكانة إلى انخفاض في الحرب.

تواجه هذه التفسيرات العديدة مشكلتين تحليليتين. الأولى هي صعوبة التمييز فعليا بين الأسباب المادية والفكرية، إذ يمكن تصنيف كل منهما ضمن فئة الآخر من خلال التقافز. يبدو أن العديد من التفسيرات الفكرية ترتكز على ظروف أو تغيرات مادية، كما أن حجة جون مويللر عن الرأي العام متجذرة في الإمكانات المادية لأنها تعزو تغيّر المواقف تجاه الحرب إلى وجود استجابة لتكاليفها البشرية والمادية، والتي هي بدورها نتيجة للحرب

الصناعيــة. إن تفســيرا فكريــا محضا لا بد أن يؤكد الاتجاه الأوســع نحو النزعة الإنســانية الليبرالية liberal-humanism، والتي يمكنها أن تفسر ليس المواقف الســلبية تجاه الحرب فحسب، بل والظهور المسبق للنفور من ممارستي الرق والمبارزة. ويمكن لهذا السرد، بدوره، أن يُلهم تفسيرا ماديا يعزو النزعة الإنسانية الليبرالية إلى ثروة وتعليم أفراد الطبقات الوسطى في أعقاب الثورة الصناعية. وبدورها، فإن هذه الحجة تُلهم تعقيبا يشير إلى أن النزعة الإنسانية لا يمكــن عزوها على نحو كاف إلى الظروف المادية، فقد كانت أقل وضوحا في ألمانيا، وهو بلد أكثر تقدما من فرنسا أو بريطانيا، وكانت شبه غائبة تماما في اليابان قبل عام 1945.

قد يُعزى الســخط الشعبي تجاه الحرب إلى ظروف مادية أخرى، والتي يتمثل أهمها - مــن وجهــة نظري - في التحــول الديموغرافي المرتبــط بالتنمية الاقتصاديــة. وبداية من بريطانيــا في أواخر القرن الثامن عشر، مع انتشــار تدريجي في جميــع أنحاء أوروبا، كان هناك انخفاض في معدل الوفيات، تلاه بعد نحو 80 عاما انخفاض مقابل في معدل المواليد. أدى هذا التطور إلى زيادة كبيرة في عدد الســكان، ولكن بعد ذلك حدث اســتقرار نسبي بعد أن انخفض معدل المواليد. وقد اقتُرحت أســباب كثيرة لهذه الانخفاضات في معدلات الوفيــات والمواليد، والتي حدثت أيضا في اليابان وأجزاء أخرى من منطقة المحيط الهادي. ثمة فرضية تشــير إلى تحول في اســتراتيجية الأسرة مع ازدياد تنقّل الناس. وفي وجود مزيد من الأموال في جيوبهم، توجب على الأزواج الاختيار بين السلع الاستهلاكية وإنجاب مزيد من الأطفال ومن ثم إطعامهم وكسوتهم. كما أن أماكن المعيشة المقيّدة - وهي أحد نواتج التوســع العمراني - وتطلعات الآباء لمزيد من حرية التنقل لأطفالهم، شجّعت على إنجاب عــدد أقل منهــم. وفي المدن، صار الأطفال يمثلون التزامــات اقتصادية، وليس أصولا يمكن أن تســاعد في حرث الحقول ورعاية والديهم في ســن الشيخوخة. وشجّع هذا التحول من اســتراتيجية الزواحف إلى تلك الخاصة بالثدييات فيما يتعلق بالتكاثر وتربية الأطفال على إعادة صياغة قيمة النســل. أصبح الآباء أكثر ارتباطا عاطفيا بأطفالهم الذين صاروا أقرب احتــمالا للبقاء على قيد الحياة خلال الســنوات الخمس الأولى من الحياة، وكذلك العيش لفــترة أطول إذا وصلوا إلى ســن البلــوغ. وكذلك فإن كثيرا من الآباء صاروا أكثر اســتثمارا من الناحية العاطفية في نجاح أبنائهم، والذي صار الآن على نحو متزايد مقياســا للمكانة واحترام الذات. ولهذه الأســباب جميعها، أصبحت الحياة أكثر قيمة، خاصة حياة الشــبان والفرص السانحة أمامهم.

ومـع التنمية الاقتصادية جاءت العلمنـة secularization؛ فصـار تركيز الأوروبيين منصبـا على الحياة الدنيـا وليس الآخرة. بـدأ المفكرون والمثقفون، ثـم الناس على وجه العموم، يتشككون في وجود الله تعالى، وفي كل من الجنة والنار. وكذلك فإن كثيرين ممن اسـتمروا في الاعتقاد بوجود إله أو «روح هادية» قد رفضوا مع ذلك فكرة الحياة الآخرة. وفي أوروبا الغربية، وفي المتوسـط، هناك 25-30 في المائة من السـكان فقط يؤمنون الآن بالحياة الآخرة [21]. وإذا كان هذا هو العالم المهم الوحيد، فإن وفاة ابن أو ابنة في الحرب هي خسـارة لا يمكن تعويضها؛ فالطفل لا يصعد إلى السـماء أو يلتم شمله مع عائلته في حياة آخرة. وبالتالي، فإن الجدل حول تحوّل الناس إلى معارضة الحرب بسـبب تكاليفها لا يتناول إلا جانبا واحدا فقط من معادلة معقدة. علينا أن نأخذ في الاعتبار أيضا احتمال أن الناس قد تحوّلوا إلى مناهضة الحرب بسبب ازدياد تقييمهم لأهمية الحياة.

تتسـم الحجة المتعلقة بالدول الليبرالية التجاريـة بكونها مادية صرفة من حيث إنها تفسّر المواقف الشعبية تجاه الحرب بمنظور العقلانية الاقتصادية. يكمن هذا المنطق وراء ادعاءات كوبدن وبرايت، ويزداد وضوحا في آراء شـومبيتر [22]؛ وهو واضح أيضا في تقريظ توماس فريدمان لأمجاد العولمة [23]. ومن الصعوبة بمكان تفكيك السلام الديموقراطي إلى مكوناته، لأنه يمثل نتيجة تجريبية مفترضة سعى علماء العلاقات الدولية لاحقا إلى تفسيرها. وقد طُرحت ثلاثة أنواع من الحجج. إن الحجج المؤسسية، التي تضم نوعين مختلفين، ترى أن الانتخابات، والفصل بين السـلطات، وسـيادة القانون هي المصادر الرئيسـية للسلام. وتكتسـب الانتخابات أهمية خاصة لأنها تسمح للمواطنين بإزاحة المسؤولين من السلطة، وتمنحهـم حوافز لتجنّب الحـروب المكلفة والعقاب الانتخابي الذي يـأتي في أعقابها [24]. يؤكد علماء آخرون على أهمية شفافية الديموقراطية، والتي يُعتقد أنها تكبح جماح القادة وتطمـئن جماهير البلدان الخارجية عن طريق جعـل الالتزامات أكثر مصداقية والنكوص عنها أكثر كلفة ووضوحا [25]. يشدد التفسير المعياري على الآثار المفيدة للثقافة السياسية، وبشـكل أكثر تحديدا كيف تعمل قواعد التشاور، والتسوية، والمعاملة بالمثل على تشكيل الصراعات داخل وبين الديموقراطيات [26].

يؤكد علماء آخرون على المشاعر الإيجابية للجماهير الديموقراطية تجاه بعضها البعض، وتجـاه دولها. إن الدول التجارية ومجادلات السـلام الديموقراطي تعيدنـا إلى الوراء، إلى إيمانويل كانط، الذي أدرك أهمية الظروف المادية فقال بأن المواطنين الذين يفرض عليهم

خــوض الحروب يكونون أقــرب احتمالا لمعارضتها. لكنه، مع ذلــك، منح الأولوية للأفكار والطــرق التي يمكن أن يســاعد بها المنطق البشر على التوصّــل إلى فهم أفضل لمصالحهم الحقيقية [27]. إن تفسيرات السلام الديموقراطي المتجذرة في الاعتبارات المعيارية موجودة في التقليد الكانطي. ومن الأمثلة المبكرة والبارزة على ذلك كتابات كارل دويتش Deutsch، الذي كان أول من قام بتنظير الشــعور بالانتماء إلى المجتمع بين الشــعوب الديموقراطية. وقد توقع ظهور ما أســماه «المجتمعات التعددية الأمن» بين الأشــخاص الذين يتشاركون رموزا مشتركة، والذين تربط بينهم صلات اجتماعية واقتصادية واسعة النطاق [28].

تُتمثل حجتي حول المكانة في كونها ثقافية، لكن التغير الثقافي ينطوي دائما تقريبا على تفاعل بين الأفكار والأوضاع المادية. وفي حد زعمي أن المكانة كانت الســبب الأكثر شيوعا للحــرب من الناحية التاريخية، وأن انخفاض وتيرة الحرب يعود في معظمه إلى أنها لم تعد تمنح المكانة. ومما لا شك فيه أن هذا التحول في التوجهات قد تأثر بالدمار الذي نجم عن الحربين العالميتين، وهو بهذا المعنى يمثل اســتجابة عقلانيــة للظروف المادية. وأعتقد أن هناك عنصرا فكريا مستقلا للموضوع، وبالقدر نفسه من الأهمية. ربما كان النفور الأوروبي من الحرب العالمية الأولى متعلقا بطبيعتها، بقدر تعلقه بتكلفتها البشرية والمادية نفســه. تؤكد التعليقات التي كُتبت خلال فترة ما بعد الحرب على الطابع اللاشخصي impersonal والصناعي المحض لتلك الحرب، وعلى مدى كون البشر فيها مجرد أجزاء قابلة للاســتبدال، والذين يمكن احتســاب فترة بقائهم على قيد الحياة في الجبهة بقدر معين من الدقة [29]. يســتحق الأمــر أن نتدبر الحقيقــة المغايرة التي تفيد بأن معارضــة الحرب لم تكن لتصير بالوضوح نفســه إذا كانت الحرب أقرب شبها إلى ســابقتها النابليونية، وهي حرب تعتمد على المناورة وتشجع أفعال الشجاعة المنفردة التي يمكن التعرف عليها، والتي قد لا يكون لها سوى عواقب تكتيكية طفيفة [30]. وبتجريد الحرب من ارتباطها بالبطولة والرومانسية، واعتبارها بدلا من ذلك مصدرا لاعقلانيا للقتل والدمار والمعاناة، فلم تعد قادرة على جلب الــشرف للمقاتلــين، أو المكانة للدول التي بعثت بهم إلى حتفهــم. أما افتتان الجمهور في زمن الحرب وخلال فترة ما بعد الحرب بالفروسية المفترضة للهجوم الجوي - وهي محض خيال في معظمها - واستخدام الفرسان وغيرهم من التمثيلات المبدعة المتعلقة بالفروسية والشــهامة في النصــب التذكارية للحرب العالمية الأولى، فتشــير إلى الحاجة إلى فرض هذا المعنى على القتال، على الرغم من أنه كان متعارضا بشدة مع واقعه [31].

تمثل جميع التفسيرات المادية مجرد قطع سطحي في واقع أكثر تعقيدا وذي طبقات متعـددة. وتتعلق أقوى حجج الماديين بتكلفة الحرب النوويـة، والتي تم الاعتراف بها على نطاق واسـع من قبل زعـماء كل من القوتين العظميين، والتـي - كما آمل - تجد التقدير نفسـه من قبل قادة القوى النووية الأخـرى. وكان الزعيم الوحيد الرافض علنا لتكاليـف الحـرب النووية هو ماو تسي تونـغ Mao Zedong، الذي كان يرى أن عدد سـكان الصين من الضخامة بحيث يمكنها تحمّل الهجمات النووية بل تنتصر في الحرب عـلى الرغم من ذلك. وربمـا بدافع من الجهل أو الخداع، جاء ماو في الوقت المناسـب لفـرض مزيد من الاحترام للأسـلحة النووية وقدراتها التدميريـة [32]. أما إن كان الردع النووي قد نجح بالفعل في منع الحرب فهو، بطبيعة الحال، مسـألة أخرى. لم يكن قادة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة راضين تماما عن الوضع الراهن الذي يفرض عليهم التفكـير في الحرب [33]. كان لديهم ذكريات حية لويلات الحرب العالمية الثانية والقدرة التدميرية للحرب التقليديـة. وخلال أزمة الصواريخ الكوبية، تذكّر وزير الدفاع روبرت مكنـمارا أن الرئيس كينيـدي كان يخشى الحرب التقليدية أكثر مـن النووية، وأن ذلك كان كافيـا لأن يلتزم جانب الحـذر [34]. وهناك أيضا أدلة قوية عـلى أنه رغم أن واقع الترسانات النووية كان مقيدا دون شك، فإن استراتيجية الردع النووي - كما مارستها كل من القوتين العظميين في صورة تكديس للأسلحة، وحشد القوات على الخطوط الأمامية، والحديث عن ضربة عسـكرية - قد ساعدت على تحريض بعض المواجهات التي كانت تهدف إلى منعها [35].

يحمل التفسـير النووي في طياته أيضا قاعدة فكرية مهمة. بعد هيروشـيما وناغازاكي، فإن كثيرا من الخبراء الاستراتيجيين والقادة، لكن ليس كلهم، قد أدركوا أنهم يتعاملون مع سـلاح ذي قدرة تدميرية لم يسبق لها مثيل. أعطى تطوير الأسلحة الحرارية النووية أوائل خمسـينيات القرن العشرين دفعة إضافية لأولئك الذيـن جادلوا بأن الحرب النووية هي من الخطورة بحيث يستحيل التفكير في خوضها. ساعد الخوف من عواقب الحرب النووية في خلق ما أطلق عليه اسـم التابو النووي [36]. ومع ذلك، ففي كل من القوتين العظميين كانت هناك مناسبات فكر فيها المستشارون أو القادة في استخدام الأسلحة النووية. رفض ترومان بازدراء المقترحات المنادية بشـن هجوم نووي وقائي على الاتحاد السـوفييتي، كما رفض أيزنهاور اسـتخدام السـلاح النووي في الحرب الكورية، كما رفـض توصية الأدميرال

رادفورد Radford وقادة هيئة الأركان المشـتركة باستخدام القنابل النووية لإنقاذ الحامية الفرنسـية في ديانْ بيان فو [37]. وخلال أزمـة الصواريخ الكوبية، كانت القوتان العظميان عـلى شـفا حرب نووية غير مقصـودة، وذلك على نحو لم يدركه أي مـن قادتهما في ذلك الوقـت [38]. ثمـة مثال مقابل محتمل على ذلك هو إدارة نيكسـون في سـبعينيات القرن العشرين، والتي كانت تحبذ قيام السـوفييت بتوجيه ضربة وقائية ضد المنشـآت النووية الصينية [39]. تشير هذه الأحداث إلى أن عدم استخدام الأسلحة النووية لم يكن حتميا، بل كان نتيجة لضبط النفس الأخلاقي. وبمرور الوقت، تطورت قاعدة عدم الاسـتخدام، وصار اتباعها مهما بالنسـبة إلى الدول الساعية للحفاظ على مكانتها في المجتمع العالمي. بيد أن جعل عدم اسـتخدام السـلاح النووي معيارا مقبولا قد استلزم اتخاذ قرارات محورية من قبل القادة تقضي بممارسة ضبط النفس في الظروف التي كانوا، أو كان غيرهم من القادة، سيتصرفون فيها على نحو مختلف.

ومما لا شك فيه أن جزءا من الرعب الذي تستحضره الأسلحة النووية يعكس مستوى الخسـائر البشرية التي يتوقع أن يحدثها أي اشتباك نووي. حتى وصول إدارة كينيدي إلى السلطة، كانت الخطة الوحيدة التي تمتلكها القيادة الجوية الاستراتيجية (SAC) لاستخدام الأسـلحة النووية تتمثل في شـن هجوم شـامل ضد روسـيا والدول التابعة لها في أوروبا الشرقية، وكذلك ضد حلفائها الصينيين. إن هذه الشـهوة للحرب «Wargasm»، كما كان يشـار إليها على نحو سـاخر في القيادة الجوية الاسـتراتيجية، كان من المتوقع أن تقتل ما يزيد على 350 مليون شـخص خلال الأسـبوع الأول من الحرب [40]. وقد انخفضت هذه الأرقام مع ازدياد دقة نظم الإطلاق، وانخفاض كمية الأطنان التي تحملها الرؤوس الحربية المسـتخدمة وفقا لذلك. وعلى أي حال، أسـفر الانتشار الشامل للأسلحة عن تهديد جديد بإبـادة للجنس البشري عن طريق «شـتاء نووي». حتى لو كان هـذا الخوف مبالغا فيه، فإن الأضرار الجانبية المرتبطة حتى باشـتباك نووي محدود النطاق - على افتراض أن هذا التحديد ممكن التنفيذ - سـتكون مرتفعة على أي حال بسـبب الغبار الذري المتسـاقط fallout ووجود العديد من الأهداف ذات القيمة العسكرية العالية وسط السكان المدنيين أو على مقربة منهم [41]. ووفقا لذلك، فإن التابو النووي لا يرتكز فقط على تكلفة الحرب النووية، بل أيضا على عدم الارتياح لحقيقة لا تقبل الشك، وهي أن العديد من ضحاياها، إن لم يكن معظمهم، سيكونون من المدنيين الأبرياء.

تكمن المشـــكلة الثانية مع هذه التفسيرات لانخفاض وتيرة الحرب في صعوبة الفصل بين التفســير والآخر؛ فهي متداخلة ومتعاضــدة، ويمكنها وصف مظاهر مختلفة للظروف الكامنة الأساسية. كذلك فإن الجدل حول الرأي العام والحرب، كما أشرنا إليه أعلاه، يرتبط ارتباطــا وثيقــا بادعاء أن تكلفة الحــرب جعلتها غير مقبولة على نحــو متزايد في البلدان المتقدمة. إن جميع البلدان المتقدمة هي أيضا دول تجارية، وهي أيضا دول ديموقراطية - باستثناء الصين. ولإقامة الحجة على أن تغير المواقف الشعبية يمثل سببا في حد ذاته، سيتعين علينا إثبات وجــود اختلاف كبير في المواقف تجاه الحرب عبر الاقتصادات المتقدمة. وبدلا من ذلك، يمكننا القول بأن تغير المواقف تجاه الحرب يعكس مجموعة أعمق من التغيرات الســلوكية، التي هي مســؤولة أيضا عن صعود الدول التجارية والديموقراطية. يمتلك هذا الادعاء جاذبية بديهية، لكن يصعب إثباته. تُظهر الحجج المتعلقة بالدول التجارية والسلام الديموقراطــي قدرا أكبر من التداخل فيما بينها، لأن جميع البلــدان التجارية تقريبا دول ديموقراطيــة. وبالتالي فمن أجــل تقييم جدارة كل منها، نحن بحاجــة إلى العيش في عالم مختلف توجد فيه العديد من الدول التجارية غير الديموقراطية، والعكس صحيح.

ومن الصعب بالمثل فصل حجة تكلفة الحرب عن الحجج المنافســة لها. تكون الدول التجاريــة المتقدمة أكثر عرضة للحرب من نظرائها الأكثر فقــرا، ذات الاقتصاد الزراعي في معظمــه. تميل الديموقراطيات إلى خلع قيمة أعلى للحياة من الأنظمة الاســتبدادية، الأمر الــذي يزيد أيضا مــن التكاليف المفترضة للحــرب. وهذه هي الدول نفســها التي يكون الــرأي العام فيها أشــد مناهضة للحرب. تزودنا كل من تجربــة الولايات المتحدة في الهند الصينية وتجربة إسرائيل في الشرق الأوســط بما يدعم هــذه الفرضيات. انتصرت الولايات المتحــدة في كل معركة، لكنها خسرت الحرب، لأن الفيتناميين كانوا على اســتعداد لتحمل فقــدان مزيد ومزيد من الضحايا. كــما أن التدخلات الأكثر حداثــة للولايات المتحدة، في لبنان والصومال وأفغانســتان والعراق، تقدم أدلة إضافية حول الحساسية الأمريكية تجاه الخســارة البشرية. وتظهر الحروب التــي خاضتها إسرائيل، خصوصا حــرب العام 1973، الحساســية نفسها للخسائر البشرية، وكذلك يفعل مدى استعداد إسرائيل لتقديم تنازلات كبيرة لتأمين الإفراج عن أسرى الحرب[42].

بيد أن مناقشــتي حول الحرب والمكانة تتداخل مع التفسيرات الأخرى. سأطرح تفسيرا فكريا لفقــدان الجماهـــير لافتتانها بالحرب، لكني لا أنكــر أن هــذه الظاهــرة تعكــس

- إلى حد ما - تكلفة الحرب الحديثة وقدرتها التدميرية. وكذلك فإن الديموقراطية تدخل في الصورة، وإن لم يكن بالطريقة التي يتم الترويج لها من قبل أتباع السلام الديموقراطي. تشجع الديموقراطيــة قيما بعينها وطرقا معينة للتفكــير. وكما تم الترويج للديموقراطية الحديثة في البدايــة من قبل الطبقات التجارية، فهي تؤكد أهمية الروح أكثر من الشــهوة. وهي تنزع الشرعية عن الخطابات التي ترَبط الشرف بالسياســة الخارجية. وفيما يتعلق بالحرب، كان الدافــع الوحيد الذي تعتبره الديموقراطيات المتقدمــة مشروعا تماما هو الدفاع عن النفس، رغم أن الرأي العام قد يستجيب بشكل إيجابي أحيانا إلى الأعمال العسكرية التي تهدف إلى تقديــم العون للديموقراطيات الأخرى أو جلبها إلى حيز الوجود. إن الاحتكامات المباشرة إلى المكانة والهيبة والشرف هي في مجملها غير مقبولة أو غير مقنعة، رغم أن الزعماء والجماهير قد يكونون مدفوعين بمثل هذه المخاوف عندما يرتبط احترام الذات بنجاح ومكانة بلادهم. وقد جادلت في موضع آخر بأن هذا التحول كان مصدرا قويا للسياســة الخارجية العدوانية لألمانيــا مطلــع القرن العشرين، وســببا رئيســيا في تنافس القوتين العظميــين خلال الحرب البــاردة، ومصــدر دعم لتدخل إدارة بوش في أفغانســتان والعراق [43]. تشــير الحالات التي قمت بدراستها ومجموعة بياناتي إلى أن الديموقراطية يمكنها كبح جماح أو تشجيع المغامرات العسكرية. وسأتحدث عن الظروف المسؤولة عن هذه الظاهرة في المقطع التالي.

هل لا تزال الحرب ممكنة؟

إن التفســيرات المتعددة التي فحصتها لانخفاض وتيرة الحرب تقيم وزنا كبيرا لاستياء النخبــة - فضــلا عن الجماهير - من الحــرب، برغم أنها تتباين في الأســباب التي تطرحها لهــذا الموقف. مما لا شــك فيه أن الحرب خسرت هالتها الرومانســية، وصــار ينظر إليها على أنها آفة في أنحاء كثيرة من العالم المتقدم، وأبعد من ذلك أيضا. كذلك صار الأشــخاص عميقو التفكير ينظرون إليها كأداة خام للسياسة الخارجية، التي غالبا ما تفشل في تحقيق أهدافها المنشــودة. وفي الوقت نفســه، أصبحت الحياة أكثر قيمة لعدة أسباب متعاضدة، مــما يجعل تكلفة الحرب أكثر ترويعا. زادت هذه التحولات الســلوكية من صعوبة إقناع الناس بالحروب التي يتم خوضها لأي ســبب من الأســباب، بيد أنها لم تجعل الحرب أمرا مســتحيلا. وفي العقد الماضي تدخلــت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في أفغانســتان والعــراق، واحتلت إسرائيل قطاع غزة لفترة وجيزة، وتوغلت روســيا في جورجيا. إن ثلاثة

من هذه البلدان مصنفة بشــكل لا لبس فيه على أنها دول ديموقراطية، وربما يمكن - من باب التفضل - وصف روســيا على أنها نظام انتقالي. كان القادة المســؤولون عن كل هذه المبادرات العســكرية يمتلكون دعما قويا مــن الهيئات التشريعية والرأي العام في بلادهم. روج القــادة الأمريكيون وزعماء إسرائيل لتدخلاتهم هذه بناء على أســباب تتعلق بالأمن الوطني، وفعل نظراؤهم الروس الشيء نفســه، بالإضافة إلى مناشدة الشعب لتأييد إغاثة مواطنيهــم في محنتهم في الجوار القريب [44]. إن النجــاح - حققت المبادرتان الإسرائيلية والروســية أهدافهما الآنية - قد يجعل من الأســهل على القادة الاســتعانة بحجج مماثلة في المســتقبل. أما الحروب الفاشــلة، وخصوصا تلك التي يكتشف الناس فيها أنهم تعرضوا للكذب من قبل قادتهم فيما يتعلق بمبررات الحرب والغرض منها، فمن المفترض أن يكون لها تأثير عكسي. ومع ذلك، لا بد من إصدار مثل هذا الحكم بشيء من الحذر.

في غضــون جيل واحد من الهزيمــة في الحرب العالمية الأولى، بدأت ألمانيا المكون الأوروبي مــن الحرب العالمية الثانية. مــن المحتمل أن هتلر خاض الحرب لأنه صــار ديكتاتورا أخضع الجيش الألماني لإمرته كما كان غير مقيد إلى حد كبير من قبل الرأي العام. لكنه اســتفاد أيضا من فرضية الطعن في الظهر Dolchstoss، التي تم الترويج لها في أعقاب الحرب العالمية الأولى مــن قبل اليمين الألمــاني. رأى مؤيدو تلك الفرضية أن ألمانيا لم تخســر الحرب، لكنها تعرضت للخيانــة من قبل الاشــتراكيين، الذين كان كثير منهم اليهود [45]. بيد أن الســلطة السياســية لليمين، وكذلك ضعف وجبن القــوات الموالية للجمهورية أعاقت الجمهور الألماني عن معرفة، فضلا عن تقبل، مسؤولية زعمائهم عن الحرب العالمية الأولى. تم تبرير هجوم هتلر على بولندا في عام 1939 بناء على اعتبارات أمنية: افتعل النازيون حادثا حدوديا مناســبا عشــية غزوهم المخطّط له مسبقا [46]. اعتبر الألمان على نطاق واسع أن الهجوم على بولندا كان حربا انتقامية، كما فعلوا مع الغزو اللاحق لفرنسا. وعلى الرغم من دعمهم لهتلر، والرغبة العامة في الانتقام، فقــد كان هناك القليل من الدعم لحروب هتلر. كان معظم الألمان يشــعرون برغبة ملحة في الاعتقاد بأنه يمكن الحفاظ على الســلام. وعندما غزت ألمانيا بولندا عام 1939، لم تكن هناك أي من علامات الحماس للحرب التي كانت واضحة في العام 1914[47].

ثمة حالات أكثر دلالة، وهي كوريا، وفيتنام، وحرب الخليج الأولى، وأفغانســتان والعراق. لم تكــن الحرب الكورية تحظى بالشــعبية مطلقا في الولايات المتحــدة، مما أدى إلى انخفاض حاد في التأييد الشعبي للرئيس ترومان وأسهم في فوز الحزب الجمهوري بالانتخابات الرئاسية

لعـام 1952 [48]. لكن التجربة الكورية لم تردع ليندون جونسـون عـن التدخل في فيتنام أو إدارة نيكسـون عن أن توسّـع نطاق الحرب إلى كمبوديا برغم المعارضـة المتزايدة للحرب في الداخـل [49]. وخلافـا لكوريا، التي أدت إلى حالة مكلفة من الجمـود، فقد انتهى التدخل في الهند الصينية إلى هزيمة القوات الأمريكية، واسـتصدار تشريعات لاحقة تقلص قدرة الرئيس على إرسـال القوات المسـلحة إلى القتال دون الحصول على دعم مسـبق من الكونغرس[50]. وبعد ذلك بأقل من جيل واحد، وجد الرئيس جورج بوش الأب صعوبة متزايدة في حشد دعم الكونغرس والتأييد الشـعبي للقيام بعمل عسـكري لطرد العراق من الكويت. بيد أنه تمكن من تحقيق الأغلبية التي يحتاجها في أوساط الجمهور وفي الكونغرس بفضل الطبيعة الواضحة للعدوان العراقي، وتفويض الأمم المتحدة بشـن حرب للتحرير، وتشكل التحالف الدولي الذي تلقى دعما ماليا من دول لم تشـارك في القتال. لقيت حرب الخليج خلال عامي 1990 و1991 ترحيبا من قبل شريحة واسـعة من الشـعب الأمريكي باعتبارها وسيلة للتغلب على الصدمة النفسـية المرتبطة بالهزيمة الأمريكيـة في الهند الصينية. وقد حرضـت حملة لتعليق أشرطة صفراء على المنازل والسيارات والأشجار، التي كان كثير منها يحمل شعار «ادعموا قواتنا». ومن خلال اتباع النهج السابق للرئيس رونالد ريغان، شجع أنصار التعديليةrevisionists اليمينين خرافة أن أمريكا كانت ستنتصر في فيتنام لو كان الرأي العام قد دعم قواتها في الخارج [51].

حرضـت الحرب على العراق حملة مماثلـة لتعليق الأشرطة وغيرها من مظاهر حب الوطن، التي تمحورت مرة أخرى حول خرافة الطعن في الظهر النابعة من الداخل، والمتعلقة بخيانة «الليبراليين» - وهو مصطلح صار الآن نعتا سيئ السمعة - للقوات الأمريكية. برزت فرضيـة الطعـن في الظهر بالصراع في العراق بعد أن صار واضحـا أن الاحتلال الأمريكي لم يحرز أي تقدم ضد المتمردين، ولم يستطع توفير الأمن في المراكز الحضرية الكبرى، أو إنشاء جيش، أو شرطة، أو حكومة لا تكون ولاءاتها لفصائل دينية بعينها. وفي انتخابات التجديد النصفي لعام 2006 حاول الرئيس بوش وفشل في أن يورد الحجج المؤيدة لفكرة «الحفاظ على المسـار»، كما قام مؤيدو بوش، وكثير منهم يعرفون أنفسهم على أنهم من المحافظين الجدد، باسـتخدام حجتهـم التعديلية حول حرب فيتنام لحشـد الدعم للحرب وترهيب الخصوم منها [52]. ورغم ذلك انقلب الرأي العام ضد الحرب وأسـهم في فوز باراك أوباما Obama في الانتخابـات الرئاسـية على جون ماكـين McCain، وهو جمهوري على صلة وثيقة بتدخلات إدارة بوش العسكرية وحشد القوات الذي جاء متأخرا كثيرا.

تم الترويج لكل هذه الحروب لدى الشـعب الأمريكي على أسس أمنية. ورغم أن هذا ليس المكان المناسـب لمناقشـة شرعية أو صحـة هذا المنطق، فإننا نلاحـظ أن مثل هذه الادعاءات قد شـهدت تنافسا محموما من قبل منتقدي ثلاثة من تلك التدخلات الخمسة (في أفغانستان، والهند الصينية والعراق). وقد نجحوا في حشد معارضة شعبية كبيرة لهذه الحـروب عندما تحول الوعد بتحقيق نجـاح سريع إلى التزامات محبطة ومفتوحة الأجل. وفي كوريـا، لم يكـن صدق إدارة ترومان هو القضية بل كان المأزق المكلف الذي وقع بعد دخول الصين إلى القتال [53]. في البداية دعم الرأي العام الأمريكي حكومته في ست حروب وقعت بعد عام 1945. وهذا أكبر عدد من الحروب بدأتها أي دولة في فترة ما بعد الحرب، تليها كل من الهند والصين، اللتين بدأت كل منهما أربع حروب.

يشـير تاريخ التدخل الأمريكي إلى أنه من أجل تحقيق النجاح، يجب أن يروج الرؤساء للتدخـل على أسـس مُلحة تتعلق بالأمن القومي، ومن ثم تحقيـق انتصارات سريعة مع خسـائر قليلة. لبت حرب الخليج الأولى هذه الشروط وأرسـت سابقة حاولت إدارة بوش لاحقـا، لكنهـا فشـلت، في مضاهاتها؛ فلم تتمكن مـن تأمين تفويض مـن الأمم المتحدة بالتدخـل، ولم تسـتطع بناء تحالف متعدد الأطراف ومثير للإعجاب. وباسـتثناء بريطانيا، عارضـت التدخل القوى الكبرى الأخرى، ومن بينها فرنسـا وألمانيا، وهما من أقرب حلفاء أمريكا[54]. وبعد غزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين، فشلت قوات الاحتلال في العثور على أي أسلحة للدمار الشامل، وهي المبرر الذي قدم للرأي العام كسبب للتدخل الأمريكي. كذلك لم يتمكن الأمريكان من الانسحاب، كما كان مقررا، بسبب التمرد المتنامي. ورغم أن أوباما فاز في الانتخابات الرئاسـية في العام 2008، الأمر الذي يعود جزئيا إلى وعده بإنهاء الحـرب في العراق، فقد أوضح عند توليه منصبه أن القوات الأمريكية سـتضطر إلى البقاء في هذا البلد لبعض الوقت، كما أمر بحشد القوات في أفغانستان. أدت هذه الخطوات إلى استعداء الجناح اليساري للحزب الديموقراطي، لكنها لم تولد أي معارضة واسعة النطاق.

هل تختلف أمريكا عن الديموقراطيات الأخرى؟ إذا نظرنا إلى سـجل بدء الحرب منذ العام 1945، فسـنجد أنها مـن بين أكثر البلدان التي لجأت إلى الحلول العسـكرية. ومن بين 31 حربا نشـبت خلال هذه الفترة، كانت إسرائيل متورطة في ست، والولايات المتحدة والصين في خمس، وفيتنام في أربع، والهند وباكسـتان في ثلاث لكل منهما (انظر الجدول 1 - 2). تعادلت إسرائيل والولايات المتحدة في بدء الحرب؛ فقد بدأت إسرائيل أربع حروب،

وقاتلت في اثنتين أخريين (1948 و1973) حيث تعرضت للهجوم من قبل تحالفات عربية، أما الولايات المتحدة فبدأت أربع حروب من الخمسة التي خاضتها.

تقدم هذه المقارنات دليلا على أن الديموقراطيات عرضة للحرب مثلها مثل أي نظام آخر [55]. وفي ظل ترميز متحفظ (لا يعد روسيا كدولة ديموقراطية)، فقد بدأت الدول الديموقراطية 12 من 31 حربا، كما بدأت عشرا من هذه الحروب ديموقراطيات ناضجة مقابل ديموقراطيات نامية أو انتقالية. وعندما نأخذ في الاعتبار أنه خلال معظم هذه السنوات كانت الديموقراطيات تمثل نحو 27 في المائة من حكومات العالم، فسنجد أنها مسؤولة عن نسبة أكبر بكثير من حصتها العشوائية من الحروب [56]. كانت الولايات المتحدة، وإسرائيل، والهند هي أكثر الدول الديموقراطية المسؤولة عن بدء الحروب. تمثل إسرائيل حالة خاصة، فواحدة فقط من الدول المجاورة لإسرائيل تعترف بوجودها(*)، كما لم يأت هذا الاعتراف إلا بعد أربع حروب. وتحيط بإسرائيل دول معادية لها وبالأراضي التي احتلتها من الفلسطينيين. تعرضت إسرائيل للهجوم في الأعوام 1970، و1948 و1973 من قبل مصر، أو مصر ضمن تحالف مع دول عربية أخرى. وكان أربع من الحروب التي بدأتها إسرائيل (1956، و1967، و1982 و2008) ردا على استفزازات عربية. يمكننا مناقشة ما إذا كانت الأعمال العسكرية الإسرائيلية أخلاقية أو فعالة، لكن لا يمكن إنكار أن هذا البلد واجه، وما زال يواجه، تهديدات حقيقية فيما يتعلق بأمنه، إن لم يكن ببقائه. أما الهند فهي دولة ديموقراطية انتقالية، وهناك بعض الأدلة على أن الدول من هذا النوع كانت أكثر ميلا للحرب من الديموقراطيات الناضجة [57]. بيد أن الأمر الأكثر أهمية في حالة الهند هو نمط العنف المرتبط بالبلدان المقسمة: أي البلدان المتعددة التي ظهرت إلى الوجود بعد تفكك الإمبراطوريات الاستعمارية بسبب مطالبة جنسية واحدة أو أكثر بكل أو جزء من أراضيها. جعل هذا من الضروري أن تقوم القوى الاستعمارية أو الأمم المتحدة بتقسيم الأراضي بين المطالبين، أو أن يحدث التقسيم نتيجة للمعارك التي نشبت خلال مرحلة ما بعد الاستقلال. بدأت الهند أربع حروب، كانت كلها - باستثناء واحدة - مع الدولة المنافسة لها في حقبة ما بعد الاستعمار، وهي باكستان.

إن المقارنة الأكثر مغزى لمجموعة النظراء بالنسبة إلى الولايات المتحدة تكون مع دول أوروبا الغربية، واليابان، وبلدان «الكومنولث القديم» (كندا وأستراليا ونيوزيلندا)، والدول الديموقراطية في أمريكا اللاتينية. وفي هذه الحالة، من الواضح أن الولايات المتحدة تمثل

(*) وقعت معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية في واشنطن، العام 1979، ووقعت معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية، أو ما يعرف بمعاهدة وادي عربة في 1994. [المحررة].

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
17	الحرب الروسية - التركية	1695	1700	روسيا، النمسا	الإمبراطورية العثمانية	0	1	1	0	0	روسيا تضم آزوف Azov ، وتضم فيينا المجر وترانسلفانيا. قوة صاعدة تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
18	الحرب الشمالية الكبرى (الثانية)	1700	1721	السويد، الإمبراطورية العثمانية	روسيا، بولندا، الدنمارك، ساكسونيا، بروسيا	0	1	0	1	0	نتجت في المقام الأول عن التنافس بين تشارلز الثاني عشر ملك السويد وبطرس الأكبر. أدت الجهود السويدية لمعاقبة دول البلطيق المتمردة إلى حرب مع روسيا. لم يكن الانتصار السويدي في نارفا كافيا بالنسبة إلى تشارلز، فواصل زحفه إلى روسيا حيث هُزم بشكل حاسم في بولتافا في العام 1709. نهاية السلطة السويدية في منطقة البلطيق. تكتسب روسيا ميناء على بحر البلطيق وتصبح قوة عظمى. قوة عظمى تهاجم قوى ضعيفة وقوة صاعدة.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
19	حرب الخلافة الإسبانية	1701	1714	فرنسا، إسبانيا	النمسا (الإمبراطورية الرومانية المقدسة)، بريطانيا العظمى، هولندا، بروسيا، البرتغال، الدنمارك، النرويج.	0	2	1	1	0	نصّب لويس الرابع عشر ابنه ملكا على إنجلترا، واسكتلندا وأيرلندا عندما توفي الملك السابق جيمس الثاني في العام 1701. في إسبانيا، رفض لويس تسوية لقضية وراثة العرش وحاول ضم إسبانيا وهولندا الإسبانية إلى السيطرة الفرنسية. أعلنت إنجلترا وهولندا وهابسبورغ الحرب على فرنسا. أدت انتصارات الحلفاء إلى سلام أوترخت - راستات. حصل لويس على الاعتراف بفيليب الخامس ملكا على إسبانيا، لكنه لم يتمكن من اعتلاء العرش الفرنسي. أصبحت هابسبورغ القوة الرئيسية في أوروبا، وأصبحت بريطانيا العظمى قوة عظمى في غرب البحر الأبيض المتوسط. قوة مهيمنة تهاجم قوة آفلة. تصعيد غير محسوب على نحو جيد.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
20	حرب التحالف الرُّباعي	1718	1720	إسبانيا	النمسا (الإمبراطورية الرومانية المقدسة)، فرنسا، بريطانيا العظمى، هولندا، سافوي.	0	0	0	1	0	إسبانيا تغزو صقلية في محاولة لاستعادة السلطة في إيطاليا، وعارضتها في ذلك فرنسا وحلفاؤها. قوة آفلة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
21	الحرب الإنجليزية - الإسبانية	1727	1729	إسبانيا	إنجلترا، فرنسا	0	0	0	1	0	محاولة إسبانية فاشلة لاستعادة جبل طارق. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
22	حرب الخلافة البولندية	1733	1738	فرنسا، إسبانيا	بولندا، روسيا، النمسا	1	0	0	1	0	محاولة فرنسية لاستغلال الصراعات البولندية على الخلافة للتوسع في إيطاليا على حساب هابسبورغ. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
23	«الحرب النمساوية - الروسية - التركية	1735	1739	روسيا، النمسا	الإمبراطورية العثمانية	0	2	0	0	0	روسيا تهاجم العثمانيين في شبه جزيرة القرم. قوة عظمى تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
24	حرب الخلافة النمساوية	1740	1748	فرنسا، بروسيا، بافاريا، نابولي، صقلية، السويد، إسبانيا	النمسا، بريطانيا العظمى، روسيا، الجمهورية الهولندية، ساكسونيا، مملكة سردينيا، هانوفر.	1	0	1	1	0	بدأت الحرب بهجوم بروسي على هابسبورغ للاستيلاء على سيليسيا، وسرعان ما شاركت فيها معظم القوى الأوروبية. دارت المعارك في كل من إيطاليا، وألمانيا ، والبلدان الواطئة. انتشر الصراع على الصعيد الدولي؛ عُرف المكون البريطاني - الإسباني للحرب باسم حرب أذن جينكينز؛ وكذلك دارت رحى المكون الفرنسي – البريطاني للحرب في البحر ، وفي الهند وأمريكا الشمالية. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى. قوة مهيمنة تهاجم قوة عظمى.	المكانة، المصلحة	انتصرت دولة بادئة (بروسيا)، تعادلت دولة بادئة (فرنسا).
25	الحرب الروسية - السويدية	1741	1743	روسيا	السويد	0	0	0	1	0	حرب القبّعات. السويد تهاجم روسيا لاستعادة أراضيها، لكنها تفقد موانئها في فنلندا. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
26	حرب السنوات السبع	1756	1763	بروسيا، بريطانيا العظمى، ناخبو برانزويك - لوينبيرغ (هانوفر)، كونفدرالية الأوروكيون، البرتغال.	النمسا، فرنسا، روسيا، السويد، إسبانيا، ساكسونيا، نابولي وصقلية، سردينيا – بيدمونت.	1	1	1	0	0	قامت بروسيا، المتحالفة مع بريطانيا العظمى بمهاجمة النمسا - التي كان مدعومة من فرنسا، وروسيا، والسويد، وسكسونيا. دارت المعارك بين جيشي فرنسا والنمسا في جنوب غرب ألمانيا، وإيطاليا، والبلدان الواطئة. كما دارت معارك المكون الأنجلو - فرنسي للحرب في الهند وأمريكا الشمالية أيضا. خسرت فرنسا هيمنتها ومكانتها في أمريكا الشمالية. أصبحت بريطانيا العظمى القوة البحرية الرائدة في العالم. قوة مهيمنة وحلفاؤها تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت دولة بادئة (بريطانيا العظمى)، تعادلت دولة بادئة (بروسيا).
27	كونفدرالية بار	1768	1772	روسيا	كومنولث بولندا - ليتوانيا	0	0	0	1	0	محاولة من جانب النبلاء البولنديين للحصول على أراض من روسيا. انتهت بهزيمة في المنفى. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتصارعة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
28	الحرب الروسية - التركية الثالثة	1768	1774	روسيا	الإمبراطورية العثمانية، النبلاء البولنديون	0	0	0	1	0	السلطان يعلن الحرب على روسيا، ومن ثم يُهزم ويواجه تمرداً. تربح روسيا ميناء على البحر الأسود. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
29	حرب الثورة الأمريكية	1779	1784	بريطانيا العظمى	فرنسا، إسبانيا، الجمهورية الهولندية، الولايات المتحدة	1	0	0	0	0	فرنسا تهب لمساعدة المستعمرات الأمريكية. أجبرت بريطانيا العظمى على الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة. قوة مهيمنة تهاجم قوة عظمى.	المكانة، الانتقام	انتصرت الدولة البادئة.
30	حرب الخلافة البافارية	1778	1779	النمسا	بروسيا، سكسونيا	0	1	0	0	0	الحرب الأخيرة لفريدريك لمنع النمسا من توسيع قوتها في ألمانيا. تم صد النمسا، وانتصرت سكسونيا. قوة عظمى تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
31	الحرب الروسية - التركية الرابعة	1787	1792	روسيا، النمسا	الإمبراطورية العثمانية	0	1	0	0	0	محاولة فاشلة أخرى من قبل العثمانيين لاستعادة أراض من روسيا. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
32	الحرب الروسية - السويدية - الأولى	1788	1790	روسيا، الدنمارك	السويد	0	1	0	0	0	محاولة سويدية لاستعادة أراض. حرب تافهة ذات نتيجة تافهة. قوة آفلة تهاجم قوة ضعيفة، ثم قوة عظمى سابقة تهاجم قوة آفلة.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المستهدفة الأخرى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	التفسير	الدافع	النتيجة
33	حرب الائتلاف الأول	1792	1797	فرنسا	النمسا، بروسيا، بريطانيا العظمى، إسبانيا، البرتغال، سردينيا، نابولي وصقلية، الإمبراطورية العثمانية، الجمهورية الهولندية	0	1	0	0	0	سعت بروسيا بنشاط للحرب ضد فرنسا، في حين كانت النمسا تأمل في الحفاظ على السلام. قامت الجمعية الوطنية الفرنسية، وهي تتوقع أنها ستتعرض للهجوم واقتناعا منها بأن الهجوم شرقاً سيجلب الثورة إلى بروسيا والنمسا، بشن حرب استباقية.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة، رغم أن ذلك ليس بمفهوم كلاوسفيتز المتمثل في تحقيق الأهداف التي خاضت من أجلها الحرب.
34	الحملة المصرية	1798	1801	فرنسا	بريطانيا العظمى	1	0	0	0	0	ظلت بريطانيا العظمى في حالة حرب مع فرنسا. قامت بريطانيا العظمى بدعم المتمردين في شبه الجزيرة الأيبيرية وشنت حربا بحرية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. قوة عظمى تهاجم قوة مهيمنة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
35	حرب الائتلاف الثاني	1798	1802	فرنسا، إسبانيا، الدنمارك - النرويج	النمسا، بريطانيا العظمى، البرتغال، نابولي وصقلية، الإمبراطورية العثمانية	1	0	0	1	0	محاولة أخرى للقضاء على فرنسا الثورية. حقق نابليون انتصارات كبرى ضد النمسا. قوى عظمى تهاجم قوة مهيمنة.	الأمن	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المعارضة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة ثقلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
36	الحروب النابليونية	1803	1812	فرنسا	النمسا، بريطانيا العظمى، روسيا، بروسيا، إسبانيا، البرتغال، صقلية، سردينيا، السويد	1	1	1	0	0	استمرارا لصراع سابق ، والذي تم على مرحلتين. غزت فرنسا روسيا، ومن ثم تعرضت بدورها للهجوم من قبل ائتلاف ضخم من القوى الضعيفة والكبرى عند انسحابها.	المكانة، الأمن	هُزمت الدولة البادئة (فرنسا) انتصرت الدولة البادئة (الائتلاف).
37	الحروب النابليونية	1812	1812	فرنسا، بروسيا (مُجبرة)	هانوفر، هولندا المتحدة، روسيا	1	0	0	0	0	فرنسا وحلفاؤها يغزون روسيا.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة (فرنسا).
38	حرب الائتلاف السادس	1812	1814	النمسا، بريطانيا العظمى، روسيا، بروسيا، إسبانيا، البرتغال، صقلية، سردينيا، السويد، هانوفر، هولندا المتحدة	فرنسا	0	1	1	1	0	تعرضت فرنسا لهجوم من قبل ائتلاف من القوى أثناء انسحابها من روسيا.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
39	حرب الائتلاف السابع	1815	1815	فرنسا	كل القوى الكبرى المذكورة أعلاه	1	0	0	0	0	مجلس أوروبا يعلن نابليون خارجا عن القانون، ويؤيد القيام بعمل عسكري ضده. نابليون يغزو بلجيكا في محاولة لإعادة تأسيس السلطة الفرنسية وترسيخ دعائم حكمه.	الأمن، المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
40	الحرب الروسية - الفارسية	1801	1801	روسيا	فارس	0	1	0	0	0	روسيا وبلاد فارس يشتبكان حول أراض حدودية. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
41	الحرب الروسية - التركية الخامسة	1806	1806	روسيا	الإمبراطورية العثمانية	0	1	0	0	0	بتحريض من فرنسا، يسعى العثمانيون للانتقام، بيد أنهم في النهاية يفقدون بيسارابيا. قوة آفلة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
42	الحرب الروسية - السويدية الثانية (الحرب الفنلندية)	1808	1808	روسيا	السويد	0	1	0	0	0	السويد تقدم ذريعة لروسيا لغزو وضم فنلندا. قوة عظمى تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
43	حرب العام 1812	1812	1812	الولايات المتحدة	بريطانيا العظمى	0	1	0	0	0	الأنشطة البحرية البريطانية تحرّض على رد فعل أمريكي، الأمر الذي يؤدي إلى حرب غير حاسمة. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	الأمن	تعادل
44	الحرب الفرنسية - الإسبانية	1823	1823	إسبانيا	فرنسا	1	0	0	0	0	مؤتمر فيرونا يخول فرنسا لغزو إسبانيا لإعادة الأسرة الحاكمة، الأمر الذي تعارضه بريطانيا العظمى. قوة مهيمنة تهاجم قوة آفلة.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة.
45	الحرب الروسية - التركية	1828	1829	روسيا	تركيا	0	1	0	0	0	فرع من حرب الاستقلال اليونانية. غزت روسيا البلقان وضمت ساحل البحر الأسود إلى مصب نهر الدانوب، بالإضافة إلى أرمينيا وجورجيا. قوة عظمى تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
46	الحرب المكسيكية - الأمريكية	1846	1848	الولايات المتحدة	المكسيك	0	0	1	0	0	توسع استعماري من قبل الولايات المتحدة على حساب المكسيك. قوة صاعدة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
47	حرب النمسا وسردينيا	1848	1848	النمسا - المجر	سردينيا - بيدمونت	0	0	1	0	0	تمرد إيطالي ضد النمسا بدعم من سردينيا. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
48	حرب شليسفيغ - هولشتاين الأولى	1848	1848	بروسيا	الدنمارك	0	1	0	0	0	بروسيا تهاجم الدنمارك. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	تعادل
49	حرب الجمهورية الرومانية (حرب الاستقلال الإيطالية الأولى)	1849	1849	النمسا - المجر	سردينيا - بيدمونت، صقلية	0	0	1	0	0	حرب ضد النمسا من أجل أراض إيطالية. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
50	حرب القرم	1853	1856	فرنسا، بريطانيا العظمى، سردينيا، الإمبراطورية العثمانية	روسيا	0	1	0	1	0	تحالفت القوى للحد من التغلغل الروسي إلى البلقان. قوى كبرى وقوة آفلة تهاجم قوة عظمى. تصعيد غير محسوب على نحو جيد.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
51	الحرب الإنجليزية - الفارسية	1856	1857	فارس	بريطانيا العظمى	0	0	0	0	1	محاولة فارسية فاشلة للاستيلاء على منطقة هيرات في أفغانستان. قوة ضعيفة تهاجم قوة ضعيفة، مما يؤدي إلى حرب مع قوة عظمى. تصعيد غير محسوب على نحو جيد.	أخرى	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
52	حرب توحيد إيطاليا (حرب الاستقلال الإيطالية الثانية)	1859	1861	فرنسا، سردينيا	النمسا	0	1	1	0	0	فرنسا تساعد سردينيا في محاولة لطرد النمسا من إيطاليا. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
53	الحرب الفرنسية - المكسيكية	1862	1867	فرنسا	المكسيك	1	0	0	0	0	محاولة استعمارية فاشلة من قبل لويس نابليون. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
54	حرب شليسفيغ - هولشتاين الثانية (الحرب الدنماركية)	1864	1864	بروسيا، النمسا	الدنمارك	0	1	0	0	0	بروسيا والنمسا تنتزع شليسفيغ - هولشتاين من الدنمارك. قوى عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة، أخرى	انتصرت الدولة البادئة.
55	الحرب النمساوية - البروسية (سبعة أسابيع)	1866	1866	بروسيا	النمسا	0	1	0	0	0	بروسيا تكتسب السيادة في ألمانيا (حل كلايندويتش). قوة عظمى تهاجم قوة عظمى.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
56	الحرب الفرنسية - البروسية	1870	1871	بروسيا، الدويلات الألمانية	فرنسا	1	0	0	0	0	بروسيا توحد ألمانيا من خلال هزيمة فرنسا. قوة مهيمنة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
57	الحرب الروسية - التركية	1877	1878	روسيا، دول البلقان	الإمبراطورية العثمانية	0	1	0	0	0	روسيا تهاجم الإمبراطورية العثمانية. توقف الزحف على القسطنطينية بفعل التهديد البريطاني. قوة عظمى تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
58	الحرب الأنجلو - مصرية	1882	1882	بريطانيا العظمى، فرنسا	الإمبراطورية العثمانية	0	1	0	0	0	بريطانيا العظمى وفرنسا تُنشئان اتحادا استعماريا على مصر. قوى عظمى تهاجم قوة آفلة.	المصلحة	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
59	الحرب الصينية - الفرنسية	1884	1901	فرنسا	الصين	0	1	0	0	0	توسع استعماري. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
60	الحرب الفرنسية - التايلاندية	1893	1893	فرنسا	تايلاند	0	1	0	0	0	توسع استعماري. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
61	الحرب الصينية - اليابانية	1894	1895	اليابان	الصين	0	0	1	0	0	توسع استعماري. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
62	الحرب الإسبانية - الأمريكية	1898	1901	الولايات المتحدة	إسبانيا	0	0	1	0	0	الولايات المتحدة تهاجم كوبا وبورتوريكو والفلبين. قوة صاعدة تهاجم قوة آفلة.	الأمن، المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
63	ثورة الملاكمين	1900	1900	القوى الأوروبية	الصين	0	1	0	0	0	احتلال المدن الصينية بعد انتفاضة مناهضة للاستعمار. قوى عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
64	الحرب الصينية - الروسية	1900	1900	روسيا	الصين	0	1	0	0	0	توسّع استعماري من قبل الصين. قوة صاعدة تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
65	الحرب الروسية - اليابانية	1904	1905	روسيا	اليابان	0	1	0	0	0	نزاع حول كوريا. قوة عظمى تهاجم قوة صاعدة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة
66	الحرب الإيطالية - التركية	1911	1912	إيطاليا	الإمبراطورية العثمانية	0	0	1	0	0	الغزو الإيطالي لطرابلس يحرّض حربا أوسع. قوة صاعدة تهاجم قوة آفلة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوى عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
67	حرب البلقان الأولى	1912	1913	صربيا، بلغاريا، اليونان، رومانيا	الإمبراطورية العثمانية	0	0	0	0	1	ألبانيا تحصل على استقلالها. يفقد العثمانيون معظم الأراضي الأوروبية المتبقية تحت سيطرتهم. قوى ضعيفة تهاجم قوة آفلة.	أخرى	انتصرت الدول البادئة.
68	الحرب العالمية الأولى	1914	1914	ألمانيا، النمسا - المجر، الإمبراطورية العثمانية، بلغاريا	المملكة المتحدة، فرنسا، روسيا، إيطاليا، اليابان	1	1	0	0	0	إعلان النمسا الحرب ضد صربيا يؤدي إلى حرب قارية. قوة عظمى تدعمها قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة. تصعيد غير محسوب على نحو جيد، إذ إن الحرب المحلية المقصودة في البلقان تحولت إلى حرب قارية ثم عالمية.	المكانة، الأمن	هُزمت الدولة البادئة.
69	الحرب العالمية الأولى	1917	1917	ألمانيا	الولايات المتحدة	1	0	0	0	0	قوة عظمى تهاجم قوة عظمى.	الأمن	هُزمت الدولة البادئة
70	الحرب الروسية - البولندية	1919	1920	بولندا	الاتحاد السوفييتي	0	0	0	0	0	محاولة بولندية لإعادة ترسيم الحدود الشرقية كما كانت العام .1772	المكانة، الانتقام	هُزمت الدولة البادئة.
71	الحرب الفرنسية - التركية	1919	1921	المملكة المتحدة، فرنسا	تركيا	0	1	0	1	0	انتهى الاحتلال الفرنسي للأراضي التركية إلى الانسحاب. قوى عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
72	الحرب الصينية - السوفييتية	1929	1929	الاتحاد السوفييتي	الصين	0	0	1	0	0	نزاع حول السكك الحديدية المنشورية. قوة صاعدة تهاجم قوة ضعيفة.	المصلحة	انتصرت الدولة البادئة.
73	الحرب المنشورية	1931	1933	اليابان	الصين	0	1	0	0	0	عدوان استعماري. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
74	الحرب الإيطالية - الإثيوبية	1935	1936	إيطاليا	إثيوبيا	0	0	1	0	0	عدوان استعماري.قوة صاعدة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
75	الحرب الصينية - اليابانية	1937	1945	اليابان	الصين	0	1	0	0	0	اليابان تغزو الصين. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
76	حرب تشانغ فيونغ	1938	1938	اليابان	الاتحاد السوفييتي	0	1	0	0	0	توغل ياباني فاشل في منغوليا. قوة عظمى تهاجم قوة عظمى.	أخرى	هُزمت الدولة البادئة.
77	حرب نومونهان	1939	1939	الاتحاد السوفييتي	اليابان في منغوليا	0	0	1	0	0	الاتحاد السوفييتي يسحق جيش كوانتونغ لحماية جناحه الآسيوي. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة.
78	الحرب العالمية الثانية (أوروبا)	1939	1939 - 41	ألمانيا، إيطاليا، المجر	معظم بلدان أوروبا، وآسيا، والولايات المتحدة	0	1	0	0	0	محاولة من جانب ألمانيا وحلفائها لغزو أوروبا وشمال أفريقيا. قوة عظمى تهاجم قوى ضعيفة وعظمى. قوة صاعدة تهاجم قوة عظمى.	أخرى	هُزمت الدول البادئة.
79	الحرب العالمية الثانية (المحيط الهادي)	1941	1941	اليابان	الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا، هولندا، أستراليا، الاتحاد السوفييتي	0	1	0	0	0	اليابان تهاجم الولايات المتحدة والقوى الاستعمارية الأوروبية في آسيا. قوة عظمى تهاجم قوى كبرى وضعيفة.	الأمن، المكانة	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
80	الحرب الروسية - الفنلندية	1939	1940	الاتحاد السوفييتي	فنلندا	0	0	1	0	0	الاتحاد السوفييتي يهاجم فنلندا لتحسين موقفه توقعًا لحرب مع ألمانيا. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة.
81	الحرب الفرنسية - التايلاندية	1940	1941	تايلاند	فرنسا	0	0	0	0	1	يحاول التايلانديون استعادة الأراضي التي استولت عليها فرنسا. قوة ضعيفة تهاجم قوة عظمى.	الانتقام	انتصرت الدولة البادئة.
82	الحرب الكورية	1950	1950	الولايات المتحدة والتحالف	كوريا الشمالية	1	0	0	0	0	تتدخل الولايات المتحدة لحماية دولة موالية لها تعرضت للغزو. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	الأمن	تعادل
83	الحرب الكورية	1950	1950	الصين	الولايات المتحدة والتحالف	0	0	1	0	0	الصين تهاجم القوات الامريكية في كوريا الشمالية، تتراجع القوات في نهاية المطاف وتخوض حرب استنزاف مُرهقة.	الأمن	تعادل
84	الحرب الروسية - المجرية	1956	1956	الاتحاد السوفييتي	المجر	0	1	0	0	0	تدخّل ضمن بلدان الكتلة لمنع تغيير النظام. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	الأمن	انتصرت الدولة البادئة.
85	حرب سيناء	1956	1956	إسرائيل، المملكة المتحدة، فرنسا	مصر	0	1	0	0	0	المملكة المتحدة وفرنسا تهاجمان مصر. (وكذلك فعلت إسرائيل، لكن لا مصر ولا إسرائيل تُعد قوة عظمى، لذلك لم يتم تضمين هذا المكون في مجموعة البيانات).	المكانة	هُزمت الدول البادئة (أجبرت على الانسحاب).
86	حرب فيتنام	1965	1973	الولايات المتحدة	فيتنام الشمالية، الفيت كونغ	1	0	0	0	0	القوات الأمريكية تهاجم قوات الفيت كونغ وفيتنام الشمالية في فيتنام الجنوبية وتقصف فيتنام الشمالية. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة، الأمن	هُزمت الدولة البادئة.

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	[illegible]
87	الحرب السوفييتية - الأفغانية	1979	1980	الاتحاد السوفييتي	أفغانستان	0	1	0	0	0	الاتحاد السوفييتي يغزو أفغانستان. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة، الأمن	هُزمت الدولة البادئة.
88	الحرب الصينية - الفيتنامية	1979	1979	الصين	فيتنام	0	0	1	0	0	الصين تحاول دون جدوى إخضاع فيتنام.قوة صاعدة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
89	حرب الفوكلاند/ مالفيناس	1982	1982	الأرجنتين	المملكة المتحدة	0	0	0	0	1	الأرجنتين تغزو جزر فوكلاند/ مالفيناس. قوة ضعيفة تهاجم قوة عظمى.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
90	الحرب الصينية - الفيتنامية	1987	1987	الصين	فيتنام	0	0	1	0	0	الصين تشن غزوا عقابيا غير ناجح لفيتنام. قوة صاعدة تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	هُزمت الدولة البادئة.
91	حرب الخليج	1990	1991	الولايات المتحدة مع التحالف	العراق	1	0	0	0	0	الولايات المتحدة وقوات التحالف تهزم العراق، وتجبره على الانسحاب من الكويت. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	الأمن، المصلحة	انتصرت الدولة البادئة.
92	الحرب الأمريكية - الأفغانية (طالبان)	2001	2003	الولايات المتحدة	أفغانستان	1	0	0	0	0	تقوم الولايات المتحدة بالغزو لدعم المتمردين المحليين ولزيح طالبان عن السلطة. قوة مهيمنة تهاجم قوة ضعيفة.	أخرى، الأمن	لا تزال مستمرة.
93	الغزو الأنجلو - أمريكي للعراق	2003	2003	الولايات المتحدة، المملكة المتحدة	العراق	1	1	0	0	0	الولايات المتحدة تغزو العراق وتحتله، وتطيح بصدام حسين. قوة عظمى تهاجم قوة ضعيفة.	المكانة	لا تزال مستمرة (*)

(*) انظر الهامش في الفصل الرابع ص146 - [المحررة].

	اسم الحرب	بدايتها	نهايتها	الدولة (الدول) البادئة	الدولة (الدول) المتحاربة الأخرى	الدولة البادئة: قوة مهيمنة	الدولة البادئة: قوة عظمى	الدولة البادئة: قوة صاعدة	الدولة البادئة: قوة آفلة	الدولة البادئة: قوة ضعيفة	التفسير	الدافع	النتيجة
94	الغزو الروسي لأوسيتيا الجنوبية	2008	2008	روسيا	جورجيا	0	1	0	0	0	روسيا «تحرر» أوسيتيا الجنوبية من جورجيا.	المكانة	انتصرت الدولة البادئة.
	المجموع من 1648 - 2003 (إجمالي 94 حربا)			مجموع الدول البادئة	118	24	49	27	14	4			انتصرت الدول البادئة في 46 حرباً.
	المجموع من 1648 - 1713			إجمالي	65	5	47	9	3	1			هُزمت الدول البادئة في 40 حرباً.
	المجموع من 1714 - 1815			إجمالي	35	9	13	4	9	0			تم التعادل في 6 حروب.
	المجموع من 1816 - 1945			إجمالي	41	5	20	11	2	3			هناك حربان مستمرتان حتى الآن (**)
	المجموع من 1946 - 2003			إجمالي	13	5	4	3	0	1			

(*) حرب واحدة مستمرة، والأخرى انتهت بانسحاب القوات الأمريكية من العراق في العام 2011 - [المحررة].

الهوامش

الفصل الأول

(1) Black, Quotations in Black, p. 260.

(2) Keeley, War Before Civilization.

(3) Wikipedia, http://en.wikipedia.org/wiki/Iraq_casualties/ for a review of diverse attempts to assess casualties.

Stiglitz and Bilmes, Three Trillion Dollar War.

(4) Wright, A Study of War, vol. 1, pp. 121, 237, 242, 248, 638; Levy, War in the Modern Great Power System, p. 139; Holsti, Peace and War; Hamilton, "The European Wars: 1815–1914."

(5) Holsti, "The Decline of Interstate War."

(6) Tucker, Encyclopedia of World War I, pp. 272–273; Tucker and Roberts, Encyclopedia of World War II, pp. 300–301.

(7) Phillips and Killingray, Spanish Influenza Pandemic of 1918–19, p. 7.

(8) Cook and Walker, Facts on File World Political Almanac, p. 325; McNamara, Argument Without End, p. 1, maintains 3.8 million Vietnamese died.

(9) Cook and Walker, Facts on File World Political Almanac, p. 325; Chubin and Tripp, Iran and Iraq at War, p. 1, estimate 1.5 million.

(10) McNamara, Fog of War, p. 233.

(11) Brown, DROPSHOT, on the early 1950s and Richelson, "Population Targeting and US Strategic Doctrine," on the SIOP.

(12) United States Arms Control and Disarmament Agency, The Effects of Nuclear War; United States Congress, Office of Technology Assessment, The Effects of Nuclear War; Richelson, "Population Targeting and US Strategic Doctrine."

(13) Natural Resources Defense Council, Archive of Nuclear Data, www.nrdc.org/nuclear/nudb/datainx.asp.

(14) Sagan and Turco, Where No Man Thought.

(15) Mueller, Remnants of War, pp. 162–171; Väyrynen, "Introduction," for overviews.

(16) Mueller, Retreat from Doomsday.

(17) On the German side, see Mombauer, Helmuth von Moltke, pp. 210–213, citing relevant correspondence between Moltke and Falkenhayn.

(18) Kershaw, The "Hitler Myth," pp. 139–147; Frei, "People's Community and War."

(19) Luard, War in International Society, pp. 330–331, 366–367.

(20) Sage and Kasten, Enslaved; Bales, Disposable People and Understanding Global Slavery Today.

(21) Mueller, War, Presidents, and Public Opinion and Mueller, Public Opinion and the Gulf War; Oneal and Bryan, "Rally 'Round the Flag Effect in US Foreign Policy Crises."

(22) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 461–462, 469–472.

(23) Mermin, Debating War and Peace; Schechter, "Selling the Iraq War."

(24) Polls reported at Wikipedia, "Popular Opinion in the US on the War in Iraq,"
http://en.wikipedia.org/wiki/Popular_opinion_in_the_US_on_the_invasion_of_Iraq/.

(25) www.washingtontimes.com/upi-breaking/20040820-115103-7559r.htm.

(26) Wikipedia, "Popular Opinion in the US on the War in Iraq."

(27) Ibid.

(28) Lai and Reiter, "Rally 'Round the Union Jack?"; Lewis, "Television, Public Opinion and the War in Iraq"; Kettell, Dirty Politics?

(29) Thucydides, History of the Peloponnesian War, I.32–44, for the speeches and assembly's decision.

(30) Ibid., 6.9–24.

(31) Ibid., 5.85–113.

(32) Lebow, Tragic Vision of Politics, ch. 3.

(33) Vasquez, War Puzzle, pp. 21–28, for a good discussion of this problem.

(34) Petersen, Understanding Ethnic Violence, p. 52, makes an argument parallel to mine. He contends that civil violence is often a means used by groups in the hope of reordering the status hierarchy in an upward direction.

(35) Huntingford, "Animals Fight, But Do Not Make War."

(36) Van Wees, Greek Warfare; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 4.

(37) Hassig, Aztec Warfare.

(38) Winch, Idea of a Social Science, p. 52, on the relationship between intersubjective understandings and rules.

(39) Wright, Study of War, p. 698, on this point.

(40) Clausewitz, On War, Book 1.

(41) Bull, Anarchical Society, p. 184.

(42) Singer and Small, Wages of War, 1816–1965, pp. 37, 39, for the origins of this criterion.

(43) Clausewitz, On War, Book 6.

(44) Levy, Walker and Edwards, "Continuity and Change in the Evolution of Warfare"; Luard, War and International Society; Holsti, Peace and War, for variants of the claim that the goals of war have changed over the centuries.

(45) Suganami, "Explaining War"; Lebow, Cultural Theory of International Relations, for evidence.

(46) Herwig, "Clio Deceived"; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 376–381.

(47) Levy, "Causes of War"; Vasquez, War Puzzle, pp. 9, 48–50; Lebow, Forbidden Fruit, chs. 1, 3, 9.

(48) Holsti, Peace and War, pp. 46–63; Vasquez, War Puzzle; Senese and Vasquez, Steps to War. See Hensel, "Territory," for a literature review.

(49) Ray, "Democracy," for a recent, thoughtful assessment.

(50) Schroeder, "Life and Death of a Long Peace."

(51) Nicholson, Congress of Vienna; Gulick, Europe's Classical Balance of Power; Kissinger, World Restored.

(52) Northedge, League of Nations; Walters, History of the League of Nations.

(53) The Age (Melbourne), March 6, 2007, p. 7.

(54) On the Japanese debate, Rozman, "Japan's Quest for Great Power Identity"; Hughes, "Japan's Re-emergence as a 'Normal' Military Power"; Samuels, Securing Japan.

الفصل الثاني

(1) Jordan, Maliniak, Oakes et al., "One Discipline or Many," reports on a survey that finds the three main paradigms – realism, liberalism and constructivism – are statistically even in the US with about 20 percent of scholars identifying with each. A plurality (25 percent) say that they don't identify with any paradigm.

(2) Wolfers, Discord and Collaboration.

(3) Morgenthau, Politics Among Nations, p. 21.

(4) Ibid., pp. 159–166, 270–284; Morgenthau, In Defense of the National Interest, p. 60.

(5) Morgenthau, Politics Among Nations, p. 285.

(6) Ibid., pp. 21–25, 58–60.

(7) Haas, "The Balance of Power"; Claude, Power and International Relations, pp. 25–37; Wight, "The Balance of Power."

(8) Watson, Evolution of International Society; Lebow, Tragic Vision of Politics; Little, Balance of Power in International Relations, pp. 100–124.

(9) Guzzini, "Concept of Power," p. 503.

(10) Morgenthau, Politics Among Nations, p. 21; Morgenthau, Scientific Man vs. Power
Politics, p. 105.

(11) Herz, "Idealist Internationalism and the Security Dilemma," p. 157.

(12) Booth and Wheeler, Security Dilemma, p. 23.

(13) Waltz, Theory of International Politics.

(14) Ibid., pp. 71, 121, and Waltz, "International Relations Is Not Foreign Policy."

(15) Waltz, Theory of International Politics, pp. 129–131.

(16) Morgenthau, Politics Among Nations, 3rd edn., p. 114. White, "Nature of World Power in American History."

(17) Waltz, Theory of International Politics, pp. 180–181.

(18) Waltz, "Emerging Structure of International Politics"; Mearsheimer, "Back to the Future."

(19) Waltz, "Emerging Structure of International Politics."

(20) Krauthammer, "Unipolar Moment," and Krauthammer, "Unipolar Moment Revisited"; Wohlforth, "Stability of a Unipolar World"; Huntington, "Lonely Superpower"; Mastanduno, "Preserving the Unipolar Moment."

(21) Layne, "Unipolar Illusion"; Kupchan, "After Pax Americana."

(22) Waltz, Theory of International Politics, p. 131.

(23) Elman, "Horses for Courses"; Rose, "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy"; Fearon, "Domestic Politics, Foreign Policy, and Theories of International Relations." Waltz, "Spread of Nuclear Weapons."

(24) Walt, Origins of Alliances; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics; Kydd, "Sheep in Sheep's Clothing."

(25) Mearsheimer, "Back to the Future" and Mearsheimer, Tragedy of the Great Powers; Ikenberry, America Unrivaled, p. 3; Wohlforth, "US Strategy in a Unipolar World."

(26) Brooks and Wohlforth, "Hard Times for Soft Balancing."

(27) Morgenthau, Politics Among Nations; Kaplan, System and Process in International Politics; Claude, Power and International Relations; Little, Balance of Power in International Relations, pp. 2, 20, 94–96.

(28) Little, Balance of Power in International Relations, p. 92.

(29) Levy, "Causes of War"; Little, Balance of Power in International Relations.

(30) Wright, Study of War; Claude, Power and International Relations, pp. 51–56; Waltz, Theory of International Politics, p. 131; Mearsheimer, Tragedy of the Great Powers, p. 341. Also Levy, "What Do Great Powers Balance Against and When?" Wohlforth, Little, Kaufman et al., "Comedy of Errors."

(31) Doyle, Empires, p. 40.

(32) Organski , World Politics; Waltz, Theory of International Politics.

(33) Morgenthau, Politics Among Nations; Gulick, Europe's Classical Balance of Power; Claude, Power and International Relations.

(34) 34 Morgenthau, Politics Among Nations, 6th edn., pp. 378–379. 390–391; Kaplan, System and Process in International Politics, p. 34; Claude, Power and International Relations, p. 48; Deutsch and Singer, "Multipolar Systems and International Stability"; Rosecrance, "Bipolarity, Multipolarity, and the Future"; Waltz, Theory of International Politics, ch. 8.

(35) Little, Balance of Power in International Relations, p. 29.

(36) Jervis, System Effects, p. 131.

(37) Vasquez, Power of Power Politics; Sabrovsky, Polarity and War; Gochman, "Capability- Driven Disputes"; Mansfield, "Concentration of Capabilities and the Onset of War."

(38) Olson, Logic of Collective Action.

(39) Walt, Origins of Alliances; Christensen and Snyder, "Chain Gangs and Passed Bucks"; Schweller, "Bandwagoning for Profit."

(40) Kaufman, Little and Wohlforth, Balance of Power in World History, pp. 229–230.

(41) Gulick, Europe's Classical Balance of Power; Kissinger, World Restored; Schroeder, Transformation of European Politics.

(42) Wight, Systems of States, pp. 23, 149; Schroeder, "International Politics"; Kissinger, World Restored, p. 1.

(43) Morgenthau, Politics among Nations, p. 195.

(44) Glaser, "Realists as Optimists"; Glaser and Kaufmann, "What Is the Offense–Defense Balance?" Glaser and Walt, "International Relations"; Van Evera, Causes of War.

(45) Van Evera, Causes of War.

(46) Zuber, Inventing the Schlieffen Plan; Herwig, The First World War, pp. 18–23; Mombauer, Helmuth von Moltke and the Origins of the First World War; Lebow, Cultural Theory of International Relations, 352–365.

(47) Lebow, Tragic Vision of Politics and Cultural Theory of International Relations, pp. 459–480; Erskine and Lebow, Tragedy and International Relations.

(48) Toynbee, Study of War; Väyrynen, "Economic Cycles"; Wallerstein, The Politics of the World Economy.

(49) Macfie, "Outbreak of War and the Trade Cycle."

(50) Modelski, "Long Cycle of Global Politics and the Nation-State"; Modelski, Exploring Long Cycles; Modelski, Long Cycles in World Politics; Thompson, "Cycles, Capabilities and War"; Thompson, "Uneven Economic Growth, Systemic Challenges, and Global War"; Thompson, "Polarity, the Long Cycle and Global Power Warfare"; Boswell and Sweat, "Hegemony, Long Waves and Major Wars"; Levy, "Long Cycles, Hegemonic Transitions and the Long Peace"; Rasler and Thompson, Great Powers and Global Struggle.

(51) Organski and Kugler, War Ledger, p. 358.

(52) Ibid., pp. 315–316.

(53) Ibid.

(54) Ibid., pp. 364–367.

(55) Ibid., pp. 19–20.

(56) Ibid., p. 61.

(57) Gilpin, War and Change in World Politics, p. 186.

(58) Ibid., p. 187.

(59) Ibid., pp. 191–193.

(60) Ibid., p. 198.

(61) Ibid., p. 200.

(62) Lebow and Valentino, "Lost in Transition," for a more extensive critique.

(63) Organski and Kugler, War Ledger, pp. 157–158.

(64) Gilpin, War and Change in World Politics, p. 191.

(65) Ibid., p. 201.

(66) Organski and Kugler, War Ledger, p. 58.

(67) Lebow, Tragic Vision of Politics, pp. 55–114. Copeland, Origins of Major Wars.

(68) Lebow, Tragic Vision of Politics, pp. 55–114. Copeland, Origins of Major Wars.

(69) Bluche, Louis XIV, p. 246; Blanning, Pursuit of Glory, pp. 538–540.

(70) Blanning, Origins of the French Revolutionary Wars, pp. 69–95.

(71) Zuber, Inventing the Schlieffen Plan; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 352–363.

(72) Herwig, The First World War, pp. 18–23; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 352–365, on this case and the primacy of the Kaiser.

(73) Weinberg, The Foreign Policy of Hitler's Germany, vol. 1, p. 358; Rich, Hitler's War Aims, vol. 1, pp. 3–10; Fest, Hitler, pp. 213–218.

(74) Ibid.

(75) Bosworth, Mussolini, p. 370; Lowe and Marzari, Italian Foreign Policy, pp. 133–160.

(76) Nish, Japan's Struggle with Internationalism; Iriye, Origins of the Second World War; Sun, China and the Origins of the Pacific War.

(77) Lenin, On Imperialism.

(78) Hobson, Imperialism; Seabrooke, "The Economic Taproot of US Imperialism."

(79) Hamilton, Marxism, Revisionism, and Leninism, pp. 155–206; Brewer, Marxist Theories of Imperialism.

(80) Feis, Europe; Cairncross, Home and Foreign Investment; Edelstein, Overseas Investment in the Age of High Imperialism; Davis and Huttenback, Mammon and the Pursuit of Empire; Frieden, "International Investment and Colonial Control"; Kennedy, Industrial Structure, Capital Markets, and the Origins of British Economic Decline, pp. 152–153.

(81) The starting point of this debate is Robinson and Gallagher, "Imperialism of Free Trade"; and Robinson and Gallagher, Africa and the Victorians. See also Smith, Pattern of Imperialism;

Mommsen and Osterhammel, Imperialism and After; Lebow, Cultural Theory, ch. 7.

(82) Hamilton and Herwig, Origins of World War I, offer a country-by-country overview and thoughtful general survey. Studies like Fischer, Germany's Aims in the First World War, which emphasize the role of imperialism and territorial expansion unfairly read back aims that developed in the course of the war into the minds of policymakers on the eve of the war.

(83) For Lenin's rejoinder, see State and Revolution.

(84) Marx, Capital, vol. 1, p. 875.

(85) Antonio Gramsci, "Revolution Against Capital," Milan edition of Avanti!, December 24, 1917; republished by Il Grido del Popolo, January 5, 1918.

(86) Gramsci, Selections from the Prison Notebooks, recognized civil society as contested terrain, and was the first important Marxist theorist to move away from the mechanical reduction of civil society to the political economy.

(87) Cox, "Gramsci, Hegemony and International Relations"; Gill and Law, "Global Hegemony and the Structural Power of Capital"; Murphy, "Understanding IR."

(88) Germain and Kenny, "Engaging Gramsci"; Burnham, "Neo-Gramscian Hegemony and the International Order."

(89) Hamilton, Marxism, Revisionism, and Leninism, for a thoughtful critique.

(90) Habermas, Knowledge and Human Interests, chs. 10–12; and Habermas, Theory and Practice, pp. 195–252.

(91) Morgenthau, Politics Among Nations, 1st edn., pp. 43–44, 366–367, and 6th edn., pp. 9–10, 277–278. 372–375; Lebow, Tragic Vision of Politics, pp. 236–242; Scheuerman, Hans Morgenthau, pp. 165–195.

(92) Mearsheimer and Walt, Israel Lobby and American Foreign Policy.

(93) Schweller, Deadly Imbalances; Copeland, Origins of Major War, ch. 5; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics, pp. 46, 181–182, 217–219.

(94) For some of this debate, see Tammen, Kugler, Lemke et al., Power Transitions; Houweling and Siccama, "Power Transition as a Cause of War"; De Soysa, Oneal and Park, "Testing Power-Transition Theory Using Alternate Measures of Material Capabilities."

(95) Waltz, Theory of International Politics, p. 232.

(96) Wendt, Social Theory of International Politics, p. 234.

(97) Jackson and Rosenberg, "Why Africa's Weak States Persist"; Zacher, "Territorial Integrity Norm"; Sørensen, Changes in Statehood, chs. 8–9; Rotberg, When States Fail.

(98) Strang, "Anomaly and Commonplace in European Political Expansion".

(99) McKeown, "Limitations of 'Structural' Theories of Commercial Policy".

(100) Lebow, "The Long Peace".

(101) Morrow, Game Theory for Political Scientists, p. 17; Green and Shapiro, Pathologies in Rational Choice Theory, p. 17.

(102) Bueno de Mesquita, War Trap.

(103) Zagare, "Review of The War Trap"; Majeski and Sylvan, "Simple Choices and Complex Calculations"; Khong, "War and International Theory"; Levy, "Causes of War".

(104) Bueno de Mesquita, "War Trap Revisited"; Bueno de Mesquita and Lalman, "Reason and War"; Morrow, "A Continuous Outcome Expected Utility Theory of War"; and Morrow, "On the Theoretical Basis of a Measure of National Risk Attitudes".

(105) Lebow, Cooperation, Conflict and Ethics, pp. 13–15.

(106) Lebow, Between Peace and War, ch. 6; Logevall, Choosing War.

(107) Lebow, Between Peace and War; Gordon and Trainor, Cobra II; Isakoff and Corn, Hubris.

(108) Blainey, Causes of War, pp. 112–115.

(109) Simmel, Englischsprächige Veröffentlichungen, p. 299.

(110) Fearon, "Rationalist Explanations for War".

(111) Lebow, "Miscalculation in the South Atlantic".

(112) Ibid.

(113) Bundy, Danger and Survival, pp. 403–413, 436–445; Garthoff, Reflections on the Cuban Missile Crisis, pp. 76–96; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, pp. 94–148, 348–368.

(114) Herwig, First World War, pp. 8–18; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7.

(115) Powell, "War as a Commitment Problem".

(116) Glaser, Theory of Rational International Politics, pp. 1–3; Elster, Solomonic Judgments, pp. 3–7.

(117) Wolfers, Discord and Collaboration.

(118) Glaser, Theory of Rational International Politics, pp. 4–5.

(119) Garthoff, Detente and Confrontation; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War; Lebow, "Beyond Parsimony."

(120) Lebow, "Beyond Parsimony".

(121) Woit, Not Even Wrong, pp. ix–xiii; Smolin, Trouble with Physics, pp. 1–17.

(122) Friedman, "Methodology of Positive Economics"; Moe, On the Scientific Status of Rational Models," for a critique".

(123) Rapoport, Strategy and Conscience.

(124) Kahneman and Tversky, "Prospect Theory"; Kahneman and Tversky, "Loss Aversion in Riskless Choice"; and Kahneman and Tversky, Choices, Values, and Frames.

(125) Levy, "Loss Aversion, Framing, and Bargaining"; Farnham, Avoiding Losses/Taking Risks; McDermott, Special Issue of Political Psychology on Prospect Theory; McDermott, Risk-Taking in International Politics; Welch, Painful Choices.

(126) Lebow, Cultural Theory of International Relations.

(127) Suzuki, Krause and Singer, "Correlates of War Project," for an historical overview.

(128) Geller, "Explaining War"; Vasquez, "Why Do Neighbors Fight?".

(129) Many of these points are made by Suganami, On the Causes of War, pp. 104–111. Vasquez, War Puzzle, pp. 58–60, also acknowledges fundamental differences in war across the ages.

(130) Khong, Analogies at War.

(131) Lebow, "Generational Learning and Foreign Policy".

(132) Neustadt, Presidential Power, pp. 120–145; Spanier, The Truman–MacArthur Controversy, pp. 104–113; Lebow, Between Peace and War, pp. 148–216.

(133) Paul, Tradition of Non-Use, pp. 124–142.

(134) Lebow, Forbidden Fruit, ch. 3.

(135) Hirschman, Exit, Voice, and Loyalty, p. 343.

(136) Lebow, Between Peace and War, ch. 2, for an analysis of this situation.

(137) For an exchange on this question, see Thompson, "A Street Car Named Sarajevo"; Lebow, "A Data Set Named Desire".

(138) This point is also made by Vasquez, "Reexamining the Steps to War".

(139) Lebow, Forbidden Fruit.

(140) Senese and Vasquez, Steps to War.

(141) Lebow, Forbidden Fruit, chs. 3 and 9.

الفصل الثالث

(1) Lebow, Cultural Theory of International Relations.

(2) Maslow, Motivation and Personality; Maslow, Toward a Psychology of Being.

(3) Ekman, Emotions Revealed.

(4) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 132–133, for a critique.

(5) Konstan, Emotions of the Ancient Greeks, ch. 1.

(6) Plato, Republic, 440c–441c. Homer, Odyssey, Books 18–22.

(7) Plato, Republic, 440c–441c. Homer, Odyssey, Books 18–22.

(8) Plato, Crito. Aristotle, Rhetoric, 1388a29–1388b30.

(9) Plato, Crito. Aristotle, Rhetoric, 1388a29–1388b30.

(10) Yack, Fetishism of Modernities; Fitzgerald, Metaphors of Identity, p. 190; Lapid, "Culture's Ship."

(11) Durkheim, Division of Labor in Society, preface and pp. 219–222; Finley, World of Odysseus, p. 134.

(12) Hobbes, Leviathan, Part 1, pp. xvi, 112; Andrew, Worlds Apart, pp. 98–103.

(13) Hegel, Phenomenology, Bb, Cc; Norton, Beautiful Soul; Durkheim, Elementary Forms of Religious Life and Division of Labor in Society; Parsons, Structure of Social Action, pp. 378–390.

(14) Shotter, "Social Accountability and the Social Construction of 'You'"; Butler, Excitable Speech; Eakin, How Our Lives Become Stories; Gergen, Invitation to Social Construction.

(15) Aristotle, Rhetoric, 1383b15–1884a21.

(16) Ibid., 1384a22–28.

(17) Machinist, "Kingship and Divinity in Imperial Assyria"; Yates, "Song Empire." In Europe, the divine right of kings is reflected in key texts from Augustine to Bossuet.

(18) Yates, "Song Empire."

(19) Onuf, Republican Legacy; Kratochwil, Rules, Norms, and Decisions; Neumann, "Russia as a Great Power"; Bukovansky, Legitimacy and Power Politics, p. 70; Reus-Smit, Moral Purpose of the State, p. 137; Clark, Legitimacy in International Society, p. 100.

(20) Livy, Early History of Rome, III, 26–29. Hobbes, De Cive, 1.1.

(21) Livy, Early History of Rome, III, 26–29. Hobbes, De Cive, 1.1.

(22) Levitt and Ross, Hamas, pp. 59–60, report monthly stipends of US$5,000 –5,500 to prisoners of Israel and US$2,000–3,000 to widows or families of those who have given their lives.

(23) Hassrick, Sioux, pp. 296–309.

(24) Hegel, Phenomenology of Spirit, III.A.178–196.

(25) Taylor, "Politics of Recognition."

(26) Honneth, Struggle for Recognition; Honneth and Fraser, Recognition or Redistribution?

(27) Cornil, "Listening to the Subaltern."

(28) Aristotle, Rhetoric, 387a31–33, 1378b10–11, 138024–29. Konstan, Emotions of the Ancient Greeks, pp. 41–76.

(29) Aristotle, Rhetoric, 1379b10–12.

(30) Morgenthau, Politics Among Nations, 3rd edn., p. 10; Waltz, Theory of International Politics, p. 92; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics, p. 46; Wendt, Social Theory of International Politics.

(31) Lebow, Cultural Theory of International Relations.

(32) Strauss, Political Philosophy of Hobbes; Macpherson, Political Theory of Possessive Individualism; Hayes, "Hobbes' Bourgeois Moderation."

(33) Thucydides, History of the Peloponnesian War, Book 1; Lebow, Tragic Vision of Politics, ch. 4.

(34) Ringmar, Identity, Interest and Action.

(35) Clausewitz, On War, Book One, ch. 1, pp. 75–76.

(36) Hobsbawm, "Rules of Violence," makes this point.

(37) Hont, Jealousy of Trade.

(38) Smith, Wealth of Nations, ch. 1; Ferguson, Essay on the History of Civil Society.

(39) Rousseau, Contrat Social, explicitly rejects contracts of submission and the clientelist hierarchies them instantiate. Every citizen, he insists, must be bound by the same laws and obligations.

(40) Tocqueville, Democracy in America, 1, Introduction, pp. 3–6.

(41) Ibid., II.3.2, p. 540.

(42) Smith, Theory of Moral Sentiments, I.iii.3.6; Berger, Capitalism Revolution.

(43) Aristotle, Politics, 1286b922, recognizes that riches have become a path to honor.

(44) Rousseau, Discourse on the Origin and Foündation of Inequality Among Men, pp. 147–160, 174–175.

(45) Smith, Theory of Moral Sentiments, I.iii.2.1.

(46) Schumpeter, Theory of Economic Development, p. 82.

(47) Federalist Papers, No. 10 by James Madison.

(48) Augustine, City of God.

(49) Rawls, Theory of Justice, pp. 8, 53, 57, 65.

(50) Aristotle, Politics, 1307a26–27.

(51) Rawls, Theory of Justice, p. 65.

(52) Aristotle, Politics, 1306b22–26.

(53) Aristotle, Nicomachean Ethics, 1101b14–1103b26.

(54) Plato, Republic, Book II, 377b to III, 399e.

(55) Aristotle, Poetics, 1448b5–7, 1450.

(56) Aristotle, Nicomachean Ethics, 1155a14, 26–28, 1159b25, 1161a23, 1161b12; Plato, Republic, 419a–421a.

(57) Thucydides, History of the Peloponnesian War, I.32–36.

(58) Smith, Theory of Moral Sentiments, I.1.5, VI.1.

(59) Aristotle, Nicomachean Ethics, 1139a29–30, 1139a29–1142a.

(60) Hegel, Hegel's Philosophy of Right, 132, 144, 147, 149–152.

(61) Zelditch, "Process of Legitimation"; Zelditch and Walker, "Normative Regulation of Power"; Johnson, Dowd and Ridgeway, "Legitimacy as a Social Process"; Tyler, "Psychological Perspectives on Legitimacy and Legitimation."

(62) Aristotle, Rhetoric, 1382a21–33, 1382b28–35; Konstan, Emotions of the Ancient Greeks, pp. 129–155.

(63) Herrmann, Perceptions and Behavior in Soviet Foreign Policy; Tetlock, "Accountability and Complexity of Thought"; Levi and Tetlock, "Cognitive Analysis of Japan's 1941 Decision for War"; Levy, "Learning and Foreign Policy."

(64) Thucydides, History of the Peloponnesian War, I.131–89.

(65) Herz, "Idealist Internationalism and the Security Dilemma"; Herz, Political Realism and Political Idealism, p. 24; Herz, "Security Dilemma in International Relations"; Waltz, Theory of International Politics; Jervis, "Cooperation under the Security Dilemma."

(66) Lebow, "Thucydides and Deterrence."

(67) Lebow, Between Peace and War, chs. 4–6; Lebow and Stein, "Deterrence"; Lebow and Stein, "Rational Deterrence Theory"; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, chs. 3 and 12; Hopf, Peripheral Visions; Chang, Friends and Enemies; Chen, Mao's China and the Cold War.

(68) Lebow, Between Peace and War, chs. 4–6; Jervis, Lebow and Stein, Psychology and Deterrence, chs. 3 and 5; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, ch. 3.

(69) Hobbes, Leviathan, ch. 13, para. 8, and ch. 17, para. 13.

(70) Thucydides, History of the Peloponnesian War, 1.2–13. Lebow, Tragic Vision of Politics, ch. 3.

(71) The most forceful exponent of this thesis is Schroeder, "World War I as Galloping Gertie," and "Embedded Counterfactuals and World War I as an Unavoidable War." For a rejoinder, see Lebow, "Contingency, Catalysts and International System Change."

(72) Kindleberger, the World in Depression.

(73) Turner, "Introduction."

(74) Weber, "Objectivity" in Social Science and Social Policy, pp. 90–95.

(75) Waltz, Theory of International Politics, p. 113.

(76) Ibid., p. 17.

(77) Wright, Study of War, pp. 121, 237, 242, 248, 638; Levy, War in the Modern Great Power System, pp. 139–141. See Hamilton, "European Wars: 1815–1914," for an overview.

(78) Blanning, Pursuit of Glory, p. 215.

(79) Treasure, Making of Modern Europe, p. 207.

(80) Greenfield, Nationalism; Migdal, Boundaries and Belonging; Hall, National Collective Identity, p. 37, for the quote.

(81) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7.

(82) Lebow, Between Peace and War, pp. 244–246; Wawro, Franco-Prus

الفصل الرابع

(1) Kratochwil, Rules, Norms, and Decisions; Reus-Smit, Moral Purpose of the State, p. 137; Clark, Legitimacy in International Society, p. 100.

(2) Lebow and Valentino, "Lost in Transition".

(3) Maddison, Monitoring the World Economy.

(4) Ibid., p. 39.

(5) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 295–308.

(6) Hellmann, "Highlights of the Fiscal Year 2008 Pentagon Spending Request".

(7) Hughes, Peter the Great, pp. 61–62.

(8) Schulze, Prussian Military State.

(9) Hughes, Peter the Great, p. 86.

(10) Walters, History of the League of Nations, pp. 579–585, 801–810; Neilson, Britain, Soviet Russia, and the Collapse of the Versailles Order, pp. 50, 138–140.

(11) Tilly, "War Making and State Making as Organized Crime".

(12) Hinsley, Power and the Pursuit of Peace; Osiander, "Sovereignty, International Relations, and the Westphalian Myth"; Nexon, Struggle for Power in Early Modern Europe, pp. 265–288.

(13) Schroeder, "Life and Death of a Long Peace".

(14) Lebow and Valentino, "Lost in Transition".

(15) Blainey, Causes of War, p. 149.

(16) Suganami, "Explaining War".

(17) Cited in ibid.

(18) Lebow, Tragic Vision of Politics, ch. 3.

(19) Blanning, The Origins of the French Revolutionary Wars, pp. 69–95.

(20) Pflanze, Bismarck, ch. 2; Wawro, Franco-Prussian War, pp. 18–20, 29–40.

(21) Lebow, Cultural Theory of International Relations, chs. 6–8; Lebow, Forbidden Fruit, ch. 3.

(22) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 459–480.

(23) Schweller, Deadly Imbalances; Copeland, Origins of Major Wars, ch. 5; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics, pp. 46, 181–182.

(24) Stein, "Calculation, Miscalculation, and Conventional Deterrence 1".

(25) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 338–365, for documentation.

(26) Ibid., pp. 348–352.
(27) Neiberg, Fighting the Great War, p. 169.
(28) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 361–362.
(29) Ibid., pp. 365–368, 537–539.
(30) Hirschman, Passions and the Interests; Hont, Jealousy of Trade; Boyle, "Mystery of Modern Wealth."
(31) Al-Sayyid-Marsot, "British Occupation of Egypt from 1882"; Sanderson, England, Europe and the Upper Nile; Brown, Fashoda Reconsidered.
(32) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 305–370.
(33) Lebow, Between Peace and War, pp. 47–53.
(34) Garthoff, Detente and Confrontation, pp. 1023–1046.
(35) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 459–480.
(36) Jakobson, Diplomacy of the Winter War; Haslam, Soviet Union and the Threat from the East, pp. 112–134.
(37) Iriye, Origins of the Second World War, pp. 146–180.
(38) Logevall, Choosing War; Garthoff, Detente and Confrontation, pp. 1023–1046.
(39) Chen, China's Road to the Korean War.
(40) Neustadt, Presidential Power, pp. 120–145; Spanier, Truman–MacArthur Controversy, pp. 104–113; Lebow, Between Peace and War, pp. 148–216.
(41) Organski and Kugler, War Ledger; Gilpin, War and Change in International Relations.
(42) Levy, War in the Modern Great Power System, ch. 4.
(43) Taylor, Origins of the Second World War.
(44) Anderson, War of the Austrian Succession; Simms, Three Victories and a Defeat, pp. 247– 273.
(45) Schroeder, Transformation of European Politics, pp. 100–276.
(46) Anderson, War of the Austrian Succession, p. 61.
(47) Clausewitz, On War, pp. 119–122.
(48) Janis and Mann, Decision-Making, pp. 57–58, 197–233.
(49) Lebow, Between Peace and War; Jervis, Lebow and Stein, Psychology and Deterrence; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War.
(50) Lebow, Cultural Theory of International Relations, chs. 7 and 9.
(51) 51 Brooks and Wohlforth, World Out of Balance, p. 26.
(52) Organski and Kugler, War Ledger.

(53) Gilpin, War and Change in International Relations.

(54) Kaufman, Little and Wohlforth, Balance of Power in World History.

(55) Lebow and Valentino, "Lost in Transition."

(56) Herz, International Politics in the Nuclear Age, p. 243; Reiter, "Exploding the Powder Keg Myth."

(57) Waltz, Theory of International Politics, pp. 169–170.

(58) Morgenthau, Politics among Nations, pp. 125, 155–159, 162–166.

(59) Lebow, Between Peace and War; Jervis, Lebow and Stein, Psychology and Deterrence; Kaufman, Little and Wohlforth, Balance of Power in World History, p. 238.

(60) Herz, International Politics in the Nuclear Age, p. 234, note a.

(61) Veblen, Theory of the Leisure Class.

(62) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 480–504.

الفصل الخامس

(1) Sophocles, Antigone, line 332.

(2) Lebow, Forbidden Fruit, chs. 3 and 4.

(3) Wright, Study of War, vol. 1, pp. 121, 237, 242, 248, 638; Levy, War in the Modern Great Power System, pp. 139–144; Holsti, Peace and War; Hamilton, "The European Wars: 1815–1914."

(4) Levy, War in the Modern Great Power System.

(5) Clausewitz, On War; Millis, Arms and Men; Howard, War in European History.

(6) An important exception was Catherine the Great who gained the throne by colluding in the murder of her husband, Peter III.

(7) Luard, War in International Society, pp. 160–161; Best, Humanity in Warfare, pp. 53–60; Anderson, War and Society in Europe of the Old Regime, p. 15.

(8) Chandler, Art of Warfare in the Age of Marlborough; Weigley, Age of Battles; Anderson, War and Society in Europe of the Old Regime, p. 17; Duffy, Military Experience in the Age of Reason, p. 17; Black, European Warfare, pp. 58–59; and Black, Military Revolution?, p. 7.

(9) Blanning, Pursuit of Glory, p. 643.

(10) Black, European Warfare, pp. 168–188.

(11) Clausewitz, On War, Book 8, ch. 3, pp. 502–503.

(12) Ibid., p. 593.

(13) Ibid., p. 593.

(14) Ceadel, Origins of War Prevention; Cortright, Peace, pp. 25–40.

(15) Cortright, Peace, pp. 40–43.

(16) Emerson, "War," quoted in Mueller, Retreat from Doomsday, p. 26.

(17) Angell, the Great Illusion. Angell won his Nobel in 1933.

(18) Howard, Franco-Prussian War, pp. 371–431.

(19) Quoted in Crawley and Bury, New Cambridge Modern History, vol. 10, p. 327.

(20) Ritter, Schlieffen Plan; Farrar, Short-War Illusion; Blainey, Causes of War, pp. 47–50; Snyder, Ideology of the Offensive, pp. 107–156.

(21) Mombauer, Helmuth von Moltke, p. 69, 103–104, 210–213; Afflerbach, Falkenhayn, pp. 259–260, 294–295, 300- 307; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 357–359.

(22) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7.

(23) Nicolson, Longman Companion to the First World War, p. 248.

(24) Osgood, "Woodrow Wilson."

(25) Clarke, Voices Prophesying War, pp. 167–176.

(26) Churchill, Amid These Storms, p. 32.

(27) Freud, Civilization and Its Discontents, p. 81.

(28) Einstein, Einstein on Peace, pp. 117–118.

(29) Goldman, Sunken Treaties; Ferrell, Peace in Their Time.

(30) Lynch, Beyond Appeasement, pp. 93–125, 149–171; Cortright, Peace, pp. 67–92.

(31) Mommsen, Rise and Fall of Weimar Democracy; Weinberg, Foreign Policy of Hitler's Germany; Iriye, Origins of the Second World War in Asia; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 8.

(32) Tucker, Encyclopedia of World War I, pp. 272–273; Tucker and Roberts, Encyclopedia of World War II, pp. 300–301.

(33) Dallin, German Rule in Russia 1941–1945; Bartov, Eastern Front, 1941–45, pp. 106–142; Krausnick, Truppe des Weltanschauungskrieges, Part I, chs. 1–3.

(34) Weinberg, World at Arms, pp. 574–576.

(35) Salisbury, 900 Days, pp. 513–517.

(36) Merridale, Ivan's War, pp. 161, 241.

(37) Glantz, Colossus Reborn, p. 577.

(38) Volkogonov, Triumph and Tragedy, p. 418.

(39) Weinberg, World at Arms, pp. 523–527.

(40) De Bruhl, Firestorm; Hastings, Bomber Command, pp. 411–412; Bundy, Danger and Survival, pp. 63–68; Weinberg, World at Arms, p. 616.

(41) Boog, Krebs and Vogel, Germany and the Second World War, pp. 30–36.

(42) Dower, Embracing Defeat, pp. 41–49.

(43) Weinberg, World at Arms, p. 322; Fogel, Nanjing Massacre in History and Historiography; Wakabayashi, What Really Happened in Nanking, estimates 70,000 dead.

(44) Spector, American War with Japan, pp. 478–510; Selden, Atomic Bomb, p. xvi, quoting the Strategic Bombing Survey.

(45) Rhodes, Making of the Atomic Bomb, p. 734; Craven and Cate, Army Air Forces in World War Two, vol. 5, pp. 616–617.

(46) Dower, War without Mercy, pp. 11–12, 63–71.

(47) Herrmann and Lebow, Ending the Cold War, for both sides of this debate.

(48) Cook and Walker, Facts on File World Political Almanac, p. 325; Chubin and Tripp, Iran and Iraq at War, p. 1, estimate 1.5 million.

(49) On proliferation, see Hymans, Psychology of Nuclear Proliferation; Solingen, Nuclear Logics. On non-use, see Paul, Tradition of Non-Use.

(50) Tilly, Coercion, Capital, and European States, p. 185 also makes this point.

(51) Montesquieu, Spirit of the Laws, I, Book 20, ch. 1.

(52) Kant, Perpetual Peace, p. 39; Bentham, "A Plan for a Universal and Perpetual Peace"; Baum, "A Question for Inspiration in the Liberal Peace Paradigm," compares Bentham's peace to that of Kant.

(53) Mill, Principles of Political Economy, p. 582.

(54) Veblen, Inquiry into the Nature of Peace; Angell, Great Illusion; Schumpeter, Imperialism and Social Classes; Howard, Lessons of History; Rosecrance, Rise of the Trading State.

(55) Rosecrance, Rise of the Trading State, pp. 16, 24; Gartzke, "Capitalist Peace."

(56) Friedman, Lexus and the Olive Tree.

(57) For opposing takes on this research program, see Levy, "Theory, Evidence, and Politics in the Evolution of International Relations Research Programs"; Lawrence, "Imperial Peace or Imperial Method?"

(58) Frost, "Tragedy, Ethics and International Relations"; Senghaas, "Zivilisierung und Gewalt"; Jones, Code of Peace; Jackson, Global Covenant; Väyrynen, "Introduction"; Holsti, "Decline of Interstate War"; Spruyt, "Normative Transformations in International Relations"; Hurrell, On Global Order.

(59) Zacher, "Territorial Integrity Norm"; Holsti, "Decline of Interstate War"; Spruyt, "Normative Transformations"; Fazal, State Death.

(60) Waltz, "Spread of Nuclear Weapons"; Tannenwald, Nuclear Taboo; Paul, Tradition of Non-Use.

(61) Mueller, Retreat from Doomsday; Mueller, Remnants of War.

(62) Black, Why Wars Happen; Kaysen, "Is War Obsolete?"; Van Creveld, "Waning of Major War"; Holsti, "Decline of Interstate War."

(63) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 6.

(64) Ibid., ch. 7.

(65) Treitschke, Politics, vol. I, pp. 66–67, vol. II, pp. 395–396.

(66) Quoted in Mueller, Retreat from Doomsday, p. 45.

(67) Pearson, National Life from the Standpoint of Science, p. 64.

(68) Spencer, Principles of Sociology, p. 664.

(69) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, pp. 138–139, citing memoranda and recollections of relevant Soviet officials.

(70) Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics, p. 371.

(71) Richardson, Statistics of Deadly Quarrels; Toynbee, Study of History, vol. 9. See Blainey, Causes of War, pp. 5–9, for a critique.

(72) Blainey, Causes of War, pp. 29–30.

(73) Morgenthau, Politics among Nations. On the so-called realist–idealist debate, see Lynch, Beyond Appeasement, pp. 93–124; Schmidt, "Anarchy, World Politics and the Birth of a Discipline"; Ashworth, "Did the Realist–Idealist Great Debate Ever Happen?"

(74) Morgenthau, Politics among Nations, pp. 43–45; Carr, Twenty Years Crisis.

(75) Brooks, Producing Security, p. 9.

(76) Drucker, "Global Economy and the Nation State"; Rosenau, "New Dimensions of Security"; Lipschutz, After Authority.

(77) Albertini, Origins of the War of 1914; Taylor, Struggle for Mastery in Europe; Ritter, Schlieffen Plan; Snyder, Ideology of the Offensive; Lebow, Nuclear Crisis Management.

(78) Lebow, Between Peace and War; Jervis, Lebow and Stein, Psychology and Deterrence; Hopf, Peripheral Visions.

(79) Lebow, "The Long Peace."

(80) Lebow, Tragic Vision of Politics, pp. 236–242; Scheuerman, Hans Morgenthau, pp. 165–195.

(81) Shirk, China, p. 4; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics; Goldstein, China's Grand Strategy; Goldstein, "Great Expectations"; Goldstein, Rising to the Challenge; Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics.

(82) Friedberg, "The Future of United States–China Relations"; Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics.

(83) Shirk, China, p. 4.

(84) US–China Security Review Commission, Report to Congress. Quoted in Gries, China's New Nationalism, p. 11.

(85) Friedberg, "The Future of United States–China Relations"; Mearsheimer, Tragedy of Great Power Politics; Sutter, China's Rise in Asia; Swaine and Tellis, Interpreting China's Grand Strategy; Tellis, "A Grand Chessboard."

(86) Lebow and Valentino, "Lost in Transition."

(87) Chan, China, the US, and Power Transition Theory, pp. 82–83, 122–123; Yee, "Realist Analyses of China's Rise."

(88) Art, "The United States and the Rise of China."

(89) Fravel, "Regime Insecurity and International Cooperation"; Quingguo, "Peaceful Development"; Johnston, "Is China a Status Quo Power?"; Johnston, "China's International Relations"; Johnston, Social States; Kang, China Rising; Shambaugh, "China Engages Asia"; Deng, China's Struggle for Status.

(90) Nye, "Case Against Containment"; Chan, China, the US, and the Power Transition Theory.

(91) Shambaugh, "China Engages Asia"; Chan, China, the US, and Power Transition Theory, pp. 82–83, 122–123; Gries, China's New Nationalism, pp. 135–150; Deng, China's Struggle for Status, pp. 8–10.

(92) Daudin, Morys and O'Rourke, Europe and Globalization.

(93)Cited in Väyrynen, "Introduction," p. 9

(94) Mueller, Retreat from Doomsday, pp. 9–13.

(95) Keohane, International Institutions and State Power; Ruggie, Multilateralism"; Raymond, "International Norms"; Morgan, "Multilateral Institutions."

(96) Deutsch, Burrell and Kann, Political Community and the North Atlantic Area.

(97) Lebow, "The Long Peace"; Adler and Barnett, eds., Security Communities.

(98) Holsti, "Decline of Interstate War."

(99) Sophocles, Antigone, lines 368–411.

(100) Brodie, Absolute Weapon; Jervis, Meaning of the Nuclear Revolution; Bundy, Danger and Survival; Mueller, Retreat from Doomsday; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, ch. 14; Paul, Tradition of Non-Use.

(101) Hirschman, Passions and the Interests; Hont, Jealousy of Trade; Boyle, "Mystery of Modern Wealth."

(102) Smith, Wealth of Nations, p. 460; Boyle, "Mystery of Modern Wealth."

(103) Ibid.

(104) Black, European International Relations, pp. 23–26.

(105) Wilson, Profit and Power, pp. 128–129; Seaward, Cavalier Parliament and the Reconstruction of the Old Regime, pp. 236–275; Jones, Anglo-Dutch Wars of the Seventeenth Century, pp. 46–47, 56–60, 77–78.

(106) Hurd, Arrow War; Wong, Deadly Dreams; Al-Sayyid-Marsot, "The British Occupation of Egypt from 1882"; Sanderson, England, Europe and the Upper Nile, pp. 381–405; Brown, Fashoda Reconsidered, pp. 23–24; Paine, Imperial Rivals, pp. 178–233.

(107) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 323–338.

(108) Iriye, "Japan's Drive to Great Power Status."

(109) Yanabe Kentarō, Nik-Kan gappei shōshi (Tokyo, 1966), cited in Iriye, Pacific Estrangement, p. 44.

(110) Duus, "Japan's Informal Empire in China, 1895–1937."

(111) Fischer, Germany's Aims in the First World War, pp. 98–118, and his follow-on War of Illusions; Mayer, "Domestic Causes of the First World War"; Wehler, Das deutsche Kaiserreich; Geiss, German Foreign Policy.

(112) Theobald Bethmann Hollweg, "Provisional Notes on the Direction of Our Policy on the Conclusion of Peace," September 9, 1914. Quoted in Fischer, Germany's Aims in the First World War, p. 103.

(113) Riezler Diary, August 20, 1914. Quoted in Stern, "Bethmann Hollweg and the War."

(114) For critiques of the Fischer thesis and the broader argument that German foreign policy was intended to serve domestic political and economic goals, see Eley, Reshaping the German Right; Kaiser, "Germany and the Origins of the First World War"; Mommsen, "Domestic Factors in German Foreign Policy Before 1914"; Gordon, "Domestic Conflict and the Origins of the First World War"; Lebow, Between Peace and War, pp. 101–147.

(115) Stein, "Threat-Based Strategies of Conflict Management."

(116) Yetiv, Explaining Foreign Policy; Gause, Iraq and the Gulf War.

(117) Lieberman, Does Conquest Pay?, ch. 3.

(118) Brooks, Producing Security, pp. 9–10, 57–71, 162–206, 209–219.

(119) Pflanze, Bismarck, pp. 473–479.

(120) Schroeder, Transformation of European Politics, pp. 287–323; Simms, Impact of Napoleon, chs. 5–8; Nipperdey, Germany from Napoleon to Bismarck, pp. 323–324, 553.

(121) Gorst and Johnman, Suez Crisis.

(122) Boemeke, Feldman and Glaser, Treaty of Versailles. For the text of the Fourteen Points, see http://en.wikipedia.org/wiki/Fourteen_Points/.

(123) Holsti, "Decline of Interstate War," p. 144.

(124) Debo, Survival and Consolidation, pp. 191–212, 404, 406; Carley, "Politics of Anti- Bolshevism"; Borzecki, Soviet–Polish Peace of 1921.

(125) O'Connor, History of the Baltic States, pp. 113–145.

(126) Jakobson, Diplomacy of the Winter War, pp. 248–253. Van Dyke, Soviet Invasion of Finland, pp. 189–191.

(127) Wikipedia, "Winter War," 5.1, http://en.wikipedia.org/wiki/Winter_War#cite_note-50/.

(128) BBC, Regions and Territories: The Golan Heights http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/ country_profiles/3393813.stm.

(129) Wilson, Profit and Power; Seaward, Cavalier Parliament and the Reconstruction of the Old Regime, pp. 259–265; Jones, Anglo-Dutch Wars of the Seventeenth Century, pp. 7–15.

(130) Middlebury College, South China Sea website for the most up-to-date information and analyses, http://community.middlebury.edu/~scs/; Bateman and Schofield, Outer Shelf Claims in the South China Sea.

(131) Shapland, Rivers of Discord.

(132) Ullman, "Redefining Security"; Mathews, "Redefining Security"; Gleick, "Implications of Global Climate Changes for International Security"; Homer-Dixon, Environment, Scarcity, and Violence, pp. 133–176, whose examples are primarily interstate.

(133) Lebow, Between Peace and War, ch. 3.

(134) Ibid.

(135) Haslam, Soviet Union and the Threat from the East, pp. 112–134; Coox, Nomonhan.

(136) Crowley, Japan's Quest for Autonomy, pp. 301–378; Iriye, Origins of the Second World War, pp. 41–49, 89–94, 100–167; Sadao, "Japanese Navy and the United States"; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 409–417.

(137) Neustadt, Presidential Power, pp. 120–145; Spanier, Truman–MacArthur Controversy; Lebow, Between Peace and War, ch. 6; Foot, Wrong War.

(138) Whiting, China Crosses the Yalu; Simmons, Strained Alliance; Xu, Cong Yalujiang dao Banmendian; Zhang, Mao's Military Romanticism, pp. 3, 81.

(139) "Soviet Archival Documents on the Hungarian Revolution"; Taubman, Khrushchev, pp. 294–299; Kahin, Intervention; Logevall, Choosing War; Bradsher, Afghan Communism and Soviet Intervention, pp. 75–117; Wolf, "Stumbling Toward War."

(140) Lebow, Between Peace and War, ch. 3.

(141) Coox, Nomonhan, vol. 1, pp. 266–590.

(142) New York Times, August 28, 1980, p. A4.

(143) Kahin, Intervention, pp. 9, 29, 40, 126, 173–176; Logevall, Choosing War, pp. 31, 247. For an alternative emphasis on the domestic political costs of withdrawal, see Gelb and Betts, Irony of Vietnam.

(144) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War; Hopf, Peripheral Visions.

(145) Thucydides, History of the Peloponnesian War, Book I; Lebow, Tragic Vision of Politics, pp. 86–89.

(146) Polybius, Rise of the Roman Empire, Books 1–2; Harris, War and Imperialism in Republican Rome, pp. 105–130.

(147) Lebow, Between Peace and War, pp. 82–97; Hopf, Peripheral Visions, pp. 1–7, for a discussion of this literature.

(148) Schelling, Arms and Influence, p. 125.

(149) Waltz, Theory of International Politics, pp. 168–170.

(150) Lebow, Tragic Vision of Politics, ch. 3.

(151) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 9, for documentation.

(152) Herrmann and Lebow, "What Was the Cold War? When and Why Did It Fail?," for an overview.

(153) English, Russia and the Idea of the West; English, "Power, Ideas, and New Evidence on the Cold War's End"; Levesque, The Enigma of 1989; Evangelista, Unarmed Forces; Brown, Gorbachev Factor; Garthoff, Great Transformation; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War.

(154) Wohlforth, "Realism and the End of the Cold War"; Davis and Wohlforth, "German Unification"; Zubok, "Why Did the Cold War End in 1989?"

(155) Matlock, Autopsy of an Empire.

(156) Oye, "Explaining the End of the Cold War"; Creveld, "The Waning of Major War"; Paul, Tradition of Non-Use.

(157) Breslauer and Lebow, "Leadership and the End of the Cold War"; Lebow and Stein, "Understanding the End of the Cold War as a Non-Linear Confluence."

(158) Herrmann and Lebow, "What Was the Cold War?"

(159) George, Managing US–Soviet Rivalry; George, Farley and Dallin, US–Soviet Security Cooperation.

(160) Volkogonov, Lenin, pp. 183–194.

(161) Lebow, "Transitions and Transformations."

(162) English, Russia and the Idea of the West; English, "Power, Ideas, and New Evidence on the Cold War's End"; Levesque, The Enigma of 1989; Evangelista, Unarmed Forces; Brown, Gorbachev Factor; Garthoff, Great Transformation; Lebow and Stein, We All Lost the Cold War.

(163) Dunn, Democracy; Eley, Forging Democracy.

(164) Deutsch, Nationalism and Social Communication, was clear about this relationship. Lebow, Cultural Theory of International Relations, for a more comprehensive treatment.

(165) Schroeder, "Life and Death of a Long Peace."

(166) Brodie, Absolute Weapon; Jervis, Meaning of the Nuclear Revolution; Bundy, First Fifty Years of the Bomb.

(167) Hamilton and Herwig, Origins of World War I; Lebow, Forbidden Fruit, ch. 3, for reviews of this literature.

(168) On democratization, see Mansfield and Snyder, "Democratization and the Danger of War"; Mansfield and Snyder, Electing to Fight.

(169) Brooks, Producing Security.

(170) Schroeder, "19th Century International System"; Elrod, "Concert of Europe"; Northedge, League of Nations; Walters, History of the League of Nations; Jervis, "Security Regimes."

(171) Kupchan and Kupchan, "Concerts, Collective Security, and the Future of Europe"; Betts, "Systems for Peace or Causes of War?"; Downs, Collective Security Beyond the Cold War; Kay, NATO and the Future of European Security.

(172) Evangelista, Unarmed Forces; Evangelista, "Turning Points in Arms Control."

(173) Boulding, "Future Directions of Conflict and Peace Studies"; Galtung, Peace by Peaceful Means.

(174) Ullman, "Redefining Security"; Mathews, "Redefining Security"; Aydinli and Rosenau, Globalization, Security, and the Nation-State.

(175) On this point, see Lynch, Beyond Appeasement, pp. 93–124; Schmidt, "Anarchy, World Politics and the Birth of a Discipline"; Ashworth, "Did the Realist–Idealist Great Debate Ever Happen?"

(176) Jervis, Perception and Misperception, pp. 117–124, 187, 262–270; Lebow, "Generational Learning and Foreign Policy."

الفصل السادس

(1) Lebow, Between Peace and War, ch. 4; Jervis, Lebow and Stein, Psychology and Deterrence, chs. 3–5 and 9 Lebow, "Transitions and Transformations."

(2) Zeller, "French Diplomacy and Foreign Policy in the Their European Setting."

(3) Black, From Louis XIV to Napoleon, p. 79; Black, European International Relations, p. 17.

(4) Blainey, Causes of War, p. 68.

(5) Ibid., p. 213.

(6) Swann, "Politics and the State in Eighteenth Century Europe."

(7) This has not prevented modern scholars from reading back raison d'etat into Louis' foreign policy and, especially, his assault on the Netherlands. See Israel, Dutch Republic, pp. 131–132.

(8) Quoted in Hatton, Charles XII of Sweden, p. 375.

(9) Holsti, Peace and War, pp. 68–69.

(10) Dickson, Finance and Government under Maria Theresa, vol. 2, pp. 272–299.

(11) Black, European International Relations, pp. 50–52, 54–55.

(12) Lynn, Giant of the Grand Siècle, pp. 464–465.

(13) Ibid., quote on p. 127; Lynn, Giant of the Grand Siècle, pp. 453–512, on French army tactics.

(14) Ibid., pp. 128–129.

(15) Louis XIV, Memoires de Louis XIV pour l'instruction du dauphin, vol. 2, pp. 112–113.

(16) Black, European International Relations, pp. 50–52, 54–55.

(17) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7, for an elaboration.

(18) Hamilton and Herwig, Origins of World War I; Lebow, Forbidden Fruit, ch. 3, for overviews of these arguments.

(19) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7.

(20) Ibid.

(21) Ibid.

(22) Weinberg, Foreign Policy of Hitler's Germany, vol. 1, p. 358; Rich, Hitler's War Aims, pp. 3–10; Bullock, Hitler, pp. 10–11, 622; Fest, Hitler, pp. 213–218.

(23) Kershaw, the "Hitler Myth," pp. 151–168.

(24) Aquarone, "Public Opinion in Italy before the Outbreak of World War II"; Mack Smith, Mussolini, pp. 213–250.

(25) There is a nice parallel here to efforts by Philip II, who hoped to conquer England, or compel it to accept Spanish hegemony, in order to compel the Dutch to submit.

(26) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 8, for more argument and evidence.

(27) Hersh, Chain of Command; Daalder and Lindsay, America Unbound; Woodward, Plan of Attack; Fallows, "Blind into Baghdad"; Phillips, Losing Iraq; Suskind, One Percent Doctrine; Ricks, Fiasco; Isakoff and Corn, Hubris; Woodward, State of Denial; Gordon and Trainor, Cobra II; Galbraith, End of Iraq.

(28) Chomsky and Barsamian, Imperial Ambitions; "Imperial Ambition," Interview with Noam Chomsky by David Barsamian, Monthly Review, May 2003, www.monthlyreview. org/0503chomsky.htm; Chomsky, "Iraq: Yesterday, Today, and Tomorrow," Michael Albert interviews Noam Chomsky, December 27, 2006, www.chomsky.info/articles/20050704.htm; Callinicos, New Mandarins of American Power, pp. 93–98; Phillips, American Dynasty, pp. 248–259, 313–314; Harvey, The New Imperialism, pp. 1–25.

(29) Ingram, "Pairing Off Empires."

(30) National Commission on Terrorist Attacks, The 9/11 Commission Report, pp. 61, 161, 334–335; Iraq Survey Group Final Report, Global Scan, www.globalsecurity.org/wmd/ library/report/2004/isg-final-report/isg-final-report_vol3_cw_key-findings.htm; Cirincione, Mathews and Perkovich, WMD in Iraq, for the pre- and post-invasion non-discovery of WMDs.

(31) National Commission on Terrorist Attacks, 9/11 Commission Report, pp. 334–335; Brent Scowcroft, "Don't Attack Saddam," Wall Street Journal, August 15, 2002, p. A12; Todd Purdum and Patrick E. Tyler, "Top Republicans Break with Bush on Iraq Strategy," New York Times, August 16, 2002, p. Al; James A. Baker II, "The Right Way to Change a Regime," New York Times, August 25, 2002, section 4, p. 9; Transcript of Lawrence Eagleburger, Crossfire, August 19, 2002; Walter Gibbs, "Scowcroft Urges Wide Role for the UN in Postwar Iraq," New York Times, April 9, 2003.

(32) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 459–480.

(33) Bob Woodward, "Vice President Praises Bush as Strong, Decisive Leader Who Has Helped Restore Office," Washington Post, January 20, 2005, p. AO7; Charlie Savage, "Dick Cheney's Mission to Expand – or 'Restore' – the Powers of the Presidency," Boston Globe, November 26, 2006; Jane Mayer, "The Hidden Power," New Yorker, March 12, 2006.

(34) Peltonen, Duel in Early Modern England, for an excellent review of the literature.

(35) Storry, Double Patriots, pp. 53, 77–86; Akira, "The Role of the Japanese Army"; Ogata, Defiance in Manchuria, pp. 137–194.

(36) Kershaw, the "Hitler Myth," pp. 139–147.

(37) Michael O'Hanlon, "How the Hardliners Lost," Washington Post, November 10, 2002, p. B7; Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 461, 463–464.

(38) Time Europe, www.time.com/time/europe/gdml/peace2003.html; BBC News, 18 March 2003, http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/2862343.stm.

(39) The Pew Global Attitudes Project, "15-Nation Pew Global Attitudes Survey," release date, June 13, 2006.

(40) The Age (Melbourne), March 6, 2007, p. 7.

(41) This last point is also made by Clark, "How Hierarchical Can International Relations Be?".

(42) Bem, "Self - Perception Theory".

(43) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 480–504.

(44) "23 Nation Poll: Who Will Lead the World?,". www.worldpublicopinion.org, June 14, 2006.

(45) Debo, Survival and Consolidation, pp. 191–212, 404, 406; Carley, "Politics of Anti - Bolshevism".

(46) La Prensa, April 22, 1982.

(47) Lebow, "Miscalculation in the South Atlantic".

(48) Stein, "Calculation, Miscalculation, and Conventional Deterrence 1".

(49) Dan Eggen, "Pre 9/11 Missteps by FBI Detailed," Washington Post, June 10, 2005, p. AO1.

(50) Quoted in Isakoff and Corn, Hubris, p. 115.

(51) Seymour Hersh, "A Case Not Closed," New Yorker, November 1, 1993, rev. version posted September 27, 2002, on the dubious nature of the alleged assassination attempt,
www.newyorker.com/archive/content/articles/020930fr_archive02?020930fr_archive02/.

(52) Haslam, Soviet Union and the Threat from the East, pp. 112–134; Coox, Nomonhan, on the actual ?ghting.

(53) Copeland, Origins of Major Wars.

(54) Weinberg, Foreign Policy of Hitler's Germany, vol. 1, p. 358; Rich, Hitler's War Aims, vol. 1, pp. 3–10; Fest, Hitler, pp. 213–218.

(55) Ibid.

(56) Shirer, Berlin Diary, pp. 414–415, 419, 462.

(57) Quoted in Blainey, Causes of War, p. 72.

(58) Wright, Study of War, pp. 278–281.

(59) Laswell , National Security and Individual Freedom, p. 10.

(60) Wawro, Franco - Prussian War, pp. 18–19, 22–25; Pflanze, Bismarck, pp. 433–457.

(61) Lebow, "Miscalculation in the South Atlantic".

(62) Schroeder, "World War I as Galloping Gertie"; Rosenberg, Imperial Germany; Mayer, "Domestic Causes of the First World War"; Eley, Reshaping the German Right. Albertini, Origins of the War of 1914; Stevenson, First World War and International Politics; Williamson, Austria - Hungary and the Coming of the First World War; Fellner, "Austria - Hungary," pp. 9–25; Vermes, István Tisza; Herwig, First World War, pp. 8–18.

(63) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 9.

(64) See Table 7.1 for a list.

(65) On Southeast Asia, see Solingen, "Regional Conflict and Cooperation".

(66) Dedijer, Road to Sarajevo, pp. 366–400.

(67) Gorst and Johnman, Suez Crisis; Kyle, Suez.

(68) Council on Foreign Relations, Backgrounder, "State Sponsors: North Korea", www.cfr. org/publication/9364/state_sponsors.html.

(69) Somini Sengupta et al., "India Seeks Extraditions in Mumbai Siege," New York Times, January 6, 2009; Richard A. Oppel, Jr., and Salman Masood, "Gunman in Mumbai Siege a Pakistani, Official Says," New York Times, January 8, 2009; Salman Masood, "Leaked Report Points to Larger Pakistani Role in Mumbai Attacks," New York Times, February 11, 2009; Hari Kumar, "Pakistani Charged in Mumbai Assault," New York Times, February 26, 2009.

(70) Archer, "'WMD' Terrorism"; Stern, Ultimate Terrorists, for a more alarmist account.

(71) US Department of State, "State Sponsors of Terrorism Overview," for the current list, www.state.gov/s/ct/rls/crt/2006/82736.htm.

(72) Haslam, Soviet Union and the Threat from the East, pp. 112–134; Coox, Nomonhan.

(73) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, pp. 301–306.

(74) Bracken, Command and Control of Nuclear Forces; Blair, Logic of Accidental Nuclear War; Lebow, Nuclear Crisis Management; Sagan, Limits of Safety.

(75) Paul, "The Risk of Nuclear War Does Not Belong to History"; Paul, Tradition of Non - Use, pp. 124–142.

الفصل السابع

(1) Nietzsche, Human, All Too Human, p. 239

(2) Painter, The Cold War, p. 191; Maier, Dissolution, pp. 59-72.

(3) Klare, Resource Wars; Bateman and Schofeld, Outer Shelf Claims in the South China Sea.

(4) Mahan, Influence of Sea Power upon History; Mackinder, "Geographical Pivot of History"; Mackinder, Britain and the British Seas; Haushofer, Geopolitik des Pazi?schen Ozeans; Haushofer, Obst, Lautensach and Maull, Bausteine zur Geopolitik. See Guzzini, Geopolitics Redux, for a thoughtful analysis of geopolitics.

(5) Lebow, Cultural Theory of International Relations, for an elaboration.

(6) Stuart, Creating the National Security State, on the evolution of the concept in the US.

(7) Schelling, Arms and Influence; Bundy, Danger and Survival; Jervis, Meaning of the Nuclear Revolution.

(8) Gordon and Trainor, The General's War, p. 413–432.

(9) Rumsfeld, "Transforming the Military"; Gongora and von Riekhoff, Toward a Revolution in Military Affairs; Coker, Waging War without Warriors?

(10) Lebow, Cultural Theory of International Relations, chs. 6–8, for documentation.

(11) Ikenberry, After Victory; Lieber, Eagle Rules?

(12) Frieser and Greenwood, The Blitzkrieg Legend.

(13) Safran, From War to War, pp. 317–382; Herzog, Arab-Israeli Wars, pp. 145–196; Oren, Six Days of War, pp. 170–304.

(14) Lebow and Stein, "Understanding the End of the Cold War as a Non-Linear Confluence," pp. 219–238.

(15) Schulze, "Prussian Military State"; Parker, Military Revolution, pp. 62–65; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 6.

(16) Waltz, "Structural Realism after the Cold War."

(17) Waltz, "Spread of Nuclear Weapons."

(18) Brooks, Producing Security.

(19) Mueller, Retreat from Doomsday.

(20) Rosecrance, Rise of the Trading State; Gartzke, "Capitalist Peace."

(21) Association of Religious Data Archives, www.thearda.com/internationalData/compare. asp; Pfaff, "Religious Divide," for higher figures on European beliefs in a deity and a breakdown by country.

(22) Schumpeter, Imperialism and Social Classes; MacMillan, On Liberal Peace, p. 103.

(23) Friedman, Lexus and the Olive Tree.

(24) See Mansfield and Snyder, Electing to Fight, for a critique.

(25) Fearon, "Domestic Political Audiences and the Escalation of International Disputes"; Smith, "International Crises and Domestic Politics"; Schultz, Democracy and Coercive Diplomacy; Lipson, Reliable Partners.

(26) Maoz and Russett, "Normative and Structural Causes of the Democratic Peace"; Dixon, "Democracy and the Peaceful Settlement of International Conflict"; Rousseau, Democracy and War.

(27) Kant, Perpetual Peace; Lawrence, "Imperial Peace or Imperial Method?"; Baum, "A Question for Inspiration in the Liberal Peace Paradigm."

(28) Deutsch, Nationalism and Social Communication; Deutsch et al., Political Community and the North Atlantic Area.

(29) Fussell, Great War and Modern Memory; Leed, No Man's Land; Wohl, The Generation of 1914.

(30) Clausewitz and Tolstoy, among others, give voice to this belief.

(31) Wilson, Myriad Faces of War, pp. 362–376, 608–617, 694–704; Goebel, Great War and Medieval Memory.

(32) Khrushchev, Khrushchev Remembers, pp. 467–470; Lewis and Litai, China Builds the Bomb, pp. 6–7, 36–37.

(33) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, chs. 13–14, on ambiguous role of deterrence and nuclear weapons on superpower relations during the Cold War.

(34) Robert McNamara's comments, Proceedings of the Hawk Key Conference, pp. 81–83.

(35) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, for the strongest statement of this argument.

(36) Tannenwald, Nuclear Taboo; Paul, Tradition of Non-Use, pp. 4–13, prefers tradition of non-use to taboo because various powers still maintain plans for the possible first use of nüclear weapons.

(37) Tannenwald, Nuclear Taboo, pp. 115–134, 190–240; Paul, Tradition of Non-Use, pp. 38–63; Bundy, Danger and Survival, pp. 250–251, 266–270.

(38) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, pp. 294–296.

(39) Burr and Michelson, "Whether to 'Strangle the Baby in the Cradle'"; Gorbarev, "Soviet Policy Toward China"; Sagan, "More Will Be Worse."

(40) Shoup, "Document 25"; Ball, "Development of the SIOP, 1960–1983."

(41) Sagan and Turco, Where No Man Thought; United States Congress, Senate, Committee on Armed Services, Nuclear Winter and Its Implications.

(42) Safran, Israel, pp. 506–532.

(43) Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 9.

(44) Ibid.; Gatosphere, "Russia-Georgia: Who Won the Information War," September 1, 2008, http://gatosphere.com/category/russia-georgia-who-won-the-information-war/.

(45) Dorpalen, Hindenburg and the Weimar Republic, pp. 51–52; Seiler, "'Dolchstoss' und 'Dolchstosslegende'."

(46) Bullock, Hitler, p. 546, citing testimony from Documents in Evidence (before the International Military Tribunal at Nuremberg), 1, no. 751-PS.

(47) Kershaw, The "Hitler Myth," pp. 139–147; Frei, "People's Community and War."

(48) Casey, Selling the Korean War, pp. 326–336.

(49) Foot, The Wrong War; Gelb and Betts, Irony of Vietnam; Kahin, Intervention.

(50) Fisher, Presidential War Power.

(51) "Mind Is a Difficult Thing to Change: Vietnam Interlude – After the Fall," April 28, 2005, http://neo-neocon.blogspot.com/2005/04/

mind-is-difficult-thing-to-change.html, "Breaking the Big Stick: Removing the Threat of War to Achieve Peace," May 31, 2007, http:// neoneocon.com/category/war/vietnam/; Robert Buzzanaco, "How I Learned to Stop Worrying and Love Vietnam and Iraq," Counterpunch, April 16–17, 2005, www.counter- punch.org/ buzzanco04162005.html. For serious analyses, Lembcke, The Spitting Image; Hixon, Historical Memory and Representations of the Vietnam War.

(52) "US 'Will Stay the Course' in Iraq, Says Bush," US Department of Defense, American Forces Press Service, July 10, 2003.

(53) Casey, Selling the Korean War, pp. 326–336.

(54) Isakoff and Corn, Hubris; Gordon and Trainor, Cobra II; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 9; Rich, Greatest Story Ever Sold.

(55) Doyle, "Kant, Liberal Legacies, and Foreign Affairs"; Dixon, "Democracy and the Peaceful Settlement of International Conflict"; Ferejohn and Rosenbluth, "Warlike Democracies." See Huth and Allee, Democratic Peace and Territorial Conflict in the Twenty Century, for a review of this literature.

(56) Diamond, "A Report Card on Democracy," on the percentage of democracies.

(57) Mansfield and Snyder, Electing to Fight.

(58) Lebow, Cultural Theory of International Relations, pp. 295–297, 429–438, 477–480, 539–540, 545.

(59) Deanne, "Waxing or Waning?," citing figures from the World Bank and the CIA.(60) SIPRI, "The Major Spenders in 2003," www.sipri.se.

(60) SIPRI, "The Major Spenders in 2003," www.sipri.se.

(61) Global Issues, "World Military Spending," February 25, 2007, www.globalissues.org/ Geopolitics/ArmsTrade/Spending. asp#USMilitarySpending/; Christopher Hellman, "Highlights of the Fiscal Year 2008 Pentagon Spending Request," February 5, 2007, www.armscontrolcenter.org.

(62) Quoted in Alison Mitchell, "Clinton Urges NATO Expansion in 1999," New York Times, October 23, 1996, p. A20.

(63) Accordino, Captives of the Cold War Economy, p. 1; Lee, Public Budgeting Systems, p. 35.

(64) As I write, the current example is the F-22, which Obama finally killed in the Senate with the threat of a veto. Leslie Wayne, "Air Force Jet Wins Battle in Congress," New York Times, September 28, 2006; Editorial, "We Don't Need the F-22," New York Times, June 19, 2009; Associated Press, "White House Threatens Veto over F-22 Jet Fighters," June 24, 2009; Bryan Bender, "A Dog Fight Obama Seems Bound to Lose," Boston Globe, July 12, 2009, pp. A1, 10; Christopher Drew, "Bowing to Veto Threat, Senate Blocks Money for Warplanes," New York Times, July 22, 2009, p. A1.

(65) Lebow and Stein, We All Lost the Cold War, ch. 2.

(66) Afflerbach, Falkenhayn, p. 61; Mombauer, Helmuth von Moltke; Lebow, Cultural Theory of International Relations, ch. 7.

(67) Wyatt-Brown, Southern Honor; Wyatt-Brown, Shaping of Southern Culture.

(68) Michael Lind, "Bush's Martyrs," New Statesman, March 1, 2004, p. 20; Watkins and Sherk, Who Serves in the US Military?, p. 13, citing Department of Defense data.

(69) Gelb and Betts, Irony of Vietnam; Ricks, Fiasco, pp. 40–43, 66–84.

(70) Ricks, Fiasco, p. 67, Lieutenant-General Gregory Newbold is the only known pre-invasion departure from senior military ranks for opposition to the war.

(71) Valentino and Valentino, "An Army of the People?"

(72) See Holsti, "Of Chasms and Convergences," on Republican identification; and Gelpi, Feaver and Reifler, Paying the Human Costs of War, on greater willingness of Republicans to accept casualties. See Feaver and Gelpi, Choosing Your Battles, for contrary findings about close association with the military and a willingness to support war.

(73) Gallup polls, reported at www.religioustolerance.org/godpoll.htm. The Pew Forum on Religion and Public Life, "US Religious Landscape Survey," July 1, 2009, http:// religions.pewforum.org/reports/, nevertheless shows an across-the-board decline in formal affiliation; Association of Religious Data Archives, www.thearda.com/ internationalData/compare.asp. See Pfaff, "Religious Divide," for statistics that show less of a gap between the US and Europe.

(74) Gallup poll in 1994. Quoted in George Bishop, "What Americans Really Believe," Free Inquiry, Summer 1999, pp. 38–42. See also the

Gallup poll referred to by Charisma, June 7, 2000, www.mcjonline.com/news/00/20000225e.htm.

(75) Holsti, "Of Chasms and Convergences."

(76) Lebow, Cultural Theory of International Relations, chs. 3 and 4, for the characteristics of honor societies and how they regard death.

(77) Henderson, Lebow and Stoessinger, Divided Nations in a Divided World.

(78) Ibid.

(79) Chan, China, the US, and the Power-Transition Theory, p. 92; Gries, China's New Nationalism, p. 11; Deng, China's Struggle for Status, pp. 257–258.

(80) Ibid.

(81) Morgenthau, Politics Among Nations, pp. 285–286.

(82) Hume, Treatise of Human Nature, pp. 11, 27, 55, 60, 77, 84–86, 94–95, 104–108, 157, 161–173.

(83) Kurki, Causation in International Relations, pp. 88–146.

(84) Aristotle, Physics, II.3 and Metaphysics, V.2.

(85) Kurki, Causation in International Relations, p. 38.

(86) Lebow, Forbidden Fruit, ch. 9; Lebow, "Constitutive Causality," for an elaboration.

ببليوغرافيا

Accordino, John, *Captives of the Cold War Economy* (New York: Greenwood Publishing Group, 2000).

Adler, Emanuel and Michael Barnett, eds., *Security Communities* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

Afflerbach, Holger, *Falkenhayn. Politisches Denken und Handeln in Kaiserreich* (Munich: Oldenbourg, 1994).

Agnew, Jean-Cristophe, *Worlds Apart: The Market and the Theater in Anglo-American Thought, 1550–1750* (Cambridge: Cambridge University Press, 1986).

Akira, Fujiwara, "The Role of the Japanese Army," in Dorothy Borg and Shumpei Okamoto, eds., *Pearl Harbor as History* (New York: Columbia University Press, 1973), pp. 189–196.

Al-Sayyid-Marsot, Alaf, "The British Occupation of Egypt from 1882," in Andrew Porter, ed., *The Oxford History of the British Empire: The Nineteenth Century* (Oxford: Oxford University Press, 1999), pp. 651–664.

Albertini, Luigi, *The Origins of the War of 1914*, trans. Isabella M. Massey, 3 vols. (Oxford: Oxford University Press, 1952–1957).

Albrecht-Carrié, René, *A Diplomatic History of Europe Since the Congress of Vienna* (New York: Harper & Row, 1958).

Anderson, M. S., *War and Society in Europe of the Old Regime* (London: Fontana Books, 1988).

The War of the Austrian Succession, 1740–1748 (London: Longman, 1995).

Angell, Norman, *The Great Illusion: A Study of the Relation of Military to National Advantage* (London: Heinemann, 1910).

Aquarone, Alberto, "Public Opinion in Italy Before the Outbreak of World War II," in Roland Sarti, ed., *The Ax Within. Italian Fascism in Action* (New York: New Viewpoints, 1974).

Archer, Toby, "'WMD' Terrorism: How Scared Should We Be?," Finnish Institution of International Affairs, UPI Briefing Paper 2, May 31, 2005.

Aristotle, *Metaphysics, Nicomachean Ethics, Physics, Poetics, Politics* and *Rhetoric*, in *The Complete Works of Aristotle: The Revised Oxford Translation*, ed. Jonathan Barnes (Oxford: Oxford University Press, 1984).

Aron, Raymond, *The Century of Total War* (Boston: Beacon, 1955).

Peace and War: A Theory of International Relations (Garden City, NY: Doubleday, 1966).

Art, Robert J., "The United States and the Rise of China," in Robert S. Ross and Zhu Feng, eds., *China's Ascent: Power, Security, and the Future of International Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), pp. 260–290.

Ashworth, Lucian M., "Did the Realist–Idealist Great Debate Ever Happen? A Revisionist History of International Relations," *International Relations* 16 (April 2002), pp. 33–52.

Augustine, *The City of God*, trans. Marcus Dods (New York: Modern Library, 1950).

Aydinli, Ersel and James N. Rosenau, eds., *Globalization, Security, and the Nation-State: Paradigms in Transition* (Albany, NY: State University of New York Press, 2005).

Bales, Kevin, *Disposable People: New Slavery in the Global Economy*, rev. edn. (Berkeley, CA: University of California Press 2004).

ed., *Understanding Global Slavery Today: A Reader* (Berkeley, CA: University of California Press, 2005).

Ball, Desmond, "The Development of the SIOP, 1960–1983," in Desmond Ball and Jeffrey Richelson, eds., *Strategic Nuclear Targeting* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986), pp. 57–83.

Ball, Desmond and Jeffrey Richelson, eds., *Strategic Nuclear Targeting* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986).

Bartov, Omar, *The Eastern Front, 1941–45: German Troops and the Barbarization of Warfare* (New York: St. Martin's, 1985).

Bateman, Sam and Clive Schofield, *Outer Shelf Claims in the South China Sea: New Dimension to Old Disputes*, RSIS, Nanyang Technological University, July 1, 2009.

Baum, Tomas, "A Question for Inspiration in the Liberal Peace Paradigm: Back to Bentham?," *European Journal of International Relations*, 14, no. 3 (September 2008), pp. 431–453.

Bell, P. M. H., *The Origins of the Second World War in Europe* (London: Longman, 1986).

Bem, Daryl J., "Self-Perception Theory," in L. Berkowitz, ed., *Advances in Experimental Social Psychology* (New York: Academic Press, 1972), vol. 6, pp. 1–62.

Bentham, Jeremy, "A Plan for an Universal and Perpetual Peace," www.laits.utexas.edu/poltheory/bentham/pil/pil.e04.html.

Berger, Gordon, *Parties Out of Power in Japan, 1931–1941* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977).

Berger, Peter, *The Capitalism Revolution: Fifty Propositions about Prosperity, Equality, and Liberty* (New York: Basic Books, 1986).

Best, Geoffrey, *Humanity in Warfare* (New York: Columbia University Press, 1980).

Betts, Richard K., "Systems for Peace or Causes of War? Collective Security, Arms Control and the New Europe," *International Security*, 17, no. 1 (Summer 1992), pp. 5–43.

Black, Anita, *Quotations in Black* (Westport, CT: Greenwood, 1981).

Black, Jeremy, *A Military Revolution? Military Change and European Society 1550–1800* (Basingstoke: Macmillan, 1991).

European Warfare, 1660–1815 (New Haven, CT: Yale University Press, 1994).

Why Wars Happen (New York: New York University Press, 1998).

From Louis XIV to Napoleon: The Fate of a Great Power (London: Taylor & Francis, 1999).

European International Relations, 1648–1815 (London: Palgrave, 2002).

Blainey, Geoffrey, *The Causes of War*, 3rd edn. (New York: Free Press, 1988).

Blair, Bruce G., *The Logic of Accidental Nuclear War* (Washington, DC: Brookings Institution, 1983).

Blanning, T. C. W., *The French Revolutionary Wars, 1787–1801: Occupation and Resistance in the Rhineland, 1992–1802* (New York: Oxford University Press, 1983).

The Origins of the French Revolutionary Wars (London: Longmans, 1986).

The Pursuit of Glory: Europe 1648–1815 (London: Penguin, 2007).

Bluche, François, *Louis XIV* (Oxford: Blackwell, 1990).

Boemeke, Manfred F., Gerald D. Feldman and Elisabeth Glaser, eds., *Treaty of Versailles: A Reassessment After 75 Years* (New York: Cambridge University Press, 2006).

Boog, Horst, Gerhard Krebs and Detlef Vogel, *Germany and the Second World War: VII: The Strategic Air War in Europe and the War in the West and East Asia, 1943–1944/5*, trans. Francisca Garvie *et al.* (New York: Oxford University Press, 2006).

Booth, Kenneth and Nicholas Wheeler, *The Security Dilemma* (New York: Palgrave, 2007).

Borzecki, Jerzy, *The Soviet-Polish Peace of 1921 and the Creation of Interwar Europe* (New Haven, CT: Yale University Press, 2008).

Boswell, Terry and Mike Sweat, "Hegemony, Long Waves and Major Wars," *International Studies Quarterly*, 35 (1991), pp. 123–149.

Bosworth, R. J. B., *Mussolini* (London: Arnold, 2002).

Boulding, Kenneth, "Future Directions of Conflict and Peace Studies," *Journal of Conflict Resolution*, 22, no. 2 (1987), pp. 342–354.

Boyle, Chris, "The Mystery of Modern Wealth: Mercantilism, Value, and the Social Foundations of Liberal International Order," *European Journal of International Relations*, 14, no. 3 (September 2008), pp. 405–430.

Bracken, Paul, *The Command and Control of Nuclear Forces* (New Haven, CT: Yale University Press, 1983).

Bradsher, Henry S., *Afghan Communism and Soviet Intervention* (Oxford: Oxford University Press, 1999).

Breslauer, George and Richard Ned Lebow, "Leadership and the End of the Cold War: A Counterfactual Thought Experiment," in Richard K. Herrmann and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004), pp. 161–188.

Brewer, Anthony, *Marxist Theories of Imperialism: A Critical Survey* (London: Routledge and Kegan Paul, 1980).

Brodie, Bernard, *The Absolute Weapon* (New York: Harcourt, 1946).

Brooks, Stephen G., *Producing Security: Multinational Corporations, Globalization, and the Changing Calculus of Conflict* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005).

Brooks, Stephen G. and William C. Wohlforth, "Hard Times for Soft Balancing," *International Security* 30 (Summer 2005), pp. 72–108.

World Out of Balance: International Relations and the Challenge of American Primacy (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008).

Brown, Anthony Cave, ed., *DROPSHOT: The American Plan for World War III against Russia in 1957* (New York: Dial Press, 1978).

Brown, Archie, *The Gorbachev Factor* (Oxford: Oxford University Press, 1996).

Brown, Roger Glenn, *Fashoda Reconsidered: The Impact of Domestic Politics on French Policy in Africa, 1893-1898* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1970).

Bueno de Mesquita, Bruce, *The War Trap* (New Haven, CT: Yale University Press, 1981).

"The War Trap Revisited: A Revised Expectation Utility Model," *American Political Science Review*, 77 (1985), pp. 157–176.

Bueno de Mesquita, Bruce and David Lalman, "Reason and War," *American Political Science Review*, 80 (1986), pp. 1113–1130.

Bukovansky, Mlada, *Legitimacy and Power Politics: The American and French Revolutions in International Political Culture* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002).

Bull, Hedley, *The Anarchical Society* (New York: Columbia University Press, 1977).

Bullock, Alan, *Hitler: A Study in Tyranny*, rev. edn. (New York: Harper & Row, 1962).

Bundy, McGeorge, *Danger and Survival: Choices About the Bomb in the First Fifty Years* (New York: Random House, 1998).

Burnham, Peter, "Neo-Gramscian Hegemony and the International Order," *Capital and Class*, 54, no. 1 (1991), pp. 73–93.

Burr, William and Jeffrey T. Richelson, "Whether to 'Strangle the Baby in the Cradle': The United States and the Chinese Nuclear Program, 1960–1964," *International Security*, 25, no. 3 (Winter 2000/01), pp. 54–99.

Butler, Judith, *Excitable Speech: The Politics of the Performative* (New York: Routledge, 1997).

Butow, Robert J. C., *Japan's Decision to Surrender* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1954).

John Doe Associates: Backdoor Diplomacy for Peace (Stanford, CA: Stanford University Press, 1974).

Cairncross, A. K., *Home and Foreign Investment, 1870–1913* (Cambridge: Cambridge University Press, 1953).

Callinicos, Alex, *New Mandarins of American Power: The Bush Administration's Plans for the World* (London: Polity, 2003).

Carley, Michael J., "The Politics of Anti-Bolshevism: The French Government and the Russo-Polish War, December 1919 to May 1920," *Historical Journal*, 19 (1976), pp. 163–189.

Carr, E. H., *The Twenty Years Crisis, 1919–1939: An Introduction to the Study of International Relations* (London: Macmillan, 1939).

Conditions of Peace (London: Macmillan, 1942).

Casey, Steven, *Selling the Korean War: Propaganda, Politics and Public Opinion, 1950–1953* (New York: Oxford University Press, 2008).

Ceadel, Martin, *The Origins of War Prevention: The British Peace Movements and International Relations, 1730–1854* (Oxford: Oxford University Press, 1996).

Chan, Steve, *China, the US, and the Power-Transition Theory: A Critique* (New York: Routledge, 2008).

Chandler, David, *The Art of Warfare in the Age of Marlborough* (London: Batsford, 1976).

Chang, Gordon H., *Friends and Enemies: The United States, China, and the Soviet Union, 1948–1972* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1990).

Chen, Jian, *China's Road to the Korean War: The Making of the Sino-American Confrontation* (New York: Columbia University Press, 1994).

Mao's China and the Cold War (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 2001).

Chomsky, Noam and David Barsamian, *Imperial Ambitions: Conversations in the Post-9/11 World* (New York: Metropolitan Books, 2005).

Christensen, Thomas J. and Jack L. Snyder, "Chain Gangs and Passed Bucks: Predicting Alliance Patterns in Multipolarity," *International Organization*, 44 (1990), pp. 137–68.

Chubin, Shahran and Charles Tripp, *Iran and Iraq at War* (Boulder, CO: Westview, 1998).

Churchill, Winston S., *Amid These Storms: Thoughts and Adventures* (New York: Scribner's, 1932).

Cirincione, Joseph, Jessica T. Mathews and George Perkovich, *WMD in Iraq: Evidence and Implications* (Washington, DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2004).

Clark, Ian, *Legitimacy in International Society* (Oxford: Oxford University Press, 2005).
"How Hierarchical Can International Relations Be?," *International Relations*, 23, no. 3 (2009), pp. 464–480.
Clarke, I. F., *Voices Prophesying War, 1763–1914* (London: Oxford University Press, 1966).
Claude, Inis L., *Power and International Relations* (New York: Random House, 1962).
Clausewitz, Carl, *On War*, trans. M. Howard and P. Paret (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1976).
Clodfelter, Michael, *Warfare and Armed Conflicts: A Statistical Encyclopedia of Causality, and Other Figures, 1994–2007* (Jefferson, NC: McFarland, 2008).
Coker, Christopher, *Waging War Without Warriors? The Changing Culture of Military Conflict* (New York: Lynne Rienner, 2002).
The Future of War: The Re-enchantment of War in the Twenty-First Century (London: Blackwell, 2004).
Cook, Chris and Whitney Walker, *The Facts on File World Political Almanac* (New York: Facts on File, 2001).
Coox, Alvin D., *Nomonhan: Japan against Russia*, 1939, 2 vols. (Stanford, CA: Stanford University Press, 1985).
Copeland, Dale C., *The Origins of Major Wars* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2000).
Cornil, Fernando, "Listening to the Subaltern: Postcolonial Studies and the Poetics of Neocolonial States," in Laura Chrisman and Benita Parry, eds., *Postcolonial Theory and Criticism* (Cambridge: D. S. Brewer, 2000), pp. 37–55.
Cortright, David, *Peace: A History of Movements and Ideas* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).
Cox, Robert, "Gramsci, Hegemony and International Relations: An Essay in Method," in Stephen Gill, ed., *Gramsci, Historical Materialism on International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), pp. 49–66.
Craven, Wesley Frank and Frank Lea Cate, *The Army Air Forces in World War Two* (Washington, DC: Office of Air Force History, 1983), vol. 5.
Crawley, Charles William (editor-in-chief) and John Patrick Tuer Bury (volume editor), *New Cambridge Modern History*, vol. 10: *The Zenith of European Power: 1830–1870* (Cambridge: Cambridge University Press, 1957).
Crowley, James B., *Japan's Quest for Autonomy: National Security and Foreign Policy, 1930–38* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1966).
Daalder, Ivo H. and James M. Lindsay, *America Unbound: The Bush Revolution in Foreign Policy*, rev. edn. (Hoboken, NJ: Wiley, 2005).
Dallin, Alexander, *German Rule in Russia 1941–1945: A Study in Occupation Policies* (London: Macmillan, 1957).
Daudin, Guillaume, Matthias Morys and Kevin H. O'Rourke, *Europe and Globalization, 1870–1914* (Paris: Observatoire Français des Conjonctures Economiques, 2008).

Davis, James and William C. Wohlforth, "German Unification," in Richard K. Herrmann and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004), pp. 131–160.

Davis, L.E. and R.A. Huttenback, *Mammon and the Pursuit of Empire* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987).

De Bruhl, Marshall, *Firestorm: Allied Air Power and the Destruction of Dresden* (New York: Random House, 2006).

De Soysa, Indra, John R. Oneal and Yong-Hee Park, "Testing Power-Transition Theory Using Alternate Measures of Material Capabilities," *Journal of Conflict Resolution* 41 (1997), pp. 1–30.

Deanne, Julius, "Waxing or Waning?," *Harvard International Review*, 26, no. 4 (Winter 2005), http://hir.harvard.edu/symposia/63/.

Debo, Richard K., *Survival and Consolidation: The Foreign Policy of Soviet Russia, 1918–1921* (Montreal: McGill-Queen's University Press, 1992).

Dechesne, M., J. Greenberg, J. Arndt and J. Schimel, "Terror Management and Sports: Fan Affiliation: The Effects of Mortality Salience on Fan Identification and Optimism," *European Journal of Social Psychology*, 30 (2000), pp. 813–835.

Dedijer, Vladimir, *The Road to Sarajevo* (New York: Simon & Schuster, 1966).

Deng, Yong, *China's Struggle for Status: The Realignment of International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

Deutsch, Karl W., *Nationalism and Social Communication* (Boston: MIT Press, 1953).

Deutsch, Karl W. and J. David Singer, "Multipolar Systems and International Stability," *World Politics*, 16 (1964), pp. 390–406.

Deutsch, Karl W., Sidney A. Burrell and Robert A. Kann, *Political Community and the North Atlantic Area: International Organization in the Light of Historical Experience* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957).

Diamond, Larry, "A Report Card on Democracy," *Hoover Digest*, no. 3 (2000), www.hoover.org/publications/digest/3491911.html.

Dickson, Peter George, *Finance and Government under Maria Theresa, 1740–1780* (Oxford: Oxford University Press, 1987).

Dixon, William J., "Democracy and the Peaceful Settlement of International Conflict," *American Political Science Review*, 88 (March 1994), pp. 1–17.

Dorpalen, Andreas, *Hindenburg and the Weimar Republic* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1964).

Dower, John, *War Without Mercy: Race and Power in the Pacific War* (New York: Pantheon, 1986).

Embracing Defeat: Japan in the Wake of World War II (New York: Norton, 1999).

Downs, George, ed., *Collective Security Beyond the Cold War* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1994).

Doyle, Michael, "Kant, Liberal Legacies, and Foreign Affairs, Part I," *Philosophy and Public Affairs*, 12 (Summer 1983), pp. 205-235. Part II, *ibid.*, pp. 323-353.
Empires (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986).
Drucker, Peter F., "The Global Economy and the Nation State," *Foreign Affairs*, 76 (1997), pp. 159-171.
Duffy, Christopher, *The Military Experience in the Age of Reason* (London: Routledge & Kegan Paul, 1987).
Dunn, John, *Democracy: A History* (Boston: Atlantic Monthly Press, 2006).
Durkheim, Emile, *The Division of Labor in Society*, trans. W. D. Halls (New York: Macmillan, 1984).
The Elementary Forms of the Religious Life, trans. Carol Cosman (Oxford: Oxford University Press, 2001).
Duus, Peter, "Japan's Informal Empire in China, 1895-1937: An Overview," in Peter Duus, Ramon H. Myers and Mark R. Peattie, *Japanese Informal Empire in Asia* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1989), pp. xi-xxix.
Eakin, Paul John, *How Our Lives Become Stories: Making Selves* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999).
Edelstein, Michael, *Overseas Investments in the Age of High Imperialism: The United Kingdom, 1850-1924* (New York: Columbia University Press, 1982).
Einstein, Albert, *Einstein on Peace* (New York: Simon & Schuster, 1960).
Ekman, Paul, *Emotions Revealed: Recognizing Faces and Feelings to Improve Communication and Emotional Life* (New York: Henry Holt, 2003).
Eley, Geoff, *Reshaping the German Right: Radical Nationalism and Political Change After Bismarck* (New Haven, CT: Yale University Press, 1980).
Forging Democracy: The History of the Left in Europe, 1850-2000 (Oxford: Oxford University Press, 2002).
Elman, Colin and Miriam Fendius Elman, "Horses for Courses: Why Not Neorealist Theories of Foreign Policy?," *Security Studies*, 1, no. 6 (1996), pp. 7-53.
Elrod, Richard, "The Concert of Europe: A Fresh Look at an International System," *World Politics*, 28, no. 2 (January 1976), pp. 159-174.
Elster, Jon, *Solomonic Judgments: Studies in the Limits of Rationality* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).
Emerson, Ralph Waldo, "War," in *Miscellanies* (Cambridge: Riverside Press, 1904), pp. 150-176.
English, Robert D., *Russia and the Idea of the West: Gorbachev, Intellectuals, and the End of the Cold War* (New York: Columbia University Press, 2000).
"Power, Ideas, and New Evidence on the Cold War's End: A Reply to Brooks and Wohlforth," *International Security*, 26, no. 4 (2002), pp. 93-111.
Erskine, Toni and Richard Ned Lebow, eds., *Tragedy and International Relations* (London: Palgrave, 2010).
Evangelista, Matthew, *Unarmed Forces: The Transnational Movement to End the Cold War* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999).

"Turning Points in Arms Control," in Richard K. Herrmann and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004), pp. 83–106.

Fallows, James, "Blind into Baghdad," *Atlantic Monthly* (January/February 2004).

Farhang, Rajaee, *The Iran-Iraq War: The Politics of Aggression* (Gainesville, FL: University Press of Florida, 1997).

Farnham, Barbara, ed., *Avoiding Losses/Taking Risks: Prospect Theory and International Conflict* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1995).

Farrar, Lancelot L., Jr., *The Short-War Illusion: German Policy, Strategy and Domestic Affairs, August-December 1914* (Santa Barbara, CA: ABC-Clio, 1973).

Fazal, Tanisha M., *State Death: The Politics and Geography of Conquest, Occupation, and Annexation* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007).

Fearon, James D., "Domestic Political Audiences and the Escalation of International Disputes," *American Political Science Review*, 88, no. 3 (1994), pp. 577–592.

"Rationalist Explanations for War," *International Organization*, 49, no. 3 (1995), pp. 379–414.

Feaver, Peter D. and Christopher Gelpi, *Choosing Your Battles: American Civil-Military Relations and the Use of Force* (Princeton, NJ: Princeton University Press 2004).

Feis, Herbert, *Europe, the World's Banker, 1870–1914* (New Haven, CT: Yale University Press, 1930).

Fellner, Fritz, "Austria-Hungary," in Keith Wilson, ed., *Decisions for War, 1914* (New York: St. Martin's Press, 1995), pp. 9–25.

Ferejohn, John and Frances McCall Rosenbluth, "Warlike Democracies," *Journal of Conflict Resolution*, 52, no. 1 (2008), pp. 3–38.

Ferguson, Adam, *An Essay on the History of Civil Society*, 2nd edn. (Edinburgh: A. Kincaid and J. Bell, 1768).

Ferrell, Robert H., *Peace in Their Time: The Origins of the Kellogg-Briand Pact* (New Haven, CT: Yale University Press, 1952).

Fest, Joachim, *Hitler*, trans. Richard Winslow and Clara Winslow (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1974).

Finley, Moses I., *The World of Odysseus* (New York: Viking, 1978).

Fischer, Fritz, *Germany's Aims in the First World War* (New York: Norton, 1967).

War of Illusions: German Policies from 1911 to 1914, trans. Marian Jackson (New York: W. W. Norton, [1969] 1975).

Fisher, Louis, *Presidential War Power*, 2nd edn. (Lawrence, KS: University of Kansas Press, 2004).

Fitzgerald, T. K., *Metaphors of Identity* (Albany, NY: State University of New York Press, 1993).

Fogel, Robert William, *The Escape from Hunger and Premature Death* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

Foot, Rosemary, *The Wrong War: American Policy and the Dimensions of the Korean Conflict, 1950–1953* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985).

Fravel, M. Taylor, "Regime Insecurity and International Cooperation: Explaining China's Compromises in Territorial Disputes," *International Security*, 30, no. 2 (2005), pp. 46–83.

Freeman, Mark A., "Liking Self and Social Structure: A Psychological Perspective on Sri Lanka," *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 12 (1981), pp. 291–308.

Frei, Norbert, "People's Community and War: Hitler's Popular Support," in Hans Mommsen, ed., *The Third Reich Between Vision and Reality: New Perspectives on German History, 1918–1945* (Oxford: Berg, 2001), pp. 59–78.

Freud, Sigmund, *Civilization and Its Discontents*, trans. Joan Rivière (Garden City, NY: Doubleday, 1958).

Friedberg, Aaron L., "The Future of United States–China Relations: Is Conflict Inevitable?," *International Security*, 30, no. 2 (Fall 2005), pp. 7–45.

Frieden, Jeffrey, "International Investment and Colonial Control," *International Organization*, 48 (1994), pp. 558–593.

Friedman, Milton J., "The Methodology of Positive Economics," in Milton J. Friedman, *Essays in Positive Economics* (Chicago: University of Chicago Press, 1953), pp. 3–43.

Friedman, Thomas L., *The Lexus and the Olive Tree*, rev. edn. (New York: Farrar, Strauss and Giroux, 2000).

Frieser, Karl-Heinz and John T. Greenwood, *The Blitzkrieg Legend: The 1940 Campaign in the West* (Annapolis, MD: Naval Institute Press, 2005).

Frost, Mervyn, "Tragedy, Ethics and International Relations," *International Relations*, 17, no. 4 (December 2003), pp. 477–496.

Fussell, Paul, *The Great War and Modern Memory* (New York: Oxford University Press, 1975).

Galbraith, Peter W., *The End of Iraq: How American Incompetence Created a War Without End* (New York: Simon & Schuster, 2006).

Galtung, Johann, *Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilisation* (Oslo: Peace Research Institute, 1996).

Garthoff, Raymond L., *Reflections on the Cuban Missile Crisis*, 2nd edn. (Washington, DC: Brookings Institution, 1989).

Détente and Confrontation: American–Soviet Relations from Nixon to Reagan, rev. edn. (Washington, DC: Brookings Institution, 1994).

The Great Transformation: American–Soviet Relations and the End of the Cold War (Washington, DC: Brookings Institution, 1994).

Gartzke, Erik, "The Capitalist Peace," *American Journal of Political Science*, 51 (January 2007), pp. 166–191.

Gause, Gregory F., *Iraq and the Gulf War: Decision-Making in Baghdad* (New York: Columbia University Press, 2001).

Geiss, Imanuel, *German Foreign Policy, 1871-1914* (London: Kegan Paul, 1976).

Gelb, Leslie with Richard K. Betts, *The Irony of Vietnam: The System Worked* (Washington, DC: Brookings Institution, 1978).

Geller, Daniel S., "Explaining War: Empirical Patterns and Theoretical Mechanisms," in Manus Midlarsky, ed., *Handbook of War Studies, II* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 2001), pp. 407-479.

Gelpi, Christopher, Peter Feaver and Jason Reifler, *Paying the Human Costs of War* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2009).

George, Alexander L., *Managing US-Soviet Rivalry: Problems of Crisis Prevention* (Boulder, CO: Westview, 1983).

George, Alexander L., Philip J. Farley and Alexander Dallin, *US-Soviet Security Cooperation: Achievements, Failures, Lessons* (New York: Oxford University Press, 1988).

Gergen, Kenneth J., *An Invitation to Social Construction* (London: Sage, 1999).

Germain, Randall D. and Michael Kenny, "Engaging Gramsci: International Relations Theory and the New Gramscians," *Review of International Studies*, 24, no. 1 (1998), pp. 3-21.

Gill, Stephen, *Gramsci, Historical Materialism on International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1993), pp. 49-66.

Gill, S. and D. Law, "Global Hegemony and the Structural Power of Capital," *Global Governance*, 33, no. 4 (2004), pp. 475-499.

Gilpin, Robert, *War and Change in International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 1981).

Glantz, David M., *The Siege of Leningrad, 1941-44: 900 Days of Terror* (London: Collins, 2004).

Colossus Reborn: The Red Army at War, 1941-1943 (Lawrence, KS: University of Kansas Press, 2005).

Glaser, Charles L., "Realists as Optimists: Cooperation as Self-Help," *International Security*, 19 (Winter 1994-1995), pp. 50-90.

Theory of Rational International Politics (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2009).

Glaser, Charles L. and Chaim Kaufmann, "What Is the Offense-Defense Balance?," *International Security*, 22 (Spring 1998), pp. 44-82.

Glaser, Charles L. and Stephen Walt, "International Relations: One World, Many Theories," *Foreign Policy*, 110 (Spring 1998), pp. 29-45.

Gleditsch, Kristian, "A Revised List of Wars Between and Within Independent States, 1816-2002," *International Interactions*, 30 (2004), pp. 232-262.

Gleick, P. H., "The Implications of Global Climate Changes for International Security," *Climate Change*, 15 (October 1989), pp. 303-325.

Gobarev, Victor M., "Soviet Policy Toward China: Developing Nuclear Weapons 1949–1969," *Journal of Slavic Military Studies*, 12, no. 4 (December 1999), pp. 37–39.

Gochman, Charles S., "Capability-Driven Disputes," in Charles S. Gochman and Allan Ned Sabrosky, eds., *Prisoners of War? Nation-States in the Modern Era* (Lexington, KY: Lexington Books, 1990).

Goebel, Stefan, *The Great War and Medieval Memory: War, Remembrance and Medievalism in Britain and Germany, 1914–1940* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

Goldman, Emily O., *Sunken Treaties: Naval Arms Control between the Wars* (University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1994).

Goldstein, Avery, "Great Expectations: Interpreting China's Arrival," *International Security*, 23, no. 3 (Winter 1997/1998), pp. 36–73.

Rising to the Challenge: China's Grand Strategy and International Security (Stanford, CA: Stanford University Press, 2005).

"Power Transitions, Institutions, and China's Rise in East Asia: Theoretical Expectations and Evidence," *Journal of Strategic Studies*, 30, nos. 4–5 (2007), pp. 639–682.

Gongora, Thierry and Harald von Riekhoff, eds., *Toward a Revolution in Military Affairs? Defense and Security at the Dawn of the Twenty-First Century* (Westport, CT: Greenwood, 2000).

Gordon, Michael R., "Domestic Conflict and the Origins of the First World War: The British and German Cases," *Journal of Modern History*, 46 (June 1974), pp. 191–226.

Gordon, Michael R. and Bernard E. Trainor, *The General's War: The Inside Story of the Conflict in the Gulf* (Boston: Little, Brown, 1995).

Cobra II: The Inside Story of the Invasion and Occupation of Iraq (New York: Pantheon, 2006).

Gorst, Anthony and Lewis Johnman, *The Suez Crisis* (London: Routledge, 1997).

Gramsci, Antonio, *Selections from the Prison Notebooks of Antonio Gramsci*, ed. and trans. Quentin Hoare and G. Nowell Smith (London: Lawrence & Wishart, 1971).

Quaderni del Carcere, ed. V. Geratana, 4 vols. (Turin: Einaudi, 1975).

Scritti di economia politica (Rome: Bollati Boringhieri, 1994).

Green, Donald P. and Ian Shapiro, *Game Theory for Political Scientists: A Critique of Applications in Political Science* (New Haven, CT: Yale University Press, 1994).

Pathologies of Rational Choice Theory: A Critique of Applications in Political Science (New Haven, CT: Yale University Press, 1994).

Greenfeld, Liah, *Nationalism: Five Roads to Modernity* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992).

Gries, Peter H., *China's New Nationalism: Pride, Politics and Diplomacy* (Berkeley, CA: University of California Press, 2004).

Grigg, David B., *Population Growth and Agrarian Change* (Cambridge: Cambridge University Press, 1980).

Gulick, Edward Vose, *Europe's Classical Balance of Power* (New York: W. W. Norton, 1955).

Guzzini, Stefano, "The Concept of Power: A Constructivist Analysis," *Millennium*, 33, no. 3 (2005), pp. 495–522.

Geopolitics Redux, forthcoming.

Haas, Ernest B., "The Balance of Power: Prescription, Concept, or Propaganda," *World Politics*, 5 (1953), pp. 442–477.

Habermas, Jürgen, *Knowledge and Human Interests*, trans. J. Shapiro (London: Polity Press, 1987 [1968]).

Theory and Practice, trans. John Viertel (Boston: Beacon, 1973).

Hall, Ray, *Europe's Population: Towards the Next Century* (New York: Routledge, 1995).

Hall, Rodney Bruce, *National Collective Identity: Social Constructs and International Systems* (New York: Columbia University Press, 1999).

Hamilton, Alexander, James Madison and John Jay, *The Federalist Papers* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1981).

Hamilton, Richard F. *Marxism, Revisionism, and Leninism: Explication, Assessment and Commentary* (Westport, CT: Praeger, 2000).

Hamilton, Richard F. and Holger H. Herwig, eds., *The Origins of World War I* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

Harris, William V., *War and Imperialism in Ancient Rome, 327–70 BC* (Oxford: Oxford University Press, 1979).

Harvey, David, *The New Imperialism* (Oxford: Oxford University Press, 2003).

Harwell, Mark A., *Nuclear Winter: The Human and Environmental Consequences of Nuclear War* (New York: Springer-Verlag, 1984).

Haslam, Jonathan, *The Soviet Union and the Threat from the East, 1933–41: Moscow, Tokyo and the Prelude to the Pacific War* (Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1992).

Hassig, *Aztec Warfare: Imperial Expansion and Political Control* (Norman, OK: University of Oklahoma Press, 1988).

Hassrick, Royal B., *The Sioux* (Norman, OK: University of Oklahoma Press, 1964).

Hastings, Max, *Bomber Command* (New York: Dial Press, 1979).

Hatton, Ragnild M., *Charles XII of Sweden* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1968).

Haushofer, Karl, *Geopolitik des Pazifischen Ozeans. Studien über die Wechelsbeziehungen zwischen Geographie und Geschichte* (Berlin: Kurth Vowinckel, 1924).

Haushofer, Karl, Erich Obst, Hermann Lautensach and Otto Maull, *Bausteine zur Geopolitik* (Berlin: Kurt Vowinckel, 1928).

Hayes, Carlton J. H., *A Generation of Materialism, 1871–1900* (New York: Harper & Row, 1941).

Hayes, Peter, "Hobbes' Bourgeois Moderation," *Polity*, 31, no. 1 (Autumn 1998), pp. 53–74.

Hegel, G. W. F., *Hegel's Philosophy of Right*, trans. T. M. Knox (Oxford: Oxford University Press, 1969).

Phenomenology of Spirit, trans. A. V. Miller (Oxford: Clarendon Press, 1977).

Hellman, Christopher, "Highlights of the Fiscal Year 2008 Pentagon Spending Request," February 5, 2007, available at www.armscontrolcenter.org.

Henderson, Gregory, Richard Ned Lebow and John G. Stoessinger, eds., *Divided Nations in a Divided World* (New York: David Mckay, 1974).

Hensel, Paul R., "Territory: Theory and Evidence on Geography and Conflict," in John A. Vasquez, ed., *What Do We Know About War?* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2000), pp. 57–84.

Herrmann, Richard K., *Perceptions and Behavior in Soviet Foreign Policy* (Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1985).

Herrmann, Richard K. and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004).

"What Was the Cold War? When and Why Did It Fail?," in Richard K. Herrmann and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004), pp. 1–30.

Hersh, Seymour M., *Chain of Command: The Road from 9/11 to Abu Ghraib* (New York: Harper, 2004).

Herwig, Holger H., "Clio Deceived: Patriotic Self-Censorship in Germany After the Great War," *International Security*, 12 (Fall 1987), pp. 5–44.

The First World War: Germany and Austria-Hungary, 1914–1918 (London: Arnold, 1998).

"Germany," in Richard F. Hamilton and Holger H. Herwig, eds., *The Origins of World War I* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), pp. 150–187.

Herz, John H., "Idealist Internationalism and the Security Dilemma," *World Politics*, 12 (1950), pp. 157–180.

Political Realism and Political Idealism: A Study in Theories and Realities (Chicago: University of Chicago Press, 1951).

International Politics in the Nuclear Age (New York: Columbia University Press, 1959).

"The Security Dilemma in International Relations: Background and Present Problems," *International Relations* (2003), pp. 411–416.

Herzog, Chaim, *The Arab-Israeli Wars: War and Peace in the Middle East from the War of Independence through Lebanon* (New York: Random House, 1982).

Hinsley, F. H., *Power and the Pursuit of Peace; Theory and Practice in the History of Relations Between States* (Cambridge: Cambridge University Press, 1963).

Hirschman, Albert O., *Exit, Voice, and Loyalty: Responses to Decline in Firms, Organizations, and States* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1970).

The Passions and the Interests: Political Arguments for Capitalism Before Its Triumph (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977).

Hixon, Walter L. *Historical Memory and Representations of the Vietnam War* (New York: Garland, 2000).

Hobbes, Thomas, *De Cive*, in Bernard Gert, ed., *Man and Citizen* (Indianapolis, IN: Hackett, 1991 [1651]).

Leviathan, ed. Richard Tuck (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

Hobsbawn, Eric J., "Rules of Violence," in Eric J. Hobsbawm, *Revolutionary: Contemporary Essays* (New York: Pantheon, 1973), pp. 209–215.

Hobson, John A., *Imperialism: A Study* (London: Allen & Unwin, 1938).

Hoffmann, Stanley, *The State of War: Essays on the Theory and Practice of International Politics* (New York: Praeger, 1965).

Holsti, Kalevi J., *Peace and War: Armed Conflicts and International Order, 1648–1989* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991).

"The Decline of Interstate War: Pondering Systemic Explanations," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 135–160.

Holsti, Ole R., "Of Chasms and Convergences: Attitudes and Beliefs of Civilians and Military Elites at the Start of a New Millennium," in Peter D. Feaver and Richard H. Kohn, eds., *Soldiers and Civilians: The Civil-Military Gap and American National Security* (Cambridge, MA: MIT Press, 2001), pp. 15–99.

Homer-Dixon, Thomas F., *Environment, Scarcity, and Violence* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999).

Honneth, Axel, *The Struggle for Recognition* (Cambridge, MA: MIT Press, 1996).

Honneth, Axel and Nancy Fraser, *Recognition or Redistribution? A Political-Philosophical Exchange* (New York: Verso Press, 2003).

Hont, Istvan, *Jealousy of Trade: International Competition and the Nation-State in Historical Perspective* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2005).

Hopf, Ted, *Peripheral Visions: Deterrence Theory and American Foreign Policy in the Third World, 1965–1990* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 1994).

Houweling, Henk and Jan G. Siccama, "Power Transition as a Cause of War," *Journal of Conflict Resolution*, 32, no. 1 (1998), pp. 87–102.

Howard, Michael, *The Franco-Prussian War: The German Invasion of France, 1870–1871* (London: Rupert Hart-Davis, 1961).

War in European History (Oxford: Oxford University Press, 1976).

War and the Liberal Conscience (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1978).

Lessons of History (New Haven, CT: Yale University Press, 1991).

Hughes, Christopher W., "Japan's Re-emergence as a 'Normal' Military Power," Adelphi Paper 368–9 (London: International Institute of Strategic Studies, 2004).

Hughes, Lindsey, *Peter the Great: A Biography* (New Haven, CT: Yale University Press, 2002).

Hume, David, *A Treatise of Human Nature, 2nd edn.* (Oxford: Oxford University Press, 1978).

Huntingford, F. A., "Animals Fight, But Do Not Make War," in Jo Groebel and Robert H. Hinde, eds., *Aggression and War: Their Biological and Social Bases* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989), pp. 25–34.

Huntington, Samuel P., "The Lonely Superpower," *Foreign Affairs*, 78 (1999), pp. 35–49.

Hurd, Douglas, *The Arrow War: An Anglo-Chinese Confusion, 1856–60* (New York: Macmillan, 1960).

Hurrell, Andrew, *On Global Order: Power, Values, and the Constitution on International Society* (Oxford: Oxford University Press, 2008).

Huth, Paul K. and Todd L. Allee, *The Democratic Peace and Territorial Conflict in the Twenty Century* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

Hymans, Jacques E. C., *The Psychology of Nuclear Proliferation: Identity, Emotions and Foreign Policy* (New York: Cambridge University Press, 2006).

Ikenberry, G. John, *After Victory: Institutions, Strategic Restraint, and the Rebuilding of Order After Major Wars* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001).

America Unrivaled: The Future of the Balance of Power (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002).

Ingram, Edward, "Pairing Off Empires: The United States and Great Britain in the Middle East," in Tore T. Petersen, ed., *Controlling the Uncontrollable? The Great Powers in the Middle East* (Trondheim: Tapir Books, 2006), pp. 1–32.

Ingram, Norman, *The Politics of Dissent: Pacifism in France 1919–1939* (Oxford: Oxford University Press, 1991).

Iriye, Akira, *Pacific Estrangement* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1972).

The Origins of the Second World War in Asia and the Pacific (London: Longman, 1987).

"Japan's Drive to Great Power Status," in Manius B. Jansen, ed., *The Emergence of Meiji Japan* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), pp. 268–330.

Isakoff, Michael and David Corn, *Hubris: The Inside Story of Spin, Scandal and the Selling of the Iraq War* (New York: Crown, 2006).

Israel, Jonathan, *The Dutch Republic: Its Rise, Greatness and Fall, 1477–1806* (Oxford: Oxford University Press, 1995).

Jackson, Frank and Carol Rosenberg, "Why Africa's Weak States Persist: The Juridical and the Empirical in Statehood," *World Politics*, 35 (1982), pp. 1–24.

Jackson, Robert, *Global Covenant: Human Conduct in a World of States* (Oxford: Oxford University Press, 2000).

Jakobson, Max, *The Diplomacy of the Winter War: An Account of the Russo-Finnish War, 1939-1940* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1961).

Janis, Irving L. and Leon Mann, *Decision-Making: A Psychological Model of Conflict, Choice, and Commitment* (New York: Free Press, 1977).

Jervis, Robert, *Perception and Misperception in International Relations* (Princeton: Princeton University Press, 1976).

"Cooperation under the Security Dilemma," *World Politics*, 40, no. 1 (1978), pp. 167-214.

"Security Regimes," *International Organization*, 36, no. 2 (Spring 1982), pp. 173-194.

The Meaning of the Nuclear Revolution (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1989).

System Effects: Complexity in Political and Social Life (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1997).

Jervis, Robert, Richard Ned Lebow and Janice Gross Stein, *Psychology and Deterrence* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1984).

Jia Quingguo, "Peaceful Development: China's Policy of Reassurance," *Australian Journal of International Affairs*, 59, no. 4 (2005), pp. 493-507.

Johnson, Cathryn, Timothy J. Dowd and Cecilia L. Ridgeway, "Legitimacy as a Social Process," *Annual Reviews of Sociology*, 35 (August 2006), pp. 53-78.

Johnston, Alastair Ian, "Is China a Status Quo Power?," *International Security*, 27, no. 4 (2003), pp. 5-56.

Social States: China and International Institutions, 1980-2000 (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008).

Johnston, Ian, "China's International Relations: Political and Security Dimensions," in Samuel S. Kim, ed., *The International Relations of Northeast Asia* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2004), pp. 65-101.

Jones, Dorothy V., *Code of Peace: Ethics and Security in the World of Warlord States* (Chicago: University of Chicago Press, 1989).

Jones, James R., *The Anglo-Dutch Wars of the Seventeenth Century* (London: Longman, 1996).

Jordan, Richard, Daniel Maliniak, Amy Oakes, Susan Peterson and Mitchel J. Tierney, "One Discipline or Many? TRIP Survey of International Relations Faculty in Ten Countries," unpublished paper, February 2009.

Kahin, George McTurnan, *Intervention: How America Became Involved in Vietnam* (New York: Knopf, 1986).

Kahneman, Daniel and Amos Tversky, "Prospect Theory: An Analysis of Decision Making under Risk," *Econometrica*, 47, no. 2 (March 1979), pp. 263-292.

"Loss Aversion in Riskless Choice: A Reference Dependent Model," *Quarterly Journal of Economics*, 106 (1991), pp. 1039-1061.

Kaiser, David E., "Germany and the Origins of the First World War," *Journal of Modern History*, 55 (September 1983), pp. 442–474.

Kaldor, Mary, *New and Old Wars: Organized Violence in a Global Era* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2001).

Kang, David C., *China Rising: Peace, Power, and Order in East Asia* (New York: Columbia University Press, 2007).

Kant, Immanuel, *Perpetual Peace*, trans. Ted Humphrey (Indianapolis, IN: Hackett, 2003).

Kaplan, Fred, *The Wizards of Armageddon* (New York: Simon & Schuster, 1983).

Kaplan, Morton A., *System and Process in International Politics* (New York: Wiley, 1957).

Kaufman, Stuart J., "The Fragmentation and Consolidation of International Systems," *International Organization*, 51, no. 2 (1997), pp. 173–208.

Kaufman, Stuart, Richard Little and William Wohlforth, eds., *The Balance of Power in World History* (New York: Palgrave, 2007).

Kay, Sean, *NATO and the Future of European Security* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 1998).

Kaysen, Carl, "Is War Obsolete?," *International Security*, 14, no. 4 (1990), pp. 42–64.

Keeley, Lawrence H., *War Before Civilization* (New York: Oxford University Press, 1966).

Kennedy, Paul, *The Rise and Fall of the Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000* (New York: Random House, 1987).

Kennedy, W. P., *Industrial Structure, Capital Markets, and the Origins of British Economic Decline* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987).

Keohane, Robert, *International Institutions and State Power: Essays in International Relations Theory* (Boulder, CO: Westview, 1989).

Kershaw, Ian, *The "Hitler Myth": Image and Reality in the Third Reich* (Oxford: Oxford University Press, 1987).

Kettell, Steven, *Dirty Politics? British Democracy, New Labour, and the Invasion of Iraq* (London: Zed Books, 2006).

Khong, Yuen Foong, "War and International Theory: A Commentary on the State of the Art," *Review of International Studies*, 10 (1984), pp. 41–63.

Analogies at War: Korea, Munich, Dien Bien Phu, and the Vietnam Decisions of 1965 (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1992).

Khrushchev, Nikita, *Khrushchev Remembers*, trans. Strobe Talbott (Boston: Little, Brown, 1970).

Kim, Woosang, "Alliance Transition and Great Power War," *American Journal of Political Science*, 35, no. 4 (1991), p. 883.

"Power Transition and Great Power War from Westphalia to Waterloo," *World Politics*, 45, no. 1 (1992), pp. 153–172.

Kim, Woosang and James D. Morrow, "When Do Power Shifts Lead to War?," *American Journal of Political Science*, 36, no. 4 (November 1992), pp. 896–922.

Kindleberger, Charles P., *The World in Depression, 1929–1939* (London: Allen Lane, 1973).

Kissinger, Henry A., *A World Restored: Metternich, Castlereagh and the Problems of Peace, 1812–22* (Boston: Houghton Mifflin, 1957).

Klare, Michael, *Resource Wars: The New Landscape of Global Conflict* (New York: Macmillan, 2002).

Konstan, David, *The Emotions of the Ancient Greeks: Studies in Aristotle and Classical Literature* (Toronto: University of Toronto Press, 2006).

Kratochwil, Friedrich V., *Rules, Norms, and Decisions: On the Conditions of Practical and Legal Reasoning in International Relations and Domestic Affairs* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

Krausnick, Helmut, *Die Truppe des Weltanschauungskrieges: Die Einsatzgruppen der Sicherheitspolizei und des SD, 1938–1942* (Stuttgart: Deutsche Verlags-Anstalt, 1981).

Krauthammer, Charles, "The Unipolar Moment," *Foreign Affairs*, 70 (1990/1991), pp. 23–33.

"The Unipolar Moment Revisited," *National Interest*, 70 (Winter 2002), pp. 5–18.

Kupchan, Charles A., "After Pax Americana: Benign Power, Regional Integration, and the Sources of Stable Multipolarity," *International Security*, 23 (1998), pp. 40–79.

Kupchan, Charles A. and Clifford A. Kupchan, "Concerts, Collective Security, and the Future of Europe," *International Security*, 16, no. 1 (Summer 1991), pp. 114–161.

Kurki, Milja, *Causation in International Relations: Reclaiming Causal Analysis* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

Kydd, Andrew, "Sheep in Sheep's Clothing: Why Security Seekers Do Not Fight Each Other," *Security Studies*, 7 (Autumn 1997), pp. 114–155.

Kyle, Keith, *Suez: Britain's End of Empire in the Middle East* (London: Tauris, 2002).

Lai, Brian and Dan Reiter, "Rally 'Round the Union Jack? Public Opinion and the Use of Force in the United Kingdom, 1948–2001," *International Studies Quarterly*, 49, no. 2 (2005), pp. 255–272.

Lapid, Yosef, "Culture's Ship: Returns and Departures in International Relations Theory," in Yosef Lapid and Friedrich Kratochwil, *The Return of Culture and Identity in IR Theory* (Boulder, CO: Lynne Rienner, 1996), pp. 3–20.

Lasswell, Harold, *National Security and Individual Freedom* (New York: McGraw-Hill, 1950).

Lawrence, Andrew, "Imperial Peace or Imperial Method? Skeptical Inquiries into Ambiguous Evidence for the 'Democratic Peace,'" in Richard Ned Lebow

and Mark Lichbach, eds., *Theory and Evidence in Comparative Politics and International Relations* (New York: Palgrave-Macmillan, 2007), pp. 188–228.

Layne, Christopher, "The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Arise," *International Security*, 17 (1993), pp. 5–51.

The Peace of Illusions: American Grand Strategy from 1940 to the Present (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2006).

Lebow, Richard Ned, *Between Peace and War: The Nature of International Crisis* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1981).

"Miscalculation in the South Atlantic: The Origins of the Falkland War," in Robert Jervis, Richard Ned Lebow and Janice Gross Stein, *Psychology and Deterrence* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1984), pp. 89–124.

"Generational Learning and Foreign Policy," *International Journal*, 40 (Autumn 1985), pp. 556–585.

Nuclear Crisis Management (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987).

"The Long Peace, the End of the Cold War, and the Failure of Realism," *International Organization*, 48 (1994), pp. 249–277.

"Transitions and Transformations: Building International Cooperation," *Security Studies*, 6 (Spring 1997), pp. 154–179.

"Beyond Parsimony: Rethinking Theories of Coercive Bargaining," *European Journal of International Relations*, 4 (1998), pp. 31–66.

"Contingency, Catalysts and International System Change," *Political Science Quarterly*, 115, no. 4 (Winter 2000), pp. 591–616.

"Review Article: The Beginning and Ending of War," *International Historical Review*, 23 (2001), pp. 368–373.

"A Data Set Named Desire: A Reply to William P. Thompson," *International Studies Quarterly*, 47 (June 2003), pp. 475–478.

The Tragic Vision of Politics: Ethics, Interests and Orders (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

Coercion, Cooperation and Ethics (New York: Routledge, 2006).

A Cultural Theory of International Relations (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

"Constitutive Causality: Imagined Spaces and Political Practices," *Millennium*, 38, no. 2 (December 2009), pp. 1–29.

Forbidden Fruit: Counterfactuals and International Relations (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010).

Lebow, Richard Ned and Thomas Risse-Kappen, *International Relations and the End of the Cold War* (New York: Columbia University Press, 1995).

Lebow, Richard Ned and Janice Gross Stein, "Rational Deterrence Theory: I Think Therefore I Deter," *World Politics*, 41 (January 1989), pp. 208–224.

"Deterrence: The Elusive Dependent Variable," *World Politics*, 42 (April 1990), pp. 336–369.

We All Lost the Cold War (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994).

"Understanding the End of the Cold War as a Non-Linear Confluence," in Richard K. Herrmann and Richard Ned Lebow, eds., *Ending the Cold War* (New York: Palgrave, 2004), pp. 189–218.

Lebow, Richard Ned and Benjamin A. Valentino, "Lost in Transition: A Critical Analysis of Power Transition Theory," *International Relations*, 23, no. 3 (2009), pp. 389–410.

Lee, Robert D. *et al.*, *Public Budgeting Systems* (New York: Jones & Bartlett, 2004).

Leed, Eric J., *No Man's Land: Combat and Identity in World War I* (Cambridge: Cambridge University Press, 1975).

Lembcke, Jerry, *The Spitting Image: Myth, Memory, and the Legacy of Vietnam* (New York: New York University Press, 1998).

Lemke, Douglas and William Reed, "Power Is Not Satisfaction: A Comment on De Soysa, Oneal and Park," *Journal of Conflict Resolution*, 42, no. 4 (1998), pp. 511–516.

Lemke, Douglas and Suzanne Werner, "Power Parity, Commitment to Change, and War," *International Studies Quarterly*, 40, no. 2 (1996), pp. 235–260.

Lendon, J. E., *Ghosts and Soldiers: A History of Battle in Classical Antiquity* (New Haven, CT: Yale University Press, 2005).

Lenin, V. I., *State and Revolution* (Moscow: Progress Publishers, 1917).

On Imperialism (Moscow: Progress Publishers, 1973).

Lévesque, J., *The Enigma of 1989: The USSR and the Liberation of Eastern Europe*, trans. K. Martin (Berkeley, CA: University of California Press, 1997).

Levi, Ariel and Philip E. Tetlock, "A Cognitive Analysis of Japan's 1941 Decision for War," *Journal of Conflict Resolution*, 24, no. 2 (June 1980), pp. 195–211.

Levitt, Michael and Dennis Ross, *Hamas: Politics, Charity, and Terrorism in Service of Jihad* (New Haven, CT: Yale University Press, 2006).

Levy, Jack S., *War in the Modern Great Power System, 1495–1975* (Lexington, KY: University Press of Kentucky, 1983).

"The Causes of War: A Review of Theories and Evidence," in Philip E. Tetlock, Jo L. Husbands, Robert Jervis, Paul C. Stern and Charles Tilly, eds., *Behavior, Society and Nuclear War* (New York: Oxford University Press, 1989), vol. 1, pp. 209–333.

"Long Cycles, Hegemonic Transitions and the Long Peace," in Charles W. Kegley, ed., *The Long Postwar Peace* (New York: Harper-Collins, 1991), pp. 147–176.

"Learning and Foreign Policy: Sweeping a Conceptual Minefield," *International Organization*, 48, no. 2 (Spring 1994), pp. 279–312.

"Loss Aversion, Framing, and Bargaining: The Implications of Prospect Theory for International Conflict," *International Political Science Review / Revue internationale de science politique*, 17, no. 2 (1996), pp. 179–195.

"What Do Great Powers Balance Against and When?," in T. V. Paul, J. J. Wirtz and M. Fortmann, eds., *Balance of Power: Theory and Practice in the 21st Century* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2004).

"Theory, Evidence, and Politics in the Evolution of International Relations Research Programs," in Richard Ned Lebow and Mark Lichbach, eds., *Theory and Evidence in Comparative Politics and International Relations* (New York: Palgrave-Macmillan, 2007), pp. 177–198.

"Power Transition Theory and the Rise of China," in Robert S. Ross and Zhu Feng, eds., *China's Ascent: Power, Security, and the Future of International Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), pp. 11–33.

Levy, Jack S., Thomas C. Walker and Martin S. Edwards, "Continuity and Change in the Evolution of Warfare," in Zeev Maoz and Azar Gat, eds., *War in a Changing World* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 2001), pp. 15–48.

Lewis, John Wilson and Xue Litai, *China Builds the Bomb* (Stanford, CA: Stanford University Press, 1988).

Lewis, Justin, "Television, Public Opinion and the War in Iraq: The Case of Britain," *International Journal of Public Opinion Research*, 16, no. 3 (2004), pp. 295–310.

Lieber, Robert, ed., *Eagle Rules? Foreign Policy and American Primacy in the Twenty-First Century* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 2002).

Lieberman, Peter, *Does Conquest Pay? The Exploitation of Occupied Industrial Societies* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1996).

Lipschutz, R. D., *After Authority: War, Peace, and Global Politics in the 21st Century* (Albany, NY: State University of New York Press, 2000).

Lipson, Charles, *Reliable Partners: How Democracies Have Made a Separate Peace* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003).

Little, Richard, *The Balance of Power in International Relations: Metaphors, Myths and Models* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

Livy, *The Early History of Rome, Books I–V of The History of Rome from its Foundations*, trans. Aubrey de Sélincourt (London: Penguin, 1960).

Logevall, Fredrik, *Choosing War: The Lost Chance for Peace and the Escalation of War in Vietnam* (Berkeley, CA: University of California Press, 1999).

Louis XIV, *Mémoires for the Instruction of the Dauphin*, trans. Paul Sonnino (New York: Free Press, 1970).

Lowe, C. J. and F. Marzari, *Italian Foreign Policy, 1870–1940* (London: Routledge & Kegan Paul, 1975).

Luard, Evan, *War in International Society: A Study in International Sociology* (New Haven, CT: Yale University Press, 1986).

Lynch, Cecilia, *Beyond Appeasement: Interpreting Interwar Peace Movement in World Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999).

Lynn, John A., *Giant of the Grand Siècle: The French Army, 1670–1715* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

Battle: A History of Combat and Culture (Boulder, CO: Westview, 2003).

Macfie, Alec L., "Outbreak of War and the Trade Cycle," *Economic History*, 3 (February 1938), pp. 89–97.

Machinist, Peter, "Kingship and Divinity in Imperial Assyria," in Gary Beckman and Theodore J. Lewis, eds., *Text, Artifact, and Image: Revealing Ancient Israelite Religion* (Providence, RI: Brown Judaic Studies, 2006), pp. 152–188.

Mack Smith, Denis, *Mussolini* (New York: Knopf, 1982).

Mackinder, Harold J., "The Geographical Pivot of History," *Geographical Journal*, 23 (1904), pp. 421–444.

Britain and the British Seas (Oxford: Oxford University Press, 1907).

MacMillan, John, *On Liberal Peace: Democracy, War and International Order* (London: Tauris, 1998).

"Immanuel Kant and the Democratic Peace," in Beate Jahn, ed., *Classical Theory in International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), pp. 52–73.

Macpherson, C. B., *The Political Theory of Possessive Individualism: Hobbes to Locke* (Oxford: Oxford University Press, 1962).

Maddison, Angus, *Monitoring the World Economy: 1820–1992* (Washington, DC: Organization for Economic Co-operation and Development, 1995).

Mahan, Alfred Thayer, *The Influence of Sea Power upon History, 1600–1783* (Boston: Little, Brown, 1890).

Maier, C. S., *Dissolution: The Crisis of Communism and the End of East Germany* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1997).

Majeski, Stephen J. and Donald J. Sylvan, "Simple Choices and Complex Calculations: A Critique of the War Trap," *Journal of Conflict Resolution*, 28 (1984), pp. 597–618.

Mansfield, Edward D., "Concentration of Capabilities and the Onset of War," *Journal of Conflict Resolution*, 36 (1992), pp. 3–24.

Mansfield, Edward D. and Jack Snyder, "Democratization and the Danger of War," *International Security*, 20 (1995), pp. 5–38.

Electing to Fight: Why Emerging Democracies Go to War (Cambridge, MA: MIT Press, 2005).

Maoz, Zeev and Bruce Russett, "Normative and Structural Causes of the Democratic Peace," *American Political Science Review*, 87, no. 3 (1993), pp. 624–638.

Marx, Karl, *Capital*, 3 vols. (Moscow: Progress Publishers, 1966).

Maslow, Abraham H., *Motivation and Personality* (New York: Harper & Row, 1954).

Toward a Psychology of Being (Princeton, NJ: Van Nostrand, 1962).

Massie, Robert K., *Peter the Great: His Life and World* (New York: Knopf, 1980).

Mastanduno, Michael, "Preserving the Unipolar Moment: Realist Theories and US Grand Strategy after the Cold War," *International Security*, 21 (1997), pp. 44–98.

Mathews, Jenifer T., "Redefining Security," *Foreign Affairs*, 68, no. 2 (Spring 1989), pp. 162–177.

Matlock, Jack F., Jr., *Autopsy of an Empire: The American Ambassador's Account of the Collapse of the Soviet Union* (New York: Random House, 1995).

Mayer, Arno, "Domestic Causes of the First World War," in Leonard Krieger and Fritz Stern, eds., *The Responsibility of Power: Historical Essays in Honor of Hajo Holborn* (Garden City, NY: Doubleday, 1967), pp. 286–293.

McDermott, Rose, *Risk-Taking in International Politics: Prospect Theory to American Foreign Policy* (Ann Arbor, MI: University of Michigan, 1998).

ed., Special Issue of *Political Psychology* on Prospect Theory, 25 (April 2004), pp. 147–312.

McKeown, Timothy, "The Limitations of 'Structural' Theories of Commercial Policy," *International Organization*, 40 (1986), pp. 43–64.

McNamara, Robert S., *Argument Without End: In Search of Answers to the Vietnam Tragedy* (New York: Public Affairs, 1999).

Fog of War: Lessons from the Life of Robert S. McNamara, ed. James G. Blight and Janet M. Lang (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2005).

Mearsheimer, John, "Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War," *International Security*, 15, no. 1 (Summer 1990), pp. 1–56.

The Tragedy of Great Power Politics (New York: Norton, 2001).

Mearsheimer, John and Stephen Walt, *The Israel Lobby and American Foreign Policy* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2008).

Mermin, Jonathan, *Debating War and Peace: Media Coverage of US Intervention in the Post-Vietnam Era* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999).

Merridale, Catherine, *Ivan's War: The Red Army 1939–1945* (London: Faber & Faber, 2005).

Migdal, Joel S., ed., *Boundaries and Belonging: States and Societies in the Struggle to Shape Identities and Local Practices* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

Mill, John Stuart, *Principles of Political Economy* (London: Longmans, 1909).

Millis, Walter, *Arms and Men* (New York: Oxford University Press, 1956).

Modelski, George, "The Long Cycle of Global Politics and the Nation-State," *Comparative Studies in Society and History*, 10 (1978), pp. 314–335.

Exploring Long Cycles (Boulder, CO: Lynne Rienner, 1987).

Long Cycles in World Politics (Seattle: University of Washington Press, 1987).

Moe, Terry M., "On the Scientific Status of Rational Models," *American Journal of Political Science*, 23 (February 1979), pp. 215–243.

Mombauer, Annika, *Helmuth von Moltke and the Origins of the First World War* (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

Mommsen, Hans, *The Rise and Fall of Weimar Democracy*, trans. Elborg Forster and Larry Jones (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1996).

Mommsen, Wolfgang J., "Domestic Factors in German Foreign Policy Before 1914," *Central European History*, 6, no. 1 (March 1972), pp. 4–18.

Mommsen, Wolfgang and Jurgen Osterhammel, eds., *Imperialism and After: Continuities and Discontinuities* (London: Allen & Unwin, 1986).

Montesquieu, Charles-Louis de, *The Spirit of the Laws*, trans. Anne M. Cohler, Bbaisa Carolyn Miller and Harold Samuel Stone (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

Morgan, Patrick M., "Multilateral Institutions as Restraints on Major War," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 160–184.

Morgenthau, Hans J., *Scientific Man vs. Power Politics* (Chicago: University of Chicago Press, 1946).

Politics Among Nations (New York: Knopf, 1948).

In Defense of the National Interest (New York: Knopf, 1951).

Politics Among Nations, rev. by Kenneth Thompson (New York: Knopf, 1985).

Morrow, James, "A Continuous-Outcome Expected Utility Theory of War," *Journal of Conflict Resolution*, 29 (1985), pp. 473–502.

"On the Theoretical Basis of a Measure of National Risk Attitudes," *International Studies Quarterly*, 31 (1987), pp. 423–438.

Game Theory for Political Scientists (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994).

Mueller, John, *War, Presidents, and Public Opinion* (New York: Wiley, 1973).

Retreat from Doomsday: The Obsolescence of Major War (New York: Basic Books, 1989).

Public Opinion and the Gulf War (Chicago, Chicago University. Press, 1994).

"Accounting for the Waning of Major War," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 64–79.

The Remnants of War (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2007).

Murphy, Craig N., "Understanding IR: Understanding Gramsci," *Review of International Studies*, 24 (1998), pp. 417–425.

National Commission on Terrorist Attacks, *The 9/11 Commission Report: Final Report of the National Commission on Terrorist Attacks upon the United States* (New York: Norton, 2004).

Neiberg, Michael S., *Fighting the Great War: A Global History* (Cambridge: Harvard University Press, 2005).

Neilson, Keith, *Britain, Soviet Russia, and the Collapse of the Versailles Order, 1919–1939* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).

Nelson, Keith and Spencer Olin, Jr., *Why War? Ideology, Theory and History* (Berkeley, CA: University of California Press, 1979).

Neumann, Iver B., "Russia as a Great Power, 1815–2007," *Journal of International Relations and Development*, 11 (2008), p. 128.

Neustadt, Richard E., *Presidential Power: The Politics of Leadership* (New York: Wiley, 1960).

Nexon, Daniel H., *The Struggle for Power in Early Modern Europe* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2009).

Nicolson, Colin, *The Longman Companion to the First World War* (London: Longman 2001).

Nicolson, Harold, *The Congress of Vienna: A Study in Allied Unity: 1812–1822* (New York: Viking, 1946).

Nieberg, Michael S., *Fighting the Great War: A Global History* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2005).

Nietzsche, Friedrich, *Human, All Too Human (1), A Book for Free Spirits*, vol. 3, trans. Gary Handwerk (Stanford, CA: Stanford University Press, 2000).

Nipperdey, Thomas, *Germany from Napoleon to Bismarck, 1800–1866*, trans. Daniel Nolan (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1983).

Nish, Ian, *Japan's Struggle with Internationalism* (London: Athlone, 1992).

Northedge, F. S., *The League of Nations: Its Life and Times, 1920–1946* (Oxford: Oxford University Press, 1948).

Norton, Robert E., *The Beautiful Soul: Aesthetic Morality in the Eighteenth Century* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1995).

Nye, Joseph S., Jr., "The Case Against Containment: Treat China Like an Enemy and That's What It Will Be," *Global Beat China Handbook*, June 22, 1998.

O'Connor, Kevin, *The History of the Baltic States* (Westport, CT: Greenwood, 2003).

Ogata, Sadako, *Defiance in Manchuria* (Berkeley, CA: University of California Press, 1964).

Oldmeadow, Julian and Susan T. Fiske, "System-Justifying Ideologies Moderate Status = Competence Stereotypes: Roles for Belief in a Just World and Social Dominance Orientation," *European Journal of Social Psychology*, 37 (2007), pp. 1135–1148.

Olson, Mancur, Jr., *The Logic of Collective Action: Public Goods and the Theory of Groups* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1965).

Oneal, John R. and Anna Lillian Bryan, "The Rally 'Round the Flag Effect in US Foreign Policy Crises, 1950–1985," *Political Behavior*, 17, no. 4 (1995), pp. 379–401.

Oneal, John R., Indra de Soysa and Yong-Hee Park, "But Power and Wealth Are Satisfying: A Reply to Lemke and Reed," *Journal of Conflict Resolution*, 42, no. 4 (1998), pp. 517–520.

Onuf, Nicholas G., *World of Our Making* (Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1989).

The Republican Legacy (New York: Cambridge University Press, 1998).

Oren, Michael B., *Six Days of War: June 1967 and the Making of the Modern Middle East* (Oxford: Oxford University Press, 2002).

Organski, A. F. K., *World Politics* (New York: Knopf, 1958).

Organski, A. F. K. and Jacek Kugler, *The War Ledger* (Chicago: University of Chicago Press, 1980).

Osgood, Robert, "Woodrow Wilson, Collective Security, and the Lessons of History," *Confluence*, 5, no. 4 (Winter 1957), pp. 341–354.

Osiander, Andreas, "Sovereignty, International Relations, and the Westphalian Myth," *International Organization*, 55, no. 2 (2002), pp. 251–287.

Oye, Kenneth A., "Explaining the End of the Cold War: Morphological and Behavioral Adaptations to the Nuclear Peace," in Richard Ned Lebow and Thomas Risse-Kappen, *International Relations and the End of the Cold War* (New York: Columbia University Press, 1995), pp. 57–84.

Paine, S. C. M., *Imperial Rivals: China, Russia, and Their Disputed Frontier* (Armonk, NY: Sharpe, 1996).

The Sino-Japanese War of 1894–1895: Perceptions, Power, and Primacy (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

Painter, David S., *The Cold War: An International History* (London: Routledge, 1999).

Parker, Geoffrey, *The Military Revolution: Military Innovation and the Rise of the West 1500–1800*, 3rd edn. (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

Parsons, Talcott, *The Structure of Social Action* (New York: McGraw Hill, 1937).

Paul, T. V., "The Risk of Nuclear War Does Not Belong to History," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 113–132.

The Tradition of Non-Use of Nuclear Weapons (Stanford, CA: Stanford University Press, 2009).

Pearson, Karl, *National Life from the Standpoint of Science* (London: A. C. Black, 1905).

Peltonen, Markku, *The Duel in Early Modern England: Civility, Politeness and Honour* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

Petersen, Roger D., *Understanding Ethnic Violence: Fear, Hatred, and Resentment in Twentieth-Century Eastern Europe* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

Pfaff, Steven, "The Religious Divide: Why Religion Seems to Be Thriving in the United States and Waning in Europe," in Jeffrey Kopstein and Sven Steinmo, eds., *Growing Apart? America and Europe in the Twenty-First Century* (New York: Cambridge University Press, 2007), pp. 24–52.

Pflanze, Otto, *Bismarck and the Development of Germany: The Period of Unification, 1815–1871* (New York: Macmillan, 1961).

Phillips, David L., *Losing Iraq: Inside the Postwar Reconstruction Fiasco* (Boulder, CO: Westview, 2005).

Phillips, H. and David Killingray, *The Spanish Influenza Pandemic of 1918–19* (New York: Routledge, 2003), p. 7.

Phillips, Kevin, *American Dynasty: Aristocracy, Fortune, and the Politics of Deceit in the House of Bush* (New York: Viking, 2004).

Plato, *Crito*, in Plato, *The Collected Dialogues*, ed. Edith Hamilton and Huntington Cairns (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1961).

Republic, ed. and trans. I. A. Richards (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

Polybius, *The Rise of the Roman Empire*, trans. Ian Scott-Kilvery (London: Penguin, 1979).

Powell, Robert, *In the Shadow of Power: States and Strategies in International Politics* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999).

"War as a Commitment Problem," *International Organization*, 60 (2006), pp. 169–203.

Rapoport, Anatol, *Strategy and Conscience* (New York: Harper & Row, 1964).

Rasler, Karen A. and William R. Thompson, *The Great Powers and Global Struggle, 1490–1980* (Lexington, KY: University of Kentucky Press, 1994).

Rawls, John, *A Theory of Justice*, rev. edn. (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1999).

Ray, James Lee, "Democracy: On the Level(s), Does Democracy Correlate with Peace?," in John A. Vasquez, ed., *What Do We Know About War?* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2000), pp. 299–318.

Raymond, Gregory A., "International Norms: Normative Orders and Peace," in John A. Vasquez, ed., *What Do We Know About War?* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2000), pp. 281–297.

Reiter, Dan, "Exploding the Powder Keg Myth: Preemptive Wars Almost Never Happen," *International Security*, 20 (Fall 1995), pp. 5–34.

Reus-Smit, Christian, *The Moral Purpose of the State: Culture, Social Identity, and Institutional Rationality in International Relations* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1999).

Rhodes, Richard, *The Making of the Atomic Bomb* (New York: Simon & Schuster, 1986).

Rich, Frank, *The Greatest Story Ever Sold* (New York: Penguin, 2006).

Rich, Norman, *Hitler's War Aims*, 2 vols. (New York: Norton, 1973–1974).

Richardson, Lewis F., *The Statistics of Deadly Quarrels*, ed. Quincy Wright and C. C. Lienau (Pittsburgh, PA: Boxwood Press, 1960).

Richelson, Jeffrey, "Population Targeting and US Strategic Doctrine," in Desmond Ball and Jeffrey Richelson, eds. *Strategic Nuclear Targeting* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986), pp. 234–249.

Ricks, Thomas E., *Fiasco: The American Military Adventure in Iraq* (New York: Penguin, 2006).

Ringmar, Erik, *Identity, Interest and Action: A Cultural Explanation of Sweden's Intervention in the Thirty Years War* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

Ritter, Gerhard, *The Schlieffen Plan*, trans. Andrew Wilson and Eva Wilson (New York: Praeger, 1958).

Roberts, Penfield, *The Quest for Security, 1715-1740* (New York: Harper & Row, 1947).

Robinson, Ronald and John Gallagher, "The Imperialism of Free Trade," *Economic History Review*, 6 (1953), pp. 1-15.

Robinson, Ronald and John Gallagher with Alice Denny, *Africa and the Victorians: The Climax of Imperialism in the Dark Continent* (New York: St. Martin's, 1961).

Rose, Gideon, "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy," *World Politics*, 51, no. 1 (1998), pp. 144-172.

Rosecrance, Richard, "Bipolarity, Multipolarity, and the Future," *Journal of Conflict Resolution*, 10 (1966), pp. 314-327.

The Rise of the Trading State: Commerce and Conquest in the Modern World (New York: Basic Books, 1986).

Rosenau, James R., "New Dimensions of Security: The Interaction of Globalizing and Localizing Dynamics," *Security Dialogue*, 25, no. 3 (1994), pp. 255-281.

Rosenberg, Arthur, *Imperial Germany: The Birth of the German Republic, 1871-1918*, trans. Ian Morrow (Boston: Beacon Press, 1964 [1928]).

Ross, Robert S. and Zhu Feng, *China's Ascent: Power, Security and the Future of International Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008).

"The Rise of China: Theoretical and Policy Perspectives," in Robert S. Ross and Zhu Feng, *China's Ascent: Power, Security and the Future of International Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2008), pp. 293-316.

Rotberg, Robert I., ed., *When States Fail: Causes and Consequences* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004).

Rousseau, David L., *Democracy and War: Institutions, Norms, and the Evolution of International Conflict* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2005).

Rousseau, Jean-Jacques, *Du Contrat Social* (Paris: Editions Garnier Frères, 1962).

Discourse on the Origin and Foundations of Inequality (Second Discourse), in Roger D. Masters, ed., trans. Roger D. Masters and Judith R. Masters, *The First and Second Discourses* (New York: St. Martin's, 1964), pp. 77-229.

Rozman, Gilbert, "Japan's Quest for Great Power Identity," *Orbis* (Winter 2002), pp. 73-91.

Rubin, Mark and Miles Hewstone, "Social Identity Theory's Self-Esteem Hypothesis: A Review and Some Suggestions for Clarification," *Personality and Social Psychology Review*, 2 (1998), pp. 40-62.

Ruggie, John G., "Multilateralism: The Anatomy of an Institution," in John G. Ruggie, ed., *Multilateralism Matters: The Theory and Practice of an International Form* (New York: Columbia University Press, 1993).

Rummell, Rudolph J., "Libertarianism and International Violence," *Journal of Conflict Resolution*, 27 (1983), pp. 27–71.

Rumsfeld, Donald H., "Transforming the Military," *Foreign Affairs*, 81, no. 3 (May/June 2002), pp. 20–32.

Russett, Bruce R., *Grasping the Democratic Peace: Principles for a Post-Cold War World* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1993).

Russett, Bruce R., and John Oneal, *Triangulating Peace: Democracy, Interdependence, and International Organizations* (New York: Norton, 2001).

Sabrovky, Allan Ned, ed., *Polarity and War: The Changing Structure of International Conflict* (Boulder, CO: Westview, 1985).

Sadao, Asada, "The Japanese Navy and the United States," in Dorothy Borg and Shumpei Okamoto, eds., *Pearl Harbor as History* (New York: Columbia University Press, 1973), pp. 225–260.

Safire, William, "Useful Idiots of the West," *New York Times*, April 12, 1987.

Safran, Nadav, *From War to War: The Arab-Israeli Confrontation, 1848–1967* (New York: Pegasus, 1969).

Israel: The Embattled Ally (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1978).

Sagan, Carl and Richard Turco, *Where No Man Thought: Nuclear Winter and the End of the Arms Race* (New York: Random House, 1990).

Sagan, Scott D., *Limits of Safety: Organizations, Accidents, and Nuclear Weapons* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1983).

"More Will Be Worse," in Scott D. Sagan and Kenneth N. Waltz, *The Spread of Nuclear Weapons: A Debate Renewed* (New York: Norton, 2003), pp. 46–87.

Sagan, Scott D. and Kenneth N. Waltz, *The Spread of Nuclear Weapons: A Debate Renewed* (New York: Norton, 2003).

Sage, Jesse and Liora Kasten, eds., *Enslaved: True Stories of Modern Day Slavery* (London: Palgrave Macmillan, 2008).

Salisbury, Harrison, *The 900 Days: The Siege of Leningrad* (New York: Harper & Row, 1969).

Samuels, Richard J., *Securing Japan: Tokyo's Grand Strategy and the Future of East Asia* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2007).

Sanderson, G. N., *England, Europe and the Upper Nile* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1965).

Schechter, Danny, "Selling the Iraq War: The Media Management Strategies We Never Saw," in Yahya Kamalipour and Nancy Snow, eds., *War, Media, and Propaganda: A Global Perspective* (Boulder, CO: Rowman & Littlefield, 2004), pp. 25–32.

Schelling, Thomas, *Arms and Influence* (New Haven, CT: Yale University Press, 1966).

Scheuerman, William E., *Hans Morgenthau: Realism and Beyond* (Cambridge: Polity, 2009).

Schmidt, Brian C., "Anarchy, World Politics and the Birth of a Discipline: American International Relations, Pluralist Theory and the Myth of Interwar Idealism," *International Relations*, 16 (April 2002), pp. 9–32.

Schroeder, Paul W., "World War I as Galloping Gertie: A Reply to Joachim Remak," *Journal of Modern History*, 44 (September 1972), pp. 319–345.

"The 19th Century International System: Changes in Structure," *World Politics*, 39, no. 1 (October 1986), pp. 1–26.

The Transformation of European Politics, 1763–1848 (Oxford: Oxford University Press, 1994).

"International Politics, Peace and War, 1815–1914," in T. C. W. Blanning, ed., *The Nineteenth Century* (Oxford: Oxford University Press, 2000), pp. 158–209.

"The Life and Death of a Long Peace, 1763–1914," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 33–62.

Schultz, Kenneth, *Democracy and Coercive Diplomacy* (Cambridge: Cambridge University Press, 2001).

Schulze, Hagen, "The Prussian Military State, 1763–1806," in Philip G. Dwyer, ed., *The Rise of Prussia, 1700–1830* (London: Longmans, 2000), pp. 201–219.

Schumpeter, Joseph A., *Imperialism and Social Classes*, trans. Heinz Norden (New York: Kelley, 1951).

Capitalism, Socialism, and Democracy (New York: Harper & Row, 1963).

The Theory of Economic Development (New Brunswick, NJ: Transaction, 1983).

Schweller, Randall L., "Bandwagoning for Profit: Bringing the Revisionist State Back In," *International Security*, 19 (1994), pp. 72–107.

Deadly Imbalances: Tripolarity and Hitler's Strategy of World Conquest (New York: Columbia University Press, 1998).

Scott, H. M., *The Birth of a Great Power System, 1740–1815* (London: Pearson Longman, 2006).

Seabrooke, Leonard, "The Economic Taproot of US Imperialism: The Bush *Rentier* Shift," *International Politics*, 41 (2004), pp. 293–318.

Seaward, Paul, *The Cavalier Parliament and the Reconstruction of the Old Regime, 1661–67* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

Seigel, Jerrold E., *The Idea of the Self: Idea and Experience in Western Europe Since the Seventeenth Century* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

Seiler, Bernd, "'Dolchstoss' und 'Dolchstosslegende'," *Zeitschrift für Deutsche Sprache*, 22 (1966), pp. 1–20.

Selden, Mark and Kuoko Selden, *The Atomic Bomb: Voices from Hiroshima and Nagasaki* (New York: M. E. Sharpe, 1989).

Senese, Paul and John A. Vasquez, *Steps to War: An Empirical Study* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008).

Senghaas, Dieter, "Zivilisierung und Gewalt Wie den Friden gewinnen?," in W. R. Vogt, ed., *Frieden als Zivilisierungsprojekt - Neue Herausfoderungen an die Friedens- un Konfliktforschuung* (Baden-Baden: Nomos, 1995), pp. 37-55.

Shambaugh, David, "China Engages Asia: Reshaping the Regional Order," *International Security*, 29 (Winter 2004/2005), pp. 64-99.

Shapland, Greg, *Rivers of Discord* (New York: St. Martin's, 1997).

Shirer, William L., *Berlin Diary: The Journal of a Correspondent, 1934-1941* (New York: Knopf, 1942).

Shirk, Susan, *China: Fragile Superpower* (New York: Oxford University Press, 2007).

Shotter, John, "Social Accountability and the Social Construction of 'You'," in John Shotter and Kenneth. J. Gergen, eds., *Texts of Identity* (London: Sage, 1989), pp. 133-151.

Shoup, David, Document 25: Note by the Secretaries to the Joint Chiefs of Staff on Review of the NSTL/SIOP-62 and Related Policy Guidance, JCS 2056/220, "The Creation of SIOP-62: More Evidence on the Origins of Overkill," 11 February 1961, www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB130/SIOP-25.pdf.

Simmel, Georg, *Englischsprachige Veröffentlichungen, 1893-1910* (Frankfurt: Suhrkamp, 2008).

Simmons, Robert B., *The Strained Alliance: Peking, Pyongyang, Moscow, and the Politics of the Korean Civil War* (New York: Free Press, 1975).

Simms, Brendan, *The Impact of Napoleon: Prussian High Politics, Foreign Policy and the Crisis of the Executive, 1797-1806* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

Three Victories and a Defeat: The Rise and Fall of the First British Empire, 1714-1788 (London: Penguin, 2007).

Singer, J. David and Melvin Small, *The Wages of War, 1816-1965* (New York: Wiley, 1972).

Small, Melvin and David J. Singer, "The War-Proneness of Democratic Regimes, 1816-1965," *Jerusalem Journal of International Relations*, 1 (1976), pp. 50-69.

Smith, Adam, *The Theory of Moral Sentiments* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002 [1759]).

The Wealth of Nations (New York: Modern Library, 1937).

Smith, Alastair, "International Crises and Domestic Politics," *American Political Science Review*, 92, no. 3 (1998), pp. 623-638.

Smith, Tony, *The Pattern of Imperialism: The United States, Great Britain, and the Late-Industrializing World Since 1815* (Cambridge: Cambridge University Press, 1981).

Smolin, Lee, *The Trouble with Physics* (New York: Penguin Books, 2007).

Snyder, Jack L., *The Ideology of the Offensive: Military Decision Making and the Disasters of 1914* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1984).

Solingen, Etel, "Regional Conflict and Cooperation: The Case of Southeast Asia," Case Study, Columbia International Affairs Online, September 2001.

Nuclear Logics: Contrasting Paths in East Asia and the Middle East (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2007).

Sophocles, "Antigone," in D. Slavitt and P. Bovie, eds., *Sophocles*, 2, trans. K. Cherry (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1999).

Sørensen, Georg, *Changes in Statehood: The Transformation of International Relations* (London: Palgrave, 2001).

"Soviet Archival Documents on the Hungarian Revolution, 24 October–4 November 1956," trans. Johann Granville, in *Cold War International History Project Bulletin*, no. 5 (Spring 1995), pp. 22–23, 29–34.

Spanier, John, *The Truman-MacArthur Controversy and the Korean War*, rev. edn. (New York: Norton, 1965).

Spector, Ronald H., *The American War with Japan: Eagle Against the Sun* (New York: Free Press, 1985).

Spencer, Herbert, *Principles of Sociology* (New York: D. Appleton, 1906).

Spruyt, Hendrik, "Normative Transformations in International Relations and the Waning of Major War," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 185–226.

Stein, Janice Gross, "Calculation, Miscalculation, and Conventional Deterrence 1: The View from Cairo," in Robert Jervis, Richard Ned Lebow and Janice Gross Stein, *Psychology and Deterrence* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1984), pp. 34–59.

"Threat-Based Strategies of Conflict Management: Why Did They Fail in the Gulf?," in Stanley A. Renshon, ed., *Political Psychology of the Gulf War: Leaders, Publics, and the Process of Conflict* (Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1993), pp. 121–154.

Stern, Fritz, "Bethmann Hollweg and the War: The Limits of Responsibility," in Leonard Krieger and Fritz Stern, eds., *The Responsibility of Power: Historical Essays in Honor of Hajo Holborn* (Garden City, NY: Doubleday, 1967), pp. 271–307.

Stern, Jessica, *The Ultimate Terrorists* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1999).

Stevenson, David, *The First World War and International Politics* (Oxford: Oxford University Press, 1998).

Stiglitz, Joseph and Linda Bilmes, *Three Trillion Dollar War: The True Cost of the Iraq Conflict* (New York: Norton, 2008).

Storry, Richard, *Double Patriots: A Study of Japanese Nationalism* (Boston: Houghton, Mifflin, 1957).

Strang, David, "Anomaly and Commonplace in European Political Expansion," *International Organization*, 45 (1991), pp. 143–162.

Strauss, Leo, *The Political Philosophy of Hobbes, Its Basis and Its Genesis*, trans. Elsa M. Sinclair (Chicago: University of Chicago Press, 1952).

Stuart, Douglas T., *Creating the National Security State: A History of the Law That Transformed America* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008).

Suganami, Hidemi, *On the Causes of War* (Oxford: Oxford University Press, 1996).

"Explaining War: Some Critical Observations," *International Relations*, 16, no. 3 (December 2002), pp. 307-326.

Sun, Youli, *China and the Origins of the Pacific War, 1931-41* (New York: St. Martin's, 1993).

Suskind, Ron, *The One Percent Doctrine: Deep Inside America's Pursuit of Its Enemies Since 9/11* (New York: Simon & Schuster, 2006).

Sutter, Robert G., *China's Rise in Asia: Promises, and Perils* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2005).

Suzuki, Susumu, Volker Krause and J. David Singer, "The Correlates of War Project: A Bibliographic History of the Scientific Study of War and Peace, 1964-2002," http://sitemaker.umich.edu/jdsinger/files/cow_bibliographichistory_071202f_04_07_06_.pdf.

Swaine, Michael D. and Ashley J. Tellis, *Interpreting China's Grand Strategy: Past, Present, and Future* (Santa Monica, CA: RAND, 2000).

Swann, Julian, "Politics and the State in Eighteenth Century Europe," in T. C. W. Blanning, ed., *The Eighteenth Century: Europe, 1688-1815* (Oxford: Oxford University Press, 2000), pp. 11-51.

Szulc, Tad, *Fidel: A Critical Portrait* (New York: Morrow, 1986).

Tammen, Ronald L., Jacek Kugler, Douglas Lemke, Carole Alsharabati, Brian Efird and A. F. K. Organski, *Power Transitions: Strategies for the 21st Century* (New York: Seven Bridges, 2000).

Tannenwald, Nina, *The Nuclear Taboo: The United States and the Nonuse of Nuclear Weapons Since 1945* (New York: Cambridge University Press, 2007).

Taubman, William, *Khrushchev: The Man and His Era* (New York: Norton, 2003).

Taylor, A. J. P., *The Struggle for Mastery in Europe, 1848-1918* (New York: Oxford University Press, 1954).

The Origins of the Second World War (London: Hamish Hamilton, 1961).

Taylor, Charles, "The Politics of Recognition," in Amy Gutmann, ed., *Multiculturalism: Examining the Politics of Recognition* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994), pp. 25-74.

Taylor, Donald M., "Multiple Group Membership and Self-Identity," *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 12 (1981), pp. 61-79.

Tellis, Ashley J., "A Grand Chessboard," *Foreign Policy*, no. 146 (January/February 2005), pp. 52-54.

Tetlock, Philip E., "Accountability and Complexity of Thought," *Journal of Personality and Social Psychology*, 45 (July 1983), pp. 74-83.

Thompson, William R., "Cycles, Capabilities and War: An Ecumenical View," in William R. Thompson, ed., *Contending Approaches to World System Analysis* (Beverly Hills, CA: Sage, 1983).

"Uneven Economic Growth, Systemic Challenges, and Global War," *International Studies Quarterly*, 27 (1983), pp. 341–355.

"Polarity, the Long Cycle and Global Power Warfare," *Journal of Conflict Resolution*, 30 (1986), pp. 587–615.

ed., *Great Power Rivalries* (Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1989).

"A Street Car Named Sarajevo: Catalysts, Multiple Causality Chains, and Rivalry Structures," *International Studies Quarterly*, 47, no. 3 (September 2003), pp. 453–474.

Thucydides, *History of the Peloponnesian War*, Books I–II (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1919).

Tilly, Charles, "War Making and State Making as Organized Crime," in Peter B. Evans, Dietrich Rueschemeyer and Theda Skocpol, eds., *Bringing the State Back In* (Cambridge: Cambridge University Press, 1985), pp. 169–191.

Coercion, Capital, and European States, AD 990–1990 (Cambridge: Blackwell, 1990).

Tocqueville, Alexis de, *Democracy in America*, trans. and ed. Harvey C. Mansfield and Debra Winthrop (Chicago: University of Chicago Press, 2000).

Tolstoy, Leo, *Essays, Letters and Miscellanies* (New York: Charles Scribner's Son, 1911), vol. I.

Toynbee, Arnold, *A Study of History*, vol. 9 (New York: Oxford University Press, 1954).

Treasure, G.R.R., *The Making of Modern Europe, 1648–1780* (New York: Methuen, 1985).

Treitschke, Heinrich von, *Politics*, 2 vols. (New York: Macmillan, 1916).

Tucker, Spencer, *The Encyclopedia of World War I: A Political, Social, and Military History* (Santa Barbara, CA: ABC-CLIO, 2005), vol. 1.

Tucker, Spencer and Priscilla Roberts, *The Encyclopedia of World War II: A Political, Social, and Military History* (Santa Barbara: ABC-CLIO, 2005), vol. 1.

Turner, Stephen, "Introduction," in *The Cambridge Companion to Weber* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

Turco, R.P., O.B. Toon, T.P. Ackerman, J.B. Pollack and C. Sagan, "Nuclear Winter: Global Consequences of Multiple Nuclear Explosions," *Science*, 222, no. 4630 (December, 23 1983).

Tyler, Tom R., "Psychological Perspectives on Legitimacy and Legitimation," *Annual Review of Psychology*, 57 (January 2006), pp. 375–400.

Ullman, Richard H., "Redefining Security," *International Security*, 8, no. 1 (Summer 1983), pp. 129–153.

United States Arms Control and Disarmament Agency, *The Effects of Nuclear War* (Washington, DC: Arms Control and Disarmament Agency, April 1979), pp. 16–17.

United States Congress, Office of Technology Assessment, *The Effects of Nuclear War* (London: Croom Helm, 1980), pp. 100–101.

United States Congress, Senate, Committee on Armed Services, *Nuclear Winter and Its Implications*, Hearings before Committee on Armed Services, United States Senate, Ninety-Ninth Congress, First Session, October 2 and 3, 1985 (Washington, DC: Government Printing Office, 1986).

Valentino, Benjamin and Nicholas Valentino, "An Army of the People? National Guard and Reserve Casualties and Public Support for War," unpublished paper.

Van Creveld, Martin, "The Waning of Major War," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 97–113.

Van Dyke, Carl, *The Soviet Invasion of Finland, 1939–40* (Portland, OR: Cass, 1997).

Van Evera, Stephen, *Causes of War: Power and the Roots of Conflict* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999).

Van Wees, Hans, *Greek Warfare: Myth and Realities* (London: Duckworth, 2004).

Vasquez, John A., *Power of Power Politics: A Critique* (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1983).

The War Puzzle (Cambridge: Cambridge University Press, 1993).

"Why Do Neighbors Fight? Proximity, Interaction, or Territoriality?," *Journal of Peace Research*, 32, no. 3 (1995), pp. 277–293.

ed., *What Do We Know About War?* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2000).

"Reexamining the Steps to War: New Evidence and Empirical Insights," in Manus Midlarsky, ed., *Handbook of War Studies II* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 2006), pp. 371–406.

Väyrynen, Raimo, "Economic Cycles, Power Transitions, Political Management and Wars Between Major Powers," *International Studies Quarterly*, 27 (1983), pp. 389–418.

"Introduction," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 1–30.

ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005).

Veblen, Thorstein, *An Inquiry into the Nature of Peace and the Terms of Its Perpetuation* (New York: Macmillan, 1917).

The Theory of the Leisure Class: An Economic Study in the Evolution of Institutions (New York: Modern Library, 1934).

Vermes, Gabor, *István Tisza: The Liberal Vision and Conservative Statecraft of a Magyar Nationalist* (New York: Columbia University Press, 1985).
Volkogonov, Dimitri, *Stalin: Triumph and Tragedy*, ed. and trans. Harold Shukman (London: Weidenfeld & Nicolson, 1991).
Lenin: A New Biography, trans. Harold Shukman (New York: Simon & Schuster, 1994).
Wakabayashi, Bob Tadashi, *What Really Happened in Nanking: Refutation of a Common Myth* (Tokyo: Shuppan, 2002).
Wallensteen, Peter, "Trends in Major War: Too Early for Warning," in Raimo Väyrynen, ed., *The Waning of Major War: Theories and Debates* (London: Routledge, 2005), pp. 80–94.
Wallerstein, Imanuel, *The Politics of the World Economy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984).
Walt, Stephen M., *The Origins of Alliances* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1987).
Walt, Stephen M. and John J. Mearsheimer, *The Israel Lobby and US Foreign Policy* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2007).
Walters, Francis Paul, *A History of the League of Nations* (New York: Oxford University Press, 1952).
Waltz, Kenneth N., *Man, the State, and War* (New York: Columbia University Press, 1959).
Theory of International Politics (Boston: Addison-Wesley, 1979).
"The Spread of Nuclear Weapons: More May Better," Adelphi Paper 171 (London: International Institute for Strategic Studies, 1981).
"The Emerging Structure of International Politics," *International Security*, 18 (1993), pp. 44–79.
"International Relations Is Not Foreign Policy," *Security Studies*, 6 (1996), pp. 54–57.
"Evaluating Theories," *American Political Science Review*, 91, no. 4 (December 1997), pp. 913–917.
"Structural Realism after the Cold War," *International Security*, 25, no. 1 (Summer 2000), pp. 5–41.
Watkins, Shanea and James Sherk, *Who Serves in the US Military? The Demographics of Enlisted Troops and Officers* (Washington, DC: Heritage Foundation Center for Data Analysis Report, 2008).
Watson, Adam, *The Evolution of International Society: A Comparative Historical Analysis* (New York: Palgrave, 1992).
Wawro, Geoffrey, *The Franco-Prussian War: The German Conquest of France, 1870–1871* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).
Weber, Max, *"Objectivity" in Social Science and Social Policy*, trans. and ed. Edward A. Shils and Henry A. Finch (Glencoe, IL: Free Press, 1949 [1904]).

"The Profession and Vocation of Politics," in Peter Lassman and Ronald Speirs, *Political Writings* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994).

Wehler, Hans-Ulrich, *Der deutsche Kaiserreich, 1871-1918* (Göttingen: Vandenhoek and Ruprecht, 1977).

Weigley, Russell F., *The Age of Battles: The Quest for Decisive Warfare from Breitenfeld to Waterloo* (Bloomington, IN: Indiana University Press, 1991).

Weinberg, Gerhard L., *The Foreign Policy of Hitler's Germany*, 2 vols. (Chicago: University of Chicago Press, 1970-1980).

A World at Arms: A Global History of World War II (Cambridge: Cambridge University Press, 1994).

Welch, David A., ed., *Proceedings of the Hawk Key Conference on the Cuban Missile Crisis, 5-8 March 1987* (Cambridge, MA: Harvard University, Center for Science and International Affairs, Working Paper 89-1, 1989).

Painful Choices: A Theory of Foreign Policy Change (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2005).

Wendt, Alexander E., *A Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

Westad, Odd Arne, ed., *Reviewing the Cold War: Approaches, Interpretations, Theory* (London: Frank Cass, 2000).

The Global Cold War: Third World Interventions and the Making of Our Times (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

White, Donald W., "The Nature of World Power in American History: An Evaluation at the End of World War II," *Diplomatic History*, 11, no. 3, pp. 181-202.

Whiting, Alan S., *China Crosses the Yalu: The Decision to Enter the Korean War* (New York: Macmillan, 1960).

Wight, Martin, "The Balance of Power," in Herbert Butterfield and Martin Wight, eds., *Diplomatic Investigations: Essays in the Theory of International Politics* (London: Allen & Unwin, 1966), pp. 149-175.

Systems of States (Leicester: Leicester University Press, 1977).

Wilde, Oscar, "The Critic as Artist," in Richard Aldington, ed., *The Portable Oscar Wilde* (New York: Viking, 1946), pp. 51-137.

Williamson, Samuel R., *Austria-Hungary and the Coming of the First World War* (London: Macmillan, 1990).

Wilson, Charles, *Profit and Power: A Study of the England and Dutch Wars* (Cambridge: Cambridge University Press, 1957).

Wilson, Trevor, *The Myriad Faces of War: Britain and the Great War, 1914-1918* (London: Polity Press, 1986).

Winch, P. G., *Idea of a Social Science and Its Relation to Philosophy* (London: Routledge and Kegan Paul, 1958).

Wohl, Robert, *The Generation of 1914* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1979).

Wohlforth, William C., "Realism and the End of the Cold War," *International Security*, 19 (Winter 1994–1995), pp. 91–129.

"Stability of a Unipolar World," *International Security*, 24, no. 2 (Summer 1999), pp. 5–41.

"US Strategy in a Unipolar World," in G. John Ikenberry, *America Unrivaled: The Future of the Balance of Power* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002), pp. 98–118.

Wohlforth, William C., "The Comedy of Errors. A Reply to Mette Eilstrup-Sangiovanni," *European Journal of International Relations*, 15, no. 2 (June 2009), pp. 381–388.

Woit, Peter, *Not Even Wrong: The Failure of String Theory and the Search for Unity in Physical Law* (New York: Basic Books, 2006).

Wolf, John B., *The Emergence of the Great Powers, 1685–1715* (New York: Harper & Row, 1951).

Wolf, Matt W., "Stumbling Toward War: The Soviet Decision to Invade Afghanistan," *Past Imperfect*, 12 (2006), pp. 1–19.

Wolfe, Bertram D., *An Ideology in Power: Reflections on the Russian Revolution* (New York: Stein and Day, 1969).

Wolfers, Arnold, *Discord and Collaboration: Essays on International Politics* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1962).

Wong, J. W., *Deadly Dreams: Opium, Imperialism, and the Arrow War (1856–1860) in China* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

Woodward, Bob, *Plan of Attack* (New York: Simon & Schuster, 2004).

State of Denial (New York: Simon & Schuster, 2006).

Wright, Quincy, *A Study of War*, rev. edn. (Chicago: University of Chicago Press, 1965 [1942]).

Wyatt-Brown, Bertram, *Southern Honor: Ethics and Behavior in the Old South* (New York: Oxford University Press, 1986).

The Shaping of Southern Culture: Honor, Grace and War, 1760s–1890s (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 2001).

Xu, Yao, *Cong Yalujiang dao Banmendian* [From the Yalu River to Panmunjom] (Beijing: Beijing People's Press, 1985).

Yack, Bernard, *The Fetishism of Modernities: Epochal Self-Consciousness in Contemporary Social and Political Thought* (Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1997).

Yates, Robin, "The Song Empire: The World's First Superpower?," in Philip A. Tetlock, Richard Ned Lebow and Geoffrey Parker, eds., *Unmaking the West: "What-If" Scenarios That Rewrite World History* (Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, 2006), pp. 205–40.

Yee, Albert S., "Realist Analyses of China's Rise: Theory-Specific Derivations of Core Defense and Auxiliary Emendations," unpublished paper.

Yetiv, Steven A., *Explaining Foreign Policy: US Decision-Making and the Persian Gulf War* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 2004).

Zacher, Mark W., "The Territorial Integrity Norm: International Boundaries and the Use of Force," *International Organization*, 55, no. 2 (Spring 2001), pp. 215-250.

Zagare, Frank, "Review of *The War Trap*," *American Political Science Review*, 76 (1982), pp. 738-739.

Zelditch, M., "Process of Legitimation: Recent Developments and New Directions," *Social Psychology Quarterly*, 64, no. 1 (2001), pp. 4-17.

Zelditch, M. and H. A. Walker, "Normative Regulation of Power," in Shane R. Thye and Edward J. Lawler, eds., *Advances in Group Processes* (Greenwich: JAI Press, 2000).

Zeller, Gaston, "French Diplomacy and Foreign Policy in Their European Setting," in *New Cambridge Modern History* (Cambridge: Cambridge University Press, 1970). vol. 5, pp. 68-72.

Zhang, Shugang, *Mao's Military Romanticism: China and the Korean War, 1950-1953* (Lawrence, KS: University Press of Kansas, 1995).

Zuber, Terence, *Inventing the Schlieffen Plan: German War Planning, 1871-1914* (Oxford: Oxford University Press, 2002).

Zubok, Vladislav, "Why Did the Cold War End in 1989? Explanations of 'The Turn'," in Odd Arne Westad, ed., *Reviewing the Cold War: Approaches, Interpretations, Theory* (London: Frank Cass, 2000), pp. 343-367.

المؤلف في سطور

ريتشارد نيد ليبو

- أمريكي الجنسية.
- ولد في العام 1942.
- أستاذ كرسي جيمس و. فريدمان الرئاسي في كلية دارتموث.
- أستاذ الذكرى المئوية بكلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية.
- مؤلف العديد من الكتب، منها «نظرية ثقافية للعلاقات الدولية» (كامبردج، 2008) الذي فاز في العام 2009 بجائزة «جيرفيس وشرودر» المقدمة من الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية لأفضل كتاب في التاريخ الدولي والسياسة، فضلا عن جائزة سوزان سترينج المقدمة من جمعية الدراسات الدولية البريطانية لأفضل كتاب في العام، و«الرؤية المأساوية للسياسة» (كامبردج، 2003) الذي فاز في العام 2005 بجائزة ألكسندر ل. جورج للكتب، والمقدمة من الجمعية الدولية لعلم النفس السياسي.

المترجم في سطور

د. إيهاب عبدالرحيم علي

- ولد في جمهورية مصر العربية في العام 1965.
- تخرج في كلية الطب، جامعة أسيوط (مصر)، بمرتبة الشرف، في العام 1988.
- حصل على دبلوم عال في الترجمة من كلية كامبردج (لندن، المملكة المتحدة).
- مترجم معتمد وعضو لجنة اللغات الأجنبية بالجمعية الكندية للمترجمين (أونتاريو).
- أستاذ غير متفرغ للترجمة العلمية بالمعهد العربي العالي للترجمة (الجزائر).
- عضو مؤسس في الجمعية شرق المتوسطية للمحررين الطبيين، والرابطة العربية للإعلاميين العلميين.
- حصل على دبلوم عال في التوعية الصحية وماجستير في الإعلام الصحي من جامعة كيرتن (أستراليا).
- حصل على دبلوم عال في المعلوماتية الطبية، وماجستير في الصحة العامة من جامعة واترلو (كندا).

■ عمل رئيسا لقسم التأليف والترجمة بإحدى المنظمات التابعة لجامعة الدول العربية لمدة 13 عاما.

■ المحرر المؤسس لمجلة «تعريب الطب» في العام 1997، ومحررها حتى العام 2007.

■ أول رئيس تحرير للطبعة العربية لمجلة «نيتشر» العلمية (2012).

■ يشرف حاليا على عدد من مشروعات ترجمة الموسوعات وبناء المعاجم العلمية، بالإضافة إلى كتابة المقالات العلمية.

■ شارك في تأليف ثلاثة كتب هي «ثورات في الطب والعلوم» (كتاب العربي، العدد 36- 1999)، و«الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي» (كتاب العربي، العدد 67- 2007)، و«دليل الإعلامي العلمي العربي» (الرابطة العربية للإعلاميين العلميين، 2008).

■ له من الكتب المترجمة: «كيف نموت: تأملات في الفصل الأخير للحياة» (شركة المكتبات الكويتية، 1997)، «البحث عن حياة على المريخ» (سلسلة عالم المعرفة، العدد 288، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- 2002)، "الطاقة للجميع" (سلسلة عالم المعرفة، العدد 321، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- 2005)، «نحو شركات خضراء» (سلسلة عالم المعرفة، العدد 329، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- 2006)، «العولمة والثقافة» (سلسلة عالم المعرفة، العدد 354، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت- 2007)، «يقظة الذات: براغماتية بلا قيود» (سلسلة عالم المعرفة، العدد 375، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت - 2010)، «الصحة العقلية في العالم» (المجلس الأعلى للترجمة، مصر- 2006)، «مستقبلنا بعد البشري» (مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبوظبي- 2006)، «مبادئ علم التخدير وتدبير الألم» (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2011)، «موسوعة قضايا بيولوجية» (9 أجزاء) (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2012).

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978 .

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار .

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات .

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية .

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي .

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر .

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته . وفي حالة الترجمة ترسل نسخة مصورة من الكتاب بلغته الأصلية ، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب ، وكذلك يجب

أن تـدوّن أرقام صفحـات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة ، والسلسـلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مسـتوفية لهذا الشرط . والمجلـس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبيـة في حالة الاعتذار عن عدم نشـرها . وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق .

وفـي حـال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلـف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألف وخمسـمائة دينار كـويتي ، وللمترجم مكافأة بمعدل عشـرين فلسـا عن الكلمـة الواحدة فـي النص الأجنبي ، أو ألـف ومائتي دينار أيهما أكثـر (وبحد أقصى مقداره ألف وسـتمائة دينار كويتي) ، بالإضـافة إلى مائة وخمسـين دينارا كويتيا مقابل تقديم المخطـوطـة ـ المؤلفـة والمترجمـة ـ من نسختين مطبوعتين .

وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ - الحرة - قسيمة 34 - الكويت - الشويخ - ص ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	+971 242629273	+971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي المؤتمرات - طريق مكة المكرمة - ص ب 62116، الرمز البريدي 11585	+966 (01) 2128000	+966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرامكة	+963 112127797	+963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص ب 372	+202 25782700-25782632	+202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص ب 13683 - زنقه سجلماسه - بلفدير - ص ب 13008	+212 522249200	+212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	+216 71322499	+216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الغميق - شارع سعد - بناية فواز	+961 1666314/5 01 653259	+ 961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	+967 2/3201901	+ 967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - تلال العلي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	+962 65300170 - 65358855	+ 962 65337733
البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	——	+973 17 617733	——
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العذيبة - سلطنة عُمان	+968 24492936	+24493200968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص ب 3488	+974 4557809/10/11	+ 974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص ب 1314	+970 22980800	+ 970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	+2491 83242702	+ 2491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	+213 (0) 31909590	+ 213 (0) 31909328
العراق	شركة الظلال للنشر والتوزيع	——	+964 700776512 +964 780662019	——
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	+ 1718 4725488	+1718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	+ 44 2087499828 + 44208 7423344	+44208 7493904
ليبيا	شركة الناشر الليبي	——	+218 217297779	——

هذا الكتاب...

تاريخيا، هناك أربعة دوافع عامة حدت بالدول إلى بدء الحرب، وهي: الخوف، والمصلحة، والمكانة، والانتقام. وباستخدام مجموعة بيانات أصلية، يدرس المؤلف توزيع الحروب عبر ثلاثة قرون ونصف القرن، ويجادل بأنه - على عكس الحكمة التقليدية - لم تكن سوى نسبة ضئيلة من تلك الحروب مدفوعة بالأمن أو المصالح المادية. وبدلا من ذلك، فقد نجمت أغلبية الحروب بسبب السعي إلى تحقيق المكانة، وبسبب الانتقام، أي محاولة الثأر من دول نجحت في السابق في الاستيلاء على أراضي الدولة البادئة. ويؤكد المؤلف أن أيا من هذه الدوافع لا يمكن اليوم تحقيقه على نحو فعال عن طريق الحرب - بل صار غير مجد على نحو متزايد - وأنه يوجد اعتراف متزايد بهذه الحقيقة السياسية. ويسمح تحليله بطرح تنبؤات أشد تفصيلا وأكثر إقناعا حول مستقبل الحرب، فضلا عن تسليط الضوء على المجالات التي تكتنفها الشكوك.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 392-7
رقم الإيداع (2013/320)